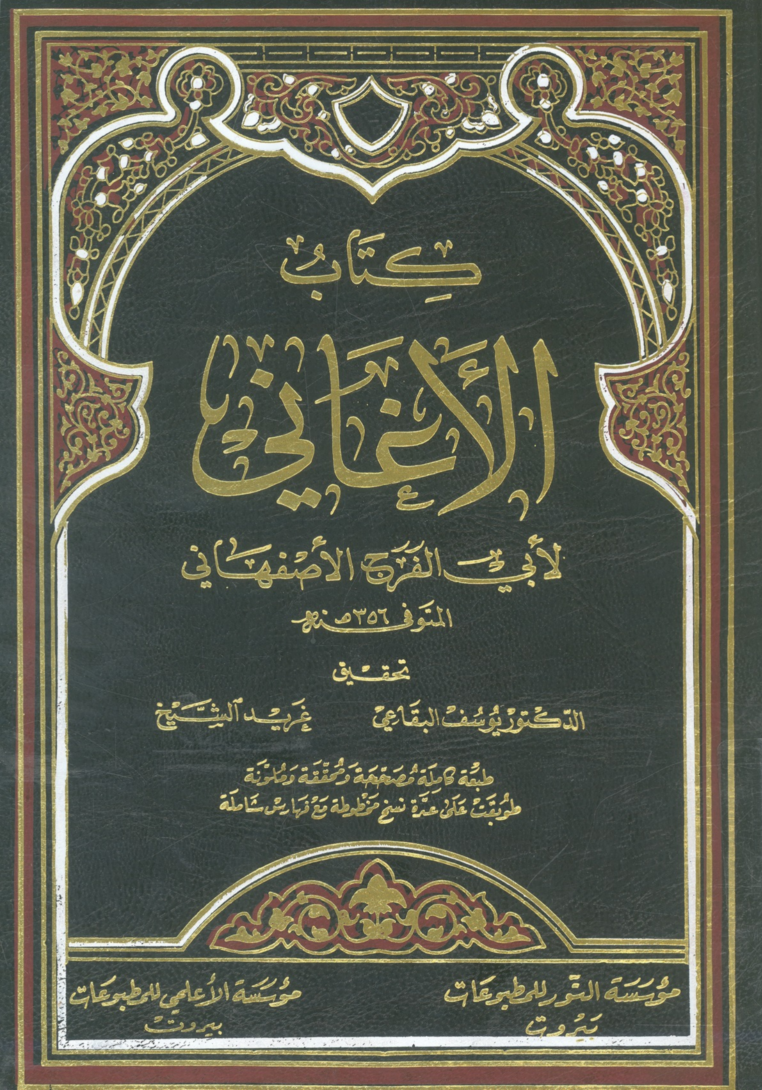

كتاب
الأغاني
لأبي الفرج الأصفهاني
المتوفى ٣٥٦ هـ
تحقيق
الدكتور يوسف البقاعي
غريد الشيخ
طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة
مؤسسة النور للمطبوعات
بيروت
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت



كتاب الأغاني

لأبي الفرج الأصفهاني

المتوفى ٣٥٦ هـ

تحقيق

الدكتور يوسف البقاعي   غريد الشيخ

طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة

الجزء الاول

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب ٧١٢٠

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة -
ملك الاعلمي - ص.ب: ٧١٢٠
الهاتف : ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق والمرسلين وبعد: فقد وقفت منذ أمد بعيد أمام كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني وقفات طويلة متأنية، تارة قراءة دفعني إليها حب الأدب، وأخرى محاولة معرفة فن الغناء والموسيقى وما وصل إليه هذا الفن عند العرب، وثالثة قراءة الباحث المدقق المفتش في ثنايا هذا الكتاب عن نقاط يمكن أن تدرس وتبحث، وأي خدمة يمكن تقديمها لهذا السفر الضخم الذي قضى مؤلفه الوقت الطويل في تأليفه.

وهكذا كنت أغوص في خضمّ واسع مضطرب الأمواج من الأفكار فأضع مخططاً لنقد الكتاب؛ وذكر ما فيه من محاسن، وما وقع فيه مؤلفه من أخطاء معطياً لهذا المؤلف العملاق ما له وما عليه..

آراء وأفكار تدور في خلدي، ولا أدري بأيها أبدأ، وما أصمّم على طريق حتى أصطدم بعقبات كثيرة توقفني فأرجع القهقري.

أخيراً وفي قراءة متأنية لكتاب أبي الفرج قرّ رأيي أن أقوم بتحقيق الكتاب من جديد فجمعت طبعات الكتاب منذ بدأ هذا الكتاب يتعرف المطبعة وتتعرفه حتى يومنا هذا، فوجدت بينها الغث والسمين، وما يستحق الوقوف طويلاً، وما لا يستحق إلا الاطلاع السريع. وبعد مراجعات ومقارنات وجدت أن أفضل هذه الطبعات طبعة دار الكتب المصرية، وهنا ظهر الفارق جليّاً بين هذه النسخة الرائعة وبين النسخ التي لم يفعل أصحابها في خدمتها شيئاً، إضافة إلى وقوع بعضهم في أخطاء تسترعي النظر.

راجعت مقدمة طبعة دار الكتب المصرية ورأيت أسماء هؤلاء الذين قاموا بتحقيقها وتصحيحها فأذهلتني الأسماء العملاقة، وبعد الاطلاع أعجبت بهذا الجهد الكبير الذي قدموه في خدمة هذا الكتاب.

عدت من جديد زاعماً لنفسي أنه يجب التريث والتأني قبل اتخاذ خطوة كبيرة، واستشرت الكثيرين فكان جوابهم متقارباً وهو الإقدام وخوض هذه التجربة ففي كل طبعة ثغرات يمكن ملؤها، وتراثنا يحتاج إلى جهود إضافية عملاقة.

وعزمت واتكلت على الله وساعدني في ذلك قرار مؤسسة الأعلمي على إخراج نسخة من الأغاني مدروسة دراسة جيدة بعيدة عن الايجاز الشديد والاطناب فوافق تفكير الشيخ فكري، وحين عدت إلى مكتبي أبدى كل فردٍ فيه استعداده للقيام بما أكلفه به من عمل. وهكذا قسمنا العمل كل بحسب اختصاصه وإمكاناته مما سهل علينا السير في هذا الطريق وأبعدنا عن الخطأ.

وإني وابنتي غريد لا يسعنا إلا شكر هؤلاء الذين لم يقصروا في تقديم كل ما في حوزتهم في سبيل انجاح هذا العمل الكبير. فلقد هيّأوا لنا كل أسباب النجاح، ووضعوا أنفسهم في تصرف الكتاب.

وقبل الخوض في كتابنا هذا وعملنا فيه أتوقف قليلاً وبإيجاز يفي بالغرض عند أبي الفرج الأصفهاني لتعريف القرّاء على هذا الرجل الذي قضى في تأليف كتابه أكثر من خمسين عاماً.

أبو الفرج:

علي بن الحسين بن محمد بن الهيثم بن عبد الرحمٰن بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو الفرج الأصبهاني العلامة النسابة الإخباري الحفظة، الجامع بين سعة الرواية والحذق في الدراسة[١].

مولده ونشأته

ولد أبو الفرج في سنة ٢٨٤ هـ بمدينة أصفهان في خلافة المعتضد العباسي، ونشأ ببغداد، وأخذ العلم عن أعلامها، وكانت بغداد إذ ذاك قرارة العلم والعلماء ومثابة الأدب والأدباء، ومهوى أفئدة الذين يرومون الإلمام بثقافة العصر ومعرفة معارفه العربية والوافدة.

(١) معجم الأدباء ٤/ ٥٠.

وأعجب أبو الفرج بالثقافة الواسعة المحيطة به من كل جانب، فأخذ نفسه بالجد في طلب العلم فنبغ وتفوّق، ساعده على ذلك توقّد ذهنَ، وقوة ذكاء، والتهاب خاطر، وسرعة حفظ، وشغف بالمعرفة أينما وجدت، وهذا ما جعله يعمل على تأليف كتابه الأغاني ولما يبلغ الثلاثين من العمر وذلك كثير إلا إذا كان الناهض بمثل هذا العمل يحمل فؤاده هذا الطموح والإصرار والجدّ كأبي الفرج.

تحصيله الثقافي وشيوخه وتلامذته

عمل أبو الفرج بجدّ ونشاط وثابر على التحصيل مثابرة منقطعة المثيل فدرس ودرّس، والتقى النخبة الممتازة في العلوم والآداب في زمنه، وأدمن زيارة الوراقين في بغداد، فرأى ما تزخر به من نفائس، واطلع عليها، وقرأ الكثير الكثير، والتقى كثيراً من الشخصيات الكبيرة في عالم الأدب واللغة والنحو والحديث والفقه والأنساب والسير، كما التقى أساطين الطب والنجوم والموسيقى وأفاد منهم وعبّ من معينهم حتى غدا علماً من أعلام العصر الكبار، بل أضحى أكبر هؤلاء الرجال، ومن يطلع على أسماء شيوخه وتلامذته يدرك مدى ما وصل إليه هذا الذي ابتسمت له الدنيا، وفتحت قصور الأمراء والوزراء والملوك أبوابها له.

فمن أصدقائه المخلصين الوزير المهلبي الذي اتفق معه في الطباع والأخلاق والإخلاص وله ألف الكثير وفيه قال أروع أماديحه الشعرية.

ومن شيوخه ـ وما أكثرهم ـ أبو بكر بن دريد، وأبو بكر بن الأنباري، والفضل بن الحباب الجمحي، وعليّ بن سليمان الأخفش، وإبراهيم نفطويه، ومحمد بن جرير الطبري، وأحمد بن جعفر جحظة، ومحمد بن خلف بن المرزبان، وجعفر بن قدامة وغيرهم كثير.

ولم يتوقف الأصفهاني عند الأخذ فقد وجد لذة كبيرة في العطاء فكان ممن أخذ عنه واستفاد من ثقافته الموسوعية الكبيرة الدارقطني، وأبو زكريا الأندلسي، وأبو الحسين علي بن محمد، وإبراهيم بن مخلد الباقرجي، وغيرهم.

مؤلفاته

ولأبي الفرج مؤلفات كثيرة منها:

١ ـ كتاب الأغاني الكبير، وهو هذا السفر الضخم الذي قمنا بتحقيقه.

٢ ـ رسالة في الأغاني

٣ ـ مجرد الأغاني

٤ ـ كتاب النغم

٥ ـ أخبار القيان

٦ ـ أخبار الطفيليين

٧ ـ أخبار جحظة البرمكي

٨ ـ أيام العرب

٩ ـ الاماء الشواعر

١٠ ـ أدب الغرباء

١١ ـ أدب السماع

١٢ ـ الأخبار والنوادر.

١٣ ـ الفرق والمعيار في الأوغاد والأحرار.

١٤ ـ المماليك الشعراء

١٥ ـ الغلمان والمغنين

١٦ ـ الحانات.

١٧ ـ الخمارين والخمارات

١٨ ـ تحف الوسائد في أخبار الولائد

١٩ ـ دعوة التجار

٢٠ ـ دعوة الأطباء

٢١ ـ الديارات

٢٢ ـ مقاتل الطالبيين

٢٣ ـ مجموع الأخبار والآثار

٢٤ ـ التعديل والانتصاف في أخبار القبائل وأنسابها وهو كتاب جمهرة أنساب العرب.

٢٥ ـ نسب المهالبة.

٢٦ ـ نسب بني شيبان

٢٧ ـ نسب بني كلاب

٢٨ ـ نسب بني تغلب

٢٩ ـ مناجيب الخصيان وغيرها.

كما قام أبو الفرج بجمع ديوان أبي تمام وديوان أبي نواس وديوان البحتري.

رأي العلماء والنقاد فيه:

قال عنه ياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء: «العلامة النساب، الإخباري الحُفَظَة الجامع بين الرواية والحذق في الدراسة، لا أعلم لأحد أحسن من تصانيفه في فنها وحسن استيعاب ما يتصدى لجمعه، وكان مع ذلك شاعراً جيداً.

وقال ابن خلكان في وفيات الأعيان: «كان من أعيان أدبائها (بغداد) وأفراد مصنفيها. روى عن عالم كثير من العلماء يطول تعدادهم، وكان عالماً بأيّام الناس والأنساب والسير».

وقال الثعالبي في يتيمة الدهر: «وكان من أعيان أدبائها (بغداد، وافراد مصنفيها، وله شعر يجمع إتقان العلماء وإحسان طرفاء الشعراء».

وقال ابن النديم: كان شاعراً أديباً، وله رواية يسيرة، وأكثر تعويله كان في تصنيفه على الكتب.

أما أولئك الذين عابوا على أبي الفرج بعض الخطأ في كتابه الأغاني وغيره من كتب المؤلف فقد كان لهم رأيهم المصيب في مقياس النقد وميزانه، ولكن لا ننسى إكثار أبي الفرج من التأليف والجمع مما يوصل في بعض الأحيان إلى سهو أو نسيان أو خطأ. وكأنني بأبي الفرج قد انتبه إلى هذا العيب فامتلأ كتابه بالأسانيد، يسند لكل خبر سنده عازياً للرواة مسؤولية الخطأ في الرواية، ويبقى أبو الفرج رغم ما أخذ عليه في ذروة معاصريه ومن جاء بعدهم، لا سيما في كتابه الضخم «الأغاني» الذي جمع فيه علمه في الموسيقى والغناء، وفن الأدب والشعر، والتاريخ الأدبي.

بعض صفاته:

وأبو الفرج الذي بلغ الذروة في الذكاء والحفظ، والغاية القصوى في سعة الاطلاع في شتى علوم عصره حتى يمكن أن نقول عنه إنه موسوعة علمية وأدبية متكاملة، وأنه أخذ من كل علم بطرف، وخاض غمار الشعر فوصل إلى درجة الشعراء الكبار، وعرف أكثر فنون الشعر فمدح وهجا ورثى ونسب. وعاشر الملوك والوزراء وصادقهم وصادقوه كان من أقذر رجال عصره ثوباً، فكان يلبس الثوب الجديد لا يغسله حتى يخلق فيخلعه إلى حيث يلقي به، ولم تكن عنايته بنظافة جسمه أفضل من عنايته بنظافة ثيابه، ومع ذلك كان أولو الأمر والشأن في ذلك الزمان يتحملونه ويتغاضون عن وسخ جسده وقميصه لأسباب منها هذا العلم الغزير، ومنها هذا اللّسان الذّرب الذي لا يتورّع أن يلوك الناس به بأقذع الهجاء وأمّره.

وكان إضافة إلى ذلك أكولاً نهماً لا يعرف لآداب الطعام معنى.

وأغرب من هذه الصفات التي اتّصف بها أبو الفرج احتمال رجال العصر أمثال الوزير المهلبي الذي تأنق غاية الأناقة في طعامه وشرابه ولباسه ولم يصبر على ثغرة من أحد ولا عيب من رجل، ومع ذلك كان يصبر ويحمل نفسه مشقة الصبر على أبي الفرج.

كتاب الأغاني وثناء أهل العلم والأدب:

لقد بلغ عصر العباسيين الذروة في اهتمام الناس بحياتهم الدنيا، وغرفوا من لذاتها ما طاب لهم، ولم تبخل الحياة الاقتصادية عليهم بشيء فكثرت الأموال في أيدي الطبقات الرفيعة حتى تطاولوا في الكرم والبذخ والإسراف على الخلفاء والأمراء والوزراء.

وكان من الطبيعي في هذا الجو أن يكثر القيان والجواري، والرقص والغناء والموسيقى، والخمر والسهر، والمجون والخلاعة، وفي هذا الجو يصل العلم إلى الذروة، والفنون الجميلة إلى أعلى مستوى، وكأن الدنيا قالت لهم: خذوا فهذا كلّ ما لديّ.

ولا غرابة في هذه الأجواء أن تكثر الكتب الباحثة في فن الغناء والموسيقى

فتحدث بعضها على تاريخ الغناء، والآخر عن المغنين، والثالث عن الموسيقيين، والرابع عن فن الغناء والموسيقى كفنّ له قيمته ومكانته. ونشأت كتب متعددة بعنوان «الأغاني» ومن هذه الكتب: كتاب الأغاني لاسحاق، وكتاب الأغاني لحسن بن موسى النصيبي وغيرهما.

وكتاب الأغاني الذي ندرسه ونحققه جاء بعد تلك الكتب ليأخذ كل ما فيها من ميزات ومحاسن ويضيف إليها كل ما لدىٰ أبي الفرج من إمكانات ومقدرة فنية وعلم بهذا الفن الذي ارتفع في زمن أبي الفرج حتى وصل الذرى. والقارىء للكتاب إذا كان له إلمام بالموسيقى الشرقية وفن الغناء العربي يدرك مقدار تعمق أبي الفرج في هذا الفن.

ولكنه وبطبيعته الموسوعية، وتمثله معارف عصره كلها أراد أن يكون كتابه غاية ما ألفّ في مضماره وأعلاه فما أتى بصوت مغنى حتى رجع إلى قائل الشعر، وتوقف عند أخباره بعد ذكر اسمه ونسبه، فلا يترك شاردة ولا واردة إلا أتى بها.

ولم يكتف أبو الفرج بالصوت المغنّى ولا القصيدة التي غنيت منها أبيات، وإنما رجع إلى كل ما قاله الشاعر أو إلى أكثره مع إيراد الأخبار المتعلقة بذلك الشاعر وعلاقته بعصره وصلاته بالناس، لا سيما الطبقة العليا، وعلى وجه الخصوص الخلفاء والأمراء والوزراء.

وكتاب الأغاني تاريخ فن الغناء العربي، ما من مغنٍّ إلا وأفرد له أبو الفرج حيزاً يخصه ويتحدث عنه وعن أخباره وفنه متوسعاً في ذلك ما أمكنه، لا يألو جهداً في هذا المجال، ولا يقصر.

ولا بد من أن نذكر أن أبا الفرج حاول السير على طريقة معاصره في إسناد الأخبار فجاء بسلسلة الرواة الذين أوصلوا الخبر إليه أخيراً، ولم ينس أن يذكر الروايات كلها، وكأنه أراد بهذا أن يوثق كتابه ويعطيه مكانة ترفعه إلى أعلى، كما أراد أن يرفع المسؤولية عن نفسه إذا أورد خبراً غير صحيح فعهدة ذلك الخبر على راويه.

أما أسلوب الكتاب فسهل ممتنع يلذ القارىء ويعجبه ويدلّ على قوة أبي الفرج وسعة تمكنه في اللغة وعلومها والأدب وفروعه.

عملنا في الكتاب

نظراً لمكانة الكتاب بين كتب الأغاني، وتميزه بين كتب الأدب، وموسوعيه ونظراً لعمل كان قبلنا بذل فيه القائمون به جهدهم، ولأننا نطلب الأفضل فقد لجأنا إلى الخطوات التالية:

١ ـ قارنا بين الطبعات التي وصلت إليها أيدينا.

٢ ـ قارنا الشعر بالشعر الوارد في دواوين الشعراء وألمحنا إلى الفروق والاختلافات إن وجدت.

٣ ـ ضبطنا أسماء الأمكنة وكتبنا عن كل مكان ما لا يزيد عن سطرين معتمدين على معجم البلدان لياقوت الحموي.

٤ ـ اعتمدنا في شرح الكلمات العويصة والغريبة على معاجم اللغة كلها.

٥ ـ حاولنا بقدر الإمكان أن لا نشرح كلمة مرتين لئلا يكون عملنا نوعاً من زيادة صفحات الكتاب من دون فائدة.

٦ ـ خلصنا الكتاب من الأخطاء المطبعية التي وقعت فيها النسخ السابقة.

٧ ـ وضعنا عناوين للفقرات ليسهل على القارىء والباحث الرجوع إلى طلبه.

٨ ـ قمنا بوضع فهارس عامة وكاملة للكتاب ليسهل على طلاب الدراسات والباحثين الإفادة من هذا السفر الضخم الذي لا يمكن الاستغناء عنه.

٩ ـ أشرنا إلى وزن كل قصيدة أو مقطوعة أو بيت في الكتاب كله.

وأخيراً نشكر الشيخ الأعلمي الذي فتح لنا المجال في هذا العمل الضخم، كما نشكر الذين مدّوا لنا يد المساعدة وقاموا بمجهود واسع وكبير في التحقيق ومراجعة المصادر والمراجع ومقارنة النسخ، ونخص بالشكر الآنسة فاطمة شاهين التي كانت لها يد طولى في هذا العمل الجبار. ونحمد الله على آلائه ونعتذر ممن يجد في عملنا خطأ أو ثغرة، ونطلب إليه أن يدلنا على أخطائنا ويهدي إلينا عيوبنا وبالله توفيقنا.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[مقدّمة]

[أُسلوب أبي الفرج في تأليف الأغاني]

هذا كتاب ألّفه عليُّ بنُ الحُسين بن محمد القُرَشيّ الكاتب المعروف بالأَصْبَهانيّ، وجمعَ فيه ما حضَره وأمكنه جمعُه من الأغاني العربية قديمِها وحديثِها، ونسَب كلَّ ما ذكرَه منها إلى قائلِ شعرِه وصانعِ لَحْنِه وطريقتِه من إيقاعه وإصبَعه التي يُنسب إليها من طريقته، وٱشتراكِ إن كان بين المغنِّين فيه، على شرحٍ لذلك وتلخيص وتفسير للمُشْكِل من غريبه وما لا غِنىً عن علمه من عِلَل إعرابه وأعارِيض شعره التي تُوصِّل إلى معرفة تجزئته وقسمة ألحانه.

ولم يَستوعب كلَّ ما غُنِّيَ به في هذا الكتاب ولا أتى بجميعه، إذ كان قد أفرد لذلك كتاباً مجرَّداً من الأخبار ومحتوياً على جميع الغناء المتقدّم والمتأخّر. وٱعتمد في هذا الباب على ما وجَد لشاعره أو مغنِّيه أو السبب الذي من أجله قيل الشعرُ أو صُنع اللحنُ خبراً يُستفاد ويَحْسُن بذكره ذكرُ الصوت معه، على أقْصرِ ما أمكنَه وأبعدِه من الحَشْو والتكثير بما تَقِلُّ الفائدة فيه. وأتى في كل فصل من ذلك بنُتَفٍ تُشَاكله، ولُمَع تليق به، وفِقَرٍ إذا تأمّلها قارئُها لم يزل متنقِّلاً بها من فائدة إلى مثلها، ومتصرِّفاً فيها بين جِدٍّ وهزلٍ، وآثارٍ وأخبار، وسِيَرٍ وأشعار، متصلةٍ بأيام العرب المشهورة وأخبارها المأثورة، وقصص الملوك في الجاهلية والخلفاء في الإسلام، تجملُ بالمتأدّبين معرفتُها، وتحتاج الأحْداث إلى دِرَاستها، ولا يرتفع مَنْ فوقهم من الكهول عن الاقتباس منها؛ إذ كانت مُنتخلةً من غُرَر الأخبار، ومُنتقاةً من عيونها، ومأخوذةً من مَظَانِّها، ومنقولةً عن أهل الخِبْرة بها. فصدَّر كتابَه هذا

وبدأ فيه بذكر المائة الصوت المختارة لأمير المؤمنين الرشيد ـ رحمه الله تعالى ـ وهي التي كان أمرَ إبراهيمَ المَوْصليّ وإسماعيلَ بن جامِع وفُلَيْحَ بن أبي العَوْراء باختيارها له من الغناء كلّه، ثم رُفِعت إلى الواثق بالله ـ رحمة الله عليه ـ فأمرَ إسحاق بن إبراهيم بأن يَخْتار له منها ما رأى أنه أفضل مما كان ٱخْتِير متقدِّماً، ويُبْدِلَ ما لم يكن على هذه الصفة بما هو أعلى منه وأولى بالاختيار؛ ففعل ذلك. وأَتْبَع هذه القطعةَ بما ٱختاره غيرُ هؤلاء من متقدِّمي المغنِّين وأهل العلم بهذه الصناعة من الأغاني، وبالأصوات التي تجمع النَّغَمَ العشرَ المشتملة على سائر نغم الأغاني والملاهي، وبالأَرْمَال الثلاثة المختارة، وما أشبه ذلك من الأصوات التي تقدّم غيرَها في الشهرة كمُدُنِ مَعْبَد وهي سبعة أصوات، والسبعةِ التي جُعِلت بإزائها من صَنْعة ٱبن سُرَيْج وخَيَّر بينهما فيها، وكأصوات معبد المعروفة بألقابها، وزَيانِب يُونس الكاتِب؛ فإن هذه الأصوات من صُدُور الغناء وأوائله وما لا يَحْسُن تقديمُ غيرِه أمامَه. وأتبع ذلك بأغاني الخلفاء وأولادهم، ثم بسائر الغناء الذي عَرف له قصةً تُستفاد وحديثاً يُستحسن، إذ ليس لكلِّ الأغاني خبرٌ نعرفه، ولا في كلّ ما له خبر فائدةٌ، ولا لكلٍّ ما فيه بعضُ الفائدة رَوْنَقٌ يَرُوقُ الناظرَ ويُلْهِي السامع.

ووَقَّع على أوّل كلّ شعرٍ فيه غناءٌ صوتاً ليكون عَلامةً ودِلالةً عليه يتبيَّنُ بها ما فيه صنعةٌ من غيره. وربما أَتَى في خِلاَل هذه الأصوات وأخبارِها أشعارٌ قيلتْ في تلك المعاني وغُنِّيَ بها وليست من الأغاني المختارة ولا من هذه الأجناس المرتَّبة، فلا يوجد من ذكرها معها بُدٌّ؛ لأنها إذا أُفرِدت عنها كانت إمّا منقطعة الأخبار غير مُشَاكِلةٍ لنظائرها أو مُعَادَةً أخبارُها، وفي كِلْتَا الحالتين خلافٌ لما يجيء به هذا الكتاب، وقد يأتي أيضاً منها الشيءُ تَطولُ أخبارهُ وتَكْثُر قِصَصُ شاعره مع غيره من الأصوات والأخبار، فلا يمكن شرحُها جَمْعاء في ذلك الموضع لئلاً تنقطعَ الأخبار المذكورة بدخوله بينها، فيؤَخَّرُ ذكره إلى مواضعَ يحسنُ فيها، ونظائرَ له يُضَاف إليها، غيرَ قاطع ٱتِّسَاقَ غيرِه منها ولا مُفْرِدٍ للقرائن بتوسُّطِ لها، ويكونُ ذِكرُه على هذه الحال أشْكَلَ وأَلْيَقَ.

[عِلل أبي الفرج في تصنيف الكتاب]

قال مؤلف هذا الكتاب: ولعلَّ بعض مَنْ يتصفَّح ذلك يُنكر تَرْكَنَا تَصْنيفَه أبواباً على طرائق الغِناء أو على طبقات المغنِّين في أزمانهم ومراتبهم أو على ما غُنِّي به

من شعر شاعر. والمانع من ذلك والباعثُ على ما نَحوْناه عِلَلٌ:

منها: أنّا لمّا جعلنا ٱبتداءَه الثلاثةَ الأصوات المختارة كان شعراؤها من المتأخرين، وأوّلهم أبو قَطِيفَة وليس من الشعراء المعدودين ولا الفحول، ثم عُمَرُ ابن أبي رَبِيعة، ثم نُصَيب، فلما جَرَى أوّلُ الكتاب هذا المَجْرى ولم يمكن ترتيبُ الشعراء فيه، أُلحِق آخرُه بأوّله وجُعِل على حَسَبِ ما حَضر ذِكرُه. وكذلك سائرُ المائةِ الصوت المختارة؛ فإنها جارية على غير ترتيب الشعراء والمغنين. وليس المَغْزَى في الكتاب ترتيبَ الطبقات، وإنما المَغزى فيه ما ضُمِّنَهُ من ذكر الأغاني بأخبارها، وليس هذا ممَّا يضرُّ فيها.

ومنها: أن الأغاني قلَّما يأتي منها شيء ليس فيه ٱشتراكٌ بين المغنّين في طرائقَ مختلفةٍ لا يمكن معها ترتيبُها على الطرائق؛ إذ ليس بعض الطرائق ولا بعض المغنين أولى بنسبة الصوت إليه من الآخر.

ومنها: أن ذلك لو لم يكن كما ذكرنا لم يخْلُ فيها ـ إذا أتيْنا بغناء رجلٍ رجلٍ وأخباره وما صنَّف إسحاقُ وغيره ـ من أن نأتيَ بكلٍّ ما أتَى به المصنِّفون والرواةُ منها على كثرة حَشْوه وقلّة فائدته، وفي هذا نقضُ ما شرطناه من إلغاء الحشو، أو أن نأتي ببعض ذلك فيُنسب الكتابُ إلى قصورٍ عن مدى غيره. وكذلك تجْرِي أخبارُ الشعراء. فلو أتينا بما غُنِّي به شعر شاعر منهم ولم نتجاوزه حتى نَفْرُغ منه، لجَرى هذا المَجْرى، وكانت للنفس عنه نَبْوة، وللقلب منه مَلَّة، وفي طباع البشر محبةُ الانتقال من شيء إلى شيء، والاستراحةُ من معهود إلى مستجدٍّ. وكلُّ منتقَلٍ إليه أشْهَى إلى النفس من المُنْتَقَل عنه، والمنتظرُ أغلبُ على القلب من الموجود. وإذا كان هذا هكذا، فما رتَّبْناه أحْلى وأحسنُ، ليكونَ القارىءُ له بانتقاله من خبر إلى غيره، ومن قصة إلى سواها، ومن أخبار قديمة إلى مُحْدَثَة، ومَلِيك إلى سُوقةٍ وجِدٍّ إلى هَزْل، انشطَ لقراءته وأشهى لتصفُّح فنونه، لا سيَّما والذي ضَمَّنَّاهُ إيّاه أحسنُ جنسِه وصَفْوُ ما أُلِّف في بابه، ولُبابُ ما جُمع في معناه.

وكلُّ ما ذكَرْنا فيه من نِسَب الأغاني إلى أجناسها فعلى مذهب إسحاق بن إبراهيم المَوْصليّ وإن كانت روايةُ النسبة عن غيره؛ إذ كان مذهبُه هو المأخوذَ به اليوم دون مذهب مَنْ خالفه، مثل إبراهيمَ بن المَهْديّ ومُخَارِق وعَلُّوية وعَمْرو بن بانة ومحمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر ومن وافقَهم، فإنهم يسمُّون الثَّقِيلَ الأوّل وخفيفَه الثقيلَ الثانيَ وخفيفَه، ويسمّون الثقيلَ الثانيَ وخفيفَه الثقيلَ الأوّل وخفيفه، وقد

اُطُّرح ما قالوه الآن وتُرك، وأخذَ الناس بقول إسحاق.

[الباعث على تأليف الكتاب]

قال مؤلف هذا الكتاب: والذي بعثَني على تأليفه أنّ رئيساً من رؤسائنا كلَّفني جمعه له، وعرَّفني أنه بلغه أن الكتاب المنسوب إلى إسحاق مدفوعٌ أن يكون من تأليفه، وهو مع ذلك قليل الفائدة، وأنه شاكٌّ في نسبته؛ لأن أكثر أصحاب إسحاق يُنكرونه، ولأن آبنه حمَّاداً أعظمُ الناس إنكاراً لذلك، وقد لعَمْري صدق فيما ذكره، وأصاب فيما أنكره.

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وَكِيع قال: سمِعت حمّاداً يقول: ما أَلَّف أبي هذا الكتابَ قَطُّ ولا رآه. والدليل على ذلك أنّ أكثر أشعاره المنسوبة التي جُمِعَتْ فيه إلى ما ذُكر معها من الأخبار ما غَنَّى فيه أحدٌ قطُّ وأنّ أكثر نسبه إلى المغنّين خطأ؛ والذي أَلَّفه أبي من دواوين الغناء يدلّ على بُطْلان هذا الكتاب، وإنما وضَعه ورّاقٌ كان لأبي بعد وفاته، سوى الرُّخْصةِ التي هي أوّل الكتاب؛ فإن أبي ـ رحمه الله ـ أَلَّفها؛ لأن أخبارها كلَّها من روايتنا. هذا ما سمِعتُه من أبي بكر حكايةً فحفِظتُه واللفظ يزيد وينقص.

وأخبرني أحمدُ بن جعفرٍ جَحْظَةُ أنه يعرِف الورَّاق الذي وضعَه، وكان يسمَّى بسندٍ الورّاق وحانوتُه في الشَّرْقية في خان الزِّبْل، وكان يُوَرِّق لإسحاق بن إبراهيم، فاتفق هو وشريك له على وضعه. وليست الأغاني التي فيه أيضاً مذكورةَ الطَّرَائق، ولا هي بمُقْنِعَةٍ من جُمْلة ما في أيدي الناس من الأغاني، ولا فيها من الفوائد ما يبلغُ الإرادة؛ فتكلَّفتُ ذلك له على مشقَّةٍ آحتملتُها منه، وكراهةَ أن يُؤثَر عنّي في هذا المعنى ما يبقَى على الأيّام مخلَّداً، وإليّ على تطاولها منسوباً، وإن كان مَشُوباً بفوائد جَمَّةٍ ومَعَانٍ من الآداب شريفةٍ. ونعوذ بالله مما أسْخطه من قول أو عمل، ونستغفره من كلِّ مُوبقةٍ وخَطِيئة وقولٍ لا يوافق رضاه، وهو وليّ العِصْمة والتوفيق، وعليه نتوكّل وإليه نُنِيب. وصلى الله على محمد وآله عند مُفْتَتح كل قول وخاتمته وسلّم تسليماً. وحسبُنا الله ونعم الوكيل كافياً ومُعيناً.

ذكر المائة الصّوت المختارة

[اختيار الأصوات الثّلاثة الشّاملة لجميع نغم الغناء]

أخبرنا أبو أحمدَ يحيى بنُ عليّ بن يحيى المُنَجِّم[١] قال حدّثني أبي قال: حدّثني إسحاق بن إبراهيم المَوْصِليّ أنّ أباه أخبره أنّ الرَّشيد ـ رحمة الله عليه ـ أَمَرَ المغنّين، وهم يومئذٍ متوافِرونَ، أنْ يختاروا له ثلاثةَ أصواتٍ من جميع الغناءِ، فأجمعوا على ثلاثةِ أصواتٍ أنا أذكرُها بعد هذا إنْ شاءَ الله. قال إسحاق: فجرَى هذا الحديثُ يوماً وأنا عندَ أميرِ المؤمنينَ الواثق باللَّهِ، فأمرني باختيارِ أصوات منَ الغناءِ القديم، فاخترتُ له من غِنَاءِ أهلِ كلِّ عصرٍ ما اجتمَع علماؤهم على بَرَاعتِهِ وإحكامِ صَنْعَتِهِ، ونسبته إلى من شَدا به، ثم نظرتُ إلى ما أحدث النَّاسُ بعدُ ممّن شاهَدْناه في عصرِنا وقُبَيْلَ ذلك، فاجْتَبَيْتُ[٢] منه ما كان مُشبهاً لِمَا تَقَدَّمَ أو سالكاً طريقَهُ، فذكرتُه ولم أبْخَسْهُ ما يجب له وإن كان قريبَ العهدِ، لأنَّ النّاس قد يتنازعون الصَّوتَ في كلِّ حينٍ وزمانٍ، وإنْ كانَ السَّبْقُ لِلقُدَمَاءِ إلى كلِّ إحسان.

وأخبرني أحمدُ بنُ جعفرٍ جَحْظَة قال: حَدَّثني هارون بن الحَسَن بن سَهْل وأبو العُبَيْس بن حَمْدُون وابن دُقَاق وهو محمد بن أحمد بن يحيى المعروفُ بابن دقاق بهذا الخبر، فزعَم: أنّ الرَّشيدَ أَمَر هؤلاء المُغَنِّينَ أن يختاروا له مائةَ صوتٍ فاختاروها، ثم أَمَرَهُمْ باختيارِ عشرةٍ منها فاختاروها، ثم أمرهم أنْ يختاروا منها ثلاثةً ففعلوا.

---

(١) يحيى بن علي بن يحيى المنجّم: أديب ومتكلّم وكاتب ومن فضلاء المعتزلة. نادم عدداً من الخلفاء منهم الموفّق بالله العباسي والمكتفي. صنّفَ كتباً عديدة (ت ٣٠٠ هـ/ ٩١٢ م) ترجمته في: معجم الأدباء ٥: ٦٣٠.

(٢) اجتبيتُ: اصطفيتُ واخترتُ.

وذكر نحوَ ما ذكره يحيى بن عليّ، ووافقه في صوتٍ من الثّلاثةِ الأصواتِ، وخالفهُ في صوتين. وذكر يحيى بن عليّ بإسناده المذكور أنَّ منها لَحْنَ مَعْبَد في شعرِ أبي قَطِيفة وهو من خَفِيف الثَّقِيلِ[1] الأوَّلِ: [البسيط]

القَصْرُ فَالنَّخْلُ فَالجَمَّاءُ بينهما أشْهَى إلى القلبِ مِنْ أبوابِ جَيْرُونِ[2]

ولَحنَ ٱبْنِ سُرَيْج في شِعْرِ عُمَر بن أبي ربيعة، ولَحْنُه مِنَ الثَّقيل الثَّاني: [الطويل]

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرْيَ لَمَّا جَهَدْتُهُ وبَيَّنَ لو يَسْطِيعُ أَنْ يَتَكَلَّمَا[3]

ولَحْنَ ٱبْنِ مُحْرِزٍ في شِعْرِ نُصَيْب وهو مِنَ الثَّقِيلِ الثَّاني أيضاً: [الطويل]

أَهَاجَ هَوَاكَ المَنْزِلُ المُتَقَادِمُ؟ نَعَمْ، وبه مِمَّنْ شَجَاكَ مَعَالِمُ

وذَكَرَ جَحْظَةُ عَمَّنْ رَوَى عنه أنَّ مِنَ الثَّلاثةِ الأصواتِ لَحْنَ ٱبْنِ مُحْرِزٍ فِي شعرِ المجنون، وهو من الثّقيل الثّاني: [الطويل]

إذا ما طَوَاكِ الدَّهْرُ يا أُمَّ مالِكٍ فَشَأْنَ المَنَايَا القاضيات وشَانِيا

ولحَن إبراهيم الموصليّ في شِعْرِ العَرجي، وهو من خَفِيف الثَّقيل الثَّاني: [الوافر]

إلى جَيْدَاءَ قد بَعَثُوا رَسُولاً لِيُحْزِنَها فلا صُحِبَ الرَّسُولُ

ولحن ٱبنِ محرز في شِعْرِ نُصَيْب، وهو على ما ذُكِرَ هَزَج: [الطويل]

أَهَاجَ هَوَاكَ المَنْزِلُ المُتَقَادِمُ؟ نَعَمْ، وبِهِ مِمَّنْ شَجَاكَ مَعَالِمُ

---

(١) تتعلّق الألفاظ المستخدمة في كتاب الأغاني بالعود العربي وقوانين الغناء وهي لا تخرج عن ثمانية منها: ثقيل أول، وثقيل ثان وخفيف الثقيل الثاني وخفيف الخفيف إلخ. . . وهي ضروب ترجع إلى نوع النقرات فقد تكون ثقيلة على أنواع وخفيفة على أنواع إلخ. . . وميّزوا بالتالي مجرى الصوت بحسب الأصابع فقالوا: ثقيل أول بالوسطى وخفيف ثقيل بالسّبابة. راجع نيل السعود في ترجمة الوزير داود في بحثه بعنوان «العود ومصطلحاته».

(٢) القصر: هو قصر سعيد بن العاص بالعَرْصة، والنخل: هو نخل كان لسعيد هناك بين قصره وبين الجَمَّاء وهي أرض كانت له. وأبواب جيرون: بدمشق من بناء سليمان بن داود عليه السلام. وهي سقيفة مستطيلة على عُمُدٍ وسقائف وحولها مدينة تطيف بها. (معجم البلدان ٢: ١٩٩).

(٣) الكُمَيْت من الخيل: ما كان لونه بين الأسود والأحمر.

وحكى عن أصحابِهِ أنَّ هذه الثَّلاثة الأصوات على هذه الطَّرائق لا تَبْقَى نَغْمَةٌ في الغناءِ إلاّ وهي فيها.

[مخالفةُ أبي الفرج لاختيار صوت ابن محرز]

أخبرني الحَسَنُ بنُ عليّ الأَدَميّ[١] قالَ: حَدَّثنا محمّد بن القاسم بن مَهْرُويه قالَ: حَدَّثنا عبدُ الله بن أبي سعدٍ الوَرَّاق قالَ: حدّثني أبو تَوْبَة صالح بن محمّد قال: حَدَّثني محمّد بن جبر المُغَنِّي قالَ: حدّثني إبراهيم بن المَهْدِيّ: /أنَّ الرَّشِيدَ أمرَ المُغَنِّينَ أنْ يختاروا له أحسنَ صوتٍ غُنِّيَ فيه، فاختاروا له لَحْنَ ٱبنِ مُحْرِزٍ في شعر نُصَيْب:

أهـاجَ هـواكَ الـمـنـزلُ الـمُـتـقَـادِمُ؟

قال: وفيه دَوْرٌ كثيرٌ، أيْ صَنْعَةٌ كثيرةٌ. والَّذي ذَكَرَهُ أبو أحمدَ يحيى بن عليّ أَصَحُّ عندي. وَيَدُلُّ على ذلك تَبَايُنُ ما بينَ الأصواتِ الَّتِي ذَكَرَها والأصواتِ الأُخَرِ في جَوْدةِ الصَّنعةِ وإتقانِها وإحكامِ مباديها ومَقَاطِعِهَا وما فيها مِنَ العملِ، وأَنَّ الأخرى ليستْ مِثْلَها ولا قريبةً منها. وأُخرى هي أنَّ جَحْظَةَ حَكى عَمَّنْ رَوَى عنه أَنَّ فيها صوتاً لإبراهيم المَوْصِليّ، وهو أَحَدُ مَنْ كانَ ٱختارَ هذه الأصواتَ لِلرَّشيدِ، وكان معه في اختيارِها إسماعيلُ بنُ جامعٍ وفُلَيْح بن أبي العوراء، وليس أَحَدٌ منهما دونه إن لم يَفُقْهُ، فكيف يمكنُ أنْ يُقَالَ: إنَّهما سَاعَدا إبراهيمَ على اختيارِ لَحْنٍ من صَنْعَتِهِ في ثلاثةِ أصواتٍ ٱخْتِيرَتْ من سائرِ الأغاني وفُضِّلَتْ عليها! ألم يكونا لو فعلا ذلك قد حكَما لإبراهيم على أَنْفُسِهِمَا بِالتَّقَدُّمِ والحِذْقِ والرِّيَاسَةِ وليسَ هو كذلك عِنْدَهُمَا؟

[إبراهيم بن ميمون ورأيُهُ في غناء ابن جامع]

ولقد أخبرَنا يحيى بن عليّ بن يحيى المُنَجِّم عن حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه: أنه أتى أباه إبراهيمَ بن مَيْمون يوماً مُسَلِّماً فقالَ له أبوه: يا بُنَيَّ، ما أعلمُ أَحَداً بَلَغَ مِنْ بِرِّ وَلَدِهِ ما بَلَغْتُهُ مِنْ بِرِّكَ، وإنّي لأَسْتَقِلُّ ذلكَ لكَ، فَهَلْ مِنْ حاجةٍ أَصِيرُ فيها إلى

(١) الأَدَمِيّ: هو الذي يبيع الجلود، نسبة إلى الأدم وهو الجلد.

مَحَبَّتِكَ؟ قلتُ: قد كانَ ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ كُلُّ ما ذَكَرْتَ فأطالَ اللَّهُ لي بقاءَكَ ولكنِّي أَسْأَلُكَ واحدةً: يموتُ هذا الشَّيخُ غداً أو بعدَ غدٍ ولم أَسْمَعْهُ، فيقولُ النَّاسُ لي ماذا وأنا أَحُلُّ منكَ هذا المَحَلَّ. قالَ لي: ومَنْ هو؟ قلتُ: ٱبن جامع. قالَ: صَدَقْتَ يا بُنَيَّ، أَسْرِجُوا[١] لنا. فَجِئْنا ٱبنَ جامعٍ، فدخلَ عليه أبي وأنا معه، فقالَ: يا أبا القاسم، قد جِئْتُكَ في حاجةٍ، فإنْ شِئْتَ فَاشْتُمْني، وإن شِئْتَ فَاقْذِفْني[٢]، غير أنّه لا بُدَّ لكَ من قَضَائِهَا. هذا عَبْدُكَ وٱبنُ أخيكَ إسحاقُ قالَ لي كذا وكذا، فَرَكِبْتُ معه أَسْأَلُكَ أنْ/ تُسْعِفه فيما سَأَلَ. فقالَ: نَعَمْ، على شَرِيطةٍ: تقيمانِ عِندي أُطْعِمكُمَا مَشُوشةً[٣] وَقَلِيَّةً[٤] وأسقيكُما مِنْ نَبيذِي التَّمْرِيّ وأُغَنِّيكُما! فإنْ جَاءَنا رسولُ الخليفةِ مَضَيْنا إليه وإلاَّ أَقَمْنا يَوْمَنا. فقالَ أبي: السَّمْعُ والطَّاعَةُ، وأَمَرَ بِالدَّوابِّ فَرُدَّتْ. فجاءنا ٱبنُ جامعٍ بِالمَشُوشَةِ والقَلِيَّةِ ونبيذِهِ التَّمْرِيِّ فأَكَلْنا وشَرِبْنا، ثمَّ ٱندفعَ فَغَنَّانا، فَنَظَرْتُ إلى أبي يَقِلُّ في عيني ويَعْظُمُ ٱبنُ جامعٍ حتى صار أبي في عيني كلا شيء. فلما طَرِبْنا غايةَ الطَّرَبِ جاءَ رسولُ الخليفةِ فَرَكِبَا ورَكِبْتُ معهما. فلمّا كُنّا في بعضِ الطَّريقِ قالَ لي أبي: كيف رأيتَ ٱبنَ جامع يا بُنَيَّ؟ قلتُ له: أَوَ تُعْفِيني جُعِلْتُ فِدَاكَ! قالَ: لَسْتُ أُعْفِيكَ فَقُلْ. فقلتُ له: رَأَيْتُكَ، ولا شَيءَ أَكْبَرُ عندي مِنْكَ، قد صَغُرْتَ عِندِي في الغِناءِ معه حتّى صِرْتَ كلا شيء! ثم مَضَيْنا إلى الرَّشِيدِ، وٱنْصَرَفْتُ إلى منزلي، وذلك لأَنِّي لم أَكُنْ بعدُ وَصَلْتُ إلى الرَّشِيدِ. فلمَّا أَصبحْتُ أرسلَ إِلَيَّ أبي فقالَ: يا بُنَيَّ، هذا الشِّتاءُ، قد هَجَمَ عليكَ وأنتَ تحتاجُ فيه إلى مؤونة، وإذا مالٌ عظيمٌ بين يَدَيْهِ، فَاصْرِفْ هذا المالَ في حَوائِجِكَ. فَقُمْتُ فَقَبَّلْتُ يَدَهُ ورأسَهُ وأَمَرْتُ بحملِ المالِ واتَّبَعْتُهُ، فَصَوَّتَ بي: يا إسحاق ارجعْ، فَرَجَعْتُ. فقالَ لي: أَتَدْرِي لِمَ وَهَبْتُ لَكَ هذا المالَ؟ قُلْتُ: نعم، جُعِلْتُ فِدَاكَ! قال: لِمَ؟ قُلْتُ: لِصِدْقي فيكَ وفي ابنِ جامعٍ. قالَ: صَدَقْتَ يا بُنَيَّ، ٱمْضِ راشداً. ولهما في هذا الجنسِ أخبارٌ كثيرةٌ تأتي في غير هذا الموضعِ مُتَفَرِّقَةً في أماكنَ تَحْسُنُ فيها ولا يُسْتَغْنَى بما ذُكِرَ هاهنا عنها. /فإبراهيمُ يُحِلُّ ٱبنَ جامعٍ هذا المَحَلَّ مع ما كان بينهما مِنَ المُنافَسَةِ والمفاخَرَةِ ثم يُقْدِمُ على أن يختارَ فيما هو معه فيه

(١) أسرجوا لنا: شدّوا على الخيل سروجها لنركبها.
(٢) القذف: السَّبّ والشَّتم.
(٣) المشوشة: طعام دسم يُصنع من ضرب الزّيت مع بياض البيض.
(٤) القليّة: مَرَقة تُتَّخذُ من أكباد الجزور ولحومها.

صوتاً لِنَفسِهِ يكونُ مُقَدَّماً على سائرِ الغناءِ، ويطابِقُهُ هو وفُلَيْح عليه! خَطَأٌ لا يُتَخَيَّلُ. وعلى ما به فَإِنَّا نَذْكُرُ الصَّوْتَيْنِ اللَّذَيْنِ رَوَيْنَاهُما عن جَحْظَةَ المخالِفَيْنِ لِرِوَايةِ يَحْيَى بن عليّ، بعد ذِكْرِنا ما رَوَاهُ يحيى، ثم نُتبِعُهُمَا باقِيَ الاختيارِ. فَأَوَّلُ ذلك من رواية أبي الحسنِ عليّ بن يحيى.

الكلام على أحد هذه الأصوات الثّلاثة

صوت فيه لحنان

[البسيط]

القَصْرُ فَالنَّخْلُ فالجَمَّاءُ بينهما ... أَشْهَى إلى القَلْبِ مِنْ أبوابِ جَيْرُونِ
إلى البَلاطِ فما حَازَتْ قَرَائِنُهُ ... دُورٌ نَزَحْنَ عَنِ الفَحْشَاءِ والهُونِ
قد يَكْتُم الناسُ أسراراً فأعلمُها ... ولا يَنَالون حتى الموتِ مَكْنوني

عَرُوضه من أوّل البَسِيط. **القَصْرُ** الذي عَنَاه هاهنا: قَصْرُ سَعيد بن العَاص[1] بالعَرْصة[2]، **والنَّخْل** الّذي عَنَاهُ: نخلٌ كانَ لِسعيدٍ هناك بين قَصرِهِ وبين الجَمَّاء وهي أرضٌ كانت له، فصارَ جميعُ ذلكَ لمعاوية بن أبي سفيان بعد وفاةِ سعيد، ٱبتاعَهُ من ٱبنِهِ عمرو باحتمالِ دَيْنِهِ عنه، ولذلكَ خَبَرٌ يُذْكَرُ بَعْدُ. وأبوابُ جَيْرونَ بِدِمَشْقَ، ويُرْوَى: «حاذت قرائنه» مِنَ المُحَاذَاةِ، والقَرَائِنُ: دُورٌ كانَتْ لِبَنِي سعيد بن العاص متلاصقةً؛ سُمِّيَتْ بذلكَ لاقترانِها. ونَزَحْنَ: بَعُدْنَ، والنَّازِحُ: البعيد؛ يُقَالُ: نَزَحَ نُزُوحاً. والهُونُ: الهَوَانُ. قالَ الرَّاجِزُ:

لـم يُبْتَذَلْ مِثْلُ كَريمٍ مَكْنونْ ... أَبْيَضَ ماضٍ كَالسِّنَانِ المَسْنونْ
كانَ يُوَقِّي نَفْسَهُ مِنَ الهُونْ

والمكنونُ: المَسْتُورُ الخَفِيُّ، وهو مأخوذ مِنَ الكِنِّ. الشِّعْرُ لأبي قَطِيفة المُعَيْطِيّ، والغناءُ لِمَعْبد، وله فيه لحنان: أحدهما خفيفٌ ثقيلٍ أَوَّلُ بِالوُسْطى في مَجْراها مِنْ رواية إسحاق وهو اللَّحنُ المختارُ، والآخَرُ ثقيلٌ أَوَّلُ بِالوُسْطى على مذهب إسحاق من روايةِ عَمْرو بنِ بانَة.

---

(١) سعيد بن العاص: بن أمية الأموي القرشي: صحابي من الولاة الفاتحين، ولاّه عثمان الكوفة ثم عزله ثم تولى المدينة في عهد معاوية وبقي فيها إلى أن مات. وهو أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان (ت ٥٩ هـ/ ٦٧٩ م). ترجمته في: الإصابة ٢: ٤٧.

(٢) العَرْصَة: مكان بالعقيق من نواحي المدينة (معجم البلدان ٤: ١٠١).

خبر أبي قطيفة ونسبه

[٠٠ ـ نحو ٧٠هـ / ٠٠ ـ نحو ٦٩٠م]

[نسبه:]

هو عَمْرو بن الوَلِيد بن عُقْبة بن أبي مُعَيْط، وٱسم أبي مُعَيْط أَبَانُ بن أبي عَمْرو بن أُميَّة بن عبد شَمْس بن عبد مَنَاف بن قُصَيّ بن كِلاَب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب. هذا الّذي عليه النَّسَّابون.

وذكر الهَيْثَمُ بن عَدِيّ[1] في «كتاب المَثَالِب» أنَّ أبا عمرو بن أُمَيَّة كان عبداً لأُمَيَّة اسمه ذَكْوَان فاسْتَلْحَقَهُ. وذَكَرَ أنَّ دَغْفَلاً النَّسَّابَةَ دَخَلَ على معاوية فقالَ له: مَنْ رَأَيْتَ مِنْ عِلْيَةِ قُرَيْشٍ؟ فقالَ: رَأَيْتُ عبدَ المُطَّلِب بن هاشم وأُمَيَّة ابن عبدِ شَمْس. فقالَ: صِفْهُمَا لِي. فقالَ: كانَ عبدُ المُطَّلِب أبيضَ مَدِيدَ القامةِ حَسَنَ الوجهِ، في جبينِهِ نورُ النُّبُوَّةِ وعِزُّ المُلْكِ، يُطِيفُ به عَشْرَةٌ مِنْ بَنِيهِ كأنَّهم أُسْدُ غابٍ. قال: فَصِفْ أُمَيَّةَ، قالَ: رَأَيْتُهُ شَيْخاً قصيراً نحيفَ الجِسْم ضَريراً يَقُودُهُ عَبْدُهُ ذَكْوَان. فقالَ: مَهْ[2] ذاكَ ٱبنه أبو عمرو. فقال: هذا شيءٌ قُلْتُمُوهُ بَعْدُ وأَحْدَثْتُمُوهُ، وأمّا الّذي عرفتُ فهو الّذي أَخْبَرْتُكَ بِهِ، ثمّ نعودُ إلى سِيَاقَةِ النَّسَبِ مِنْ لؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كِنَانَة. والنَّضْرُ عندَ أكثرِ النَّسَّابِينَ أَصْلُ قُرَيْشٍ، فَمَنْ وَلَدَهُ النَّضْرُ عُدَّ منهم، ومَنْ لم يَلِدْهُ فليسَ منهم. وقالَ بعضُ نَسَّابِي قُرَيْش: بل فِهْر بن مالك أَصْلُ قريش، فَمَنْ

---

(١) الهيثم بن عَدِيّ: الثعلبي الطائي البحتري الكوفي، مُؤَرِّخ وعالم بالأدب والنّسب. جالس المنصور والمهدي والهادي والرشيد وروى عنهم، (ت ٢٠٧ هـ/ ٨٢٢ م). ترجمته في: معجم الأدباء ٥: ٦٠٥.

(٢) مَهْ: اسم فعل أمر معناه اكفف.

لم يَلِدْهُ فليسَ مِنْ قريشٍ. ثم نعودُ لِلنَّسَبِ إلى النَّضْرِ بن كنانة بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكة بن إلْيَاس بن مُضَر بن نِزار. وَوَلَدُ إلياس يقال لهم خِنِدِفُ، سُمُّوا بأُمِّهم خِنْدِف[1] وهو لَقَبُهَا، وٱسْمُهَا لَيْلَى بنتُ حُلوَان بن عِمْران بن الْحَافِ بن قُضَاعَة، وهي أُمُّ مُدْرِكَةَ وطَابِخَةَ وقَمَعَةَ بني إلياس بن مُضَر بن نِزَار بن مَعَدّ ابن/ عَدْنان بن أدّ بن أُدَدَ بن الهَمَيْسَع بن يَشْجُبَ - وقِيلَ: أَشْجبُ - بن نَبْت ابن قَيْدار بن إسماعيل بن إبراهيم. هذا النَّسَب الَّذي رواه نَسَّابو العربِ ورُوِيَ عَنِ ٱبنِ شِهَاب الزُّهريّ وهو من عُلَمَاءِ قريش وفُقَهَائِهَا.

وقالَ قومٌ آخَرون مِنَ النَّسَّابِينَ مِمَّنْ أخَذَ - فِيما يَزْعُمُ - عن دَغْفَلٍ وغَيرِهِ: مَعَدُّ بن عدنان بن أُدَدَ بن آمين بن شَاجِيب بن نَبْت بن ثَعْلبة بن عَنْز ابن سُرَيْج بن محلم بن العَوَّام بن المُحْتمل بن رَائِمَةَ بن العِقْيان بن علّة بن شحدود بن الضّرب بن عيفر بن إبراهيم بن إسماعيل بن رزين بن أعوج بن المطعم بن الطمح بن القسور بن عتود بن دعدع بن محمود بن الرّائد بن بدوان بن أُمَامة بن دَوْس بن حُصَيْن بن النَّزّال بنِ الغمير بن محشر بن معذر ابن صَيْفِيّ بن نَبْت بن قَيْدَار بن إسماعيل ذَبيحِ اللَّهِ بن إبراهيم خليل الله صلّى اللَّهُ عليهما وعلى أنبيائِهِ أجمعين وسلم تسليماً. ثم أجمعوا أن إبراهيم بن آزَرَ وهو ٱسمه بالعربية كما ذَكَرَهُ اللَّهُ تعالى في كتابِهِ، وهو في التَّوراةِ بِالعِبْرَانِيَّةِ تارَح بن نَاحُور، وقيل: النَّاحر بن الشّارع وهو شَارُوع بن أَرْغُو وهو الرَّامِح ابن فَالَغ - وهو قاسمُ الأرضِ الَّذي قَسَمَها بين أهلِها - بن عابِر بن شَالَخ بن أَرْفَخْشَذ وهو الرّافد بن سَام بن نوحﷺ بن لامَك وهو في لغةِ العَرَبِ مِلْكان ابن المَتُّوشَلَخ وهو المنوف بن أَخْنُخ وهو إدريس نبيّ اللهﷺ بن يَارَد وهو الرَّائد/ بن مَهْلايل بن قَيْنان وهو قنان بن أَنُوش وهو الطّاهر بن شِيثٍ وهو هبة الله ويقال له أيضاً: شَاثُ بن آدم أبي البشرِ صلّى الله عليه وعلى سائرِ الأنبياءِ وعلى نَبِيِّنا محمّد خاصة وسلَّم تسليماً. هذا الَّذي في أيدي النَّاسِ مِنَ النَّسَبِ على اختلافِهِمْ فيه.

---

(١) خِندِف: هي امرأة إلياس بن مُضر بن نزار واسمها ليلى نُسِبَ ولدُ إلياس إليها وهي أُمّهم. وذكِرَ أن إبل إلياس انتشرت ليلاً فخرج في بغائها وخندفت الأم في أثره أي أسرعت فَسُمّيت خِندِف. فقالت لزوجها: ما زلت أُخَنْدِفُ في أثركم. فقال لها: فأنتِ خِندف، مذهب اسماً لها ولدها نسباً وسمّيت بها القبيلة. لسان العرب مادة (خندف).

وقد رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ تكذيبٌ لِلنَّسَّابِينَ ودَفْعٌ لهم. ورُوِيَ أيضاً خِلافٌ لأسماءِ بعضِ الآباءِ. وقد شَرَحْتُ ذلكَ في كتابِ النَّسَبِ شَرْحاً يُسْتَغْنَى به عن غيره.

[أبو قطيفة من العنابس من بني أُمَيَّة]

وأبو قطيفة وأهله من العَنَابِسِ من بني أُمَيَّة. وكان لأُمَيَّة مِنَ الوَلَدِ أَحَدَ عَشَرَ ذَكَراً، كُلُّ واحدٍ منهم يُكْنَى باسمِ صاحِبِهِ وهم: العاص وأبو العاص، والعِيص وأبو العِيص، وعَمْرو وأبو عَمْرو وحَرْب وأبو حَرْب، وسُفْيان وأبو سُفْيَان، والعُوَيْص لا كُنَى له. فمنهم الأَعْياصُ فيما أَخْبَرَنَا حَرَمِيٌّ بن أبي العَلاء - وآسمه أحمد بن محمّد بن إسحاق - والطُّوسِيُّ - وآسمه أحمد بن سليمان - قالا: حَدَّثنا الزُّبَيْرُ بنُ بَكَّار[1] عن محمّد بن الضَّحَّاك الحِزَامِيّ عن أبيه قالَ: الأعياصُ: العاص وأبو العاص والعِيص وأبو العِيص والعُوَيص. ومنهم العَنَابِسُ وهم: حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعَمْرو وأبو عَمْرو. وإنما سُمُّوا العنابسَ لأنّهم ثَبَتُوا مع أخيهم حَرْب بن أُمَيَّة بِعُكَاظ، وعَقَلوا أَنْفُسَهُمْ وقَاتَلوا قِتَالاً شديداً فَشُبِّهوا بِالأُسْدِ، والأُسْدُ يقال لها العَنَابِسُ، واحدُها عَنْبَسَة، وفي الأعياصِ يقولُ عبدُ اللَّهِ بن فَضَالة الأَسَدِيّ: [الوافر]

مِـنَ الأَعْـيَـاصِ أو مِـن آلِ حَـرْبٍ ... أَغَـرَّ كَـغُـرَّةِ الـفَـرَسِ الـجَـوَادِ

[ابن فضالَة يهجو ابن الزبير]

والسَّبب في قولِهِ هذا الشِّعر ما أخبرَنا به أحمد بن عبد العزيز الجَوْهَرِيّ قالَ: حَدَّثنا عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ، وحدّثنا محمّد بن العباس اليَزِيديّ[2] قال: حَدّثنا أحمدُ بن الحارثِ الخَرَّازِ، قالَ: حَدَّثنا المَدَائنيّ وآبنُ غَزَالة، قالوا: /أتى عبدُ اللَّهِ بنُ فَضَالَة ابن شَرِيك الوالبيّ ثم الأَسَدِيّ من بَنِي أَسَد بن خُزَيْمَة عبدَ اللَّهِ بنَ الزُّبَيْر، فقالَ له: نَفِدَتْ نَفَقَتِي ونَقِبَتْ[3] رَاحِلَتِي. قالَ: أَحْضِرْهَا، فأحضرها فقالَ: أَقْبِلْ بها، أَدْبِرْ

(١) الزّبير بن بكّار: بن عبد اللّه القرشي الأسدي المكي، من أحفاد الزّبير بن العوّام، عالم بالأنساب وأخبار العرب. (ت ٢٥٦ هـ/ ٨٧٠ م). ترجمته في: معجم الأدباء ٣: ٣٤٨.

(٢) محمد بن العباس اليزيدي: من كبار علماء العربية والأدب في بغداد. عَلَّم أولاد المقتدر العباسي ولزمهم مدّة، وله عدد من الكتب (ت ٣١٠ هـ/ ٩٢٢ م). ترجمته في: بغية الوعاة ١: ١٢٤ وتاريخ بغداد ٢: ١١٣.

(٣) نَقِبَ البعير: رَقَّتْ أخفافُه.

بها، فَفَعَلَ. فقالَ: ٱرْقَعْها بِسِبْتٍ[١] وٱخْصِفْها[٢] بِهُلْبٍ[٣] وأَنْجِدْ بها[٤] يَبْرُدْ خُفُّها وسِرِ البَرْدَيْنِ[٥] تَصِحَّ. فقالَ ٱبنُ فَضَالَةَ: إِنِّي أَتَيْتُكَ مُسْتَحْمِلاً ولم آتِكَ مُسْتَوْصِفاً، فَلَعَنَ اللَّهُ ناقةً حَمَلَتْني إليكَ! قالَ ٱبنُ الزُّبَيْرِ: إنَّ[٦] وراكبَها فانصرفَ عنه ٱبنُ فَضَالَةَ وقال: [الوافر]

أَقُولُ لِغِلْمَتِي شُدُّوا رِكَابِي ... أُجَاوِزْ بَطْنَ مَكَّةَ في سَوَادِ[٧]
فما لي حِينَ أَقْطَعُ ذاتَ عِرْقٍ ... إلى ٱبْنِ الكَاهِلِيَّةِ مِن مَعَادِ[٨]
سَيُبْعِدُ بَيْنَنا نَصُّ المَطَايا ... وتَعْلِيقُ الأَدَاوَى والمَزَادِ[٩]
وكُلُّ مُعَبَّدٍ قد أَعْلَمَتْهُ ... مَنَاسِمُهُنَّ طُلاَّعَ النِّجَادِ[١٠]
أَرَى الحَاجَاتِ عِنْدَ أَبي خُبَيْبٍ ... نُكِدْنَ ولا أُمَيَّةَ بالبِلادِ[١١]
مِنَ الأَعْيَاصِ أَوْ مِنْ آلِ حَرْبٍ ... أَغَرَّ كَغُرَّةِ الفَرَسِ الجَوَادِ[١٢]

أبو خُبَيب: عبد اللَّه بن الزُّبير، كان يكنى أبا بكر وخُبَيْب: ٱبن له هو أكبر ولده، ولم يكن يكنِيه به إلاَّ مَنْ ذَمَّهُ يَجْعَلُهُ كاللَّقَبِ له. قال: فقال ٱبن الزُّبَيْر لمَّا بلغه هذا الشِّعْرُ: عَلِمَ أَنَّها شَرُّ أمّهاتي فَعَيَّرني بها وهي خَيْرُ عَمَّاتِهِ. قالَ اليَزِيديُّ: «إنّ» هاهنا بِمَعْنَى نَعَمْ، كأَنَّهُ إقرارٌ بِما قالَ. ومِثْلُهُ قول ابن قيس الرُّقَيَّات:

[مجزوء الكامل]

---

(١) السِّبْت: كل جلد مدبوغ بالقرظ تُحْذَى منه النِّعال السِّبتية.
(٢) الخصف: أن يُظاهر الجلدين بعضهما ببعض ويخرزهما.
(٣) والهُلب: جمع الهُلْبَة: شعر الخنزير الذي يخرز به.
(٤) أنجد بها: أتى بلادَ نجدٍ وهي في الجزيرة العربية.
(٥) البَرْدَان: الأبردان: طرفا النّهار، وهما الغداة والعَشِيّ.
(٦) إنّ: حرف جواب بمعنى «نعم»، أي نعم ولَعَنَ راكبَها.
(٧) الغِلْمَة: جمع الغلام: الخادم أو العبد أو الصّبيّ الذي قارب سنّ البلوغ. وسواد: ظلمة الليل.
(٨) ذات عِرق: مُهَلُّ أهل العراق وهو الحدّ بين نجد وتهامة. (معجم البلدان ٤: ١٠٧). والكاهلية: زهراء بنت خثراء امرأة من بني كاهل بن أسد وهي أمّ خويلد بن أسد بن عبد العُزَّى.
(٩) نَصُّ المطايا: إسراعها في السَّيْر. والأَدَاوَى: جمع الإداوة: إناء صَغير من جلد يُتَّخَذ للماء. والمزاد: جمع المزادة: الرَّاوية التي يُحمَل فيها الماء.
(١٠) المُعَبَّد: الطّريق المُذَلَّل. وأعلمت: أثّرَت فيه. والمناسِم: جمع المَنْسِم: وهو للجِمال كالظّفر للإنسان. والنجاد: جمع النَّجْد: ما غلظ وارتفع من الأرض.
(١١) نَكِدَه حاجته: لم يَقْضِها له.
(١٢) الأَغَرّ: الفرس الذي في جبهته بياض، وهو من النّاس السّيّد الشّريف.

ويَــقُــلْــنَ شَــيْــبٌ قــد عَــلاَ ... كَ وقــد كَــبِــرْتَ فَــقُــلْــتُ إنَّــه

وأُمُّ أبي مُعيطٍ آمنةُ بنت أَبَانَ بن كُلَيْب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعة بن معاوية بن بَكْر بن هَوَازِن، ولها يقولُ نابغةُ بني جَعْدَة: [الوافر]

وشَـارَكْـنـا قُـرَيْـشـاً فـي تُـقَـاهـا ... وفـي أَنْـسـابِـهَـا شِـرْكَ الـعِـنَـانِ[1]

بِـمـا وَلَـدَتْ نِـسَـاءُ بَـنِـي هِـلاَلٍ ... ومـا وَلَـدَتْ نِـسَـاءُ بَـنِـي أَبَـانِ

وكانت آمنة هذه تحتَ أُمَيَّة بن عبدِ شمس، فولدتْ له العاصَ وأبا العاص وأبا العِيص والعُوَيْص وصَفِيَّةَ وتَوْبَةَ وأَرْوَى بني أُمَيَّة، فلمّا ماتَ أُمَيَّةُ تَزَوَّجها بعده ٱبنه أبو عمرو ـ وكان أهلُ الجاهلية يفعلون ذلك، يتزوّجُ الرَّجُل امرأةَ أبيه بعده ـ فَوَلَدَتْ له أبا مُعَيْطٍ، فكان بنو أميّة من آمنةَ إخوةَ أبي مُعَيْط وعُمُومَته، أخبرني بذلك كُلِّه الطّوسيّ عنِ الزُّبَيْرِ بن بَكّار.

قالَ الزُّبَيْر: وحَدَّثني عَمِّي مُصْعَب قالَ: زَعَمُوا أنّ ٱبنها أبا العاص زَوَّجها أخاه أبا عمرو، وكان هذا نِكَاحاً تَنكِحُه الجاهليةُ، فأنزلَ اللَّهُ تعالى تحريمه؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[2]؛ فَسُمِّيَ نكاحَ المَقْتِ.

[خبر قتل عُقْبَة والنضر بن الحارث]

وأُسِرَ عُقْبَةُ بنُ أبي مُعَيط في يوم بَدْر فقتلهُ رسولُ الله ﷺ صبراً[3]، حدّثنا بذلك محمّد بن جَرير الطَّبَرِيّ، قالَ: حدّثنا محمّد بن حُمَيْد الرَّازِيّ قال: حدّثنا سَلَمَةُ بنُ الفَضْلِ عن محمّد بن إسحاق في خَبَرٍ ذَكَرَهُ طويلٍ، وحدّثني به أحمد بن محمّد بن الجَعْد، قالَ: حدّثنا محمّد بن إسحاق المُسَيّبي، قال: حدّثنا محمّد بن فُلَيْح عن موسى بن عُقْبَة عن ٱبن شِهَاب الزُّهْرِيّ، قالوا جميعاً: قَتَلَهُ رَسولُ اللَّهِ ﷺ صَبْراً. فقالَ له ـ وقد أمرَ بذلك فيه ـ: يا محمّد، أأنا خَاصَّةً من قريشٍ؟ قال: نعم.

---

(١) شِرْك العِنان: هو أن يشترك شخصان في شيء خاص من مالهما وينفرد كلّ منهما بباقي ماله لنفسه.

(٢) سورة النساء، الآية: ٢١.

(٣) قُتِلَ صبراً: أي حُبِس حتى يُقتل.

(٤) النّضر بن الحارث: بن علقمة بن كلدة، من بني عبد الدار من قريش، صاحب لواء المشركين ببدر وأُسِرَ فيمن أُسِرَ فيها وقتله المسلمون بالأثيل قرب المدينة. (ت ٢ هـ/ ٦٢٤ م). ترجمته في: الأعلام ٨: ٣٣.

قالَ: فَمَنْ لِلصِّبْيَةِ بعدي؟ قال: النَّارُ. /فلذلك يُسَمَّى بنو أبي مُعَيْط صِبيَةُ النَّار. واْخْتُلِفَ في قاتِلِهِ، فَقِيلَ: إنَّ عليّ بن أبي طالب ـ صلوات اللّهِ عليه ـ تَوَلَّى قَتْلَهُ. وهذا من روايةِ بعضِ الكوفيين، حَدَّثني به أحمد بن محمد بن سعيد بن عُقْدَة قال: أخبرني المُنْذِر بن محمّد اللَّخْمي قالَ: حدثنا سليمان ابن عَبّاد قال: حَدَّثني عبد العزيز بن أبي ثابت المَدَنِيّ عن أبيه عن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن عن أبيه عن جَدِّهِ عن عليٍّ بن أبي طالب عليهم السّلام: أنّ النَّبِيّﷺ أَمَرَ عَلِيّاً يومَ بَدْر فضربَ عُنُقَ عُقْبَة بن أبي مُعَيْط والنَّضر ابن الحارثِ[1]. ورَوى ابنُ إسحاق أن عاصم بن ثابت بن أبي الأَقْلَح[2] الأنصاريّ قتله، وأنّ الّذي قَتَلَهُ عليُّ بن أبي طالب عليه السّلام النَّضْرُ بنُ الحارث بن كَلَدَة.

[رثاء قُتَيْلة بنت الحارث لأخيها النَّضر]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالَ: حَدَّثنا عُمَرُ بنُ شَبَّةَ قالَ: حدَّثني الحسنُ بن عُثْمان قالَ: حدثني اْبنُ أبي زائدةَ عن محمد بن إسحاق عن أصحابِهِ، وحدّثنا محمّد بن جرير قالَ: حدَّثنا [أحمد] بن حُمَيْد قالَ: حدَّثنا سَلَمَةُ عن اْبنِ إسحاق عن أصحابه قالوا: قَتَلَ رسولُ اللّهِﷺ يومَ بَدْرٍ عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْط صَبْراً: أَمَرَ عاصمَ بن ثابت فضربَ عُنُقَهُ، ثمَّ أَقْبَلَ من بدرٍ حَتَّى إذا كان بـ «الصَّفْرَاءِ»[3] قَتَلَ النَّضْرَ بن / الحارث بن كَلَدَةَ أحد بني عبد الدَّار، أَمَرَ عليّاً عليه السَّلام أن يَضْرِبَ عُنُقَهُ. قال عمر بن شبّة في حديثه بـ «الأُثَيل»[4]؛ فقالَتْ أُخْتُهُ قُتَيْلَةُ بنتُ الحارث[5] تَرْثيه: [الكامل]

---

(١) عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري: صحابي من السابقين الأوّلين، كان يضرب الأعناق بين يدي رسول اللهﷺ، (ت ٤ هـ/ ٦٢٥ م)، ترجمته في: الإصابة ٢: ٢٤٤.

(٢) الصّفراء: وادٍ كثير النخل والزرع بينه وبين بدر مرحلة وقد سلكه الرسولﷺ غير مرّة (معجم البلدان ٣: ٤١٢).

(٣) الأُثَيْل: موضع قرب المدينة بين بدر ووادي الصّفراء. وهو الموضع حيث قُبِرَ النضر. (معجم البلدان ١: ٩٤).

(٤) ورد الاسم في الإصابة ٤: ٣٨٩ والاستيعاب ٤: ٣٨٩: قُتيلة بنت النَّضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة، وذُكِرَت القصة كاملة مع الشّعر.

(٥) المِظَنّة: موضع الظّن. أي إن الأثيل مظنّة أن تصل إليه صبيحة ليلة خامسة.

يـا رَاكِـبـاً إنَّ الأثَـيْـلَ مِـظَـنَّـةٌ مِـن صُبْـحِ خـامـسـةٍ وأنْـتَ مُـوَفَّـقُ[١]
أَبـلِـغْ بـه مَـيْـتـاً بـأنَّ تَـحِـيَّـةً مـا إن تَـزَالُ بـهـا الـنَّـجَـائِبُ تَـخْـفِـقُ
مِـنِّـي إلـيـكَ وعَـبْـرَةً مَـسْـفُـوحَـةً جَـادَتْ بِـدِرَّتِـهَـا وأُخـرى تَـخْـنَـقُ[٢]
هـل يَـسْـمَـعَـنَّ الـنَّـضْـرُ إن نَـادَيْـتُـهُ إنْ كـانَ يَـسْـمَـعُ هَـالِـكٌ لا يَـنْـطِـقُ
ظَـلَّـت سـيـوفُ بَـنِـي أبـيـهِ تَـنُـوشُـهُ لِـلَّـهِ أرْحَـامٌ هـنـاكَ تُـشَـقَّـقُ[٣]
صَـبْـراً يُـقَـادُ إلـى الـمَـنِـيَّـةِ مُـتْـعَـبـاً رَسْـفَ الـمُـقَـيَّـدِ وَهُـوَ عَـانٍ مُـوثَـقُ[٤]
أَمُـحَـمَّـدٌ وَلأنْـتَ نَـسْـلُ نَـجِـيـبـةٍ فـي قَـوْمِـهَـا والـفَـحْـلُ فَـحْـلٌ مُـعْـرِقُ[٥]
مـا كـان ضَـرَّكَ لـو مَـنَـنْـتَ ورُبَّـمـا مَـنَّ الـفَـتَـى وهـو الـمَـغِـيـظُ الـمُـحْـنَـقُ
أوْ كُـنـتَ قَـابِـلَ فِـدْيَـةٍ فَـلْـيَـأْتِـيَـنْ بِـأعَـزِّ مـا يَـغْـلـو لَـدَيْـكَ وَيـنـفُـقُ
والـنَّـضْـرُ أقْـرَبُ مَـنْ أخَـذْتَ بِـزَلَّـةٍ وأحَـقُّـهُـمْ إنْ كـانَ عِـتْـقٌ يُـعْـتَـقُ

فبلغَنا أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «لو سَمِعْتُ هذا قبلَ أنْ أقْتُلَهُ ما قَتَلْتُهُ»[٦]. فيقال: إنَّ شِعْرَهَا أكْرَمُ شِعْرِ مَوْتُورةٍ[٧] وأعَفُّهُ وأكَفُّهُ وأحْلَمُهُ. قالَ ابن إسحاق: وحدّثني أبو عُبيدة بنُ محمد بنِ عمّار بن ياسِر أنّ رسولَ اللهِ ﷺ لمّا كان بِعِرْقِ / الظُّبْيَةِ[٨] قتلَ عُقبةَ بن أبي مُعَيط. قال حين أمَرَ به أنْ يُقتَلَ: فمن لِلصِّبْيَةِ يا مُحَمَّدُ؟ قالَ: النَّارُ. فقتله عاصِمُ بنُ ثابت بن أبي الأقْلَح أحدُ بني عمرو بن عَوْف.

حدّثني أحمد بن الجَعْد قالَ: حدّثنا عبدُ اللّهِ بن محمّد بن إسحاق الأذَمِيّ قال: حدّثنا الوليدُ بنُ مسلم قالَ: حدّثني الأوزاعيّ قال: حدّثني يحيى بن أبي كَثِير عن محمّد بن إبراهيم التَّيْمِيّ قال: حدّثني عُرْوة بن الزُّبير قالَ: سألتُ عبدَ اللّهِ بن عمرو فقلتُ: أخبِرْني بأشدّ شيءٍ صَنَعَهُ المشركون برسولِ اللّهِ صَلَّى الله عليه وآله وسلّم، فقالَ: بَيْنَا رسولُ اللّهِ ﷺ يُصَلِّي في حِجْرِ الكعبةِ إذ أقبلَ عُقْبَةُ بنُ أبي مُعَيط

---

(١) مسفوحة: مصبوبة.
(٢) تنوشه: تتناوله.
(٣) رسف المقيّد: مَشْيه في القيد.
(٤) مُعْرِق: عريق النسب والأصل.
(٥) الإصابة ٤: ٣٩٠.
(٦) الموتور: مَنْ قُتِلَ له قتيل فلم يدرك بدمه.
(٧) عِرْق الظُّبية: موضع، وهو من الرّوحاء على ثلاثة أميال مما يلي المدينة وبه مسجد للنبي ﷺ. (معجم البلدان ٤: ٥٨).

فوضعَ ثَوْبَهُ في عُنُقِ رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وآله وسلّم فَخَنَقَهُ به خَنْقاً شديداً، فأقبلَ أبو بكرٍ ـ رحمةُ اللَّهِ عليه ـ حتّى أخذَ بِمَنْكِبِهِ فَدَفَعَهُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ وقالَ: أتقتلونَ رَجُلاً أَنْ يقولَ رَبِّي اللَّهُ!

[الوليد بن عقبة يتولّى الكوفة في خلافة عثمان ثم يُعْزَل منها]

وكان الوليدُ بنُ عُقبة أخا عثمانَ بنِ عَفَّان لأُمِّهِ، أُمُّهما أَرْوَى بنتُ عامر بن كُرَيز، وأُمُّها أُمُّ حكيم البَيْضاءُ بنتُ عبد المُطّلِب بن هاشم بن عبد مَنَاف. والبيضاءُ وعبدُ الله أبو رسول الله ﷺ تَوْأمانَ، وكان عُقبةُ بنُ أبي مُعَيْط تَزَوَّجَ أَرْوَى بعد وفاة عفّان فَوَلَدَتْ له الوليدَ وخالداً وعُمَارة وأُمَّ كُلْثوم، كلُّ هؤلاءِ إخوةُ عثمان لأُمِّهِ. وَوَلَّى عثمانُ الوليدَ بن عُقبةَ في خلافَتِهِ الكوفةَ، فَشَرِبَ الخمرَ وصَلَّى بِالنَّاس وهو سَكْرَانُ فزادَ في الصَّلاةِ، وشُهِدَ عليه بذلك عند عثمان فَجَلَدَهُ الحَدَّ. وسيأتي خبره بعد هذا في موضعه.

وأبو قطيفةَ عمرُو بنُ الوليد يُكْنَى أبا الوليد. وأبو قطيفةَ لَقَب لُقِّبَ به وأُمُّه بنتُ الرَّبيع بن ذي الخِمَار من بَنِي أَسَد بن خُزَيْمَة.

وقالَ أبو قطيفةَ هذا الشِّعْرَ حين نفاه ٱبنُ الزُّبير مع بَنِي أُميَّةَ عن المدينةِ مع نظائِرَ له تَشَوُّقاً إليها. حَدَّثني بِالسَّبَبِ في ذلك أحمد بن محمّد بن شَبِيب بن أبي شَيْبة البزَّار، قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرَّاز عن المَدَائِنيّ، وأخبرني ببعضه أحمد بن محمد بن الجَعْد قال: حدّثنا أحمد بن زُهَير بن حَرْب قال: حدّثني أبي قال: حَدَّثني وَهْب بن جَرير عن أبيه في كتابِهِ المُسَمَّى «كتابَ الأزارِقة»[1]، ونَسَخْتُ بعضَه من كتابٍ منسوبٍ إلى الهَيْثم بن عدِيّ. واللَّفْظُ لِلمَدَائِنِيّ في الخبرِ ما ٱتَّسقَ فإذا ٱنقطعَ أو ٱختلفَ نَسَبْتُ الخلاف إلى راويه. قالَ الهيثمُ بن عَدِيّ: أخبرنا ٱبن عَيَّاش عن مُجَالد عن الشَّعْبيّ وعن ٱبن أبي الجَهْم ومحمّد بن المُنْتَشِرِ:

[خروج ابن الزّبير على بني أميّة ووفد يزيد إليه]

إِنَّ الحسين بن عليّ بن أبي طالب ـ عليه وعلى أبيه السَّلام ـ لمَّا سارَ إلى

(١) الأزارقة: فرقة من الخوارج في العصر الأموي تُنْسَب إلى نافع بن الأزرق الذي كان يغلو في آرائه.

العراق، شَمَّرَ ٱبنُ الزُّبَيْرِ لِلأمرِ الَّذي أرادَهُ ولَبِس المَعَافِرِيّ[١] وشَبَرَ بَطْنَهُ[٢] وقال: إنما بطني شِبْرٌ، وما عسى أن يَسَعَ الشِّبْرُ[٣]! وجعلَ يُظْهِرُ عَيْبَ بَنِي أُمَيَّة ويدعو إلى خلافِهِمْ. فأمهلَهُ يزيدُ سنةً، ثم بَعَثَ إليه عشرةً من أهلِ الشَّام عليهم النُّعمان ابن بَشِير. وكان أهلُ الشَّامِ يُسَمُّونَ أولئكَ العَشْرَةَ النَّفَرِ الرَّكْبَ، منهم عبد الله بن عِضاه الأشْعريّ، ورَوْح بن زِنْباع الجُذَاميّ، وسعد بن حَمْزة الهَمْدانيّ، ومالك بن هُبَيْرة السَّكُونيّ، وأبو كَبْشة السَّكْسكيّ، وزَمْلُ بن عَمْرو العُذْرِيّ، وعبد الله بن مسعود، وقيل: ٱبن مَسْعَدة الفَزَاريّ، وأخوه عبد الرَّحمٰن، وشَرِيك بن عبدِ الله الكنانيّ، وعبد الله بن عامر الهَمْدانيّ، وجعل عليهم النعمانَ بن بشير، فأقبلوا حتى قدِموا مَكَّةَ على عبدِ الله بن الزُّبَيْر، وكان النُّعمان /يَخْلُو به في الحِجْرِ كثيراً. فقال له عبد الله بن عِضَاهٍ يوماً: يابنَ الزُّبَيْر إنَّ هذا الأنصاريّ، والله ما أُمِرَ بِشيءٍ إلاَّ وقد أُمِرْنَا بِمِثْلِهِ إلا أنّه قد أُمِّرَ علينا، إنّي والله ما أَدْرِي ما بين المهاجرين والأنصار. فقالَ ٱبنُ الزُّبَيْر: يابن عِضَاه ما لي ولكَ! إنَّما أنا بمنزلةِ حمامةٍ من حمامِ مَكَّةَ، أفكنتَ قاتلاً حماماً من حمامِ مَكَّةَ؟ قال: نعم، وما حُرْمَةُ حَمَامِ مَكَّةَ! يا غلامُ ائْتِني بِقَوْسِي وأَسْهُمي، فأتاهَ بِقوسِهِ وأسهمِهِ، فأخذَ سهماً فوضَعَهُ في كَبِدِ القوسِ ثم سَدَّده نحوَ حمامة من حمامِ المسجدِ، وقالَ: يا حمامةُ أيشربُ يزيدُ بن معاوية الخمرَ؟ قُولي: نعم، فواللهَ: لَئِنْ فعلتِ لأَرْمِيَنَّكِ، يا حمامةُ، أَتَخْلَعِينَ يزيد بن معاويةَ وتُفارقينَ أُمّةَ محمّدﷺ، وتُقِيمين في الحَرَم حتى يُسْتَحَلَّ بكِ؟ واللَّهِ لَئِنْ فعلتِ لأرمينّكِ، فقال ٱبن الزُّبَيْر: وَيْحَكَ! أَوَ يَتَكَلَّمُ الطَّائر؟ قال: لا! ولكنّك يابنَ الزُّبير تتكلم. أُقْسِمُ بالله لَتُبَايِعَنَّ طائعاً أو مُكْرَهاً أو لتَتَعرفنَّ راية الأشعريّين في هذه البَطْحَاءِ، ثمّ لا أُعَظِّمُ من حَقِّها، ما تُعَظِّمُ. فقال ٱبن الزُّبَيْر: أَوَ تَسْتَحِلُّ الحَرَمَ! قال: إنّما يَسْتَحِلُّهُ مَنْ أَلْحَدَ[٤] فيه، فَحَبَسَهُمْ شهراً ثمّ رَدَّهم إلى يزيد بن معاوية ولم يُجِبْهُ إلى شَيءٍ. وفي رواية أحمد بن الجَعْد: وقالَ بعضُ الشّعراءِ ـ وهو أبو العباس الأعمى، وٱسمه السّائبُ بن

---

(١) المعافري: ثياب يمانية تنسب إلى قبيلة من همدان يقال لهم المعافر.

(٢) شبر بطنه: قاسه بالشّبر.

(٣) يريد أنه إنّما يخرج على بني أمية لمصلحة العامّة وليس لطمع شخصي.

(٤) ألحد في الحرم: انتهك حرمته.

فَرُوخَ يذكر ذلكَ وشَبْرَ ٱبنَ الزُّبير بَطْنَهُ .: [البسيط]

ما زالَ في سُورةِ الأعرافِ يَدْرُسُها حَتَّى بَدَا لِيَ مِثْلَ الخَزِّ في اللِّينِ[1]
لو كان بَطْنُكَ شِبْراً قد شَبِعْتَ وقد أَفْضَلْتَ فَضْلاً كثيراً لِلمساكين

قال الهيثم: ثمّ إنَّ ٱبنَ الزُّبير مضى إلى صَفِيَّة بنت أبي عُبَيد زوجةِ عبد الله بن عمر، فذكرَ لها أَنَّ خروجَه كان غضباً للَّهِ تعالى ورسوله ﷺ والمهاجرين / والأنصار من أَثَرَةِ معاويةَ وابنِه وأهله بالفَيْء[2]، وسألَها مسألَته أَنْ يُبايِعَه، فلمّا قَدَّمتْ له عشاءَه ذَكَرَتْ له أمرَ ٱبنِ الزُّبَيْرِ وٱجتهاده، وأَثْنَتْ عليه وقالت: ما يدعو إلاّ إلى طاعةِ اللَّهِ جَلَّ وعزَّ، وأكثرتِ القولَ في ذلك. فقال لها: أَمَا رأيتِ بَغَلاتِ معاويةَ اللّواتي كان يَحُجُّ عليهنَّ الشُّهْبَ، فإنّ ٱبنَ الزُّبَيْر ما يريد غيرَهنَّ! قالَ المدائنيّ في خبره: وأقام ٱبنُ الزُّبَيْر على خَلْعِ يزيدَ ومَالأه[3] على ذلك أكثرُ النَّاس. فدخلَ عليه عبد اللَّه بن مُطِيع[4] وعبد الله بن حَنْظلة[5] وأهلُ المدينة المسجدَ وأَتَوُا المِنْبَرَ فخَلعوا يزيدَ. فقال عبدُ الله بن أبي عمرو بن حَفْص بن المُغِيرة المَخْزُومِيّ: خَلَعْتُ يزيدَ كما خَلَعْتُ عَمَامتي، ونَزعَها عن رأسِهِ وقالَ: إنّي لأقولُ هذا وقد وَصَلني وأحسنَ جائزتي، ولكنّ عدوَّ الله سِكِّيرٌ خِمِّيرٌ. وقال آخر: خلعته كما خلعتُ نعلي. وقال آخَر: خَلَعتُه كما خَلَعْتُ ثوبي. وقال آخر: قد خلعته كما خلعت خُفِّي، حتى كَثُرَتِ العمائمُ والنِّعالُ والخِفَافُ. وأظهروا البراءةَ منه وأجمعوا على ذلك، وٱمتنعَ منه عبد الله بن عمر، ومحمد بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام وجرى بين محمّدٍ خَاصَّةً وبين أصحابِ ٱبنِ الزُّبير فيه قولٌ كثير، حتى أرادوا إكراهَهُ على ذلك، فخرجَ إلى مَكّةَ، وكان هذا أَوَّلَ ما هاجَ الشَّرَّ بينَه وبين ٱبن الزُّبَيْرِ.

---

(١) الخَزّ: الحرير.

(٢) الفيء: هو ما أفاءه الله من أموال المشركين على المسلمين من غير حرب ولا جهاد مثل الجزية وما صولحوا عليه.

(٣) مالأه: ساعده وعاونه.

(٤) عبد اللّه بن مطيع بن الأسود الكعبي العدوي: من رجال قريش واستعمله ابن الزبير على الكوفة، قُتِلَ مع ابن الزبير في حصار الحجاج له (ت ٧٣ هـ/ ٦٩٢ م). ترجمته في: الإصابة ٢: ٤٢٢، والكامل لابن الأثير ٤: ١٣٧.

(٥) عبد الله بن حنظلة: بن عمرو بن صيفي، من الأوس من أعلام التابعين. قاتل جيش يزيد حتى قتل. (ت ٦٣ هـ/ ٦٨٣ م) ترجمته في: الإصابة ٢: ٢٩٩.

[وقعة الحرّة وشعر أبي قطيفة وتشوّقه إلى المدينة]

قالَ المدائنيّ: واجتمعَ أهلُ المدينةِ لإخراجِ بني أُميّة عنها. فأخَذوا عليهم العهودَ ألاّ يُعينوا عليهم الجيشَ، وأن يَرُدُّوهم عنهم؛ فإن لم يقدِروا على رَدِّهم لا يرجِعوا إلى المدينة معهم. فقال لهم عثمانُ بن محمد بن أبي سُفْيان: أَنْشُدُكُمُ اللَّهَ في دمائِكم وطاعتِكم! فإنَّ الجنودَ تأتيكم وتَطؤُكُمْ وأُعْذِر لكم ألاّ تُخرِجوا أمِيرَكم؛ /إنكم إن ظَفِرتُم وأنا مقيمٌ بين أظْهُرِكُم فما أيْسَر شأني وأقدرَكم على إخراجي! وما أقولُ هذا إلاّ نظراً لكم أُريدُ به حَقْنَ دمائكم. فَشَتَموه وشتَموا يزيدَ، وقالوا: لا نَبْدأُ إلاّ بكَ، ثم نُخْرِجُهم بعدَكَ. فأتى مَرْوانُ[1] عبدَ الله بن عمر فقالَ: يا أبا عبد الرَّحمن إنّ هؤلاء القومَ قد رَكِبونا بما تَرَى، فَضُمَّ عِيالَنا، فقال: لستُ من أمرِكم وأمرِ هؤلاء في شيءٍ. فقام مروان وهو يقولُ: قبحَ الله هذا أمراً وهذا دِيناً. ثمّ أتى عَلِيَّ بنَ الحسين عليه السلام فسأله أَنْ يَضُمَّ أهلَهُ وثَقَله[2] ففعل، وَوَجَّهَهُمْ وامرأتَه أُمَّ أبَانَ بنت عثمانَ إلى الطّائف ومعها ابناه: عبدُ الله ومحمد. فَعَرَض حُرَيْثٌ رَقَّاصَةُ - وهو مَوليً لبني بَهْزٍ من سُلَيم كان بعضُ عُمَّالِ المدينةِ قطعَ رِجْلَهُ، فكان إذا مَشَى كأنّه يَرْقُصُ، فَسُمِّيَ رقَّاصَةَ - لِثَقَلِ مروانَ وفيه أُمُّ عاصم بنتُ عاصم بن عمر ابن الخطاب، فَضَرَبَتْهُ بعصاً فكادَتْ تَدقُّ عنقَه فَوَلَّى ومَضى. ومَضَوْا إلى الطّائفِ وأخرَجُوا بني أميّة. فَحَسَّ[3] بهم سليمانُ بن أبي الجَهْم العَدويّ وحُرَيْثٌ رَقَّاصَةُ، فأراد مَرْوانُ أن يُصَلِّي بمن معه فمنَعُوه، وقالوا: لا يُصَلِّي واللهِ بالنَّاسِ أبداً، ولكن إنْ أرادَ أنْ يُصَلِّيَ بأهْلِهِ فَلْيُصَلِّ، فَصَلَّى بهم ومَضَى. فَمَرَّ مروانُ بعبدِ الرحمٰن بن أزْهَرَ الزُّهْرِيّ، فقال له: هَلُمَّ إليَّ يا أبا عبد الملكِ، فلا يَصِل إليك مكروهٌ ما بَقِيَ رجلٌ من بني زُهْرةَ. فقال له: وصلتْكَ رَحِمٌ، قومُنا على أمْرٍ فأكرَهُ أن أُعَرِّضَكَ لهم. وقال ابن عمر بعد ذلك - لمّا أُخْرِجُوا ونَدِمَ على ما كانَ قاله لمروان: لو وجدتُ /سبيلاً إلى نَصْرِ هؤلاء لَفَعَلْتُ، فقد ظُلِمُوا وبُغِيَ عليهم. فقال ابنُه سالم: لو كَلَّمْتَ هؤلاء القوم! فقال: يا بُنَيّ، لا يَنْزِعُ هؤلاء القومُ عمّا هم عليه، وهم بِعَيْنِ الله، إن أراد

---

(١) مروان: بن الحكم، وكان إذ ذاك في المدينة وأخرجه عبد الله بن الزبير مع عثمان بن محمد بن أبي سفيان في وقعة الحرّة. (ت ٦٥ هـ/ ٦٨٥ م). ترجمته في: الإصابة ٣: ٤٧٧.

(٢) الثَّقَل: المتاع والشيء النفيس الثمين.

أن يُغَيِّرَ غَيَّرَ. قالَ: فَمَضَوْا إلى ذي خُشُبٍ[١]، وفيهم عثمان بن محمد بن أبي سفيان والوَلِيد بن عُتْبَة بن أبي سفيان، واتَّبَعَهُمُ العَبِيدُ والصِّبْيانُ والسَّفِلَةُ يَرْمُونَهم. ثم رَجَعَ حُرَيْثُ رَقَّاصةُ وأصحابُه إلى المدينةِ، وأقامَتْ بنو أميَّة بذي خُشُبٍ عشرةَ أيام، وسَرَّحوا حبيبَ بن كرة إلى يزيد بنِ معاويةَ يُعْلِمونه، وكتبوا إليه يسألونه الغَوْثَ. وبَلغ أهلَ المدينةِ أنّهم وَجَّهوا رجلاً إلى يزيدَ، فخرج محمد بن عَمْرو بن حَزْم ورجل من بني سُلَيْم من بَهْز وحُرَيْثُ رقّاصةُ وخمسون راكباً فأزْعَجُوا بني أُميّة منها، فَنَخَس[٢] حُرَيْثٌ بمروان فكادَ يسقطُ عن ناقتِهِ، فَتَأَخَّرَ عنها وزجرَها وقال: اعْلِي وأسْلَمِي، فلمّا كانوا بِالسُّوَيداءِ[٣] عرَض لهم مَوْلىً لمروانَ فقال: جُعِلْتُ فِدَاكَ! لو نَزَلْتَ فَأَرَحْتَ وتَغَدَّيْتَ! فالغداءُ حاضرٌ كثيرٌ قد أدْرَكَ[٤]. فقالَ: لا يَدَعُني رقّاصةُ وأشباهُه، وعسى أن يُمَكِّنَ اللَّهُ منه فتُقْطَعَ يَدُهُ. ونظر مروانُ إلى ماله بذي خُشُبٍ، فقالَ: لا مالَ إلا ما أحرزَتْه العِيَابُ[٥]، فَمَضَوْا فنزلُوا «حَقِيلاً»[٦] أو «وادِيَ القُرَى»[٧]، وفي ذلك يقول الأَحْوَصُ: [البسيط]

/ لا تَرْثِيَنَّ لِحَزْمِيٍّ رأيتَ به ... ضُرّاً ولو سَقَطَ الحَزْمِيُّ في النَّارِ
النَّاخِسِينَ بِمَرْوانٍ بِذِي خُشُبٍ ... والمُقْحِمِينَ على عثمانَ في الدَّارِ

قال المدائنيّ: فدخلَ حبيبُ بن كرةَ على يزيدَ ـ وهو واضعٌ رِجْلَه في طَسْتٍ لِوَجَعٍ كان يَجِدُه ـ بكتاب بني أُمَيَّةَ وأخبرَه الخبرَ فقالَ: أمَا كان بنو أميّة ومَواليهم ألفَ رجلٍ؟ قال: بَلَى! وثلاثةَ آلاف. قال: أفَعَجزوا أن يُقَاتِلوا ساعةً من نهارٍ؟ قال: كَثَرَهُم[٨] النَّاسُ ولم تَكُنْ لهم بهم طاقةٌ. فنَدَبَ النَّاسَ وأَمَّرَ عليهم صَخْرَ بن أبي الجَهْم القَيْنيّ، فمات قبلَ أنْ يَخْرُجَ الجيشُ فَأَمَّرَ

(١) خُشُب: وادٍ على مسيرة ليلة من المدينة (معجم البلدان ٢: ٣٧٢).
(٢) نخس الدّابة: غرز جنبها أو مؤخّرها بعود ونحوه فهاجت.
(٣) السُّوَيداء: موضع على ليلتين من المدينة على طريق الشّام. والسّويداء اليوم: قرية بحوران من نواحي دمشق. (معجم البلدان ٣: ٢٨٦).
(٤) أدركَ: حان وقته.
(٥) العياب: جمع العيبة: وعاء من أدم يكون فيه المتاع.
(٦) حقيل: وادٍ في ديار بني عُكْل بين الجبال. (معجم البلدان ٢: ٢٧٩).
(٧) وادي القِرى: وادٍ بين المدينة والشّام من أعمال المدينة كثير القرى (معجم البلدان ٥: ٣٤٥).
(٨) كَثَرهم الناسُ: غلبوهم بكثرتهم.

مُسْلِمَ بن عُقْبة[١] الَّذي يُسَمَّى مُسْرِفاً. قال: وقال ليزيد: ما كنتَ مُرْسِلاً إلى المدينةِ أحداً إلا قَصَّرَ وما صاحبُهم غيري، إنِّي رأيتُ في منامي شجرةَ غَرْقَدٍ[٢] تَصِيحُ: على يَدَيْ مُسلِم، فأَقبلْتُ نحوَ الصَّوتِ فَسَمِعْتُ قائلاً يقولُ: أدرِكْ ثأرَك أهلَ المدينةِ قَتَلَةَ عُثمانَ، فخرجَ مُسْلِمٌ وكان من قِصَّة الحَرَّةِ ما كان على يده، وليس هذا موضعَه. فقال أبو قطيفة في ذلك ـ لما أُخرِجوا عن المدينة ـ:

صوت من غير المائة فيه لحنان [الطويل]

بَكَى أُحُدٌ لمّا تَحَمَّلَ أَهلُهُ ... فكيفَ بِذِي وَجْدٍ مِنَ القومِ آلِفِ

مِنَ اجْلِ أبي بَكْرٍ جَلَتْ عن بلادِها ... أُمَيَّةُ، والأَيَّامُ ذاتُ تَصَارُفِ

عَرُوضُه من الطّويل، وفيه ثَقِيلٌ أوّلُ. والغناء لِسائِبِ خَاثِرٍ، خَفِيفُ ثَقِيلٍ أوّل بالوُسْطى، ذكَر ذلك حمَّادٌ عن أبيه، وذكر أن فيه لَحْناً آخَر لأهلِ المدينةِ لا يُعْرَفُ صاحِبُه. قال الهَيْثم في خبره: وقال أبو العباس الأعمى في ذلك: [الطويل]

/لقد حَلَّ في دارِ البَلاَطِ مُجَوَّعٌ ... ودارِ أبي العَاصِ التَّميميُّ حَنْتَفُ[٣]

فلم أَرَ مِثْلَ الحَيِّ حين تَحَمَّلوا ... ولا مِثْلَنا عن مِثْلِهِمْ يَتَنكَّفُ[٤]

وقال أبو قَطيفةَ أيضاً:

---

(١) مسلم بن عقبة بن رباح المرّيّ: من دهاة القادة في العصر الأموي، ولاّه يزيد بن معاوية قيادة الجيش الذي أرسله للانتقام من أهل المدينة (ت ٦٣ هـ/ ٦٨٣ م)، ترجمته في: الأعلام ٧: ٢٢٢.

(٢) الغَرْقَد: شجيرة تسمو من متر إلى ثلاثة تشبه العوسج.

(٣) البلاط: بفتح الباء وكسرها، موضع بالمدينة مُبَلَّط بالحجارة بين مسجد رسول الله ﷺ وبين سوق المدينة (معجم البلدان ١: ٤٧٧).

والحَنْتَف: بن السِّجْف بن سعد بن عوف بن زهير: وكان دَيِّناً شريفاً، وله منزلة من عبيد الله بن زياد، ولما وقعت فتنة ابن الزّبير سار حُبَيْش بن دُلْجَة القيني من قضاعة إلى المدينة يريد قتال ابن الزبير، فعقد الحارث بن عبد الله المخزومي وهو أمير البصرة للحنتفِ لواءً، فسار في سبعمائة وخرج إليه حُبيش من المدينة، فلقيهم بالرّبذة فقتل الحنتفُ حُبيشاً وعبيدَ الله بن الحكم أخا مروان بن الحكم وانهزم الحجاج بن يوسف وأبوه يومئذ. ثم سار الحنتف نحو الشام حتى إذا كان بوادي القرى، سُمَّ في طعامه ومات هناك. ترجمته في: المعارف ص ٤١٦.

(٤) يتنكَّفُ عن الشيء: يَعْدِلُ عنه ويمتنع.

صوت من غير المائة فيه ثلاثة ألحان [الطويل]

بَكَى أُحُدٌ لَمَّا تَحَمَّلَ أَهْلُهُ فَسَلْعٌ فدارُ المالِ أَمْسَتْ تَصَدَّعُ
وبِالشَّامِ إخواني وجُلُّ عَشِيرتي فقد جَعَلَتْ نَفْسِي إليهم تَطَلَّعُ

عَرُوضُه من الطَّويل. غَنَّى فيه دَحْمان، ولحنُه ثقيلٌ أوّلُ بإطلاق الوَتَر في مَجْرَى البِنْصر من رواية إسحاق. وفيه لِمَعْبَد ثقيلٌ أوّلُ بالوُسْطى من رواية حَبَش. وذكر إسحاق أنَّ فيه لحناً فيه خَفِيف الثَّقيل الأوّل، بالخِنْصر في مَجْرى البِنْصر مجهولَ الصَّانع. وقال أبو قَطيفة أيضاً:

صوت من غير المائة المختارة [الخفيف]

ليتَ شِعْري: هَلِ البَلاَطُ كَعَهْدي والمُصَلَّى إلى قصورِ العَقِيقِ[(١)]؟
لأَمَنِي في هَواكِ يا أُمَّ يحيى مِنْ مُبِينٍ بِغِشِّهِ أو صَدِيقِ

عَرُوضُه من الخَفِيف. غَنَّاه مَعْبد ويقال دَحْمان، ولحنه ثَقيلٌ أوّلُ بِالسَّبَّابة في مَجْرى الوُسْطَى وذكر إسحاق أنّه لا يُعْرَفُ صاحبُه.

حدّثني أحمد بن عُبَيد الله بن عَمَّار قال: حدّثني محمدُ بنُ يونُسَ بن الوليد قال: كان ابن الزُّبَير قد نفى أبا قَطيفة مع مَنْ نفاه من بني أميّة عن المدينةِ إلى الشّأم؛ فلمّا طالَ مُقامُهُ بها قال: [الطويل]

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هل تَغَيَّرَ بَعْدَنا قُبَاءٌ وهل زَالَ العَقِيقُ وحاضِرُهْ[(٢)]؟
وهل بَرِحَتْ بَطْحَاء قَبْرِ مُحَمَّدٍ أَراهِطُ غُرٌّ من قُرَيْشٍ تُباكِرُهْ؟[(٣)]
لهم مُنْتَهى حُبِّي وصَفْوُ مَوَدَّتي ومَحْضُ الهَوَى مِنِّي ولِلنَّاسِ سائرُهْ

قال: وقال أيضاً:

---

(١) العقيق: مكان بناحية المدينة وفيه عيون ونخل، وقيل هما عقيقان: الأكبر وهو مما يلي الحرَّة والأصغر ما سفلَ عن قصر المراجل إلى منتهى العَرْصَة (معجم البلدان ٤: ١٣٨).

(٢) قُباء: قرية على ميلين من المدينة (معجم البلدان ٤: ٣٠٢).

(٣) الأراهط: جمع الرَّهْط: الجماعة من ثلاثة أو سبعة إلى عشرة أو ما دون العشرة، ورهطُ الرَّجل: قومه وقبيلته الأقربون. والأغرّ: السَّيِّد الشريف.

صوت من غير المائة المختارة [الخفيف]

لَيْتَ شِعْرِي وأينَ مِنِّيَ لَيْتُ أَعَلَى العَهْدِ يَلْبَنٌ فَبَرامُ؟
أَمْ كعَهْدِي العَقِيقُ أم غَيَّرَتْهُ بَعْدِيَ الحادثاتُ والأيَّامُ؟
وبِأَهْلي بُدِّلْتُ عَكّاً ولَخْماً وجُذاماً وأينَ مِنِّي جُذَامُ(١)
وَتَبَدَّلْتُ مِنْ مساكِنِ قَوْمِي والقُصُورِ الَّتي بها الآطَامُ
كُلَّ قَصْرٍ مُشَيَّدٍ ذِي أَوَاسٍ يَتَغَنَّى على ذُرَاهُ الحَمَامُ(٢)
إِقْرَ مِنِّي السَّلامَ إنْ جِئْتَ قَومي وقَلِيلٌ لَهُمْ لَدَيَّ السَّلاَمُ

عَرُوضُه من الخَفِيف غَنَّاه مَعْبد، ولَحنُه ثقيلٌ أَوّلُ بالخِنْصر في مَجْرَى البِنْصر. و يَلْبَنُ و بَرامُ موضعان، والآطامُ: جمع أُطُم وهي القُصُور والحصون. وقال الأصمعيّ: الآطام: الدُّورُ المسطَّحة السُّقُوف. وفي رواية ابن عمّار: ذي أوَاشٍ بالشّين معجمةً كأنّه أراد به أنّ هذه القصور موشِيَّةٌ أي منقوشة. ورواه إسحاق: أواس بالسّين غيرَ معجمة، وقال: واحدها آسِيٌّ، وهو الأصل، قال ويقال: فلانٌ في آسِيِّهِ أي في أصلِهِ. والآسِيُّ والأَساسُ واحدٌ. وذُرَا كُلِّ شيءٍ: أعاليه، وهو جمعٌ، واحدته ذِرْوة، ويروى:

أَبْلِغَنَّ السَّلامَ إنْ جِئْتَ قَوْمي

/ وروى الزُّبَيْرُ بنُ بَكَّار هذه الأبياتِ لأبي قَطِيفةَ، وزادَ فيها: [الخفيف]

أَقْطَعُ اللَّيْلَ كُلَّهُ بِاكْتِئابٍ وزَفِيرٍ فما أَكَادُ أَنَامُ
نحوَ قَوْمي إذ فَرَّقَتْ بيننا الدَّا رُ وحَادَتْ عن قَصْدِ الأَحْلاَمُ
خَشْيَةً أَنْ يُصِيبَهُمْ عَنَتُ الدهـ رِ وحَرْبٌ يَشِيبُ منها الغُلاَمُ
فلقدْ حَانَ أَنْ يكونَ لهذا الدَّ هرِ عَنَّا تَبَاعُدٌ وانْصِرَامُ

[عفو ابن الزُّبَيْر عن أبي قطيفة]

رجع الخبر إلى سِيَاقَتِهِ من رواية ابن عمَّار. وأخبرَنا بمثلِهِ من هذا الموضع الحُسَينُ بن يحيى عن حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن الحِزَاميّ، وهو إبراهيمُ بنُ

(١) عَكّ وجُذام ولَخم: قبائل عربية معروفة.
(٢) أواسٍ: جمع الآسِية: الدِّعامة والبناء المحكَم أساسُه.

المنذِر[١]، عن مُطَرِّف بن عبد الله المدنيّ قالا: إنَّ ٱبنَ الزُّبَيْر لمّا بَلَغَهُ شِعْرُ أبي قَطِيفة هذا قالَ: حَنَّ واللَّهِ أبو قطيفة، وعليه السَّلام ورحمة الله، مَنْ لَقِيَهُ فَلْيُخْبِرْهُ أنّه آمِنٌ فَلْيَرْجِعْ. فأُخْبِرَ بذلك فانْكَفَأَ إلى المدينةِ راجعاً، فلم يَصِلْ إليها حتّى ماتَ. قال ٱبنُ عمّار: فَحُدِّثْتُ عن المدائنيّ أنّ ٱمرأةً من أهلِ المدينةِ تَزَوَّجَها رجلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّام، فخرجَ بها إلى بلدِه على كُرْهٍ منها، فَسَمِعتْ مُنْشِداً يُنْشِدُ شِعْرَ أبي قَطيفةَ هذا، فَشَهَقَتْ شَهْقةً وخَرّتْ على وَجْهِهَا مَيّتَةً؛ هكذا ذَكَرَ ابنُ عَمَّار في خَبَرِهِ.

وأخبرني الحسينُ بن يَحْيَى قالَ: قال حَمَّاد: قرأتُ على أبي عن أيُّوب بن عَبَايَةَ قالَ: قال حَدَّثني سعيدُ بن عائشةَ مولَى آلِ المُطَّلِب بن عبد مَنَاف قالَ: / خَرَجَتِ ٱمرأةٌ من بَنِي زُهْرة في خِفٍّ[٢]، فرآها رجلٌ من بَنِي عبد شمس من أهل الشَّام فأعْجَبَتْهُ، فسألَ عنها فَنُسِبتْ له، فَخَطَبها إلى أهلِها فَزَوّجوه إياها بِكرْهٍ منها، فخرجَ بها إلى الشَّامِ وخَرَجَتْ مَخْرجاً، فَسَمِعَتْ مُتَمَثِّلاً يقول:

صوت من غير المائة المختارة [الطويل]

ألا لَيْتَ شِعْرِي هل تَغَيَّرَ بَعْدَنا جَبُوبُ المُصَلَّى أَمْ كَعَهْدي القَرَائِنُ؟[٣]
وهل أَدْؤُرٌ حولَ البَلاَطِ عَوَامِرٌ مِنَ الحَيِّ أَمْ هل بِالمدينةِ سَاكِنُ؟
إذا بَرَقَتْ نحوَ الحِجازِ سَحَابَةٌ دَعَا الشَّوْقَ مِنِّي بَرْقُها المُتَيَامِنُ
فلَمْ أَتْرُكْنَهَا رَغْبَةً عَنْ بِلادِها ولَكِنَّهُ ما قَدَّرَ اللَّهُ كائِنُ

ـ عرُوضه من الطَّويل، يُقَالُ: إنَّ لمعبد فيه لحناً ـ قال: فَتَنَفَّسَتْ بينَ النّساءِ فوقعتْ مَيّتَةً. قال أيّوب: فَحَدَّثْتُ بهذا الحديثِ عبدَ العزيز بنَ أبي ثابت الأعرج فقال: أتَعرِفُها؟ قلتُ: لا، قال: هي واللَّهِ عَمَّتِي حميدةُ بنت عمر بن عبد الرَّحمن ابن عَوْف.

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزِيدِيّ قالَ: حدّثنا الرِّيَاشِيّ قال: أخبرني ٱبنُ

---

(١) إبراهيم بن المنذر: بن عبد الله بن المغيرة. . .: محدّث روى الحديث عن مالك وابن عيينة وغيرهما. صنّف كتاب المغازي في المحدّثين (ت ٢٣٦ هـ/ ٨٥٠ م) ترجمته في: معجم المؤلفين ١: ١١٥.

(٢) الخِفّ: الجماعة القليلة.

(٣) الجبوب: الحجارة والأرض الصّلبة.

عائشةَ قال: لَمَّا أَجْلَى ٱبْنُ الزُّبَيْرِ بني أُمَيَّةَ عن الحجازِ قال أَيْمَنُ بنُ خُرَيْمٍ الأَسَدِيّ:

[الوافر]

كَـأَنَّ بَـنِـي أُمَـيَّـةَ يَـومَ رَاحُـوا ... وعُـرِّيَ عـن مَـنَـازِلِـهِـمْ صِـرَارُ[١]

شَـمَـارِيـخُ الـجِـبَـالِ إذا تَـرَدَّتْ ... بِـزِيـنَـتِـهَـا وجَـادَتْـهـا الـقِـطَـارُ[٢]

/ وأخبرني الحسن بن عليّ الخَفَّافُ قال: حَدَّثنا محمّد بن سَعْدٍ الكُرَانِيّ قال: حدّثنا العُمَرِيّ عن العتبيّ قالَ: كتبَ أبو قَطِيفة عَمْرُو بن الوَلِيد بن عُقْبَة إلى أبيه وهو مُتَوَلِّي الكوفة لعثمان بن عَفَّان:

[الكامل]

مَـنْ مُـبْـلِـغٌ عَـنِّـي الأَمِـيـرَ بِـأَنَّـنـي ... أَرِقٌ بِـلا دَاءٍ سِـوَى الإِنْـعَـاظِ[٣]

إن لـم تُـغِـثْـنـي خِـفْـتُ إِثْـمَـكَ أو أَرَى ... فـي الـدَّارِ مَـحْـدُوداً بِـزُرْقِ لِـحَـاظِ[٤]

يعني دارَ عثمانَ التي تُقَام فيها الحدود فابتاعَ له جاريةً بالكوفةِ وبَعَثَ بها إليه.

أخبرني عبد الله بن محمّد الرَّازي قال: حَدَّثنا الخَرَّاز عن المَدَائِنِيّ قال:

كان أبو قطيفة من شعراءِ قُرَيْشٍ، وكانَ مِمَّنْ نفاه ٱبْنُ الزُّبَيْر مع بَنِي أُمَيَّة إلى الشَّامِ، فقالَ في ذلك:

[الطويل]

ومـا أَخْـرَجَـتْـنـا رَغْـبَـةٌ عَـنْ بـلادِنـا ... وَلَـكِـنَّـهُ مـا قَـدَّرَ الـلَّـهُ كـائـنُ

أَحِـنُّ إلـى تِـلْـكَ الـوجـوهِ صَـبَـابـةً ... كَـأَنّـي أَسِـيـرٌ فـي الـسَّـلاسِـلِ رَاهِـنُ

وكان يَتَحَرَّقُ على المدينةِ؛ فأتى عَبَّادُ بنُ زِيَاد ذاتَ يوم عبدَ الملك فقالَ له: إنَّ خالَه أخبره أنَّ العِرَاقَيْنِ[٥] قد فُتِحا. فقالَ عبدُ الملكِ لأبي قَطِيفةَ لِمَا يَعلمهُ من حُبِّهِ المدينةَ: أَمَا تَسْمَعُ ما يقولُه عَبَّادٌ عن خالِهِ؟ قد طَابَتْ لكَ المدينةُ الآنَ، فقال أبو قَطيفةَ:

[البسيط]

إِنِّـي لأَحْـمَـقُ مَـنْ يَـمْـشِـي عـلـى قَـدَمٍ ... إن غَـرَّنِـي مِـنْ حـيـاتِـي خَـالُ عَـبَّـادِ

---

(١) صِرار: اسم جبل، أو هو ماء قرب المدينة. (معجم البلدان ٣: ٣٩٨).

(٢) الشَّماريخ: جمع الشِّمراخ: الرّؤوس، وشماريخ الجبال: رؤوسها وأعاليها. والقطار: جمع القطر: المطر.

(٣) الإنعاظ: الشَّبَق واشتهاء الجماع.

(٤) المحدود: الذي يُقام عليه الحَدّ.

(٥) العراقان: الكوفة والبصرة (معجم البلدان ٤: ٩٣).

أَنْشَا يقول لنا المِصْرانِ قد فُتِحا ودونَ ذلك يَوْمٌ شَرُّهُ بَادِي[(١)]

قالَ: وأَذِنَ له ٱبنُ الزُّبَيْرِ في الرجوعِ، فَرَجَع فمَاتَ في طريقِهِ.

[بعض أخبار سعيد بن العاص]

وأَمَّا خَبَرُ القَصْرِ الَّذي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ وبَيْعُهُ من معاويةَ، فأخبرني الحُسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه قال: ذَكَرَ مُصْعَبُ بن عَمَّار بن مُصْعَب بن عُرْوة بن الزُّبَيْر:

/ أَنَّ سَعِيد بن العاص لمّا حَضَرتْه الوفاةُ وهو في قَصْره هذا، قال له ٱبنُه عَمْرو: لو نزلتَ إلى المدينةِ! فقال: يا بُنَيَّ، إنَّ قومي لن يَضِنُّوا عَلَيَّ بأنْ يحمِلوني على رِقَابِهِم ساعةً مِنْ نهارٍ، وإذا أنا مِتُّ فَآذِنْهُم[(٢)]، فإذا وَارَيْتَنِي فانطلقْ إلى معاويةَ فانْعَني له، وٱنْظُرْ في دَيْني؛ واعلمْ أنه سَيَعْرِضُ عليك قضاءَه فلا تفعلْ، وٱعْرِضْ عليه قَصْري هذا؛ فإنّي إنّما ٱتَّخَذْتُهُ نُزْهَةً وليس بِمَالٍ. فلمّا ماتَ آذَنَ به النَّاسَ، فَحَمَلُوه من قصرِهِ حتى دُفِنَ بِالبَقيعِ[(٣)]، ورَوَاحِلُ عَمْرِو بن سعيد مُنَاخَةٌ، فَعَزَّاهُ النَّاسُ على قَبرِهِ وودَّعوه، فكانَ هو أَوَّلَ مَنْ نَعَاه لِمعاويةَ؛ فَتَوجَّعَ له وتَرَحَّمَ عليه، ثمَّ قالَ: هل تَرَكَ دَيْناً؟ قال: نعم. قال: كم هو؟ قال: ثلثُمائةِ ألف درهم. قال: هي عَلَيَّ. قال: قد ظَنَّ ذلك وأَمَرَني ألاَّ أَقْبَلَهُ منكَ، وأَنْ أَعْرِضَ عليك بعضَ ماله فتَبْتَاعَه فيكونَ قضاءُ دَيْنِهِ منه. قال: فَاعْرِض عَلَيَّ. قال: قَصْرَهُ بِالعَرْصَةِ. قال: قد أخذتُه بِدَيْنِهِ. قال: هو لكَ على أن تَحْمِلَها إلى المدينةِ وتجعلَها بِالوَافِيةِ[(٤)]. قال: نعم، فَحَملها له إلى المدينةِ وفرَّقها في غُرَمَائِهِ، وكان أكثرُها عِدَاتٍ[(٥)]. فأتاه شابٌّ من قُرَيشٍ بِصَكٍّ فيه عشرون ألفَ درهم بشهادة سعيدٍ على نَفْسِهِ وشهادة مَوْلىً له عليه. فأرسلَ إلى المولى فَأَقْرَأَهُ الصَّكَّ؟ فلمّا قرأه بكى وقال: نَعَمْ هذا خَطُّهُ وهذه شَهَادتي عليه. فقال له عمرو: مِنْ أين يكون لهذا الفتى عليه عشرون ألف درهم وإنّما هو صُعلوك من صَعاليكِ قريش؟ قال: أُخْبِرُكَ عنه، مَرَّ سعيدٌ بعد عَزْلِهِ،

---

(١) المِصران: الكوفة والبصرة وسمّيا بذلك لأن عمر بن الخطّاب قال: تجعلوا البحر فيما بيني وبينكم، مَصِّروها أي صَيِّروها مِصراً بين البحر وبيني، أي حَدّاً. (لسان العرب مادة مصر).

(٢) آذنهم: أخبرهم وأعلمهم.

(٣) البقيع: مقبرة أهل المدينة. (معجم البلدان ٢: ٤٧٣).

(٤) الدّرهم الوافي: درهم وأربعة دوانق، والدّانق: سدس الدّرهم.

(٥) عِدَات: عطايا وَعَدَ بها.

فاعترَضَ له هذا الفتي ومَشَى معه حتى صار إلى منزله، فوقف له سعيد فقال: أَلَكَ حاجةٌ؟ قالَ: لا! إلاَّ أنِّي رأيتُكَ تمشي وَحْدَكَ فأحببتُ أنْ أَصِلَ جَنَاحَك. فقال لي: ائْتِني بِصحيفةٍ، فأتيتُه بهذه، فكتبَ له على نفسِهِ هذا الدَّيْنَ وقال: إنَّكَ لم تُصَادِفْ عندنا شيئاً فَخُذْ هذا، /فإذا جاءنا شيءٌ فَأْتِنا. فقال عمرو: لا جَرَم[1] واللّهِ لا يَأْخُذُها إلاّ بالوافيةِ، أَعْطِهِ إيّاها؛ فدفَعَ إليه عشرينَ ألفَ درهمٍ وافيةً.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ، قال: حدّثنا عُمَر بن شَبَّة قالَ: حدّثنا الصَّلْتُ بن مَسْعود قال: حدّثنا سُفْيان بن عُيَيْنة قالَ: حدّثنا هارون المدائنيّ قال: كان الرَّجُلُ يأتي سَعِيدَ بن العاص يسألُه فلا يكونُ عنده، فيقول: ما عندي، ولكن اكتُبْ عَلَيَّ به، فيكتُبُ عليه كتاباً، فيقول: تُرَوْني[2] أخذتُ منه ثمنَ هذا؟ لا، ولكنّه يَجِيءُ فيَسْأَلُني فَيَنْزُو[3] دمُ وَجْهِهِ في وجهي فَأَكْرَهُ رَدَّهُ. فأتاه مَوْلىً لِقُرَيش بابن مَوْلاه وهو غلام فقال: إنَّ أبا هذا قد هَلَكَ وقد أَرَدْنا تزويجَهُ. فقالَ: ما عندي، ولكن خُذْ ما شِئْتَ في أمانتي، فلمّا مَاتَ سعيدُ بن العاص جاءَ الرَّجُلُ إلى عمرو بن سعيد فقالَ: إنّي أَتَيْتُ أباكَ بابنِ فلانٍ، وأخبَرهُ بِالقِصَّةِ فقالَ له عمرو: فكم أخذتَ؟ قال: عشرةَ آلاف. فأقبل عمرو على القوم فقال: مَنْ رأى أعْجَزَ من هذا! يقول له سعيدٌ: خُذْ ما شِئْتَ في أمانتي فيأخذُ عشرةَ آلاف! لو أَخَذْتَ مائةَ ألفٍ لأَدَّيْتُهَا عنكَ.

[اعتدادُ أبي قطيفة بنسبه وهجوه عبد الملك بن مروان]

أخبرني عَمِّي قال حدّثنا الكُرَانيّ قال حَدَّثنا العُمَريُّ عن ابنِ الكَلْبيّ قال:

قال أبو قَطيفة ـ وكانت أُمُّه وأم خالد بن الوليد بن عُقْبة عَمَّة أرْوَى بنتِ أبي عَقِيل بن مَسْعُود بن عامر بن مُعَتِّب: [الوافر]

/أنا ابنُ أبي مُعَيْطٍ حينَ أُنْمَى ... لأكْرَمِ ضِئْضِىءٍ وأعَزِّ جِيلِ[4]

وأُنْمَى لِلعَقائلِ مِنْ قُصَيٍّ ... وَمَخْزُومٍ فما أنا بِالضَّئِيلِ

(١) لا جَرَم: لا بُدّ ولا محالة، أو حَقّاً.

(٢) تروني: أي أتروني.

(٣) ينزو: أي إن دم وجهه يثب في وجهي لشدّة احمراره خجلاً من ذلّ السّؤال.

(٤) الضِّئْضِىء: الأصل والمعدن.

وأرْوَى مِن كُرَيْزٍ قد نَمَتْنِي وأرْوَى الخيرِ بنتُ أبي عَقِيلِ
كِلاَ الحَيَّيْنِ مِنْ هذا وهذا لَعَمْرُ أبيك في الشَّرَفِ الطَّويلِ
فَعَدِّدْ مِثْلَهُنَّ أبا ذُبَابٍ لِيَعْلَمَ ما تقولُ ذَوُو العقولِ
فما الزَّرْقاءُ لي أُمّاً فأُخْزَى ولا لِيَ في الأزارِقِ مِنْ سَبِيلِ

قال: يَعْنِي بأبي الذُّبَابِ عبدَ الملك. والزَّرْقاءُ: إحدى أُمهاتِهِ من كِنْدَة، وكان يُعَيَّرُ بها.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: أخبرني محمد بن زكريا قال: حدَّثنا قَعْنَبُ بن المُحْرِزِ قال: حدّثنا المدائنيّ قال: بَلغ أبا قطِيفةَ أَنَّ عبدَ الملكِ بن مروان يَتَنَقَّصُهُ، فقال: [الطويل]

نُبِّئْتُ أنّ ٱبْنَ العَمَلَّس عابَنِي ومَنْ ذا مِنَ النَّاسِ البَرِيءُ المُسَلَّمُ[1]؟
مَنَ أَنْتُمْ مَنَ أنتم خَبِّرونا مَنَ أنْتُمُ فقد جَعَلَتْ أشياء تبدو وتُكْتَمُ!

فبلغَ ذلك عبدَ الملكِ فقالَ: ما ظَنَنْتُ أنّا نُجْهَلُ، والله لولا رِعَايَتِي لِحُرْمَتِهِ لأَلْحَقْتُهُ بما يعلمُ، ولَقَطّعتُ جِلْدَهُ بِالسِّيَاطِ.

[ندمه لطلاقِ زوجته]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَةُ قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن العُتْبيّ قال: / طَلَّقَ أبو قَطِيفَةَ ٱمرأتَهُ، فَتَزَوَّجَها رجلٌ من أهلِ العراقِ، ثمّ نَدِمَ بعدَ أن رحَلَ بها الرَّجُلُ وصارَتْ له، فقال: [الوافر]

فيا أَسَفَا لِفُرْقَةِ أُمِّ عَمْرٍو ورِحْلَةِ أَهْلِهَا نحوَ العِرَاقِ
فليسَ إلى زيارَتِها سَبِيلٌ ولا حتَّى القيامةِ من تَلاَقِي
وَعَلَّ اللَّهَ يَرْجِعُها إلينا بِمَوْتٍ من حَلِيلٍ أو طلاقِ
فَأَرْجِعَ شامِتاً وتَقَرَّ عيني ويُجْمَعَ شَمْلُنَا بَعْدَ ٱفْتِرَاقِ

[مقتل سعيد بن عثمان]

أخبرني عَمِّي ومحمد بن جعفر قالا: حدّثنا الحسنُ بن عُلَيْل العَنَزِيّ قال:

---

(١) العَمَلَّس: الذّئب الخبيث أو كلب الصّيد الخبيث.

حدّثنا محمّد بن عليّ بن أبي حَسَّان عن هِشَام بن محمد عن خالد بن سعِيد عن أبيه قال: استعمَل معاويةُ سَعِيدَ بنَ عثمانَ[١] على خُرَاسان، فلمّا عَزَلَهُ قَدِمَ المدينةَ بمالٍ وسلاح وثلاثينَ عبداً مِنَ السُّغْدِ[٢]، فأمَرهم أنْ يَبْنُوا له داراً. فبيْنَا هو جالسٌ فيها ومعه ابنُ سَيْحَانَ وابنُ زِينَةَ وخالدُ بن عُقْبة وأبو قَطِيفةَ إذ تآمروا بينهم فقتَلوه؛ فقال أبو قطيفة يرثيه ـ وقيل إنها لخالد بن عُقْبة ـ: [البسيط]

يا عَيْنُ جُودِي بِدَمْعٍ مِنْكِ تَهْتَانَا وابْكي سعيدَ بنَ عثمانَ بنِ عَفَّانا[٣]
إنَّ ابْنَ زِينَةَ لم تَصْدُقْ مَوَدَّتُه وفَرَّ عنه ابْنُ أرْطَاةَ بنِ سَيْحَانَا

(١) سعيد بن عثمان: بن عفّان: والٍ من الفاتحين، وفد على معاوية بعد مقتل أبيه فولاّه خراسان ففتح سمرقند وعُزِلَ عن خراسان سنة ٥٧ هـ (ت ٦٢ هـ ـ ٦٨٢ م)، ترجمته في: نسب قريش ١١١ و١٤١ وخزانة الأدب ١: ٣٢٠ وشذرات الذهب ١: ٦١.

(٢) السُّغْد: ناحية بين بخارى وسمرقند، كثيرة المياه نضرة الأشجار. (معجم البلدان ٣: ٢٢٢).

(٣) هتن الدَّمعُ: قَطَر.

ذكر مَعْبَد وبعض أخباره

[٠٠ـ١٢٦هـ/ ٠٠ـ٧٤٣م]

[نسبه ونشأته ووفاته]

/ هو مَعْبَدُ بن وَهْب، وقيل ٱبن قطنيّ مولى ٱبن قطر، وقيل ٱبن قَطَن مولى العاصِ بنِ وَابِصَةَ المَخْزوميّ، وقيل بل مولى معاويةَ بن أبي سفيان.

أخبرني الحَرَمِيُّ بن أبي العَلاَء قالَ: حدّثنا الزُّبَير بن بَكَّار قال: حدّثني عبد الرّحمن بن عبد الله الزُّهْرِيّ قال: مَعْبَدٌ المُغَنِّي ابن وَهْب مولى عبد الرَّحمن بن قطر.

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه قال: قال ٱبن الكَلْبيّ: معبدُ مولى ابن قطر، والقطريون موالي معاوية بن أبي سفيان.

وأخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدّثنا عُمَرُ بن شَبَّة قال: حدّثنا أبو غَسَّان قال: مَعْبَد بن وَهْب مولى ٱبن قَطَن وهم مَوَالي آل وَابِصَة من بني مخزوم، وكان أبوه أسودَ وكان هو خَلاسِيّاً[١] مَدِيدَ القامةِ أَحْوَل.

وذكر ٱبن خُرْدَاذْبَه أنه غَنَّى في أوّل دولة بني أُميّة، وأدركَ دولةَ بني العباس، وقد أصابه الفالِجُ وٱرْتَعَشَ وبَطَلَ[٢]، فكان إذا غَنَّى يُضْحَكُ منه ويُهْزَأُ به. وٱبن خُرْدَاذْبَه قليلُ التَّصحيح لِمَا يَرْوِيه ويُضَمِّنُهُ كُتُبه. والصَّحيحُ أنَّ مَعْبَداً ماتَ في أيّامِ الوليد بن يزيد بدِمَشْق وهو عنده. وقد قِيلَ: إنّه أصابه الفالجُ قبل موته وٱرتعشَ

(١) الخلاسيّ: الولد من أبوين أبيض وأسود.

(٢) بَطَل: فَسَد.

وبطلَ صَوْتُهُ. فأمّا إدراكه دولةَ بني العباس فلم يَرْوِه أحد سوى ٱبن خُرْدَاذْبه ولا قاله ولا رَواه عن أحد، وإنّما جاء به مُجَازفةً.

[سلاّمة القسّ تبكيه وتذكر جميل خصاله]

أخبرني محمد بن العبَّاس اليزِيديّ قال: حدّثنا عُمَر بن شَبَّة قال: حدّثني أَيُّوبُ بن عُمَر أبو سَلَمة المَدِينيّ قال: حدّثنا عبد اللّه بن عِمْران بن أبي فَرْوة قال: حدّثني كَرْدَمُ بن مَعْبَد المُغَنِّي مولى ٱبن قَطَنٍ قال: مات أبي وهو في عسكر الوَلِيد ابنِ يزيدَ وأنا معه، فنظرتُ حين أُخْرِجَ نعشُه إلى سَلاَّمَةِ القَسِّ، جاريةِ يزيدَ بنِ عبد الملك، وقد أَضْرب النَّاسُ عنه ينظرون إليها وهي آخذة بعمودِ السَّرِيرِ، وهي تَبْكي أبي وتقول: [مجزوء الرمل]

قد لَعَمْرِي بِتُّ لَيْلي ... كأخي الدَّاءِ الوَجِيعِ
ونَجِيُّ الهَمِّ مِنِّي ... باتَ أدْنَى من ضَجِيعِي
كُلَّما أَبْصَرْتُ رَبْعاً ... خالياً فاضَتْ دموعي
قد خَلاَ مِنْ سَيِّدٍ كا ... ن لنا غير مُضِيعِ
لا تَلُمْنا إن خَشَعْنا ... أو هَمَمْنا بِخُشُوعِ

قال كَرْدَم: وكان يزيدُ أَمَرَ أبي أن يُعَلِّمها هذا الصّوتَ، فَعَلَّمها إياه فَنَدَبَتْه به يومئذٍ، قال: فلقد رأيتُ الوليَد بن يزيدَ والغَمْرَ[1] أخاه مُتَجَرِّدَيْن في قميصَيْن ورِداءَيْن يَمْشيان بين يَدَيْ سِريره حتى أُخْرِجَ من دارِ الوليد؛ لأنّه تَوَلَّى أمرَه وأخرَجه من دارِه إلى موضع قبره.

فأمّا نِسْبَةُ هذا الصوت؛ فإنّ الشّعرَ لِلأحوَص، والغِنَاء لِمَعْبَد، ذكره يونس ولم يُجَنِّسه. وذكر الهِشَامِيّ أنه ثاني ثَقِيلٍ بالوُسْطى. قال: وفيه لِحَبَّابَة خفيفُ ثقيل، ولابنِ المَكِّيّ ثقيلٌ أوّلُ نَشِيد. وفيه لِسَلاَّمَةِ القَسِّ عن إسحاقَ لَحْنٌ من القَدْر الأوسط من الثَّقيل الأوّلِ بالوُسْطى في مَجْرَاها.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال: قال أبو عُبَيدة: ذكَر مولىً لآل الزُّبَيْرِ ـ وكان منقطِعاً إلى جَعْفَرٍ ومحمّد ٱبْنَيْ سليمانَ بن عليّ ـ: أنّ معبداً عاشَ

(١) الغَمْر بن يزيد بن عبد الملك بن مروان: من رجالات بني أميّة أيام انحلال دولتهم (ت ١٣٢ هـ/ ٧٥٠ م) ترجمته في: المحبر ٤٨٥ والأعلام ٥: ٣١٥.

حتى كَبِرَ وانقطع صوتُه، فدعاه رجلٌ من وَلَدِ عثمان، فلمّا غَنَّى الشَّيخُ لم يَطْرَبِ القومُ، وكان فيهم فِتْيان نُزُولٌ من ولد أَسِيد بن أبي العِيص بن أُمَيَّة، فضحِكوا منه وهَزِئُوا به، فأنشأ يُغَنِّي[1]: [الطويل]

فَضَحْتُمْ قُرَيْشاً بِالفِرارِ وأَنْتُمُ قُمُدُّونَ سُودَانٌ عِظَامُ المَنَاكِبِ[2]

فأَمَّا القِتَالُ لا قِتَالَ لَدَيْكُمُ وَلَكِنَّ سيراً في عِرَاضِ المَوَاكِبِ

ـ وهذا شعرٌ هُجُوا به قديماً ـ فقاموا إليه ليتناولوه، فمنعَهم العثمانيّ من ذلك وقال: ضَحِكْتُم منه حتى إذا أَحْفَظْتُموه[3] أردتُم أن تتناولوه، لا واللَّهِ لا يكونُ ذلك! قال إسحاق: فحدَّثني ابن سَلاَّم قالَ: أخبَرني مَنْ رآه على هذه الحالِ فقال له: أصِرْتَ إلى ما أَرَى؟ فأشارَ إلى حَلْقِه وقال: إنّما كان هذا؛ فلمّا ذَهَبَ ذهبَ كلُّ شيء.

[شهادة المغنّين لِمَعْبَد بالتفوّق]

قال إسحاق: كان مَعْبَد من أحسن النَّاسِ غِناءً، وأجودِهم صَنْعَةً وأحسنِهم حَلْقاً، وهو فَحْلُ المُغَنِّين وإمامُ أهلِ المدينةِ في الغِناءِ، وأخذَ عن سَائِبِ خَاثِرٍ، ونَشِيطٍ مَوْلَى عبدِ الله بنِ جَعْفَر، وعن جَمِيلةَ مَوْلاةِ بَهْزٍ، بَطْنٍ من سُلَيْم، وكان زَوْجُها مَوْلىً لبني الحارث بن الخَزْرَج؛ فقيل لها مَوْلاةُ الأنصار لذلك. وفي مَعْبَد يقولُ الشّاعر: [الطويل]

أَجَادَ طُوَيْسٌ والسُّرَيْجِيُّ بَعْدَهُ وما قَصَبَاتُ السَّبْقِ إلا لِمَعْبَدِ[4]

قال إسحاق: قال ابن الكَلْبيّ عن أبيه: كان ابْنُ أبي عَتِيقٍ خَرج إلى مَكَّةَ فجاء معه ابْنُ سُرَيْج إلى المدينةِ فأَسْمَعُوه غناءَ مَعْبَد وهو غلام، وذلك في أيام مُسْلِم بن عُقْبَةَ المُرِّيّ وقالوا: ما تقولُ فيه؟ فقال: إن عاشَ كان مُغَنِّيَ بلاده. ولِمَعْبَدٍ صَنعةٌ لم يَسْبِقْهُ إليها مَنْ تَقَدَّمَ، ولا زادَ عليه فيها مَنْ تأَخَّرَ، وكانت صناعَتُهُ التِّجارةَ في

(١) الشعر للحارث بن خالد المخزومي.
(٢) القُمُدّ: القويّ الشّديد. والسُّودان: جمع الأسود: من الناس: أكثرهم سيادةً.
(٣) أحفظتموه: أغضبتموه.
(٤) يُقال للسابق: أحرزَ قَصَبَ السَّبْقِ: أصله أنهم كانوا ينصبون في حلبة السِّباق قصبةً فمن سبق اقتلعها وأخذها ليُعْلَم أنه السّابق.

أكثر أيامِ رِقِّهِ، وربَّما رَعَى الغنمَ لِمَواليه، وهو مع ذلك يَخْتَلِفُ إلى نَشِيطِ الفارسيّ وسائِبِ خَاثِرٍ مَوْلَى عبدِ الله بن جعفر، حتى اشتَهَر بِالحِذْقِ وحُسْنِ الغناءِ وطِيبِ الصَّوْتِ وصَنَعَ الألحانَ فأجادَ واعْتُرِفَ له بالتقدُّم على أهل عَصْرِهِ.

أخبرني الحسينُ بن يحيى قال: قال حمَّاد قرأتُ على أبي: قال الجُمَحِيّ: بَلغني أنَّ مَعْبَداً قال: واللَّهِ لقد صَنَعْتُ ألحاناً لا يَقْدِرُ شَبْعَانُ ممتلئٌ ولا سَقَّاءٌ يحملُ قِرْبةً على التَّرَنُّم بها، ولقد صنعتُ ألحاناً لا يقدِر المُتَّكِئُ أن يترنَّم بها حتى يَقْعُدَ مُسْتوفِزاً[١]، ولاَ القاعدُ حتى يقومَ.

قال إسحاقُ: وبَلَغَنِي أنَّ مَعْبداً أتى ٱبنَ سُرَيْج وٱبنُ سريج لا يعرفه، فسمع منه ما شاء، ثم عَرض نفسَه عليه وغنَّاه وقال له: كيف كنتَ تسمعُ جُعِلْتُ فِدَاءَكَ؟ فقال له: لو شِئْتَ كنتَ قد كُفِيتَ بنفسِكَ الطَّلَبَ من غَيْرك. قال: وسَمِعتُ مَنْ لا أُحْصِي من أهل العلم بالغِنَاء يقولون: لم يكن فِيمَنْ غَنَّى أحدٌ أعلمُ بالغناءِ من مَعْبَد. قال: وحدّثني أَيُّوبُ بن عَبَايَة قال: دخلتُ على الحَسَن بن مُسْلم أبي العَراقيب وعنده جاريتُه عاتِكَةُ، فتحدّثَ فذكرَ مَعْبَداً فقال: أَدْرَكْتُه يَلْبَسُ ثَوْبَيْنِ مُمَشَّقين[٢]، وكان إذا غَنَّى عَلاَ مَنْخَرَاهُ. فقالت عاتكةُ: يا سَيِّدي أَوَ أَدْرَكْتَ مَعْبَداً؟ قال: إي واللَّهِ وَأَقْدَمَ مِنْ مَعْبَدٍ، فقالت: ٱسْتَحْيَيْتُ لكَ من هذا الكِبَرِ.

أخبرني الحسين بن يحيى قالَ: نَسَخْتُ من كتاب حَمَّاد: قرأتُ على أبي أخبرني محمدُ بن سَلاَّم قالَ: حدّثني جَرِير قال: قال مَعْبَد: قَدِمْتُ مكّةَ فقيل لي: إنّ ٱبنَ صفْوَان قد سَبَّقَ[٣] بين المُغَنِّين جائزةً فأتيتُ بابَه فطلبتُ الدّخولَ، فقال لي آذِنُهُ: قد تَقَدَّمَ إِلَيَّ أَلاَّ آذَنَ لأحدٍ عليه ولا أُوذِنَهُ[٤] به. قال: فقلت: دَعْنِي أدنُو من الباب فَأُغَنِّي صوتاً. قال: أمّا هذا فنَعَمْ. فدنوتُ من الباب، فَغَنّيتُ صوتاً فقالوا: مَعْبَد! وفتحوا لي، فأخذتُ الجائزة يومئذٍ.

أخبرني الحسين قال: نَسَخْتُ من كتابِ حَمَّاد قال أبي: وذكر عَوْرَكٌ ـ وهو الحَسَنُ بن عُتْبَة اللَّهَبِيّ ـ أنَّ الوليدَ بن يزيدَ كان يقول: ما أَقْدِرُ على الحَجّ. فقيلَ

---

(١) استوفز: جلس على هيئةٍ كأنّه يريد القيام، وفي قعدته: انتصب فيها غير مطمئنٍ.

(٢) الثّوب المُمَشَّق: المصبوغ بالمِشق وهو صباغ أحمر.

(٣) سَبَّقَ: أَخَذَ السَّبَق أو أعطاه، وهو من الأضداد.

(٤) لا أؤذنه به: لا أُعلِمُه به.

له: وكيف ذاك؟ قال: يستقبِلُني أهلُ المدينة بِصوتَيْ مَعْبَد:

القصرُ فالنَّخلُ فالجَمَّاءُ بينهما

و «قُتَيْلة» يغني لحنَه: [الخفيف]

يَوْمَ تُبْدِي لنا قُتَيْلَةُ عن جِيـ ـدٍ تَلِيعٍ تَزِينُهُ الأطْواقُ[1]

[كيف يصنع معبد اللَّحن والغناء]

قال إسحاق: قِيلَ لِمَعْبَد: كيف تصنعُ إذا أردتَ أنْ تَصُوغَ الغناءَ؟ قال: أَرْتَحِلُ قَعُودي[2] وأُوقِعُ بالقَضِيب على رَحْلي[3] وأتَرَنَّمُ عليه بِالشِّعرِ حتى يَسْتوي لي الصَّوتُ. فقيل له: ما أَبْيَنَ ذلك في غنائك!

قال إسحاق: وقال مُصْعَبٌ الزُّبَيْرِيّ: قال يحيى بن عَبَّاد بن حَمْزة بن عبد الله ابن الزُّبَيْر: حدّثني أبي قال: قال مَعْبَد: كنتُ غلاماً مَمْلوكاً لآلِ قَطَن مَوْلى بني مَخْزُوم، وكنت أَتَلَقَّى الغَنَمَ بِظَهْرِ الحَرَّةِ، وكانوا تِجَاراً[4] أُعَالِجُ لهم التّجارةَ في ذلك، فآتي صخرةً بالحَرَّةِ مُلْقَاةً باللَّيل فأستندُ إليها، فأسمعُ وأنا نائمٌ صوتاً يَجْري في مَسَامِعي، فأقومُ من النَّومِ فأَحْكِيهِ[5]؛ فهذا كان مبدأ غنائي.

أخبرني الحسين بن يحيى قال: نَسَخْتُ من كتابِ حَمَّاد: قال أبي: قال محمد بن سَعيد الدَّوْسِيّ عن أبيه ومحمدُ بنُ يزيدَ عن سَعيد الدَّوسيّ عن الرَّبيع بن أبي الهَيْثَم قال: كنّا جُلوساً مع عبدِ اللَّهِ بن جَعْفر بن أبي طالب، فقال إنسانٌ لمالك[6]: أَنْشُدُكَ اللَّهَ، أنتَ أَحْسَنُ غِناءً أم مَعْبَدٌ؟ فقال مالكٌ: واللَّهِ ما بَلَغْتُ شِرَاكَهُ قطُّ، والله لو لم يُغَنِّ مَعْبَدٌ إلا قولَه: [الطويل]

لَعَمْرُ أَبِيها لا تَقُولُ حَلِيلَتي ألاَ فَرَّ عَنِّي مالكُ بن أبي كَعْبِ

---

(١) تليع: طويل. والبيت للأعشى (تاج العروس مادة تلع).

(٢) ارتحل البعير: جعل عليه الرَّحْلَ وركبه. والقَعُود: البَكْر إلى أن يصير في السادسة.

(٣) الرَّحْل: ما يُوضَعُ على ظهر البعير للركوب.

(٤) تِجَار وتَجْر وتُجَّار: جمع تاجر.

(٥) أحكيه: آتي بمثله.

(٦) مالك بن جابر بن ثعلبة الطّائي: أحد المغنّين المقدّمين في العصر الأموي وبداية العصر العباسي، أخذ صناعة الغناء على معبد (ت ١٤٠ هـ/ ٧٥٧ م) ترجمته في الأعلام ٥: ٢٥٨.

وهُمْ يَضْرِبُونَ الكَبْشَ تَبْرُقُ بَيْضُهُ تَرَى حَوْلَهُ الأبطالَ في حَلَقٍ شُهْبِ[(١)]

لكان حَسْبَهُ! قال: وكان مالكٌ إذا غَنَّى غِنَاء مَعْبَدٍ يُخَفِّفُ منه، ثم يقول: أطال الشِّعْرَ مَعْبَدٌ ومَطَّطَهُ، وحَذَفْتُه أنا. وتمام هذا الصَّوت:

صوت من غير المائة المختارة [الطويل]

لَعَمْرُ أَبِيها لا تقولُ حَلِيلَتي ألاَ فَرَّ عَنِّي مالكُ بن أبي كعبِ
وهُمْ يَضْرِبونَ الكَبْشَ تَبْرُقُ بَيْضُهُ تَرَى حوْلَهُ الأبطالَ في حَلَقٍ شُهْبِ
إذا أَنْفَدُوا الزِّقَّ الرَّوِيَّ وصُرِّعُوا نَشَاوَى فلم أَقْطَعْ بقولي لهم حَسْبِي[(٢)]
بَعَثْتُ إلى حَانُوتها فَسَبَأْتُها بِغيرِ مِكَاسٍ في السُّوَامِ ولا غَضبِ[(٣)]

عَرُوضُه من الطّويل. والشِّعر لمالك بن أبي كَعْب بن القَيْن الخَزْرَجِيّ أحدِ بَنِي سَلمة. هكذا ذكرَ إسحاقُ، وغيرُه يذكر أنه من مُرَادٍ. ولهذا الشعر خبرٌ طويل يُذكر بعد هذا. والغناء في البيتين الأوّلين لمَعْبد ثقيلٌ أوّلُ بالوُسْطى، ومِنَ النَّاس مَنْ ينسبُه إلى ابن سُرَيْج. ولمالكٍ في الثّالث والرّابع من الأبيات لَحْنٌ من الثَّقِيلِ الأوّل بالسَّبابةِ في مَجْرى البِنْصر عن إسحاق، ومن النَّاس من ينسب هذا اللَّحْن إلى مَعْبد ويقول: إنَّ مالكاً أخذَ لَحْنَهُ منه فَحَذَفَ بعض نَغَمِه وانْتَحَلَهُ، وإنّ اللّحنَ لِمَعْبَد في الأبيات الأربعة. وقد ذُكِر أنّ هذا الشِّعر لِرَجُلٍ من مُرَادٍ، ورُوِي له فيه حديثٌ طويل. وقد أُخْرِجَ خَبَرُهُ في ذلك وخَبَرُ مالكِ بن أبي كَعْبِ الخَزْرَجِيّ أبي كَعْبِ بنِ مالك صاحب رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم في موضع آخَرَ أُفْرِد له؛ إذ كانت له أخبارٌ كثيرة، ولأجله لا تَصْلُحُ أن تُذْكر هاهنا.

رجع الخبر إلى مَعْبَد - أخبرني إسماعيلُ بنُ يُونس قال: حدَّثنا عُمَرُ بن شَبَّةَ قال: حدّثنا أبو غَسَّان عن يُونُسَ الكاتِب قال: أقبلتُ من عند مَعْبَد، فَلَقِيَنِي ابنُ

(١) الكبش: سيد القوم وقائدهم. والبَيْض: جمع البيضة: الخوذة توضع على الرأس وقت الحرب والحَلَق: جمع الحَلَقَة: كلّ شيء استدار كحلقة، والشُّهب: جمع الشهباء: وكتيبة شهباء: كثيرة السّلاح.

(٢) أنفدوا: أفرغوا. والزّقّ: وعاء من جلد يستخدم للشراب وغيره. والرَّوِيّ: الشُّرب التام.

(٣) سبأ الخمر: اشتراها. والمكاس: محاولة إنقاص ثمن البضاعة بالمحاجّة والمساومة. والسُّوام: تقدير ثمن السّلعة من البائع أو الشاري.

مُحْرِزِ بِبُطْحَانَ[1]، فقال: من أين أقبلتَ؟ قلتُ: من عند أبي عَبَّاد. فقال: ما أخذتَ عنه؟ قلتُ: غَنَّى صوتاً فأخذْتُهُ. قال: وما هو؟ قلت: [الكامل]

مَــاذا تَــأَمَّــلَ وَاقِــفٌ جَــمَــلاً ... فِــي رَبْــعِ دَارٍ عَــابَــهُ قِــدَمُــهْ

ـ الشِّعر لخالد بن المهاجرِ بن خالد بن الوَليد ـ فقال لي: ٱدْخُلْ معي دارَ ٱبنِ هَرْمَةَ وألْقِهِ عَلَيَّ، فدخلتُ معه، فما زِلْتُ أُرَدِّدُهُ عليه حتى غَنَّاه، ثمَّ قال: ارجعْ معي إلى أبي عَبَّاد، فَرَجَعْنا فَسَمِعَهُ منه، ثم لم نَفْتَرِقْ حتى صَنَعَ فيه ٱبنُ مُحْرِزٍ لحناً آخر.

نسبة هذا الصّوت

صوت

[الكامل]

مَــاذا تَــأَمَّــلَ وَاقِــفٌ جَــمَــلاً ... فِــي رَبْــعِ دَارٍ عَــابَــهُ قِــدَمُــهْ
أَقْــوَى وأَقْــفَــرَ غَــيْــرَ مُــنْــتَــصِــبٍ ... لَــبِــدِ الــرَّمَــادَةِ نَــاصِــعٍ حُــمَــمُــهْ[2]

غَنَّاه مَعْبَدٌ، ولَحْنُه ثقيل أوّلُ بالسَّبَّابة في مَجْرى الوُسْطى. وفيه خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوُسْطى يُنْسَبُ إلى الغَرِيض وإلى ٱبن مُحْرِز. وذكر عمرو بنُ بانَة أنّ الثّقيل الأوّل لِلغريض. وذكرَ حَبَشٌ أن فيه لمالكٍ ثانيَ ثقيلٍ بالوُسْطى. وفيه رَملٌ بالوُسْطى يُنْسَبُ إلى سَائِبِ خاثرٍ، وذكرَ حَبَشٌ أنَّهُ لإسحاق.

[ارتداد ابن سريج والغريض عن المدينة عند سماعهما صوت معبد]

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حَمَّاد: قال أبي: قال ٱبن الكَلْبيّ: قَدِمَ ٱبنُ سُرَيج والغَرِيضُ المدينةَ يتعرَّضانِ لمعروفِ أَهْلِها، ويَزُورانِ مَنْ بها من صَديقِهِمَا[3] من قريشٍ وغيرهم. فلما شَارفَاهَا تَقَدَّما ثَقَلهما[4] لِيَرْتَادا منزلاً، حتى إذا كانا بالمَغْسِلة ـ وهي جَبَّانةٌ على طَرَفِ المدينة يُغْسَلُ فيها الثِّيابُ ـ إذا هما

(١) بُطْحَان: أحد الأودية الثلاثة في المدينة وهي: العقيق وبطحان وقناة. (معجم البلدان ١: ٤٤٦).
(٢) أقوى الرّبع: خلا من سكّانه. وأقفر المكان: خلا من الناس وصار قَفْراً. واللبد: الشّيء المتلبّد فوق بعضه. والحمم: جمع الحُمَمَة: الرماد والفحم وكلّ ما احترق من النار.
(٣) الصّديق: يُستعمل للواحد والجمع والمؤنّث.
(٤) الثَّقَل: المتاع.

بغلام مُلْتَحِفٍ بإزارٍ وطَرَفُه على رأسه، بيده حِبَالَةٌ[1] يَتصيَّد بها الطَّيْرَ وهو يَتَغَنّى ويقولُ:

[البسيط]

القَصْرُ فالنَّخْلُ فالجَمَّاءُ بينهما أَشْهَى إلى النَّفْسِ من أبوابِ جَيْرونِ

وإذا الغلام مَعْبَد. قال: فَلَما سَمِعَ ٱبنُ سُرَيج والغَرِيضُ مَعْبَداً، مالا إليه وٱستعاداه الصَّوتَ فأعَادَه، فَسَمِعا شيئاً لم يَسْمَعا بمثله قَطُّ. فأقبلَ أحدُهما على صاحبه فقال: هل سَمِعْتَ كاليوم قَطُّ؟ قال: لا واللَّه، فما رَأْيُكَ؟ قال ٱبنُ سُرَيج: هذا غِنَاءُ غلام يَصِيدُ الطَّيْرَ، فكيف بِمَنْ في الجَوْبةِ! ـ يعني المدينة ـ قال: أمّا أنا فَثَكِلَتْهُ[2] والدَتُهُ إنْ لم أَرْجِعْ. قال: فَكَرَّا رَاجِعَيْنِ.

قال: وقال مَعْبَد: قَدِمْتُ مَكَّةَ، فذهَب بي بعضُ القُرَشِيِّينَ إلى الغَرِيضِ، فدخلنا عليه وهو مُتَصَبِّحٌ[3]، فانتبهَ من صُبْحَتِهِ وقَعَدَ، فَسَلَّمَ عليه القُرَشِيُّ، وسأله فقال له: هذا مَعْبَدٌ قد أَتَيْتُكَ به، وأنا أُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ منه. قال: هاتِ، فغنَّيتُه أصواتاً. فقال بِمِدْرىً[4] معَه في رأسه، ثم قالَ: إنَّكَ يا مَعْبَدُ لَمَلِيحُ الغناءِ. قال: فأحْفَظَنِي ذلك، فَجَثَوْتُ على رُكْبَتَيَّ، ثم غَنَّيْتُه من صَنْعَتِي عشرين صوتاً لم يُسْمَعْ بمثلِها قَطُّ، وهو مُطْرِقٌ وَاجِمٌ قد تَغَيَّر لونُه حَسَداً وخَجَلاً.

[حُكْمُ مَعْبَد على صوت لحكم الوادي]

قال إسحاق: وأُخبِرتُ عن حَكَم الوَادِيّ قال: كنتُ أنا وجماعةٌ من المُغَنِّينَ نَخْتلِفُ إلى مَعْبَدٍ نأخذُ عنه ونتعلَّمُ منهُ، فَغَنَّانا يوماً صوتاً من صنعته وأُعْجِبَ به، وهو:

القَصْرُ فالنَّخْلُ فالجَمَّاءُ بينهما

فَاسْتَحْسَنَّاهُ وعَجِبْنَا منه. وكنتُ في ذلك اليوم أَوَّلَ مَنْ أَخَذَهُ عنه وٱسْتَحْسَنَهُ منِّي فأَعْجَبَتْنِي نفسي. فلمّا ٱنصرفتُ من عندِ مَعْبَدٍ عَمِلتُ فيه لحناً آخر وبَكَّرْتُ على

(١) الحِبالة: المصيدة.
(٢) الثُّكل: فَقْد الولد أو الحبيب.
(٣) التَّصبُّح: النَّوم بالغداة.
(٤) المِدْرى: أداة على شكل سنّ المشط يُسَرّح بها الشعر. وقال بمدرى في: أي حَكَّ رأسه بها.

مَعْبَدٍ مع أصحابي وأنا مُعْجَبٌ بِلَحْني. فلما تَغَنَّينا أصواتاً قلتُ له: إنّي قد عَمِلْتُ بعدَكَ في الشِّعْرِ الَّذي غَنَّيْتَنَاه لَحناً، وٱندفعتُ فَغَنَّيْتُهُ صوتي؛ فَوَجَمَ مَعْبَدٌ ساعةً يَتَعَجَّبُ مِنِّي ثمّ قالَ: قد كُنْت أمْسِ أرْجَى مِنِّي لكَ اليومَ، وأنتَ اليومَ عندي أبْعَدُ من الفَلاَحِ. قال حَكَمٌ: فَأُنْسِيتُ ـ يعلم الله ـ صوتي ذلك منذ تلكَ السَّاعةِ فما ذَكَرْتُهُ إلى وقتي هذا.

قال إسحاق: وقال مَعْبَدُ: بَعَثَ إليّ بعضُ أُمراءِ الحجازِ ـ وقد كان جُمِعَ له الحَرَمانِ[1] ـ أنِ ٱشْخَصْ إلى مَكَّةَ، فَشَخَصْتُ. قال: فتقدّمتُ غُلاَمِيَ في بعض تلك الأيام وٱشْتَدَّ عَلَيَّ الحَرُّ والعطشُ، فانتهيتُ إلى خِبَاءٍ فيه أَسْوَدُ وإذا حِبَابُ[2] ماءٍ قد بُرِّدَتْ، فَمِلْتُ إليه فقلت: يا هذا، ٱسْقِني من هذا الماء. فقال: لا. فقلتُ: فَأْذَنْ لي في الكِنِّ[3] ساعةً. قال: لا. فَأَنَخْتُ ناقتي ولَجَأْتُ إلى ظِلِّها فاستترتُ به، وقلت: لو أحدثت لهذا الأميرِ شيئاً من الغناءِ أَقْدَمُ به عليه، ولَعَلِّي إن حَرَّكْتُ لساني أنْ يَبُلَّ حَلْقِي رِيقي فَيُخَفِّفَ عَنِّي بعضَ ما أجِدُهُ من العطش! فَتَرَنَّمْتُ بصوتي:

القصرُ فالنَّخلُ فَالجَمَّاء بينهما

فلما سَمِعَنِي الأسودُ، ما شَعرْتُ به إلاّ وقد ٱحْتَمَلنِي حتى أدْخَلَني خِبَاءَه، ثم قال: أيْ، بأبي أنت وأمي! هل لك في سَوِيق السُّلْتِ[4] بهذا الماء البارد؟ فقلت: قد مَنَعْتَنِي أقلَّ من ذلك، وشَرْبةُ ماءٍ تُجْزِئُني. قال: فَسَقَانِي حتى رَوِيتُ، وجاء الغلامُ فأقمتُ عنده إلى وقتِ الرَّوَاحِ[5]. فلمّا أردتُ الرِّحْلَةَ قال: أيْ، بأبي أنت وأُمّي! الحَرُّ شديدٌ ولا آمَنُ عليك مثل الّذي أصابك، فَأْذَنْ لي في أنْ أحمِلَ معك قِرْبةً من ماءٍ على عُنُقي وأسْعَى بها معَك، فكلّما عَطِشْتَ سَقيتُكَ صَحْناً[6] وغَنَّيْتَنِي صوتاً! قال: قلتُ: ذاك لك. فوالله ما فَارَقَنِي يَسْقِينِي وأُغَنِّيهِ حتى بلغتُ المنزلَ.

---

(١) الحرمان: مكة والمدينة.
(٢) الحِبَاب: جمع الحُبّ: وعاء الماء كالجَرَّة.
(٣) الكِنّ: ما يُسْتَتَر به من الحَرّ أو البرد.
(٤) السّويق: ما يُتَّخَذ من الحنطة والشّعير. والسُّلْت: شعير لا قِشْرَ له أجرد كأنه الحنطة يتبرّدون بسويقه في الصّيف.
(٥) الرَّواح: العَشِيّ.
(٦) الصّحن: القدح.

[لقاءٌ بالصُّدفة بين معبد وابن سريج وتعارفٌ بالغناء]

نسختُ من كتاب جَعْفَرِ بنِ قُدَامَةَ بِخَطِّهِ: حدّثني حَمّادُ بن إسحاق عن أبيه عن الزُّبير عن جَرير قال: كان مَعْبَدٌ خارجاً إلى مكّةَ في بعض أسْفَارِه، فَسَمِعَ في طريقه غناءً في بَطْنِ مَرٍّ[1] فقَصَدَ الموضعَ، فإذا رجلٌ جالسٌ على حَرْفِ بِرْكَةٍ فارِقٌ شعرَهُ، حسَنُ الوجهِ، عليه دُرَّاعَةٌ[2] قد صَبَغها بزَعْفَرانٍ، وإذا هو يتغنَّى: [الخفيف]

صوت

حَنَّ قَلبِي من بَعْدِ ما قد أنَابَا ... ودَعَا الهَمَّ شَجْوُه فَأجَابا

ذاكَ مِنْ مَنْزِلٍ لِسَلْمَى خَلاءٍ ... لابِسٍ من خَلائِهِ جِلبابا

عُجْتُ فيه وقُلْتُ لِلرَّكْبِ عُوجُوا ... طَمَعاً أن يَرُدَّ رَبْعٌ جَوَابا[3]

فاستَثَارَ المَنْسِيَّ من لَوْعَةِ الحـ ... ـبِّ وأبْدَى الهمومَ والأوْصَابَا[4]

فَقَرَع مَعْبدٌ بِعَصَاه وغَنَّى: [الكامل]

مَنَعَ الحَياةَ مِنَ الرِّجَالِ ونَفْعَها ... حَدَقٌ تُقَلِّبُها النِّسَاءُ مِرَاضُ[5]

وكأنَّ أفْئِدَةَ الرِّجَالِ إذا رَأوْا ... حَدَقَ النِّساءِ لِنَبْلِها أغْراضُ[6]

فقال له ابنُ سُرَيج: بِاللهِ أنتَ مَعْبَدٌ؟ قال: نعم، وباللهِ أنت ابنُ سُرَيْجٍ؟ قال: نعم، وواللهِ لو عَرَفْتُكَ ما غَنَّيْتُ بين يَدَيْكَ.

نسبة هذين الصّوتين وأخبارهما

صوت

[الخفيف]

حَنَّ قلبي مِنْ بَعْدِ ما قد أنابا ... ودَعَا الهَمَّ شَجْوُهُ فأجابا

---

(١) بطن مَرّ: من نواحي مكة يجتمع عنده وادي النخلتين فيصيران وادياً واحداً. (معجم البلدان ٥: ١٠٤).

(٢) الدُّرَّاعة: جُبّة مشقوقة المقدَّم.

(٣) عُجتُ بالمكان: أقمتُ به.

(٤) الأوصاب: جمع الوَصب: ضعف الجسم من مرض أو تعب أو هَمّ.

(٥) العين المريضة: التي فيها فتور.

(٦) النَّبل: السَّهم.

فـاسـتـثـارَ الـمَـنْـسِـيَّ مـن لَـوْعَـةِ الـحُـ ـبِّ وأبْـدَى الـهُـمُـومَ والأَوْصَـابـا
ذاكَ مـن مَـنْـزِلٍ لِـسَـلْـمـى خَـلاَءٍ مُـكْـتَـسٍ مِـنْ عَـفَـائِـهِ جِـلْـبَـابـا
عُـجْـتُ فـيـه وقـلـتُ لِـلـرَّكْـبِ عُـوجُـوا طَـمَـعـاً أَنْ يَـرُدَّ رَبْـعٌ جـوابـا
ثـانـيـاً مـن زِمَـامِ وَجْـنَـاءَ عَـنْـسٍ قَـانِـيـاً لـونُـهـا يُـخَـال خِـضَـابـا[1]
جَـدُّهـا الـفَـالِـجُ الأَشَـمُّ مِـنَ الـبُـخْـ ـت وخَـالاتُـهـا انْـتُـخِـبْـنَ عِـرَابـا[2]

الشّعر لعمرَ بن أبي رَبِيعةَ، والغناءُ لابن سُرَيج، وله فيه لَحْنان: رَمَلٌ بِالسَّبَّابَةِ في مَجْرى البِنْصر عن إسحاق، وخَفِيفُ ثَقيل أوّل بالبِنْصر عن عمرو.

صوت

[الكامل]

مَـنَـعَ الـحـيـاةَ مِـنَ الـرِّجَـالِ ونَـفْـعَـهـا حَـدَقٌ تُـقَـلِّـبُـهـا الـنِّـسَـاءُ مِـرَاضُ
وكـأنَّ أَفْـئِـدَةَ الـرِّجـالِ إذا رَأَوْا حَـدَقَ الـنِّـسـاءِ لِـنَـبـلِـهـا أَغْـرَاضُ

الشّعر للفرزدق، والغناء لمعبدٍ ثَقيلٌ أوّلُ عن الهِشَاميّ.

[رحلة معبد إلى الأهواز وقصّته مع الجواري في السفينة]

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزْهر قال: حدّثنا حَمَّاد بن إسحاقَ عن أبيه عن سِيَاطٍ قال: حدّثني يونُس الكاتب قال: كان مَعْبَدٌ قد عَلَّمَ جاريةً من جَوَاري الحِجَازِ الغِنَاءَ ـ تُدْعَى ظَبْيَة ـ وعُنِيَ بتَخْرِيجِها، فاشتراها رجلٌ من أهل العراق فأخرجها إلى البصرة وباعها هناك، فاشتراها رجلٌ من أهل الأهواز، فأُعْجِبَ بها وذهبتْ به كلَّ مَذْهَبٍ وغَلَبَتْ عليه، ثم ماتت بعد أن أقامت عنده بُرْهةً[3] من الزَّمانِ وأخذ جَوَارِيه أكثرَ غنائِها عنها؛ فكان لِمَحَبَّته إيّاها وأَسَفِه عليها لا يزالُ يَسْأَلُ عن أخبار مَعْبَدٍ وأين مُسْتَقَرُّهُ، ويُظْهِرُ التَّعَصُّبَ له والميلَ إليه والتّقديمَ لِغنائِه على سائر أغاني أهل عصرِه إلى أن عُرِف ذلك منه. وبلغَ مَعْبَداً خَبَرُهُ، فخرجَ من مكّةَ حتى أتى البصرةَ، فلمّا وردَها صَادَفَ الرَّجل قد خرجَ عنها في ذلك اليوم إلى الأهوازِ

(١) الوجناء: النّاقة الشديدة، والعَنْس: الناقة الصلبة القوية. والقاني: الشديد الحُمْرَة.
(٢) الفالج: الجمل الضخم ذو السّنامَيْن أي الحَدْبَتَيْن. والبُخت: الإبل الخراسانية تُنْتَج بين عربية وفالج. وعِرَاب: جمع عربي وهو جمع خاص بالخيل والإبل ولا يُقال للناس.
(٣) البُرْهة: المدّة من الزمان.

فاكْتَرَى(١) سفينةً. وجاء مَعْبَدٌ يلتمِسُ سفينةً ينحدِر فيها إلى الأهوازِ، فلم يَجِدْ غيرَ سفينةِ الرَّجُلِ، وليس يعرفُ أحدٌ منهما صاحبَه، فأمَرَ الرَّجُلُ المَلاَّحَ أنْ يُجلِسَهُ معه في مُؤخَّرِ السَّفينةِ ففعلَ وانحدَرُوا. فلما صاروا في فَم نهر الأُبُلَّةِ(٢) تَغَدَّوْا وشَرِبُوا، وأمَر جَوَارِيَهُ فَغَنَّيْنَ ومَعْبَدٌ ساكتٌ وهو في ثياب السَّفَرِ، وعليه فَرْوٌ وخُفَّانِ غَلِيظانِ وزِيٌّ جافٍ من زِيِّ أهل الحِجَازِ، إلى أنْ غَنَّتْ إحدى الجَوَارِي:

صوت [البسيط]

بَانَتْ سُعَادُ وأَمْسَى حَبْلُها آنْصَرَما ... وآحْتَلَّتِ الغَوْرَ فَالأَجْزَاعَ مِنْ إِضَمَا(٣)
إِحْدَى بَلِيٍّ وما هامَ الفُؤَادُ بها ... إلاَّ السَّفَاهَ وإلاَّ ذِكْرَةً حُلُمَا(٤)

- قال حَمَّاد: والشّعر لِلنَّابغة الذُّبياني، والغناء لِمَعْبَد، خفيفُ ثقيل أوّل بالبِنْصر، وفيه لغيره ألحانٌ قديمة ومُحْدَثة - فلم تُجِدْ أداءَه، فصاحَ بها معبَدٌ: يا جارية، إنّ غناءَكِ هذا ليس بمستقيم. قال: فقال له مولاها وقد غَضِبَ: وأنتَ ما يُدْرِيكَ الغناءَ ما هو؟ ألاَ تُمْسِكُ(٥) وتَلْزَمُ شأنَكَ! فأَمْسَكَ، ثم غَنَّتْ أصواتاً من غناءِ غيرِهِ وهو ساكتٌ لا يتكلّم، حتى غَنَّتْ:

صوت [المديد]

يا ابْنَةَ الأَزْدِيِّ قَلْبِي كَئِيبُ ... مُسْتَهامٌ عِنْدَها ما يُنِيبُ
ولقد لامُوا فقُلْتُ دعُوني ... إنَّ مَنْ تَنْهَوْنَ عنه حَبِيبُ
إنَّما أَبْلَى عِظَامِي وجِسْمِي ... حُبُّها والحُبُّ شَيْءٌ عَجِيبُ
أيُّها العَائِبُ عِنْدِي هَوَاهَا ... أنتَ تَفْدِي مَنْ أَرَاكَ تَعِيبُ

- والشّعر لعبد الرّحمن بن أبي بكر، والغِناء لمَعْبد ثقيلٌ أوّلُ بالسَّبَّابة في

(١) اكترى: استأجر.
(٢) الأُبُلَّة والأَبَلَّة: بلدة على شاطىء دجلة البصرة في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة. (معجم البلدان ١: ٢١٤).
(٣) الحبل: الوصال. والغَوْر: المطمئنّ من الأرض. والأجزاع: جمع الجِزع: منعطف الوادي ووسطه. وإِضَم: وادٍ بجبال تِهامة(معجم البلدان ١: ٢١٤).
(٤) بَلِيّ: قبيلة من اليمن من قضاعة. والذّكرة: نقيض النسيان.
(٥) يمسك عن الكلام: يسكت.

مَجْرَى البِنْصر ـ قال: فَأَخَلَّتْ ببعضه. فقال لها مَعْبَدٌ: يا جارية، لقد أَخْلَلْتِ بهذا الصّوت إخلالاً شديداً. فَغَضِبَ الرَّجُلُ وقال له: وَيْلَكَ! ما أنتَ والغناءُ! أَلاَ تَكُفُّ عن هذا الفُضُولِ! فأمسكَ. وغَنّى الجَوَارِي مَلِيّاً، ثم غَنَّتْ إحداهنّ:

صوت

[الطويل]

خَلِيلَيَّ عُوجَا فأَبْكِيَا ساعةً معي ... على الرَّبْعِ نَقْضي حاجةً ونُوَدِّعِ
ولا تُعْجِلاَني أنْ أُلِمَّ بِدِمْنَةٍ ... لِعَزَّةَ لاحَتْ لي بِبَيْدَاءَ بَلْقَعِ[1]
وقُولاَ لِقَلْبٍ قد سَلا: راجِعِ الهَوَى ... ولِلعَيْنِ: أَذْرِي مِنْ دموعِكِ أو دَعِي
فلا عَيْشَ إلاّ مِثْلُ عَيْشٍ مَضَى لنا ... مَصِيفاً أَقَمْنَا فيه مِنْ بَعْدِ مَرْبَعِ

ـ الشّعر لِكُثَيِّر، والغناء لِمَعْبَد خفيفُ ثقيلٍ بالسَّبَّابة في مجرى الوسطى، وفيه رَمَلٌ للغَرِيض ـ. قال: فلم تَصْنَعْ فيه شيئاً. فقالَ لها مَعْبَدٌ: يا هذه، أما تَقْوَيْنَ على أداءِ صوت واحد؟ فَغَضِبَ الرَّجُلُ وقال له: ما أراكَ تَدَعُ هذا الفضولَ بوجهٍ ولا حِيلةٍ! وأُقْسِم باللَّهِ لَئِنْ عاودتَ لأُخرِجَنَّكَ من السَّفينةِ، فَأَمْسَكَ مَعْبَدٌ، حتى إذا سَكَتَتِ الجواري سَكْتَةً اندفعَ يُغَنِّي الصَّوتَ الأوّل حتى فَرَغَ منه، فصاحَ الجواري: أحسنتَ واللَّهِ يا رجل! فأعِدْهُ. فقال: لا واللَّهِ ولا كرامةَ. ثم اندفع يُغَنِّي الثَّانيَ، فَقُلْنَ لِسيدِهِنَّ: وَيْحَكَ! هذا واللَّهِ أحسنُ النَّاسِ غِناءً، فَسَلْه أن يُعِيدَهُ علينا ولو مَرَّةً واحدة لَعَلَّنا نأخذُه عنه، فإنّه إنْ فاتنا لم نَجِدْ مثلَه أبداً. فقال: قد سَمِعْتُنَّ سوءَ رَدِّهِ عليكنّ وأنا خائف مِثْلَه منه، وقد أَسْلَفْناه الإِساءةَ، فاصْبِرْنَ حتى نُدارِيَهُ، ثم غَنَّى الثّالثَ، فَزَلْزَلَ عليهم الأرضَ. فَوَثَبَ الرَّجُلُ فَخَرَجَ إليه وقَبَّلَ رأسَهُ وقال: يا سَيِّدي أخطأنا عليك ولم نَعرِفْ موضعَك، فقال له: فَهَبْكَ لم تعرِف موضعي، قد كان ينبغي لكَ أن تَتَثَبَّتَ ولا تُسْرِعَ إليَّ بسوءِ العِشْرَةِ وجَفَاءِ القولِ. فقالَ له: قد أخطأتُ وأنا أعتذرُ إليكَ مِمَّا جرى، وأسألُكَ أن تنزلَ إليّ وتختلطَ بي. فقال: أمَّا الآنَ فلا. فلم يَزَلْ يَرْفُقُ به حتى نزلَ إليه. فقال أيّها الرَّجلُ: مِمَّنْ أخذتَ هذا الغناءَ؟ قال: من بعضِ أهلِ الحجازِ، فَمِنْ أينَ أخذه جواريكَ؟ فقال: أخذتَهُ من جاريةٍ كانت لي ابتاعها رجلٌ من أهلِ البصرةِ من مكّة، وكانت قد أخذتْ عن أبي عَبَّاد مَعْبَدٍ وعُنِيَ بتخريجِها، فكانت تَحُلُّ مِنّي مَحَلَّ الرُّوحِ من الجسدِ، ثم استأثرَ اللَّهُ عَزّ

(١) أَلَمَّ بالمكان: مال إليه وزاره. والبَلْقع: الأرض الخالية التي لا شيء فيها.

وجلّ بها[١]، وبَقِيَ هؤلاء الجواري وهنّ مِنْ تعليمِها، فأنا إلى الآن أتعصَّبُ لِمَعْبَدٍ وأُفَضِّلُهُ على المُغَنِّين جميعاً وأُفَضِّلُ صنعتَه على كلِّ صنعةٍ. فقال له مَعْبَدٌ: أوَ إنك لأنتَ هو! أفتعرِفُني؟ قال: لا، قال: فَصَكَّ[٢] مَعْبَدٌ بيده صَلْعَتَهُ، ثمّ قال: فأنا واللَّهِ مَعْبَدٌ، وإليكَ قَدِمْتُ من الحجازِ، ووافيتُ البصرةَ ساعةَ نزلتَ السّفينةَ لأقصِدَكَ بالأهوازِ، وواللَّهِ لا قَصَّرْتُ في جواريك هؤلاء، ولأَجْعَلَنَّ لكَ في كلِّ واحدةٍ منهنّ خَلَفاً من الماضية. فَأَكَبَّ الرَّجلُ والجواري على يديه ورجليه يُقبِّلونها ويقولون: كتمتَّنا نفسَكَ طولَ هذا اليوم حتى جَفَوْنَاكَ في المخاطبةِ، وأَسَأْنا عِشْرَتَكَ، وأنتَ سَيِّدُنا وَمَنْ نَتَمنَّى على اللَّهِ أن نَلْقاه. ثم غَيَّرَ الرَّجلُ زِيَّهُ وحالَه وخَلَعَ عليه عِدَّةَ خِلَعٍ[٣]، وأعطاه في وقتِهِ ثلثمائة دينارٍ وطِيباً وهدايا بِمثلِها، وٱنحدَر معه إلى الأهوازِ، فأقامَ عِندَهُ حتى رَضِيَ حِذْقَ[٤] جواريه وما أَخَذْنَه عنه، ثم وَدَّعَهُ وٱنصرفَ إلى الحجاز.

[الوليد بن يزيد يطلب معبداً ليُغَنّي له]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفَّاف وعبد الباقي بن قَانِع قالا: حَدّثنا محمد بن زكَرِيّا الغَلابِيّ قال: حَدَّثني مهديُّ بن سَابِق قال حدّثني سليمان بن غَزْوَانَ مولى هِشَام قال حدّثني عمر القَارِي بن عَديّ قال: قال الوليدُ بنُ يزيدَ يوماً: لقد ٱشتقتُ إلى معْبَدٍ. فَوَجَّهَ البَريدَ إلى المدينة فأتَى بمعبد، وأمَر الوليدُ بِبِرْكةٍ قد هُيِّئَتْ له فَمُلِئَتْ بالخمرِ والماءِ، وأُتِيَ بمَعْبَد فأمرَ به فأُجْلِسَ والبركةُ بينهما، وبينهما سِتْرٌ قد أُرْخِيَ، فقال له غَنِّني يا مَعْبَد:

صوت

[البسيط]

لَهْفِي على فِتْيَةٍ ذَلَّ الزَّمانُ لهمْ ... فما أصابَهُمُ إلاّ بما شاؤوا
ما زالَ يَعْدُو عليهم رَيْبُ دَهْرِهِمُ ... حتى تَفَانَوْا ورَيْبُ الدَّهْرِ عَدَّاءُ
أَبْكَى فِرَاقُهُمُ عَيْنِي وأَرَّقَها ... إنَّ التَّفَرُّقَ لِلأَحْبابِ بَكَّاءُ

(١) استأثر الله بها: توفّاها.
(٢) صَكَّ صلعته بيده: ضربها بيده.
(٣) الخِلَع: جمع الخِلْعَة: الثوب الذي يُعْطَى منحةً.
(٤) الحِذْق: المهارة في صنعة أو غيرها.

ـ الغناء لِمَعْبَد خفيفُ ثقيلٍ، وفيه ليحيى المكيّ رَمَلٌ، ولسليمانَ هَزَجٌ، كلُّها رواية الهِشَامِيّ ـ قال: فَغَنَّاه إيّاه، فرفَعَ الوليدُ السِّتْرَ ونزعَ مُلاَءَةً مُطَيَّبَةً كانت عليه وقذَفَ نفسَه في تلك البِركةِ فنَهَلَ فيها نَهْلَةً، ثم أُتِيَ بأثوابٍ غيرِها وتَلَقَّوْهُ بِالمَجَامِرِ والطِّيبِ[١]، ثم قالَ: غَنِّني: [الكامل]

صوت

يـا رَبْـعُ مـا لَـكَ لا تُـجِـيـبُ مُـتَـيَّـمـا … قـد عـاجَ نَـحْـوَكَ زائـراً ومُـسَـلِّـمـا
جَـادَتْـكَ كُـلُّ سـحـابـةٍ هَـطَّـالَـةٍ … حَـتّـى تُـرَى عـن زَهْـرةٍ مُـتَـبَـسِّـمـا[٢]

ـ الغناء لِمَعْبَدٍ ثاني ثقيلٍ بالوُسْطى والخِنْصر عن ٱبن المكيّ، وفيه لعَلُّويةَ ثاني ثقيلٍ آخرَ بالبِنْصر في مَجْراها عنه ـ قال: فَغَنَّاهُ فدعا له بخمسةَ عشرَ ألفَ دينارٍ فَصَبَّها بين يديه، ثم قال: ٱنصرِفْ إلى أهلِكَ وٱكْتُمْ ما رأيتَ.

وأخبرني بهذا الخبر عَمِّي فجاء ببعض معانيه وزاد فيه ونَقصَ، قال: حَدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزَّيات قال: حدَّثني سليمان بن سَعْد الحَلَبيّ قال: سمِعتُ القاري بنَ عَدِيّ يقول: اشتاقَ الوليدُ بنُ يزيدَ إلى مَعْبَد فَوَجَّهَ إليه إلى المدينةِ فأُحْضِرَ. وبلَغ الوليدَ قدومُه فأمَر ببركةٍ بين يَدَيْ مجلسِه فَمُلِئَتْ ماءَ وردٍ قد خُلِطَ بمِسْكٍ وزَعْفران، ثم فُرِشَ للوليد في داخل البيت على حَافَةِ البِركةِ، وبُسِطَ لمعبد مُقَابِلَه على حافة البركة، ليس معهما ثالثٌ، وجِيءَ بمعبد فرأى سِتْراً مُرْخىً ومجلسَ رجلٍ واحد. فقال له الحُجَّابُ: يا مَعْبَد، سَلِّمْ على أمير المؤمنين وٱجْلِسْ في هذا الموضع؛ فسلَّمَ فردَّ عليه الوليدُ السَّلامَ من خَلْفِ السِّترِ، ثم قال له: حيَّاكَ الله يا معبدا! أتدري لِمَ وَجَّهْتُ إليكَ؟ قال: الله أعلم وأميرُ المؤمنين. قال: ذكرتُك فأحببتُ أن أسمعَ منك. قال معبد: أَأُغَنِّي ما حضر أم ما يقترحُه أمير المؤمنين؟ قال: بل غَنِّني: [البسيط]

مـا زالَ يَـغْـدُو عـلـيـهـم رَيْـبُ دَهْـرِهِـمُ … حـتـى تـفـانَـوْا ورَيْـبُ الـدَّهْـرِ عَـدَّاءُ

فَغَنَّاه، فما فرَغَ منه حتى رفَع الجواري السَّجْفَ[٣]، ثم خَرَجَ الوليدُ فألقى

---

(١) المجامر: جمع المِجْمَرة: ما يوضَع فيه الجمر مع البخور. والطِّيب: كلّ ذي رائحة عطرة ويُتَطيّب به.
(٢) الزُّهرة: الحسن والنضارة والبهجة.
(٣) السِّجف: السّتر.

نفسَه في البركةِ فغاص فيها ثم خرجَ منها، فاستقبله الجواري بثيابٍ غير الثّياب الأولى، ثم شَرِبَ وسَقَى مَعْبَداً، ثم قال له: غَنِّني يا معبد: [الكامل]

يا رَبْعُ ما لكَ لا تُجيبُ مُتَيَّما ... قد عاجَ نَحْوَكَ زائراً ومُسَلِّما
جَادَتْكَ كلُّ سحابةٍ هَطَّالةٍ ... حتى تُرَى عن زَهْرةٍ مُتَبَسِّما
لو كنتَ تَدْرِي مَنْ دعاكَ أَجَبْتَهُ ... وبكيتَ من حُرَقٍ عليه إذاً دَما

قال: فَغَنَّاهُ، وأقبلَ الجواري فَرَفَعْنَ السِّتْرَ، وخرجَ الوليدُ فألقى نفسَه في البركةِ فغاصَ فيها ثم خرجَ؛ فلبِسَ ثياباً غيرَ تلك، ثم شرِب وسقى معبداً، ثم قال له: غَنِّني فقالَ: بماذا يا أميرَ المؤمنين؟ قالَ: غَنِّني: [مجزوء الرمل]

عَجِبَتْ لَمَّا رَأَتْني ... أَنْدُبُ الرَّبْعَ المُحِيلا[1]
واقفاً في الدَّارِ أَبكِي ... لا أرى إلاَّ الطُّلولا
كيف تَبْكِي لأُناسٍ ... لا يَمَلُّونَ الذَّمِيلاَ[2]
كُلَّما قُلْتُ اطْمَأَنَّتْ ... دَارُهُمْ قالُوا الرَّحِيلا

قال: فلمَّا غَنَّاه رَمَى نفسَه في البركةِ ثم خرجَ، فَرَدُّوا عليه ثيابَهُ، ثم شَرِبَ وسَقى مَعْبَداً، ثم أقبلَ عليه الوليدُ فقالَ له: يا معبد، مَنْ أرادَ أنْ يزدادَ عندَ الملوكِ حُظْوةً فَلْيَكْتُمْ أسرارَهم. فقلتُ: ذلك ما لا يحتاجُ أميرُ المؤمنين إلى إيصائي به. فقال: يا غلامُ، احْمِلْ إلى مَعْبَدٍ عشرةَ آلافِ دينار تُحَصَّلُ[3] له في بلده وأَلْفَيْ دينارٍ لنفقةِ طريقِهِ، فَحُمِلَتْ إليه كُلُّها، وحُمِلَ على البريدِ من وقتِهِ إلى المدينةِ.

[الشّيخُ الشامي وغناءُ معبد الضائع]

قال إسحاق: وقال معبد: أرسلَ إليَّ الوليد بن يزيد فَأُشْخِصْتُ إليه. فبينا أنا يوماً في بعضِ حَمَّاماتِ الشَّأم إذ دخلَ عَلَيَّ رجلٌ له هَيْبَةٌ ومعه غِلْمانٌ له، فَاطَّلَى وٱشتغلَ به صاحبُ الحمّام عن سائرِ النَّاس. فقلتُ: واللّهِ لَئِنْ لم أُطْلِعْ هذا على بعضِ ما عندي لأَكُونَنَّ بِمَزْجَرِ[4] الكلبِ؛ فَاسْتَدْبَرْتُهُ[5] حيث يراني ويَسْمَعُ منِّي، ثمّ

---

(١) الرَّبْع المحيل: الذي أتت عليه أحوال فغيّرته.
(٢) الذَّميل: السَّير اللّيّن للإبل.
(٣) تُحَصَّل له: تُدْفَعُ وتُسلَّم.
(٤) المَزْجَر: ما يدعو إلى الزَّجْر.
(٥) استدبرتُه: تتبّعتُه.

تَرَنَّمْتُ، فالتفتَ إليّ وقال لِلغِلْمانِ: قَدِّموا إليه جميع ما هاهنا، فصارَ جميعُ ما كان بين يَدَيْهِ عِندي. قال: ثم سألني أن أَسِيرَ معه إلى منزلِهِ فأجبتُه، فلم يَدَعْ من البِرِّ والإكرام شيئاً إلا فَعَلَهُ، ثم وضَعَ النَّبِيذَ، فجعلْتُ لا آتي بِحَسنٍ إلاّ خرجتُ إلى ما هو أحسنُ منه وهو لا يرتاحُ ولا يَحْفِلُ[1] لِمَا يَرَى مِنّي. فلمّا طالَ عليه أمرِي قال: يا غلامُ، شيخَنا شيخَنا، فأُتِيَ بشيخٍ؛ فلمّا رآهُ هَشَّ إليه، فأخذَ الشَّيخُ العودَ ثم آندفعَ يُغَنّي:

سِلَّوْرُ في القِدْرِ وَيْلِي عَلُوْه   جاء القِطُّ أكلَهْ وَيْلي عَلُوه[2]

ـ السِّلَّوْرُ: السَّمَكُ الجِرِّيُّ[3] بلغة أهل الشّأم ـ قال: فجَعلَ صاحبُ المنزل يُصَفِّقُ ويضربُ بِرجْلِه طَرَباً وسروراً. قال: ثم غَنّاه: [الوافر]

وتَرْمِيني حَبِيبةُ بِالدُّرَاقِنْ   وتَحْسَبُنِي حَبِيبةُ لا أراها

ـ الدُّرَّاقِن: اسم الخَوْخ بلغة أهل الشّام ـ قال: فكادَ أن يَخْرُجَ من جلدِهِ طَرَباً. قال: وآنسَلَلْتُ منهم فانصرفتُ ولم يُعْلَم بي. فما رأيتُ مثلَ ذلك اليوم قَطُّ غناءً أضيعَ، ولا شيخاً أجهلَ!

[ابن عائشة يأخذ من معبد أحد عشر صوتاً ويقتبس منه]

قال إسحاق: وذكرَ لي شيخٌ من أهل المدينة عن هارونَ بن سَعْد[4]: أن آبنَ عائشةَ كان يُلْقِي عليه وعلى رُبَيْحَةَ الشَّمَّاسِيَّة، فدخَل مَعْبَدٌ فَأَلْقَى عليهما صوتاً، فاندفع آبنُ عائشةَ يُغَنّيه وقد أخذه منه؛ فغضِب معبدٌ وقال: أحسنتَ يابنَ عاهِرَةِ الدّارِ، تُفَاخِرُني! فقالَ: لا واللّهِ ـ جَعلني اللّهُ فِدَاءَكَ يا أبا عَبّاد ـ ولكنّي أقتبِسُ منكَ، وما أخذتُه إلاّ عنكَ، ثمّ قالَ: أَنْشُدُكَ اللَّهَ[5] يآبنَ شمّاس، هل قلتُ لك: قد جاء أبو عَبّاد فاجْمَعْ بيني وبينَه أقتبسُ منه؟ قال: اللّهُمَّ نعمْ.

---

(١) لا يَحْفِل به: لا يهتمّ به.

(٢) علوه: لعلّها كلمة عامية أو لهجة شامية وربما تعني عليه.

(٣) الجِرِّيّ: سمك طويل يشبه الحية يعرف بالأنقليس.

(٤) هارون بن سعد العجلي: رأس الزيدية في أيامه، ومن المتزهّدين العلماء بالحديث (ت نحو ١٤٥ هـ/ ٧٦٣ م) ترجمته في: المرزباني ٤٨٣، ومقاتل الطالبيين ٣٣١، وتهذيب التهذيب ١١: ٦.

(٥) أنشدكَ الله: أستحلفُكَ بالله.

أخبرني الحُسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال: قيل لابن عائشةَ، وقد غَنّى صوتاً أحسنَ فيه فقال: أصبحتُ أحسنَ النَّاسِ غِناءً، فقيلَ له: وكيف أصبحتَ أحسنَ النّاس غناءً؟ قال: وما يَمْنَعُني من ذلك وقد أخذتُ من أبي عَبَّاد أحدَ عشرَ صوتاً، وأبو عبَّاد مُغَنِّي أهلِ المدينة والمُقَدَّمُ فيهم!

أخبرنا وكِيعٌ قال: حدّثنا حمَّاد بن إسحاق قال: حدّثني أبي قال: حدّثني أيُّوب بن عَبَاية عن رجل من هُذَيْل قال: قال مَعْبَدٌ: غَنَّيْتُ فأَعْجَبَنِي غنائي وأعجبَ النَّاسَ وذَهَبَ لي به صِيتٌ وذِكْرٌ، فقلتُ: لآتِيَنَّ مكّةَ فلأَسْمَعَنَّ من المُغَنِّين بها ولأُغَنِّيَنَّهُمْ ولأَتَعَرَّفَنَّ إليهم، فابتعتُ حِماراً فخرجتُ عليه إلى مكّةَ، فلمّا قَدِمْتُها بِعْتُ حِماري وسألتُ عن المُغَنِّين أين يجتمعون؟ فقيل: بقُعَيْقِعانَ[1] في بيت فلان؛ فَجِئْتُ إلى منزله بِالغَلَسِ[2] فقرَعْتُ البابَ؛ فقال: مَنْ هذا؟ فقلتُ: انظرْ عافاكَ اللَّهُ! فَدَنَا وهو يُسَبِّحُ ويَستعيذُ كأنّه يخافُ، ففتحَ فقال: مَنْ أنتَ عافاكَ اللَّهُ؟ قلتُ: رجلٌ من أهلِ المدينة. قال: فما حاجَتُكَ؟ قلتُ: أنا رجلٌ أَشْتَهِي الغناءَ، وأزعمُ أنّي أعرفُ منه شيئاً، وقد بلغني أنّ القومَ يجتمعون عِندَكَ، وقد أحببتُ أن تُنزلَني في جانبِ منزِلِكَ وتَخْلِطَني بهم؛ فإنه لا مَؤُونَةَ[3] عليكَ ولا عليهم مِنّي. فَلَوى[4] شيئاً ثم قال: انْزِلْ على بَرَكَةِ اللَّهِ. قال: فنقلتُ مَتاعي فنزلْتُ في جانبِ حُجْرَتِهِ. ثم جاءَ القومُ حِينَ أَصْبَحُوا واحداً بعد واحدٍ حتى اجتمعُوا، فأَنْكَرُوني وقالوا: مَنْ هذا الرَّجلُ؟ قال: رجلٌ من أهل المدينةِ خفيفٌ يشتهي الغناءَ ويَطْرَبُ عليه، ليس عليكم منه عَناءٌ ولا مَكْروهٌ. فَرَحَّبوا بي وكَلَّمْتُهم، ثم انْبَسَطُوا وشَرِبُوا وغَنَّوْا، فجعلتُ أُعْجَبُ بغنائِهِم وأُظْهِرُ ذلك لهم ويُعْجِبُهم منّي، حتى أقمنا أيّاماً، وأخذْتُ من غنائِهِم وهم لا يدرون أصواتاً وأصواتاً وأصواتاً. ثم قلتُ لابْنِ سُرَيجٍ: أَيْ[5] فَدَيْتُكَ! أَمْسِكْ عَلَيَّ صوتَكَ: [مجزوء الخفيف]

قُلْ لِهِنْدٍ وتِرْبِها قبلَ شَحْطِ النَّوَى غَدَا[6]

---

(١) تعيقعان: قرية بها مياه وزروع ونخيل وفواكه أو هو اسم جبل بمكة (معجم البلدان ٤: ٣٧٩).
(٢) الغَلَس: ظلمة آخر اللّيل إذا اختلطت بضوء الصباح.
(٣) لامَؤونة عليك: لا ثِقل عليك.
(٤) لَوَى: انتظر قليلاً.
(٥) أيْ: حرف نداء.
(٦) التِّرْب: الأصحاب من سِنٍّ واحدة. والشّحط: البعد.

قال: أَوَ تُحْسِنُ شيئاً؟ قلتُ: تَنَظَّرْ[١]، وعسى أنْ أصنعَ شيئاً، وٱندفعتُ فيه فَغَنَّيْتُه، فصاحَ وصاحوا وقالوا: أحسنتَ قاتَلَكَ اللَّهُ! قُلتُ: فَأَمْسِكْ عَلَيَّ صوتَ كذا فأمسكُوه عليَّ، فَغَنَّيْتُه، فازدادوا عَجَباً وصِيَاحاً، فما تركتُ واحداً منهم إلا غنَّيْتُه من غنائه أصواتاً قد تَخَيَّرْتُها. قال: فصاحوا حتى عَلَتْ أصواتُهم وهَرفوا[٢] بي وقالوا: لأَنْتَ أحسنُ بأداءِ غِنائِنا عَنَّا مِنَّا. قال: قلتُ: فأَمْسِكوا عَلَيَّ ولا تَضْحَكوا بي حتى تسمعوا من غِنائي فأمْسَكُوا عَلَيَّ، فَغَنَّيْتُ صوتاً من غِنائي فصاحوا بي، ثم غَنَّيْتُهم آخَرَ وآخَرَ فَوَثَبُوا إِلَيَّ وقالوا: نَحْلِفُ باللَّهِ إنّ لَكَ لَصِيتاً واسماً وذِكْراً، وإنّ لك فيما هاهنا لَسَهْماً عظيماً، فمن أنتَ؟ قلت: أنا معْبَد. فَقَبَّلوا رأسي وقالوا: لَفَّقْتَ[٣] علينا وكنّا نَتَهاوَنُ بك ولا نَعُدُّكَ شيئاً وأنتَ أنتَ. فأقمتُ عندهم شهراً آخُذُ منهم ويأخذون منّي، ثم ٱنصرفتُ إلى المدينة.

نسبةُ هذا الصوت

صوت

[مجزوء الخفيف]

قُلْ لِهِنْدٍ وتِرْبِها	قبلَ شَحْطِ النَّوَى غَدَا
إنْ تُجُودِي فَطالَما	بِتُّ لَيْلِي مُسَهَّدا
أنتِ في وُدِّ بَيْنِنا	خَيْرُ ما عِنْدَنا يَدَا
حينَ تُدْلِي مُصَفَّراً	خالَكَ اللَّونِ أسْودا

الشّعر لِعُمَر بن أبي رَبيعة، والغِناءُ لابن سُرَيج عن حمَّاد ولم يُجَنِّسْهُ. وفيه لمالك خفيفُ ثقيلٍ أوّلِ بالبنصر في مَجْراها عن إسحاق، وقال الهِشاميّ: فيه لابن مُحْرِز خفيفُ ثقيلٍ بالوُسْطى.

(١) تَنَظَّر: تَرَيَّثْ وانتظر.

(٢) هَرَفَ به: بالغ في المدح إعجاباً به ومدحه بلا خبرة وبدون معرفة.

(٣) لَفَّقْتَ علينا: أخفيتَ أمركَ عنّا حتى لا نعرفك.

ومن الثّلاثة الأصوات المختارة

صوت فيه أربعةُ ألحانٍ من رواية عليّ بن يحيى [الطويل]

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرْيَ لَمَّا جَهَدْتُهُ وبَيَّنَ لو يَسْطِيعُ أنْ يَتَكَلَّمَا
لذلكَ أُدْنِي دونَ خَيْلي مَكانَهُ وأُوصِي به ألاَّ يُهَانَ ويُكْرَمَا
فَقُلْتُ له: إنْ ألْقَ لِلعينِ قُرَّةً فَهَانَ عَلَيَّ أنْ تَكِلَّ وَتَسْأمَا[1]
عَدِمْتُ إذاً وَفْرِي وفارَقْتُ مُهْجَتِي لَئِنْ لم أقِل قَرْناً إنِ اللَّهُ سَلَّما[2]

عرُوضه من الطّويل. قولُه: «لَئِنْ لم أَقِلْ قَرْناً» يعني أنَّه يَجِدُّ في سَيْرِه حتى يَقيلَ[3] بهذا الموضع، وهو قَرْنُ المَنَازل، وكثيراً ما يذكره في شِعره.

الشّعر لِعُمَر بن أبي ربيعة المخزوميّ، والغِناءُ في هذا اللَّحن المختارِ لابن سُرَيْج، ثاني ثقيلٍ مطلقٍ في مَجْرَى الوُسْطَى. وفيه لإسحاق أيضاً ثاني ثقيلٍ بالبِنصر عن عَمْرو بن بَانَة. وفيه ثقيلٌ أوّلُ يُقالُ إنّه لِيحيى المَكّي. وفيه خفيفُ رملٍ يقال إنه لأحمد بن موسى المُنَجِّم. وفيه لِلمعتضِد ثاني ثقيلٍ آخرَ في نهاية الجودة. وقد كان عَمْرو بن بانة صنَع فيه لحناً فسقَط لسقوط صَنْعَتِهِ.

أخبرني جَحْظَة قال حدّثني أبو عبد الله الهِشاميُّ قال: صنَعَ عَمْرو بن بانة لحناً في «تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرْيَ» فأخبرني بعضُ عجائزنا بذلك، قالت: فأردنا أن نَعْرِضَه على مُتَيَّم لِنَعْلَمَ ما عندها فيه، فقلنا لبعض مَنْ أخذَه عن عمرو: غَنِّ «تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرْيَ» في اللَّحْنِ الجديد؛ فقالت مُتَيَّمُ: أيش[4] هذا اللَّحنُ الجديد والكُمَيْت المحدَث؟ قلنا: لحنٌ صنعه عمرو بن بانة. فَغَنَّتْه الجاريةُ، فقالت مُتَيَّمُ لها: اقْطَعِي اقْطَعِي، حَسْبُكِ حَسْبُكِ هذا واللَّهِ لَحِمَارُ حُنَيْنٍ المكسورُ أَشْبَهُ منه بالكُمَيْتِ.

(١) قُرَّة العين: ما يُسَرُّ به الإنسان ويطمئن. وتكِلَّ: تتعب.
(٢) الوَفر: المال والمتاع الكثير.
(٣) يقيل: ينام وسط النهار.
(٤) أيش: أي شيء.

ذكر خبر عمر بن أبي ربيعة ونسبه

[٢٣ هـ - ٩٣ هـ/ ٦٤٤ م - ٧١٢ م]

[نسبه]

هو عُمَر بن عبد الله بن أبي رَبيعة، وآسم أبي ربيعة: حُذَيفةُ بنُ المُغِيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم بن يَقَظَةَ بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غَالب بن فِهْر. وقد تقدّم باقي النَّسَب في نسب أبي قَطِيفة. ويُكْنَى عمر بن أبي ربيعة «أبا الخَطّاب». وكان أبو ربيعةَ جَدُّه يُسَمَّى «ذا الرُّمْحَين»؛ سُمِّيَ بذلك لِطُولِهِ، كان يقال: كأنه يمشي على رُمْحَين.

أخبرني بذلك الحَرمِيّ بن أبي العَلاَء قال: حَدَّثنا الزُّبَيْر بن بَكّار قال: حدّثني عَمِّي ومحمد بن الضَّحَّاك عن أبيه الضَّحَّاك عن عثمانَ بن عبد الرّحمن اليَرْبُوعيّ. وقِيلَ: إنه قاتَلَ يومَ عُكَاظ بِرُمْحَيْن فَسُمِّي «ذا الرُّمْحين» لذلك.

وأخبرني بذلك أيضاً عليّ بن صالح بن الهَيْثَم قال: حدّثني أبو هَفَّانَ عن إسحاقَ بن إبراهيمَ المَوْصليّ عن مُصْعَب الزُّبَيْرِيّ والمَدَائِنِيّ والمُسَيَّبيّ ومحمد بن سَلاَّم، قالوا: وفيه يقول عبد الله بن الزِّبَعْرَى[1]: [هزج]

أَلاَ لِلّهِ قَوْمٌ وَ ... لَدَتْ أُخْتُ بَنِي سَهْمِ
هِشَامٌ وأبو عَبْدِ ... مَنَافٍ مِدْرَهُ الخَصْمِ[2]

---

(١) عبد الله بن الزِّبَعْرَى: بن قيس السّهمي القرشيّ: شاعر قريش في الجاهلية كان شديداً على المسلمين قبل فتح مكة ثم هرب إلى نجران وعاد منها وأسلم واعتذر بعد أبيات قالها فيه حسان. (ت نحو ١٥ هـ/ ٦٣٦ م). ترجمته في: سمط اللآلي ٣٨٧ و ٨٣٣، وإمتاع الأسماع ١: ٣٩١، وشرح الشواهد ١٨٧.

(٢) مدره الخصم: الذي يهجم على الأعداء ويدفعهم.

وذو الرُّمْحَيْنِ أَشْبَاكَ على القُوّةِ والحَزْمِ[١]
فَهذانِ يَذُودَانِ وذا مِنْ كَثَبٍ يَرْمِي[٢]
أُسُودٌ تَزْدَهِي الأَقرا نَ مَنَّاعُونَ لِلهَضْمِ[٣]
وهم يومَ عُكاظٍ مَنَعوا النَّاسَ مِنَ الهَزْمِ
وهم مَنْ وَلَدُوا أَشْبَوْا بِسِرِّ الحَسَبِ الضَّخْمِ[٤]
فَإنْ أَحْلِفْ وبيتِ اللّهِ لا أَحْلِفْ على إِثْمِ
لَما مِنْ إِخوَةٍ بينَ قُصورِ الشَّأمِ والرَّدْمِ[٥]
بِأَزْكَى مِنْ بَنِي رَيْطَةَ أو أَوْزَنَ في الحِلْمِ

أبو عبد مَناف: الفَاكِهُ بن المُغِيرة[٦]. وَرَيْطةُ هذه الّتي عَنَاها هي أُمُّ بني المُغِيرة، وهي بنتُ سعيد بن سَعْد بن سَهْم، وَلَدَتْ من المغيرة هِشَاماً وهاشماً وأبا ربيعة والفاكِه.

وأخبرني أحمدُ بن سُلَيمان بن داود الطُّوسيّ والحَرَميّ بن أبي العَلاَء قالا: حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال: حدّثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي ثابت قال: أخبرني محمد بن عبد العزيز عن ٱبن أبي نَهْشَلٍ عن أبيه قال: قال لي أبو بكر بنُ عبد الرّحمن بن الحارث بن هِشَام ـ وجِئتُه أَطلبُ منه مَغْرَماً[٧]: يا خال، هذه أربعةُ آلاف درهم وأَنْشِدْ هذه الأبياتَ الأربعةَ وقل: سَمِعْتُ حَسَّانَ يُنْشِدُها رسولَ الله ﷺ. فقلت: أعوذُ بالله أن أَفْتَرِيَ على الله ورسوله، ولكنْ إنْ شِئْتَ أن أقولَ: سَمِعْتُ عائشةَ تُنْشِدُها فَعَلْتُ. فقال: لا، إلّا أن تقول: سَمِعْتُ حسّانَ يُنْشِدُها رسول الله ﷺ ورسولُ الله ﷺ جالسٌ، فأَبَى عليّ وأَبَيْتُ عليه، فأَقَمْنا لذلك لا نتكلّم عِدَّةَ ليالٍ. فأرسلَ إليّ فقال: قُلْ أبياتاً تمدحُ بها هِشَاماً ـ يعني ٱبنَ المُغِيرة ـ وبني

---

(١) أشباك بفلان: حَسْبُكَ بفلان.
(٢) يذودان: يدافعان. ومن كَثَب: من قرب.
(٣) تزدهي الأقران: تحتقرهم وتستخفّ بهم. ومنّاعون: كثيرو المنع. والهضم: الظلم.
(٤) أشبوا: علوا وارتفعوا وكَرُموا.
(٥) ردم: هو ردم بني جُمَح لبني قراد الفهريين، وأيضاً الرّدم: قرية لبني عامر بن الحارث بالبحرين (معجم البلدان ٣: ٤٠).
(٦) الفاكه بن المغيرة: عبد الله بن عمر بن مخزوم، أحد فصحاء قريش في الجاهلية وهو عمّ خالد بن الوليد. ترجمته في: المحبر ١٧٥ و ٢٩٧ والأعلام ٥: ٣٣٠.
(٧) المَغرم: الغرامة: ما يلتزم الإنسان أداءه من المال تعويضاً أو قصاصاً.

أمّية. فقلت: سَمِّهِمْ لي، فَسَمَّاهم وقال: اجْعَلْها في عُكَاظ وٱجْعَلْها لأبيك. فقلتُ: [هزج]

ألاَ لِـــلَّـــهِ قَـــوْمٌ وَ   لَـــدَتْ أُخـــتُ بَـــنِـــي سَـــهْـــمِ

.. الأبيات. قال: ثم جِئْتُ فقلتُ: هذه قالها أبي. فقال: لا، ولكن قل: قالها ٱبنُ الزِّبَعْرَى. قال: فهي إلى الآن منسوبةٌ في كتب النّاسِ إلى ٱبن الزِّبَعْرى.

قال الزُّبَيْرُ: وأخبرني محمد بن الحَسَن المَخْزومي قال: أخبرني محمد بن طَلْحة أنّ عمرَ بن أبي ربيعة قائلُ هذه الأبيات:

ألاَ لِـــلَّـــهِ قـــومٌ وَ   لَـــدَتْ أُخـــتُ بـــنـــي سَـــهْـــمِ

[عبد الله بن أبي ربيعة يكسو الكعبة في الجاهلية من ماله]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ وحبِيبُ بنُ نَصْر المُهَلَّبِيّ قالا: حدّثنا عُمَرُ بن شَبَّة قال: حدّثني محمد بن يحيى قال: حدَّثني عبد العزيز بن عمران قال: حدّثني محمد بن عبد العزيز عن ٱبن أبي نَهْشَلٍ عن أبيه بمثل ما رواه الزُّبَيْر عنه. وزاد فيه عمر بن شَبَّة: قال محمد بن يحيى: وأُخْتُ بني سَهْم التي عَنَاها رَيْطةُ بنت سَعيد بن سَهْم بن عَمْرو بن هُصَيص بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غَالِب، وهي أُمُّ بني المُغِيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم وهم: هِشَام وهاشمٌ وأبو رَبِيعةَ والفاكِهُ، وعِدَّةٌ غيرُهم لم يُعْقِبُوا[1]، وإيّاهم يعني أبو ذُؤَيبٍ بقوله: [الكامل]

صَخِبُ الشَّوارِبِ لا يَزَالُ كـأنّـهُ   عَـبْـدٌ لآلِ أَبِـي رَبِـيـعـةَ مُـسْـبَـعُ[2]

ضَرَبَ بعِزِّهِم المَثَلَ. قال: وكان ٱسمُ عبد الله بن أبي ربيعةَ في الجاهلية بَحِيراً، فَسَمَّاهُ رسولُ الله ﷺ عبدَ الله؛ وكانت قريش تُلَقِّبُهُ العِدْلَ؛ لأنَّ قريشاً كانت تَكْسُو الكعبةَ في الجاهليةِ بأجمعِها من أموالِها سنةً، ويكسوها هو من مالِهِ سَنَةً، فأرادوا بذلك أنه وَحْدَهُ عِدْلٌ لهم جميعاً في ذلك. وفيه يقول ٱبن الزِّبَعْرَى:

بَحِيرُ بنُ ذِي الرُّمْحَيْنِ قَرَّبَ مَجْلِسي   وراحَ عَـلَـيَّ خَـيْـرُهُ غَـيْـرَ عَـاتِـمِ[3]

---

(١) لم يعقبوا: لم يولد لهم أولاد.

(٢) البيت في وصف حمار الوحش، والشّوارب: مجاري الماء في الحلق، وصخب الشّوارب: أي يردّد نهاقه في شواربه.

(٣) عاتم: متلكّىء.

وقد قِيلَ: إن العِذْلَ هو الوليد بن المُغِيرة.

وكان عبدُ الله بن أبي ربيعة تاجراً مُوسِراً، وكان مَتْجَرُهُ إلى اليمنِ، وكان من أكثرِهِم مالاً. وأُمُّهُ أسماء بنت مُخَرِّبَةَ، وقِيل: مُخَرِّمَة. وكانت عَطَّارةً يأتيها العِطْرُ من اليَمَنِ. وقد تَزَوَّجَها هشامُ بن المُغيرة أيضاً، فولدتْ له أبا جَهْل والحارثَ ٱبنَيْ هِشَام، فهي أُمُّهُما وأُمُّ عبدِ الله وعَيَّاش ٱبنَيْ أبي ربيعةَ.

أخبرني الحَرَميُّ والطُّوسيُّ قالا: حدّثنا الزُّبَير قال: حدّثني عَمِّي عن الوَاقديّ قال: كانت أسماءُ بنتُ مُخَرِّبة تبيعُ العِطْرَ بالمدينةِ. فقالت الرُّبَيِّعُ بنتُ مُعَوِّذ بنِ عَفْرَاءَ الأنْصاريّة ـ وكان أبوها قَتلَ أبا جَهْلِ بنَ هِشام يومَ بَدْر وٱحتزَّ رأسَهُ عبدُ الله ابنُ مسعود ـ وقِيلَ: عبدُ الله بن مسعود هو الذي قَتله ـ فذكَرتْ أنْ أسماءَ بنتَ مُخَرِّبة دخلَتْ عليها وهي تبيع عِطْراً لها في نِسْوَةٍ، قالت: فسألتْ عنّا، فانتسبْنَا لها. فقالتْ: أَأَنتِ ٱبنةُ قاتِل سَيِّدِه؟ تعني أبا جَهْل. قلت: بل أنا بنتُ قاتل عَبْدِه. قالت: حَرامٌ عَلَيَّ أن أبيعَكِ من عِطْرِي شيئاً. قلتُ: وحَرامٌ عليَّ أن أشتريَ منه شيئاً؛ فما وجدتُ لِعِطْرٍ نَتْناً غيرَ عِطرِكِ، ثم قمتُ، ولا واللَّهِ ما رأيتُ عِطْراً أطيبَ من عِطْرِها، ولَكِنِّي أردتُ أن أَعِيبَه لأَغِيظَها.

[حديث الرسول ﷺ عن الحَبَش]

وكان لعبدِ الله بن أبي ربيعة عَبِيدٌ من الحَبَشةِ يَتَصَرَّفون في جميع المِهَنِ، وكان عَدَدُهم كثيراً؛ فَرُوِيَ عن سُفْيانَ بن عُيَينةَ أنّه قِيلَ لِرسولِ اللّهِ ﷺ حين خرجَ إلى حُنَيْن[١]: هل لكَ في حَبَشِ بَنِي المُغِيرة تَستعينُ بهم؟ فقالَ: «لا خيرَ في الحَبَشِ إن جَاعُوا سَرَقُوا وإن شَبِعُوا زَنَوْا، وإنَّ فيهم لَخَلَّتَيْنِ[٢] حَسَنَتَيْن إِطْعامَ الطَّعام والبَأْسَ يومَ البأس»[٣]. وٱستعملَ رسولُ الله ﷺ عبدَ الله بن أبي رَبِيعةَ على الجَنَدِ[٤] ومَخَالِيفِها[٥]، فلم يَزَلْ عاملاً عليها حتى قُتِل عُمَرُ بن الخطّابِ رضِيَ الله عنه. هذا

(١) حُنَيْن: موضع قريب من مَكّة (معجم البلدان ٢: ٣١٣).

(٢) الخَلَّة: الخصلة.

(٣) الحديث رواه ابن عدي في الكامل في الضعفاء ٥: ٢٠٢٠.

(٤) الجَنَد: مسمّاة بجنَد بن شَهران بطن من المعافر وفيها مسجد بناه معاذ بن جبل. (معجم البلدان ٢: ١٦٩).

(٥) المخاليف: جمع المِخلاف: البقعة التي تجتمع فيها المساكن والقرى.

من رواية الزُّبَيْرِ عن عَمِّهِ. قالَ: وحَدَّثني ابن المَاجِشُونِ عن عَمِّهِ أنّ عثمانَ بن عَفَّانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - استعملَهُ أيضاً عليها.

[أم عمر بن أبي ربيعة وأخوه الحارث]

وأُمُّ عمرَ بن أبي رَبيعة أُمُّ وَلَدٍ يُقَالُ لها مَجْد، سُبِيَتْ من حَضْرَمَوْتَ[١]، ويُقَالُ من حِمْيَر، قالَ أبو مُحَلِّم ومحمدُ بن سَلاَّم: هي من حِمْيَر ومن هناك أتاه الغَزَلُ؛ يُقَالُ: غَزَلٌ يَمانٍ ودَلٌّ[٢] حِجَازِيٌّ.

وقال عُمَرُ بن شَبّة: أُمُّ عمر بن أبي ربيعةَ أُمُّ وَلَدٍ سوداء من حَبَشٍ يُقَالُ لهم: فَرَسَان[٣]. وهذا غَلَطٌ من أبي زيد، تلك أُمُّ أخيه الحارثِ[٤] بن عبدِ الله الذي يُقَالُ له: «القُبَاعُ»، وكانت نَصْرانيَّةً. وكان الحارثُ بن عبد اللَّهِ شريفاً كريماً دَيِّناً وسَيِّداً من سادات قريش.

[بعض أخباره]

قال الزُّبَيْرُ بن بَكَّار: ذَكَرَهُ عبدُ الملكِ بن مَرْوان يوماً وقد وَلاَّهُ عبدُ الله بن الزُّبير، فقالَ: أَرْسَلَ عَوْفاً وقَعَدَ[٥]! «لا حُرَّ بوَادِي عَوْف»[٦]. فقالَ له يحيى بن الحَكَم: وَمَنِ الحارثُ بنُ السَّوْداءِ! فقالَ له عبدُ الملك: ما وَلَدَتْ واللَّهِ أَمَةٌ خيْراً مما وَلَدَتْ أُمُّهُ!

---

(١) حَضْرَمَوْت: ناحية واسعة في شرقي عَدَن بقرب البحر وحولها رمال كثيرة وبها قبر هود ﷺ (معجم البلدان ٢: ٢٧٠).

(٢) الدَّلّ: الدلال والغنج.

(٣) فَرَسَان: قبيلة من تغلب كانوا قديماً نصارى ولهم في جزائر فرسان كنائس خُربت، ويحملون التجار إلى بلاد الحبش (معجم البلدان ٤: ٢٥٠).

(٤) الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي: والٍ من التابعين من أهل مكة، ومن وجوه قريش ورجالهم (توفي نحو ٨٠ هـ/ ٧٠٠ م). ترجمته في: تهذيب التهذيب ٢: ١٤٤، وتهذيب ابن عساكر ٣: ٤٤٧.

(٥) أي إنه اعتمد على رجل عظيم واستراح.

(٦) لا حُرَّ بوادي عَوْفٍ: من أمثال العرب في الرّجل العزيز المنيع الذي يَعِزُّ به الذليل ويَذِلُّ به العزيز. والمثل هو للمنذر ابن ماء السماء قاله في عوف بن مُحَلِّم بن ذُهْل بن شيبان، وذلك أن المنذر كان يطلب زهير بن أميّة الشّيباني بِذَحْل فمنعه عوفُ بن مُحَلِّم وأبى أن يسلّمه، فعندها قال المنذر المثلَ أي إن عوفاً يَقْهَرُ مَنْ حَلَّ بواديه، فكلّ مَنْ فيه كالعبيد له لطاعتهم له. (لسان العرب مادة عوف).

وأخبرني عليّ بن صالح عن أبي هَفَّان عن إسحاقَ بن إبراهيمَ عن الزُّبَير والمَدائنيّ والمُسَيِّبيّ: أنَّ أُمَّهُ ماتَتْ نصرانيةً وكانت تُسِرُّ ذلك منه. فَحَضَر الأشرافُ جَنَازَتَها، وذلك في عهدِ عُمَرَ بن الخَطَّاب - رحمة الله عليه - فَسَمِعَ الحارثُ من النِّساءِ لَغَطاً[١]، فسألَ عن الخبرِ، فَعُرِّفَ أنها ماتَتْ نصرانيةً وأنّه وُجِدَ الصَّليبُ في عُنُقِها، وكانت تَكْتُمه ذلك. فخرجَ إلى النَّاسِ فقالَ: ٱنصرِفُوا رَحِمَكُم الله؛ فإنّ لها أهلَ دينٍ هم أولى بها منّا ومنكم؛ فاسْتُحْسِنَ ذلك منه وعَجِبَ النَّاسُ من فِعْلِهِ.

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

[الهزج]

أَلاَ لِلَّهِ قَوْمٌ وَ ... لَدَتْ أُختُ بَنِي سَهْمِ
هِشَامٌ وأبو عَبْدِ ... مَنَافٍ مِدْرَهُ الخَصْمِ
وذو الرُّمْحَيْنِ أَشْبَاكَ ... على القوّةِ والحَزْمِ
فهذان يَذُودانِ ... وذا مِنْ كَثَبٍ يَرْمِي

عروضُه من مَكْفوف الهَزج، الغناء لِمَعْبَد خَفيفُ رَمَلٍ مِنْ رواية حمَّاد.

[طَربُ يزيد بن عبد الملك لغِناء معبد]

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيعٌ[٢] قال: قال إسماعيل بن مُجَمِّع أخبرنا المدائنيّ عن رُسْتَم بن صالح قال: قال يزيدُ بن عبد الملك يوماً لِمَعْبد: يا أبا عَبَّاد، إنّي أُريدُ أَنْ أُخبِرَكَ عن نفسي وعنكَ، فإنْ قلتُ فيه خِلاَفَ ما تَعْلَمُ فلا تَتَحَاشَ[٣] أَنْ تَرُدَّه عَلَيَّ، فقد أَذِنْتُ لكَ. قال: يا أميرَ المؤمنين لقد وَضَعَكَ رَبُّك بموضعٍ لا يَعْصِيكَ إلاّ ضَالٌّ، ولا يَرُدُّ عليك إلاّ مُخْطِئ. قال: إن الَّذي أَجِدُهُ في غِنائِكَ لا أجدُه في غِنَاءِ ٱبن سُرَيج: أَجِدُ في غنائِكَ مَتَانةً، وفي غنائه ٱنْخِناثاً[٤]

(١) اللَّغَط: الصّوت والجَلَبة والضّجة.

(٢) وكيع: محمد بن خلف بن حيان بن صدقة الضبّي: قاضٍ وباحث وعالم بالتاريخ والبلدان، وله عدة مُصَنَّفات (ت ٣٠٦ هـ/ ٩١٨ م). ترجمته في: البداية والنهاية ١١: ١٣٠، وغاية النهاية ٢: ١٣٧، والوافي بالوفيات ٣: ٤٣، والمنتظم ٦: ١٥٢.

(٣) لا تتحاشَ: لا تتجنّب.

(٤) الانخناث: التَّخَنُّث: التثني والتكسّر واللين كالإناث.

وَليناً. قال مَعْبَدُ: والَّذي أكرمَ أميرَ المؤمنين بخلافته، وأرْتَضاه لِعبَادِه، وجعَلَه أميناً على أُمَّةِ نَبِيِّه ﷺ، ما عَدَا صِفَتي وصِفَةَ آبنِ سُرَيج، وكذا يقول آبنُ سُريج وأقول. ولكن إنْ رَأى أميرُ المؤمنين أن يُعلِمَني هل وَضَعَني[1] ذاكَ عِنْدَهُ فَعَلَ. قال: لا واللَّهِ، ولكنِّي أُوثِرُ الطَّرَبَ على كلِّ شيءٍ. قال: يا سَيِّدي فإذا كان آبنُ سريج يَذْهَبُ إلى الخفِيفِ من الغِناءِ وأذهبُ أنا إلى الكامل التَّامِّ، فأُغَرِّبُ أنا ويُشَرِّقُ هو، فمتَى نَلتقي؟ قال: أفتقدِرُ أن تَحْكِي رقيقَ آبن سُرَيج؟ قال: نعم، فصنعَ من وَقتِهِ لَحْناً من الخَفِيف في: [الهزج]

ألاَ لـلَّـهِ قَـومٌ وَ ... لَـدَتْ أُخـتُ بـنـي سَـهْـمِ

الأربَعة الأبياتِ. فَغَنَّاهُ فصاحَ يزيدُ: أحسنتَ واللَّهِ يا مَوْلاي! أَعِدْ فِدَاكَ أبي وأُمِّي، فأعادَ، فَرَدَّ عليه مثلَ قوله الأوّل، فأعادَ، ثم قال: أَعِدْ فِدَاكَ أبي وأُمِّي، فأعاد، فَاسْتَخَفَّهُ الطَّرَبُ حتى وَثَبَ وقال لجَواريه: افْعَلْنَ كما أفعلُ، وجعلَ يَدُورُ في الدَّارِ ويَدُرْنَ معه وهو يقولُ: [مجزوء الرجز]

يـا دارُ دَوِّريـنـي ... يـا قَـرْقَـرُ أَمْـسِـكِـيـنـي[2]
آلَـيْـتِ مُـنْـذُ حـيـنِ ... حَـقّـاً لَـتَـصْـرِمِـيـنـي
ولا تُـوَاصِـلِـيـنـي ... بِـالـلَّـهِ فَـارْحَـمِـيـنـي
لَـمْ تَـذْكُـرِي يَـمِـيـنـي!

قال: فلم يَزَلْ يَدُورُ كما يَدُورُ الصِّبْيانُ وَيَدُرْنَ معه، حتى خَرَّ مَغْشيّاً عليه ووقَعْنَ فوقَه ما يَعْقِلُ ولا يَعْقِلن، فابتدره[3] الخَدَمُ فأقاموه وأقاموا مَنْ كان على ظهره من جواريه، وحملوه وقد جَادَتْ نفسُه أو كادَتْ.

[أولاد عمر: جوان وأَمَةُ الواحد]

رجع الخبر إلى ذكر عمر بن أبي ربيعة ـ وكان لعمر بن أبي ربيعة آبنٌ صالحٌ يقال له «جُوَان» وفيه يقول العَرْجيّ: [المتقارب]

شَـهِـيـدي جُـوَانٌ عـلـى حُـبِّـهـا ... ألـيـسَ بِـعَـدْلٍ عـلـيـهـا جُـوَان

(١) وضعني: حطّ من قَدْرِي.
(٢) القَرقر: الأرض المطمئنة اللّيّنة.
(٣) ابتدره الخدم: سارعوا إليه.

فأخبرني الحَرَميُّ قال: حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال: حدّثني يحيى بن محمد بن عبد الله بن ثَوْبَان قال: جاء جُوَانُ بن عمرَ بن أبي ربيعة إلى زِيَادِ بن عبد الله الحَارثيّ وهو إذ ذاك أميرٌ على الحجاز، فَشَهِدَ عنده بشَهَادةٍ، فَتَمثَّلَ:

شَـهِـيـدي جُـوانٌ عـلـى حُـبِّـهـا ... ألـيـسَ بِـعَـدْلٍ عـلـيـهـا جُـوان

ـ وهذا الشعرُ لِلعَرْجِيّ ـ ثم قال: قد أجَزْنَا شهادتَكَ، وقَبِلَهُ، وقال غيرُ الزُّبَير: إنّه جاءَ إلى العَرْجيّ فقال له: يا هذا! ما لي وما لك تُشَهِّرني في شِعْرك! متى أَشْهَدْتَني على صاحِبَتِكَ هذه! ومتى كنتُ أنا أَشْهَدُ في مثل هذا! قال: وكان آمرأً صالحاً.

وأخبرني الحَرَميّ قال: حّثنا الزُّبَير قال: حدّثني بكّار بن عبد الله قال: استعملَ بعضُ وُلاَةِ مَكَّةَ جُوَانَ بنَ عُمَر على تَبَالَةَ[1]، فحمَلَ على خَثْعَم[2] في صَدَقَات أموالِهم حَمْلاً شَديداً؛ فَجَعَلتْ خَثْعَمُ سنةَ جُوَانٍ تاريخاً؛ فقالَ ضُبَارَةُ بن الطُّفَيْلِ:

[الطويل]

أَتَـلْـبَـسُـنـا لَـيـلَـى عـلـى شَـعَـثٍ بـنـا ... مِـنَ الـعَـامِ أَوْ يُـرْمَـى بـنـا الـرَّجَـوَانِ[3]

صوت

رَأَتْـنِـي كَـأَشْـلاَءِ الـلِّـجَـام ورَاقَـهـا ... أَخُـو غَـزَلٍ ذو لِـمَّـة ودِهَـانِ[4]

ولـو شَـهِـدَتْـني فـي لَـيالٍ مَـضَـيْـنَ لـي ... لِـعَـامَـيْـنِ مَـرًّا قَـبْـلَ عَـام جُـوَانِ

رَأَتْـنـا كَـرِيـمـي مَـعْـشَـرٍ حُـمَّ بـيـنَـنـا ... هَـوىً فَـحَـفِـظْـنَـاهُ بِـحُـسْـنِ صِـيَـانِ[5]

---

(١) تَبَالة: بلدة من أرض تهامة بينها وبين مكّة اثنان وخمسون فرسخاً، وفيها قيل المثل: أهو من تبالة على الحجاج. (معجم البلدان ٢: ٩).

(٢) خثعم: اسم قبيلة، وهو خثعم بن أنمار من اليمن ويقال: هم من مَعَدٍّ وصاروا باليمن (لسان العرب مادة خثعم).

(٣) يَلْبَسه: يتمتع بعشرته مدّة من الزمان، ويَلْبَسُهُ على ما فيه: يقبله ويحتمله. والشَّعَث: ما تَفَرَّقَ من الأمور. والرَّجَوَان: مثنى الرَّجا. ناحيةُ كلِّ شيء. ورُمِيَ به الرَّجَوَانِ: اسْتُهِينَ به فكأنّه رُمِيَ به هنالك أي أنه طُرِحَ في المهالِكِ (لسان العرب مادة رجا).

(٤) أشلاء اللّجام: حدائده بلا سيور. واللِّمَّة: الشَّعر الذي يتجاوز شحمة الأذن.

(٥) حُمَّ: قُضِيَ وقُدِّرَ.

نَذُودُ النُّفُوسَ الحَائِمَاتِ عَنِ الصِّبَا ... وهُنَّ بِأَعناقٍ إليه ثَوَانِي

ذكر حَبَشٌ أنّ الغناءَ في هذه الأبيات لِلغَرِيضِ ثاني ثقيلٍ بالبِنْصر، وذكر الهشاميّ أنه لقَرَارِيط.

قالوا: وكان لِعُمَر أيضاً بنتٌ يُقَالُ لها: «أَمَةُ الواحِدِ»، وكانت مُسْتَرْضَعَةً في هُذَيْلٍ، وفيها يقولُ عمر بن أبي ربيعة ـ وقد خَرَجَ يطلبُها فَضَلَّ الطَّرِيق ـ: [السريع]

لم تَدْرِ ولْيَغْفِرْ لها رَبُّها ... ما جَشَّمَتْنا أَمَةُ الواحِدِ[1]

جَشَّمَتِ الهَوْلَ بَرَاذِينَنا ... نَسْأَلُ عن بيتِ أبي خالدِ[2]

نَسْأَلُ عن شَيْخٍ بَنِي كاهلٍ ... أَعْيا خَفَاءً نِشْدَةَ النَّاشِدِ

[مولِدُه]

أخبرني بذلك محمد بن خلف بن المَرْزُبَان عن أبي بكر العَامِريّ أخبرنا أحمد ابن عبد العزيز الجَوْهريّ وحَبِيبُ بن نَصْر المُهلَّبيّ قالا: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدّثني يعقوبُ بن القاسم قال: حدّثنا أُسامةُ بن زيد بن الحَكَم بن عَوَانة عن عَوَانة ابن الحَكَم[3] ـ قال: أُرَاه عن الحَسَن ـ قال: وُلِدَ عمرُ بن أبي رَبيعة ليلةَ قُتِلَ عُمَرُ بن الخطّاب ـ رحمة الله عليه ـ فأيُّ حقٍّ رُفِعَ، وأيُّ باطلٍ وُضِعَ! قال عَوَانةُ: وماتَ وقد قاربَ السَّبعينَ أو جاوزَها.

أخبرني الجَوْهريّ والمُهَلَّبيّ قالا: حَدَّثنا عُمَرُ بن شَبَّةَ قال: حدّثني يعقوبُ بن القاسِم قال: حدّثني عبد الله بن الحارث عن ابن جُرَيْج[4] عن عَطَاء قال: كان عمرُ ابن أبي رَبيعة أكبرَ مِنّي كأنّه وُلِدَ في أوّلِ الإسلام.

(١) جَشَّمَه: كَلَّفَه التعب والمشقّة.

(٢) البراذين: جمع البِرْذَوْن: دابّة دون الفرس غليظة الأعضاء تُتَّخذ للحمل خصوصاً.

(٣) عَوَانة بن الحكم بن عوانة بن عياض من بني كلب، مؤرّخ وعالم بالأنساب والشعر (ت١٤٧ هـ/ ٧٦٤ م). ترجمته في فهرست ابن النديم ٩١، وإرشاد الأريب ٦: ٩٣.

(٤) عبد الملك بن عبد العزيز بن جُرَيْج: فقيه الحرم المكيّ وإمام أهل الحجاز في عصره وأوّل مَنْ صنَّفَ التصانيف في العلم بمكّة (ت ١٥٠ هـ/ ٧٦٧ م) ترجمته في: تذكرة الحفاظ ١: ١٦٠، وصفة الصفوة ٢: ١٢٢، وتاريخ بغداد ١٠: ٤٠٠.

[عمر ينشد ابنَ عبّاس شعرَه في المسجد الحرام]

أخبرني الجوهريّ والمهلَّبيّ قالا: حدّثنا عمر بن شبَّة قال: حدّثني هارون بن عبد الله الزُّهْريّ قال: حدّثنا ٱبن أبي ثابت، وحدّثني به عليّ بن صالح بن الهَيْثم عن أبي هَفَّان عن إسحاقَ عن المُسَيَّبِيّ والزُّبَيْرِيّ والمَدَائِنِيّ ومحمّد بن سَلاَّم، قالوا: قال أيُّوب بن سَيَّار، وأخبرني به الحَرَمِيّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال: حدّثني محمد بن الحَسَن المَخْزوميّ عن عبد العزيز بن عِمْرَان عن أيُّوبَ بنِ سَيَّار عن عُمَر الزكاءِ قال: بَيْنا ٱبنُ عَبَّاس في المسجدِ الحرامِ وعنده نافعُ بن الأزْرق وناسٌ من الخوارج يسألونه، إذ أقبلَ عُمَرُ بن أبي رَبيعةَ في ثوبين مصْبُوغَيْنِ مُوَرَّدَيْنِ أو مُمَصَّرَيْنِ[1] حتى دخلَ وجلسَ، فأقبلَ عليه ٱبنُ عباس فقال أنشِدْنا فأنشَده: **[الطويل]**

أمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فَمُبْكِرُ ... غَداةَ غَدٍ أمْ رَائِحٌ فَمُهَجِّرُ[2]

حتى أتى على آخرِها. فأقبلَ عليه نافعُ بن الأزْرَق فقالَ: الله يابنَ عباس! إنَّا نضربُ إليكَ أكبادَ الإبلِ من أقاصي البلادِ نَسألُكَ عن الحلالِ والحرامِ فتتثاقلُ عنّا، ويأتيكَ غلامٌ مُتْرَفٌ من مُتْرَفِي قريشٍ فَيُنشِدكَ:

رَأَتْ رَجُلاً أمّا إذا الشَّمْسُ عَارَضَتْ ... فَيَخْزَى وأمّا بِالعَشِيِّ فَيَخْسَرُ[3]

فقال: ليس هكذا قال. قال: فكيف قال؟ فقال: قال:

رَأَتْ رَجُلاً أمّا إذا الشَّمْسُ عَارَضَتْ ... فَيَضْحَى وأمّا بِالعَشِيِّ فَيَخْصَرُ[4]

فقال: ما أُرَاكَ إلاّ وقد حَفِظْتَ البيتَ! قال: أَجَلْ! وإن شِئْتَ أنْ أُنْشِدَكَ القصيدةَ أنشدتُك إيّاها. قال: فإني أشاء؛ فأنشدَه القصيدةَ حتى أتى على آخرِها. وفي غير رواية عمرَ بن شَبَّة: أنّ ابنَ عباس أنشَدها من أوّلها إلى آخرِها، ثم أنشدها من آخرِها إلى أوّلها مقلوبةً، وما سَمِعَهَا قَطُّ إلا تلكَ المرّة صَفْحاً[5].. قال: وهذا غايةُ الذَّكاءِ. فقال له بعضُهم: ما رأيتُ أذْكى منك قَطُّ. فقال: لكنّي ما رأيتُ قطّ

---

(١) الثياب المُمَصَّرَة: المصبوغة بالمِصْر وهو تراب أحمر.

(٢) الغادي: السائر غدوة، والغداة: البكرة، ما بين الفجر وطلوع الشمس. والرّائح: الذاهب في العشيّ. والمهجّر: السائر عند اشتداد الحرّ في الهاجرة.

(٣) عارضت: قابلت، والضمير فيه محذوف أي عارضته.

(٤) يَضْحَى: يظهر للشمس، ويخصر: يبرد.

(٥) صفحاً: مروراً وعَرَضاً.

أذكى من عليِّ بن أبي طالب عليه السلام. وكان ٱبنِ عباس يقول: ما سَمِعْتُ شيئاً قط إلا رَوَيْتُهُ، وإنّي لأَسْمَعُ صوتَ النّائحةِ فَأَسُدُّ أُذُنَيَّ كَرَاهةَ أنْ أحفظَ ما تقول. قال: ولامَه بعضُ أصحابِه في حفظِ هذه القصيدة: «أَمِنْ آلِ نُعْمٍ».. فقال: إنّا نَسْتَجِيدُها[1]. وقال الزُّبير في خبره عن عمّه: فكان ٱبنُ عباس بعْد ذلك كثيراً ما يقول: هل أحدث هذا المُغِيرِيّ[2] شيئاً بَعْدَنا؟

قال: وحدّثني عبد الله بن نافع بن ثابت قال: كان عبد الله بن الزُّبير إذا سَمِعَ قولَ عمرَ بن أبي ربيعة:

فَيَضْحَى وأمّا بِالعَشِيّ فَيَخْصرُ

قال: لا، بل:

فَيَخْزَى وأمّا بالعشيّ فيخسَرُ

قال عمرُ بن شَبَّة وأبو هَفَّان والزُّبير في حديثهم: ثم أقبلَ على ٱبنِ أبي ربيعةَ فقال: أَنْشِدْ، فأنشَدَهُ: [المتقارب]

تَشُطُّ غَداً دارُ جيرانِنا

وسكتَ؛ فقال ٱبن عباس:

ولَلدَّارُ بعد غدٍ أَبْعَدُ

فقال له عُمر: كذلك قلتُ ـ أصلحَكَ اللّهُ ـ أَفَسَمِعْتَهُ؟ قال: لا، ولكن كذلك ينبغي.

[شهادة الشّعراء بشعر عمر بن أبي ربيعة]

أخبرنا الحَرَمِيّ بن أبي العَلاَء قال: حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال: حدّثني يعقوبُ ابن إسحاق قال: كانت العربُ تُقِرُّ لقريشٍ بِالتَّقَدُّمِ في كلِّ شيء عليها إلا في الشّعر، فإنّها كانت لا تُقِرُّ لها به، حتى كان عمرُ بن أبي ربيعة، فأقرَّتْ لها الشّعراء بِالشّعرِ أيضاً ولم تُنازِعْها شيئاً.

---

(١) نستجيدها: نجدها جيّدةً.

(٢) المغيريّ: يريد عمر بن أبي ربيعة.

قال الزُّبَير: وسَمِعْتُ عَمِّي مُصْعَباً يُحدِّثُ عن جَدِّي أنه قال مِثْلَ هذا القول. قال: وحدّثني عِدَّةٌ من أهل العلم أن النُّصَيْبَ قال: لَعُمَرُ بن أبي ربيعةَ أَوْصَفُنا لِربَّاتِ الحِجَالِ[1].

قال المدائنيّ قال سليمان بن عبد الملك لِعمرَ بن أبي ربيعةَ: ما يَمْنَعُكَ من مَدْحِنا؟ قال: إنّي لا أمدَحُ الرِّجَالَ، إنّما أمدحُ النِّساءَ. قال: وكان ٱبن جُرَيْجٍ يقول: ما دخلَ على العَوَاتِق[2] في حِجَالِهِنَّ شيءٌ أَضَرُّ عليهنّ مِنْ شِعرِ عمرَ بن أبي ربيعة.

قال الزُّبير وحدّثني عَمِّي عن جَدّي - وذكره أيضاً إسحاقُ فيما رويناه عن أبي هَفَّانَ عنه عن المَدَائنيّ - قال: قال هشام بن عُرْوة: لا تُرَوُّوا[3] فَتَياتِكُم شِعرَ عمرَ بنِ أبي ربيعةَ لا يَتَوَرَّطْنَ في الزِّنا تَوَرُّطاً، وأنشدَ: [مجزوء الوافر]

لـقـد أرْسَـلْـتُ جـارِيـتـي وقُـلْـتُ لـهـا خُـذِي حَـذَرَكْ
وقُـولِـي فـي مُـلاطـفـةٍ لِـزَيْـنَـبَ: نَـوِّلِـي عُـمَـرَكْ

أخبرنا عليّ بن صالح قال: حدّثني أبو هَفَّانَ عن إسحاق عن الزُّبيريّ قال: حدّثني أبي عن سَمُرَة الدُّومانِيّ من حِمْيَر قال: إنِّي لأَطُوفُ بالبيتِ فإذا أنا بشيخ في الطَّوافِ، فَقِيلَ لي: هذا عمرُ بن أبي ربيعةَ. فَقَبَضْتُ على يدِه وقلتُ له: يابنَ أبي ربيعة. فقال: ما تشاءُ؟ قلتُ: أكُلَّ ما قُلْتَهُ في شِعْرِكَ فَعَلْتَهُ؟ قال: إليكَ عَنِّي. قلتُ: أَسأَلُكَ بِاللَّهِ! قال: نعمْ وأستغفرُ الله.

قال إسحاق وحدّثني الهَيْثَمُ بن عَدِيّ عن حَمَّادٍ الرَّاوِيةِ: أنَّه سُئِلَ عن شِعْر عمر بن أبي ربيعة فقال: ذاك الفُسْتُقُ المُقَشَّرُ.

أخبرني الحَرَمِيّ قال: حدّثنا الزُّبَير عن عمّه قال: سَمِعَ الفرزدقُ شيئاً من نَسِيب عمرَ فقال: هذا الَّذي كانت الشُّعَرَاءُ تَطْلُبُهُ فأخطأَتْهُ وبَكَتِ الدّيارَ، ووَقَعَ هذا عليه. قال: وكان بالكوفةِ رجلٌ من الفقهاء تجتمع إليه النّاسُ فيتذاكرون العِلْمَ؛ فَذُكِرَ يوماً شِعرُ عمرَ بن أبي ربيعةَ فَهَجَّنَهُ[4]. فقالوا له: بمن ترضى؟ ومرّ بهم حمّادٌ

---

(١) ربات الحجال: كناية عن النساء، والحِجال: جمع الحَجَلَة: موضع للعروس يُزَيَّن بالستور.
(٢) العواتق: جمع العاتق: الفتاة أوّل إدراكها.
(٣) لا تُرَوُّوهن: لا تحملوهن على روايته.
(٤) هَجَّنَه: قَبَّحَهُ.

الرَّاويةُ فقال: قد رَضِيتُ بهذا. فقالوا له: ما تقولُ فيمن يَزْعُمُ أنّ عمرَ بن أبي ربيعة لم يُحْسِنْ شيئاً؟ فقال: أين هذا؟ إذهَبُوا بنا إليه. قالوا: نصنَعُ به ماذا؟ قال: نَنْزُو[١] على أُمِّهِ لَعَلَّها تأتي بمن هو أَمْثَلُ من عمر.

قال إسحاق: وقال أبو المقوّم الأنصاريّ: ما عُصِيَ اللَّهُ بِشيءٍ كما عُصِيَ بِشعرِ عمرَ بن أبي ربيعة.

قال إسحاق: وحَدَّثني قَيس بن داود قالَ: حدّثني أبي قال: سَمِعْتُ عمرَ بن أبي ربيعة يقول: لقد كُنتُ وأنا شابٌّ أُعْشَقُ ولا أَعْشَقُ. فاليوم صِرْتُ إلى مُدَاراةِ الحِسَانِ إلى المَمَاتِ. ولقد لَقِيَتْني فَتاتانِ مَرَّةً فقالت لي إحداهما: أُدْنُ منِّي يابن أبي ربيعة أُسِرَّ إليكَ شيئاً. فدنوتُ منها ودَنَتِ الأُخرى فجعلتْ تَعَضُّني، فما شَعَرْتُ بِعَضٍّ هذه من لَذَّةِ سِرَارِ هذه.

قال إسحاق: وذكر عبدُ الصَّمَدِ بن المُفَضَّل الرَّقاشِيّ عن محمد بن فلان الزُّهْرِيّ ـ سقَط اسمه ـ عن إسحاقَ عن عبد الله بن مَسْلَمَة بنِ أَسْلَم قال: لَقِيتُ جَرِيراً فقلتُ له: يا أبا حَزْرَةَ، إنّ شِعْرَكَ رُفِعَ إلى المدينةِ وأنا أُحِبُّ أن تُسْمِعَني منه شيئاً. فقال: إنَّكم يا أهلَ المدينةِ يُعجِبُكُم النَّسِيبُ، وإنّ أَنْسَبَ النَّاسِ المَخْزُوميُّ. يعْني ٱبنَ أبي ربيعة.

قال إسحاق: وذكَر محمدُ بن إسماعيلَ الجَعْفَرِيّ عن أبيه عن خالِه عبد العزيز ابن عبد الله بن عيَّاش بن أبي ربيعة قال: أشرفَ عمرُ بن أبي ربيعة على أبي قُبَيْس، وبنو أخيه معه وهم مُحْرِمون، فقال لبعضِهم: خُذْ بيدِي فأخَذَ بيدِه؛ وقال: ورَبِّ هذه البَنِيَّةِ[٢] ما قلتُ لامرأةٍ قَطُّ شيئاً لم تَقُلْه لي، وما كَشَفْتُ ثوباً عن حرامٍ قَطُّ. قال: ولَمَّا مَرِضَ عمرُ مرضَهُ الَّذي ماتَ فيه جَزِعَ أخوه الحارثُ جَزَعاً شديداً. فقال له عمر: أَحْسَبُكَ إنما تَجزعُ لما تَظُنُّه بي، واللَّهِ ما أعلَمُ أنّي رَكِبتُ فاحشةً قطُّ! فقال: ما كنتُ أُشْفِق عليكَ إلاّ من ذلك، وقد سَلَّيْتَ عنِّي.

قال إسحاق: حدّثني مُصعَبٌ الزُّبَيريّ قال: قال مُصْعَب بن عُرْوَة بن الزُّبَير: خرجتُ أنا وأخي عثمانُ إلى مكَّةَ مُعْتَمِرَيْنِ أو حَاجَّيْنِ؛ فلمّا طُفْنا بالبيتِ مَضَيْنا إلى الحِجْرِ نُصَلِّي فيه، فإذا شيخٌ قد فَرجَ بيني وبين أخي فأوْسعْنا له. فلما قَضى صلاتَه

---

(١) نزا: وثب.

(٢) البَنِيَّة: الكعبة.

أقبلَ علينا فقال: مَنْ أنتما؟ فأخبرناه. فَرَحَّبَ بنا وقال: يأبنَيْ أخي، إنّي مُوَكَّلٌ بالجَمَالِ أَتْبعُهُ، وإنّي رَأيتُكما فَرَاقَني حُسْنُكما وجمالُكما، فاسْتَمْتِعا بشبابِكما قبلَ أن تَنْدَما عليه، ثم قامَ؛ فسألْنا عنه فإذا هو عمرُ بن أبي ربيعة.

أخبرنا الحَرَمِيُّ قال: حدّثنا الزُّبَير قال: حدّثني محمد بن الضَّحَّاك قال: عاش عمرُ بن أبي ربيعة ثمانين سنة، فتكَ منها أربعين سنةً، ونسَكَ أربعين سنة.

قال الزُّبير وحدّثني إبراهيم بن حَمزة ومحمد بن ثابت عن المُغِيرة بن عبد الرّحمن عن أبيه قال: حجَجْتُ مع أبي وأنا غلامٌ وعَلَيَّ جُمَّة[1]. فلما قَدِمْتُ مكةَ جِئْتُ عمرَ بن أبي ربيعة، فَسَلَّمْتُ عليه وجلستُ معه، فجعلَ يَمُدُّ الخُصْلَةَ من شعري ثم يُرْسِلُها فترجعُ على ما كانت عليه، ويقول: واشباباه، حتى فعلَ ذلك مِرَاراً. ثم قالَ لي: يابنَ أخي، قد سَمِعْتَني أقولُ في شِعري: قالتْ لي وقلتُ لها، وكلُّ مملوكٍ لي حُرٌّ إن كنتُ كَشَفْتُ عن فرْجٍ حرامٍ قَطُّ! فقمتُ وأنا مُتَشَكِّكٌ في يمينِه، فسألْتُ عن رقيقِهِ فقيلَ لي: أمّا في الحوك[2] فله سبعون عبداً سوى غيرهم.

أخبرني الحَرَمِيُّ بن أبي العَلاَء قال: حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال: حدّثتني ظَبْيَةُ مولاة فاطمةَ بنتِ عمر بنِ مُصْعَب قالت: مَرَرْتُ بِجَدِّكَ عبدِ الله بن مُصْعَب وأنا داخلةٌ منزلَه وهو بفِنَائِهِ ومعي دفتر، فقال: ما هذا معكِ؟ ودعاني. فجئتُه وقلتُ: شِعرُ عمرَ بنِ أبي ربيعة. فقال: وَيْحَكِ! تَدْخُلينَ على النِّساءِ بِشعرِ عمرَ بن أبي ربيعة! إنّ لِشعرِه لَمَوْقِعاً من القلوبِ ومَدْخَلاً لطيفاً، لو كان شِعْرٌ يَسْحَرُ لكان هو، فارجعي به. قالتْ: ففعلتُ.

قال إسحاق: وأخبرني الهَيْثَم بن عَديّ قال: قَدِمَتِ امرأةٌ مَكّةَ وكانت من أجملِ النِّساءِ. فبينا عمرُ بن أبي ربيعة يَطُوف إذ نَظَرَ إليها فوقَعَتْ في قلبِهِ؛ فدنا منها فَكَلَّمَها، فلم تَلتفتْ إليه. فلمّا كانَ في اللّيلةِ الثّانية جعلَ يَطْلُبُها حتى أصابَها. فقالت له: إليكَ عَنّي يا هذا، فإنّكَ في حَرَم الله وفي أيام عظيمةِ الحُرْمَةِ. فألحَّ عليها يُكَلِّمُها حتى خافتْ أن يُشَهِّرَها. فلما كان في اللّيلةِ الأُخرى قالت لأخيها: أُخْرُجْ معي يا أخي فأرِني المَنَاسِكَ، فإنّي لستُ أعرفُها، فأقبلَتْ وهو معها. فلما

(١) الجُمَّة: مجتمع شعر الرأس.
(٢) لعلّه اسم موضع.

رآها عمرُ أرادَ أن يَعْرِضَ لها، فنظرَ إلى أخيها معها فعَدَلَ عنها؛ فَتمثَّلتِ المرأةُ بقولِ النَّابغةِ: [البسيط]

تَعْدُو الذِّئَابُ على مَنْ لا كِلاَبَ له وتَتَّقِي صَوْلَةَ المُسْتأسِدِ الحامي[(١)]

قال إسحاق: فحدّثني السِّنْديّ مولى أمير المؤمنين أنَّ المنصور قال ـ وقد حُدِّثَ بهذا الخبرِ ـ وَدِدْتُ أنه لم تَبْقَ فتاةٌ من قريش في خِدْرِها إلاَّ سَمِعَتْ بهذا الحديث.

قال إسحاق: قال لي الأصمَعيّ: عُمَرُ حُجَّةٌ في العربيةِ، ولم يُؤخَذْ عليه إلا قولُه:

ثم قالوا تُحِبُّها قُلْتُ بَهْراً عَدَدَ الرَّمْلِ والحَصَى والتُّرَابِ[(٢)]

وله في ذلك مَخْرجٌ، إذ قد أتى به على سبيل الإخبار. قال: ومن النَّاس مَنْ يزعمُ أنه إنما قال:

قيل لي هل تُحِبُّها قلتُ بَهْرا

نسبة ما مضى في هذه الأخبار
من الأشعار التي قالها عمر بن أبي ربيعة
وغنَّى فيها المُغَنُّون

إذ كانت لم تُنْسَبْ هناك لطول شرحها

منها ما يُغنَّى فيه من قوله:

صوت [الطويل]

أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غَادٍ فَمُبْكِرُ غَدَاةَ غَدٍ أم رَائِحٌ فَمُهَجِّرُ
لِحاجَةِ نَفْسٍ لم تَقُلْ في جَوَابِهَا فَتُبْلِغَ عُذْراً والمَقَالَةُ تُعْذِرُ[(٣)]

(١) صولة: وثبة.
(٢) بهراً: بهرني بهراً أي غلبني غلبةً. وقد أُخِذَ عليه عدم إثبات هل أو الهمزة قبل تحبُّها.
(٣) في جواب: في جواب السؤال عنها. وتعذر: تبدي العذر.

أشارتْ بِمِدْراها وقالَتْ لأُخْتِهَا ... أهذا المُغِيرِيُّ الَّذِي كانَ يُذْكَرُ؟[١]
فقالَتْ: نَعَمْ لا شَكَّ غَيَّرَ لَوْنَهُ ... سُرَى اللَّيلِ يَطْوِي نَصَّهُ والتَّهَجُّرُ[٢]
رَأَتْ رَجُلاً أمَّا إذا الشَّمْسُ عَارَضَتْ ... فَيَضْحَى وَأمّا بِالعَشِيّ فَيَخْصَرُ[٣]
أخَا سَفَرٍ جَوَّابَ أَرْضٍ تَقَاذَفَتْ ... به فَلَوَاتٌ فَهْوَ أشْعَثُ أغْبَرُ[٤]
وَلَيْلَةَ ذِي دَوْرَانَ جَشَّمْتِنِي السُّرَى ... وقد يَجْشَمُ الهَوْلَ المُحِبُّ المُغَرَّرُ[٥]
فَقُلْتُ: أُبادِيهِم فَإمَّا أَفُوتُهم ... وإمّا يَنَالُ السَّيْفُ ثَأْراً فَيَثْأرُ[٦]

هذه الأبياتُ جُمِعَتْ على غير تَوَالٍ؛ لأنّه إنَّما ذُكِرَ منها ما فيه صَنْعَةٌ. غَنَّى في الأوّل والثاني من الأبيات ٱبنُ سُرَيج خفيفَ رَمَلٍ بالبِنْصر عن أحمد بن المكيّ وذكَر حَبَشٌ أن فيهما لِمَعْبدٍ لَحْناً من الثَّقِيلِ الأوّل بالبِنْصر. وغَنَّى ٱبنُ سُرَيج في الثَّالث والرّابع أيضاً خفيف ثقيلٍ بالوُسْطى، وذكر حَبَشٌ أن فيهما لحناً من الهَزَجِ بالوُسْطى لحَكَم. وغَنَّى ٱبنُ سُريج في الخامس والسّادس لَحْناً من الرَّمَلِ بالوُسْطى عن عمرو ابن بَانَة. وذكر يونسُ أن في السّابع والثّامن لابن سُرَيج لحناً ولم يَذكُر طريقتَه. وذكر حَبَشٌ أن فيهما لمالك لحناً من الثقيل الثاني بالبِنْصر.

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال أخبرني محمد بن إسحاقَ قال أخبرني محمد بن حَبِيب عن هِشَام بن الكَلْبِيّ: أنّ عمرَ بن أبي ربيعة أتَى عبدَ الله بن عباس وهو في المسجد الحرام فقال: مَتَّعَنِي اللَّهُ بكَ! إنّ نفسي قد تَاقَتْ إلى قولِ الشِّعرِ ونَازَعَتْني إليه، وقد قُلْتُ منه شيئاً أَحْبَبْتُ أن تَسْمَعَهُ وتستره عليّ. فقال: أنشِدْني، فأنشدَه:

أمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غَادٍ فَمُبْكِرُ

(١) المِدرى: أداة من الحديد يُحَكّ بها الرأس ويسرّح الشّعر. والمغيري: هو عمر بن أبي ربيعة نسبة إلى جده المغيرة.

(٢) السُّرى: السّير ليلاً. والنّص: السير السريع. والتهجّر: السير في الهاجرة وهي شدة الحرّ.

(٣) عارضت: قابلت. ويضحى: يظهر للشمس، ويخصر: يبرد.

(٤) أخا سفر: كثير السفر. وجَوَّاب: من جاب الأرض: قطعها. والفلوات: جمع الفلاة: الصحراء الواسعة. وأشعث: مُغْبَرّ الشعر ملبّده لبعد عهده بالدهن والغسل. وأغبر: ما كان في لونه غبرة.

(٥) ذو دَوْرَان: موضع بين قُديد والجحفة. (معجم البلدان ٢: ٤٨٠). وجشّمتني: كَلَّفتني. والمُغَرَّر: الذي يُغَرِّر فيعرّض نفسه للهلاك.

(٦) أباديهم: أُظهر لهم وأُجاهرهم بالعدوان. وأفوتهم: أسبقهم وأنجو منهم. ويثار: أي يثار لهم السيفُ مني.

فقال له: أنت شاعرٌ يابنَ أخي، فَقُلْ ما شِئْتَ. قال: وأَنْشَدَ عُمَرُ هذه القصيدَةَ طَلْحَةَ بنَ عبد الله بنِ عَوْف الزُّهْرِيّ وهو راكبٌ، فوقَّف وما زال شَانِقاً[١] ناقَته حتى كُتِبَتْ له.

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبَان قال: حدّثني الحُسَينُ بن إسماعيل قال: حدّثنا ٱبنُ عائشةَ عن أبيه قال: كان جرير إذا أُنشِد شِعْرَ عمر بن أبي ربيعة قالَ: هذا شِعْرٌ تِهَامِيٌّ إذا أَنْجد وَجَدَ البَرْدَ، حتى أُنشِدَ قَوْلَهُ: [الطويل]

رَأَتْ رَجُلاً أمّا إذا الشَّمْسُ عَارَضَتْ ... فَيَضْحَى وأمّا بِالعَشِيّ فَيَخْصَرُ
قليلاً على ظَهْرِ المَطِيَّةِ ظِلُّهُ ... سِوى ما نَفَى عنه الرِّداءُ المُحَبَّرُ[٢]
وأَعْجَبَها مِنْ عَيشِها ظِلُّ غُرفةٍ ... ورَيَّانُ مُلْتَفُّ الحدائقِ أَخْضَرُ[٣]
وَوَالٍ كَفَاها كُلَّ شَيءٍ يَهُمُّها ... فَلَيْسَتْ لِشَيءٍ آخِرَ اللَّيْلِ تَسْهَرُ[٤]

فقال جرير: ما زال هذا القُرَشِيُّ يَهْذِي حتى قال الشِّعْرَ.

أخبرني محمد بن خَلَف قال أخبرني أبو عبد الله اليَمَاميّ قال: حدّثني الأصمعيّ قال: قال لي الرّشيدُ: أنشِدْني أَحْسَنَ ما قِيلَ في رجلٍ قد لَوَّحَهُ السَّفَرُ[٥]؛ فأنشدته قولَ عمر بن أبي ربيعة:

رأَتْ رَجُلاً أَمَّا إذا الشَّمسُ عارضَتْ ... فَيَضْحَى وأمّا بِالعَشِيِّ فَيَخْصَرُ
أَخَا سَفَرٍ جَوَّابَ أرضٍ تَقَاذَفَتْ ... به فَلَواتٌ فهو أَشْعَثُ أَغْبَرُ

الأبياتَ كُلَّها. قال: فقال لي الرّشيدُ: أنا واللّهِ ذلك الرّجلُ. قال: وهذا بِعَقِبِ قدومِه من بلادِ الرُّومِ.

أخبرني الفضلُ بن الحُبَاب الجُمَحِيّ أبو خَلِيفةَ في كتابه إليّ: قال: حدّثنا محمد ابن سَلَّام قال: أخبرني شُعَيْبُ بن صَخْر قال: كان بين عائشةَ بنت طلحة

(١) شنق الناقة: شَدَّها بالزّمام حتى ترفع رأسها.
(٢) الرداء المحبّر: المزيّن المحسَّن.
(٣) ظلّ غرفة: ظلّ المكان الذي تسكنه. والرّيان: الأخضر الناعم وهو صفة لمحذوف أي بستان ريان. والحدائق: جمع الحديقة: الروضة ذات الشجر.
(٤) ووال: زوج يتولى أمرها ويكفيها.
(٥) لَوَّحه السَّفَر: غَيَّره.

وبين زوجها عمرَ بن عبيد الله بن مَعْمَرٍ كلامٌ، فَسَهِرَتْ ليلةً فقالت: إن ٱبنَ أبي ربيعة لَجَاهِلٌ بِليلتي هذه حيث يقول:

وَوَالٍ كَفَاهَا كُلَّ شَيءٍ يَهُمُّهَا فَلَيْسَتْ لِشَيءٍ آخرَ اللَّيْلِ تَسْهَرُ

أخبرني عليّ بن صالح قال: حدّثنا أبو هَفَّانَ قال: حدّثني إسحاقُ عن المدائنيّ قال: عَرَض يزيدُ بن معاوية جَيْشَ أهلِ الحَرَّةِ، فَمَرَّ به رجلٌ من أهلِ الشَّامِ معه تُرْسٌ خَلَقٌ سَمْجٌ[1]، فنظرَ إليه يزيدُ وضَحِكَ وقال له: وَيْحَكَ! تُرْسُ عمرَ بن أبي ربيعة كان أحسنَ من تُرْسِكَ. يريد قولَ عمر: [الطويل]

فكانَ مِجَنِّي دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَّقِي ثلاثُ شُخُوصٍ كَاعِبَانِ ومُعْصِرُ[2]

أخبرنا جَعْفَر بن قُدَامَةَ قال: حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك الخُزَاعِيّ قال: سَمِع أبو الحارث جُمَّيْزٌ مُغَنِّيَةً تُغَنِّي:

أشارَتْ بِمِدْراها وقالتْ لأُختِها أهذا المُغِيرِيُّ الّذي كان يُذْكَرُ؟

فقال جُمَّيز: امرأتُه طالقٌ إن كانَتْ أشارتْ إليه بِمِدْرَاها إلا لِتَفْقَأَ بها عَيْنَهُ، هلاّ أشارت إليه بنقانق مُطَرَفٍ بِالخَرْدَل[3]، أو سَنْبُوسَجَةٍ[4] مغموسةٍ في الخَلّ، أو لَوْزِينَجَةٍ[5] شَرِقَةٍ[6] بِالدُّهْنِ! فإنَّ ذلك أَنْفَعُ له، وأَطيبُ لِنفسِهِ، وأَدَلُّ على مَوَدّةِ صاحبته.

أخبرني الحَرَمِيُّ قال: حدّثنا الزُّبَير قال: حدّثني عبد العزيز بن أبي أُوَيْس عن عَطَّاف بن خالد الوابِصيّ عن عبد الرّحمن بن حَرْمَلَةَ قال: أُنشِدَ سَعِيدُ بنُ المُسَيَّب قولَ عمرَ بن أبي رَبِيعةَ: [الطويل]

---

(١) التُّرْس: قطعة من المعدن أو الجلد يحملها المحارب بإحدى يديه يَتّقي بها الضربات. وخَلَقٌ: بالٍ. وسمجٌ: قبيح.

(٢) المِجنّ: التّرس. والكاعب: التي نهد ثديها. والمُعْصِر: التي أدركت ودخلت في الشباب.

(٣) مطرف بالخردل: أي مُحَسَّن بالخردل وهو نوع من حبّ شجر معروف يضاف إلى الطعام.

(٤) سنبوسجة: رقاق محشو باللحم والجوز وغيره.

(٥) اللَّوْزِينَج: نوع من الحلواء تشبه القطائف.

(٦) شَرِقَة بالدهن: مُشبعة به ممتلئة.

وغـابَ قُـمَـيْـرٌ كـنـتُ أرْجُـو غُـيُـوبَـهُ ... ورَوَّحَ رُعْـيَـانٌ ونَـوَّمَ سُـمَّـرُ[١]

فقال: ما لَهُ قاتَلَهُ اللَّهُ! لقد صَغَّر ما عَظَّمَ اللَّهُ! يقولُ الله عزَّ وجَلَّ: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾[٢].

[قصّته مع فاطمة الكندية وشعره فيها]

ومنها ما فيه غِناء لم يُنْسَبْ في موضعه من الأخبار فَنُسِبَ هاهنا:

صوت

[المتقارب]

تَـشِـطُّ غَـداً دَارُ جِـيـرَانِـنـا ... ولَـلـدَّارُ بَـعْـدَ غَـدٍ أبْـعَـدُ

إذا سَـلَـكَـتْ غَـمْـرَ ذِي كِـنْـدَةٍ ... مع الـصُّـبْـحِ قَـصْـدٌ لـهـا الـفَـرْقَـدُ[٣]

عِـرَاقِـيَّـةٌ، وتِـهَـامِـي الـهَـوَى ... يَـغُـورُ بِـمَـكَّـةَ أو يُـنْـجِـدُ[٤]

وحَـثَّ الـحُـدَاةُ بـهـا عِـيـرَهـا ... سِـرَاعـاً إذا مـا وَنَـتْ تُـطْـرَدُ[٥]

هُـنَـالِـكَ إمّـا تُـعَـزِّي الـفُـؤادَ ... وإمَّـا عـلـى إثْـرِهَـا تَـكْـمَـدُ

ولـيـسـتْ بِـبِـدْعٍ إذا دَارُهـا ... نَـأَتْ والـعَـزَاءُ إذاً أجْـلَـدُ

صَـرَمْـتُ ووَاصَـلْـتُ حـتّـى عَـلِـمْـ ... ـتُ أيـن الـمَـصَـادِرُ والـمَـوْرِدُ[٦]

وجَـرَّبْـتُ مِـنْ ذَاكَ حـتّـى عَـرفْـ ... ـتُ مـا أتَـوَقَّـى ومـا أحْـمَـدُ[٧]

فـلـمّـا دَنَـوْنـا لِـجَـرْسِ الـنُّـبَـا ... حِ والـضـوءِ، والـحيُّ لـم يَـرْقُـدُوا[٨]

---

(١) قُمَير: تصغير قمر. ورَوَّح رعيان: عادوا إلى بيوتهم. ونَوَّم: نام والتشديد هنا للمبالغة. والسُمّر: القوم الذين يتسامرون ليلاً.

(٢) سورة يس الآية ٣٩. والعرجون: أصل عذق النخل الذي يَعْوَجّ فيبقى يابساً وسُمِّيَ بذلك لانعراجه.

(٣) غمر ذي كِندة: موضع وراء وَجْرَة بينه وبين مكة مسيرة يومين (معجم البلدان ٤: ٢١١) والفرقد: نجم قريب من القطب الشمالي يُهتدى به. ولعلّه يريد أنها تسير باتجاهه.

(٤) يغور ويُنجد: يأتي الغور والنجد. والغور: المنخفض من الأرض، والنجد: المرتفع منها.

(٥) الحُدَاة: جمع الحادي: الذي يسوق الإبل ويغنّي لها. والعير: الإبل. وونت: تعبت وضعفت. وتُطرد: تُساق.

(٦) صرمتُ: هجرتُ. وعرف المصدر والمورد: إذا كان صاحب خبرة بالأمور قد عرف مداخلها ومخارجها.

(٧) في الديوان (وما أعْمِدُ) بدل ما أحمد.

(٨) في الديوان:

فـلـمّـا دَنَـوْنـا لِـجَـرْسِ الـنُّـبـاحِ ... إذا الـضَّـوءُ، والـحـيُّ لـم يـرقـدوا

والجَرْس: الصوت.

نَـأَيْـنَـا عَـنِ الـحَـيِّ حـتّـى إذا تَـوَدَّعَ مـن نَـارِهَـا الـمَـوْقِـدُ[(١)]
بَـعَـثْـنَـا لـهـا بَـاغِـيـاً نَـاشِـداً وفـي الـحَـيِّ بُـغْـيَـةُ مَـنْ يَـنْـشُـدُ[(٢)]
أَتَـتْـنَـا تَـهَـادَى عـلـى رِقْـبَـةٍ مِـنَ الـخَـوْفِ أحـشـاؤُهـا تُـرْعَـدُ[(٣)]
تـقـولُ وتُـظْـهِـر وَجْـداً بـنـا وَوَجْـدِي وإنْ أَظْـهَـرَتْ أَوْجَـدُ
لَـمِـمَّـا شَـقَـائِـي تَـعَـلَّـقْـتُـكُـمْ وقـد كـانَ لـي عِـنْـدَكُـمْ مَـقْـعَـدُ[(٤)]
وَكَـفَّـتْ سَـوَابِـقَ مـن عَـبْـرةٍ عـلـى الـخَـدِّ يَـجْـرِي بـهـا الإِثْـمـدُ[(٥)]
فـإنّ الّـتـي شَـيَّـعَـتْـنَـا الـغَـدَاةَ مَـعَ الـفَـجْـرِ قَـلْـبِـي بـهـا مُـقْـصَـدُ[(٦)]
كـأنَّ أَقَـاحِـيَّ مَـوْلِـيَّـةً تَـحَـدَّرُ مـن مـاء مُـزْنٍ نَـدِي[(٧)]

غَنَّى مَعْبَدٌ في الأوّل والثّاني والثّالث من الأبيات خَفِيفَ ثَقِيلٍ من أصواتِ قليلاتِ الأَشْبَاهِ عن إسحاق. وغَنَّى فيها أَشْعَبُ ـ المعروف بالطّامع ـ ثانيَ ثقيلٍ بالوُسْطَى، عن الهِشَامِيّ. ولِلغَرِيض في الأبيات الأربعة الأُوَلِ ثاني ثقيلٍ بالوُسْطَى عن عمرو. ولابن سُرَيج في الرّابعَ عشرَ وهو:

وكَـفَّـتْ سـوابـقَ مـن عَـبْـرةٍ

ثم الأوّل والتّاسِع رَمَلٌ بالوسطى عن ابن المَكّي، ولِمالك ـ ويُقَالُ إنّه لِمَعْبَدٍ ـ خَفِيفُ ثَقِيلٍ في الرَّابعَ عشرَ والثّالثَ عشرَ والأوّلِ عن الهِشَاميّ. وفي السّابع والثّامن والأوّل لابن جَامِع ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ. وفي الأوّلِ والحاديَ عشرَ لابن سُرَيْج رَمَلٌ بِالبِنْصر في مَجْراها عن إسحاق، وفيهما ثاني ثقيلٍ بِالسَّبَّابَةِ في مَجْرى البِنْصر عن إسحاقَ ولم يَنْسُبْهُ إلى أحدٍ، وذكر أحمد بن المَكّيّ أنه لأبيه.

---

(١) تَودّع: سكنت ناره وانطفأت.
(٢) الشطر الأول في الديوان:
ونـامـوا، بـعـثـنـا لـهـا نـاشـداً
(٣) تهادى: تتهادى: تمشي في تمايُل وسكون. ورِقبة: تحفّظ. وترعد: تضطرب.
(٤) مقعد: مكانة ومنزلة.
(٥) الإثمد: الكحل.
(٦) البيت في الديوان:
فـتـلـكَ الـتـي شَـيَّـعَـتـهـا الـفـتـاةُ إلـى الـخِـدْرِ، قـلـبـي بـهـا مُـقْـصَـدُ
ومقصد: مقتول.
(٧) هذا البيت غير موجود في القصيدة. والأقاحي: جمع الأقحوانة: نوع من الأزهار. والولي: المطر يأتي بعد المطر، والمزن: السحاب.

وفي الرّابع والخامس رَمَلٌ لمعبد عن ٱبن المكيّ، وقِيلَ: إنّه من مَنْحُولِ أبيه إلى معبد. وفي الثّالث عشر والسّادِس لِيونُسَ خفيفُ رَمَلٍ عن الهِشاميّ. وفي الأوّل والثاني عشرَ ثاني ثقيلٍ تشترِك فيه الأصابعُ عن ٱبن المكيّ، وقالَ أيضاً: فيه لِلأَبْجَرِ لحنٌ آخر من الثَّقِيل الثّاني. ولِمَعْبَدٍ في الرّابع والسّادس ثاني ثقيل آخر عنه، وفيهما أيضاً رَمَلٌ لابن سُرَيج عنه وعن حَبَشٍ. ولإسحاقَ في الأوّل والثاني رَمَلٌ من كتابه. ولِعُلَيَّة بنتِ المَهْدِيّ في الثّالث عشر والأوّلِ ثقيلٌ أوّل. ولابن مِسْجَح في الثاني عشرَ والأوّلِ رَمَلٌ، ويُقالُ إنه لِلرَّطّابِ، وذكر حَبَشٌ أنه لابن سُرَيْج. وفي الخمسة الأبيات الأولى متواليةً خَفِيفُ رَمَلٍ بالوُسْطى يُنسَب إلى معبد وإلى يحيى المكّيّ، وزعم حَبَشٌ أنّ فيها رَمَلاً بالوسطى لابن مُحْرِز. والذي ذكَره يونُس في كتابه أنّ في:

تَــشُــطُّ غــداً دارُ جــيــرانِــنــا

خمسةَ ألحانٍ: اثنان لمعبد، وٱثنان لمالك، وواحد ليُونُسَ. وذكر أحمد بنُ عبيد أنّ الذي عُرِف صحتُه من الغناء فيه سبعةُ ألحانٍ: ثقيلٌ أوّل، وثاني ثقيلٍ، وخفيفُ ثَقِيلٍ، ورَمَلٌ، وخَفِيفُه.

أخبرني بعضُ أصحابنا عن أبي عبد الله بن المَرْزُبَان أنّ الّذي أُحْصِيَ فيه إلى وقته ستةَ عشرَ لحناً. والّذي وَجَدْتُهُ فيه مما جَمَعْتُه هاهنا ـ سِوى ما لم يَذْكُرْ يونُس طريقتَه ـ تسعةَ عشرَ لحناً: منها في الثقيل الأوّلِ لحنان، وفي خفيف الثقيلِ لحنان، وفي الثَّقِيل الثاني ستة، وفي الرَّمَل سبعة، وفي خفيف الرَّمَل لحنان.

وهذا الشِّعرُ يقولُه عمرُ بن أبي ربيعةَ في ٱمرأةٍ من ولد الأَشْعَثِ[١] بن قَيْس حَجَّتْ فَهَوِيَها ورَاسَلها، فواصَلَتْه ودخلَ إليها وتَحَدَّثَ معها وخَطَبها، فقالَتْ: أمّا هاهنا فلا سبيلَ إلى ذلكَ، ولَكِنْ إن قَدِمْتَ إلى بلدي خاطباً تَزَوَّجْتُكَ، فلم يفعلْ.

أخبرني بهذا الخبر الحَرَمِيّ بن أبي العَلاَء قالَ: حدّثنا الزُّبَير قال: حدّثنا محمد بن الحَسَن المَخْزوميّ عن مُحْرِز بن جَعْفر مولى أبي هُرَيرة عن أبيه قال: سَمِعْتُ بُدَيْحاً يقول: حَجَّتْ بنتُ محمد بن الأشْعث الكِنْدِيَّةُ، فَرَاسَلَها عمرُ بن أبي

(١) الأشعث بن قيس الكندي: أمير كندة في الجاهلية والإسلام (ت ٤٠ هـ/ ٦٦١ م) ترجمته في: ثمار القلوب ٦٩، وخزانة البغدادي ٢: ٤٦٥، وتاريخ بغداد ١: ١٩٦.

رَبيعةَ وَوَعَدَها أن يَتَلَقَّاهَا مَسَاءَ الغَدِ، وجَعَلَ الآيةَ[١] بينه وبينها أن تَسْمَعَ ناشداً يَنْشُدُ - إن لم يُمْكِنْهُ أَنْ يُرْسِلَ رسولاً - يُعْلِمُها بِمَصِيرِه إلى المكانِ الّذي وَعَدَها. قال بُدَيح: فلم أَشْعُرْ به إلا مُتَلَثِّماً، فقالَ لي: يا بديح، ٱئْتِ بنتَ محمد بن الأَشْعث فأَخبِرْها أَنِّي قد جِئْتُ لِمَوْعِدِها؛ فَأَبَيْتُ أن أذهبَ وقلتُ: مِثْلي لا يُعِينُ على مثل هذا. فَغَيَّبَ بَغْلَتَهُ عَنِّي ثم جاءني فقالَ لي: قد أَضْلَلتُ بَغْلَتي فانْشُدْها[٢] لي في زُقاقِ الحاجِّ. فَذَهَبْتُ فَنَشَدْتُها؛ فخرجَتْ عَلَيَّ بنتُ محمد بن الأشعث وقد فَهِمتِ الآيَةَ، فَأَتَتْهُ لِموعِدِه؛ وذلك قولُه: [المتقارب]

وآيـــةُ ذلـــكِ أن تَـــسْـــمَـــعِـــي إذا جِـــئْـــتُـــكُـــمْ نَـــاشِـــداً يَـــنْـــشُـــدُ

قال بُدَيح: فلمّا رَأَيْتُها مُقْبِلَةً عَرَفْتُ أنّه قد خَدَعني بِنَشْدِي البغلةَ، فقلتُ له: يا عمر، لقد صَدَقَتِ الّتي قالت لك:

فَـــهَـــذا سِـــحْـــرُكَ الـــنِّـــسْـــوا نَ، قَـــد خَـــبَّـــرْنَـــنِـــي خَـــبَـــرَكْ

قد سَحَرْتَني وأنا رجلٌ! فكيف بِرِقَّةِ قلوبِ النِّساءِ وضَعْفِ رَأْيِهِنَّ! وما آمَنُكَ بعدَها، ولو دخلتَ الطَّوافَ ظَنَنْتُ أَنَّكَ دَخَلْتَهُ لِبَلِيَّةٍ. قال: وحَدَّثَها بِحَدِيثي، فما زالا ليلتهما يفْصِلان حديثهما بِالضَّحِك منِّي.

قال الزُّبير: فَحَدَّثني أبو الهِنْدَام مولى الرَّبَعِيِّين عن أبي الحارث بن عبد الله الرَّبعيّ قال: لَقِيَ ٱبْنُ أبي عَتِيق بُدَيْحاً فقال له: يا بُدَيْح، أَخَدَعَكَ ٱبنُ أبي ربيعةَ أنه قُرَشِيّ؟ فقال بُدَيح: نعمْ! وقد أخطأه ذلك عند القَسْرِيّ[٣] وصَوَاحِبه. فقال ٱبن أبي عَتِيق: وَيْحَكَ يا بُدَيح! إنّ مَنْ تَغابَى لكَ لِيَغْبَى عنك، فقد ضُمَّتْ عليه قَبْضَتُكَ إنْ كانَ لك ذهنٌ، أمَا رأيتَ لِمَنْ كانتِ العاقبةُ؟ والله ما بَالَى ٱبنُ أبي ربيعةَ أَوقَعَ عليهنّ أم وَقَعْنَ عليه!.

أخبرني عَمِّي قال: حدّثنا محمد بن سَعْد الكُرَانيّ قال: حدّثنا العُمَرِيّ عن كَعْب بن بكر المُحَارِبيّ: أَنَّ فاطمةَ بنتَ محمد بن الأَشْعَثِ حَجَّتْ، فراسَلَها عُمَرُ

---

(١) الآية: الإشارة والعلامة.

(٢) انشدها: اطلبها.

(٣) القَسْريّ: خالد بن عبد الله القسري، أمير العراقين وأحد خطباء العرب، كان يماشي عمر بن أبي ربيعة ويترسّل بينه وبين النساء. (ت ١٢٦ هـ/ ٧٤٣ م) ترجمته في: تهذيب ابن عساكر ٥: ٦٧، وابن خلدون ٣: ١٠٥، والأعلام ٢: ٣٣٨.

ابن أبي ربيعة فَوَاعَدَتْهُ أنْ تزورَهُ، فَأَعْطَى الرَّسولَ الذي بَشَّرَهُ بزيارتِها مائةَ دينار.

أخبرني عليّ بن صالح عن أبي هَفَّان عن إسحاقَ عن رجاله المذكورين، قالوا: حَجَّتْ بِنْتٌ لِمحمد بن الأشْعث ـ هكذا قال إسحاق وهو عندي الصَّحيحُ ـ وكانت معها أُمُّها وقد سَمِعَتْ بعمر بن أبي ربيعة فأرسلتْ إليه، فجاءها فاستنشدتْه، فأنشدها: [المتقارب]

تَشُطُّ غَداً دارُ جيرانِنا ... ولَلدَّارُ بعدَ غَدٍ أَبْعَدُ

وذكر القصة بطولها. قال: وقد كانَتْ لمّا جاءها أرسلَتْ بينها وبينه سِتْراً رقيقاً تراه من ورائِهِ ولا يراها، فجعلَ يُحَدثها حتى ٱستنشدَتْه، فأنشدَها هذه القصيدةَ، فاسْتَخَفَّها الشِّعْرُ[1] فرفَعتِ السَّجْف[2]، فرأى وَجْهاً حَسَناً في جسمٍ ناحِلٍ، فَخَطَبها وأرسلَ إلى أُمِّها بخَمْسمائة دينار، فأبَتْ وحَجَبَتْه وقالت لِلرَّسولِ: تعودُ إلينا. فكأنّ الفتاةَ غَمَّها ذلك، فقالت لها أُمُّها: قد قَتَلكِ الوَجْدُ به فتزوجّيه. قالت: لا والله لا يَتحدَّثُ أهلُ العراق عَنِّي أَنِّي جِئْتُ ٱبنَ أبي ربيعة أَخْطُبُهُ، ولكن إن أتاني إلى العراقِ تزوّجته. قال: ويُقالُ: إنَّها راسلَتْهُ وواعدَتْه أن تزورَه، فَأجْمرَ[3] بيتَهُ وأعطَى المُبَشِّرَ مائةَ دينارٍ، فأتته وواعدته إذا صَدَرَ[4] النّاسُ أن يُشَيِّعَها، وجعلَتْ علامةَ ما بينهما أن يأتيَها رسولُه ينشُدها ناقةً له. فلمّا صدَرَ النّاسُ فعلَ ذلك عمرُ. وفيه يقول وقد شَيَّعها:

صوت

[الكامل]

قالَ الخَلِيطُ غَداً تَصَدُّعُنا ... أو بَعْدَهُ، أَفَلا تُشَيِّعُنا[5]

أمّا الرَّحيلُ فَدُونَ بَعْدِ غدٍ ... فمتى تقولُ الدَّارَ تَجْمَعُنا[6]

---

(١) استخفّها الشّعر: أطربها.

(٢) السَّجف: السِّتر.

(٣) أجمرَ بيته: بَخَّرَه وطَيَّبَه.

(٤) صدر الناس: انصرفوا ورجعوا.

(٥) الخليط: القوم المختلطون الذين أمرهم واحد، وكان العرب يجتمعون في مكان واحد ثم عندما يقوِّضون خيامهم للرحيل يسوؤهم ذلك ويحزنهم. والتّصَدُّع: التفرّق. وشَيَّعه عند رحيله: خرج معه من منزله مودِّعاً.

(٦) تقول: تظنّ.

لِتَشُوقَنا هِنْدٌ وقد عَلِمَتْ ... عِلماً بأنَّ البَيْنَ يُفزِعُنا[١]
عَجَباً لِمَوْقِفِنَا ومَوقِفِهَا ... وبِسَمْعِ تِرْبَيْها تُرَاجِعُنا![٢]
وَمَقالِها سِرْ ليلةً مَعَنا ... نَعْهَدْ فإنّ البَيْنَ فاجِعُنا[٣]!
قُلْتُ: العيونُ كثيرةٌ معكم ... وأظنُّ أنَّ السَّيْرَ مانِعُنا
لا بل نَزورُكُم بِأرضِكُم ... فَيُطَاعُ قائِلُكم وشافِعُنا
قَالَتْ أشيءٌ أنتَ فاعِلُهُ ... هذا لَعَمْرُكَ أمْ تُخادِعُنا؟
بِاللّهِ حَدِّثْ ما تُؤمِّلُهُ ... واصْدُقْ فإنَّ الصِّدْقَ وَاسِعُنا
إضْرِبْ لنا أجَلاً نَعُدُّ له ... إخلافُ مَوْعِده تَقاطُعُنا

الغناء لابن سُرَيج ثقيلٌ أولُ مطلقٌ في مَجْرى البِنْصر عن إسحاق، وذكر عَمْرو أنه لِلغَرِيض بالوُسْطى. وفيه لابن سُرَيج خفيفُ رملٍ عن الهِشاميّ، وذكر حَبَشٌ أنه لمُوسَى شَهَوات.

[شِعْرُه وأخباره مع زينب بنت موسى الجمحية]

ومنها مما لم يُنْسَبْ أيضاً:

صوت

[مجزوء الوافر]

لقد أرْسَلْتُ جارِيَتِي ... وقُلْتُ لها: خُذِي حَذَرَكْ
وقُولِي في مُلاطفةٍ ... لِزينبَ: نَوِّلي عُمَرَكْ
فهَزَّتْ رأسَها عَجَباً ... وقالَتْ: مَنْ بِذَا أمَرَكْ
أهذا سِحْرُكَ النِّسوا ... نَ، قد خَبَّرْنَنِي خَبَرَكْ

غَنَّى فيها ابن سُرَيج خفيفَ رملٍ بالبِنصر عن عمرو، وقال قومٌ: إنه للغَرِيض. وفيها لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ عن ابن المكيّ. وفي هذا الشّعر ألحانٌ كثيرةٌ، والشِّعرُ فيها على غير هذه القافية؛ لأنّ هذه الأبياتَ لِعُمَر من قصيدةٍ رائيّةٍ موصولة الرّاءات بألفٍ، إلاّ أنّ المغنّينَ غَيَّروا هذه الأبيات في هذين

(١) في الديوان (قَتَلَتْ) بدل (علمت) وقتلت علماً: أي تحققت الأمرَ.
(٢) التِّرب: المماثل في السّنّ.
(٣) نعهد: نأخذ العهد على اللّقاء بعد الفراق.

اللَّحْنَيْن، فجعلوا مكانَ الألِف كافاً؛ وإنّما هي: [مجزوء الوافر]

لــقــد أرْسَــلْــتُ جــاريــتــي وقُــلْــتُ لــهــا: خُــذي حَــذَرا

وأوّل القصيدة:

صوت

[مجزوء الوافر]

تَــصَــابَــى الــقَــلْــبُ وادَّكَــرا صِــبَــاهُ ولــم يَــكُــنْ ظَــهَــرا
لِــزَيْــنَــبَ إذ تُــجِــدُّ لــنــا صَــفَــاءً لــم يَــكُــنْ كَــدِرَا
أَلَــيْــسَــتْ بِــالّــتــي قــالَــتْ لِــمَــولاةٍ لــهــا ظُــهُــرَا
أَشِــيــري بِــالــسَّــلامِ لــه إذا هُــوَ نَــحْــوَنــا خَــطَــرا[1]
لــقــد أرْسَــلْــتُ جــاريــتــي وقُــلْــتُ لــهــا: خُــذِي حَــذَرا
وقُــولــي فــي مُــلاطــفــةٍ لِــزَيْــنَــبَ: نَــوِّلــي عُــمَــرا
فَــهَــزَّتْ رَأسَــهــا عَــجَــبــاً وقــالَــتْ: مَــنْ بِــذَا أمَــرا!
أهــذا سِــحْــرُكَ الــنّــسْــوا نَ، قــد خَــبَّــرْنَــنِــي الــخَــبَــرَا

غَنَّى ٱبنُ سُرَيْج في الثّالث والرّابع والخامس والأوّل خفيفَ ثقيلٍ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البِنْصر من رواية إسحاق. وذكر عَمْرو بن بَانَةَ في نسخته الأولى أنه لابن سُرَيْج، وأبو إسحاق ينسبُه في نسخته الثّانية إلى دَحْمَانَ. وللغَرِيض في الأوّل من الأبيات لحن من القَدْر الأوْسط من الثقيل الأوّل بالوُسْطى في مَجْراها، وأضاف إليه بيتين ليسا من هذه القصيدة وهما: [مجزوء الوافر]

طَــرِبْــتَ وَرَدَّ مَــنْ تَــهْــوَى جِــمَــالُ الــحَــيِّ فَــابْــتَــكَــرا
فَــقُــلْ لِــلــمــالِــكِــيَّــةِ لا تَــلُــومِــي الــقَــلْــبَ إن جَــهَــرا

وذكَر يونُس أنّ لِمَعْبَدٍ في هذا الشّعرِ الّذي أوّله:

تَــصَــابَــى الــقَــلْــبُ وادّكَــرَا

لَحْنَيْنِ لم يَذْكُرْ جِنْسَيْهِما؛ وذكر الهشاميُّ: أنّ أحدَهما خفيفُ ثقيلٍ والآخَرَ رَمَلٌ. وفي الأبيات التي غَنَّى فيها الغريضُ رَمَلٌ لدَحْمَانَ عن الهشاميّ، قالَ: ويقالُ

---

(١) في الديوان (نظرَ) بدل (خطرَ).

إنّه لابنة الزُّبَير. وزينبُ التي ذكرها عُمَرُ بنُ أبي ربيعةَ هاهنا، يُقَالُ لها: زينبُ بنتُ موسى أُختُ قُدَامَةَ بن موسى الجُمَحِيّ.

أخبرني بذلك محمدُ بنُ خَلَفِ بن المَرْزُبانِ عن أبي بَكْر العامريّ. وأخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاَء قال: حَدَّثنا الزُّبَيْر بن بَكّار قال: حَدَّثني عبدُ الرَّحمن بنُ عبد الله بن عبد العزيز الزُّهْرِيّ قال: حَدَّثني عَمِّي عِمرانُ بنُ عبد العزيز قال: شَبَّبَ عُمَرُ ابن أبي ربيعةَ بزينبَ بنتِ موسى الجُمَحِيَّة في قصيدته الّتي يقول فيها:

صوت [الخفيف]

يـا خَـلِـيـلَـيَّ مِـنْ مَـلامٍ دَعَـانِـي … وَأَلِـمَّـا الـغَـدَاةَ بِـالأَظْـعَـانِ[1]

لا تَـلُـومَـا فـي آلِ زَيْـنَـبَ إِنَّ الـ … ـقَـلْـبَ رَهْـنٌ بِـآلِ زَيْـنَـبَ عَـانِـي[2]

مـا أَرَى مـا بَـقِـيـتُ أَنْ أَذْكُـرَ الـمَـوْ … قِـفَ منهـا بِـالـخَـيْـفِ إلاَّ شَـجَـانِـي[3]

ـ غَنَّى في هذه الأبيات الغريضُ خفيفَ رملٍ بالبنْصر عن عمرو ـ

لـم تَـدَعْ لِـلـنِّـسَـاءِ عِـنـدِيَ حَـظّـاً … غَـيْـرَ مـا قُـلْـتُ مَـازِحـاً بِـلِـسَـانِـي

هِـيَ أَهْـلُ الـصَّـفـاءِ والـوُدِّ مِـنِّـي … وإلـيـهـا الـهَـوَى فـلا تَـعْـذُلاَنـي[4]

حـيـن قَـالَـتْ لأُخْـتِـهَـا ولأُخْـرَى … مِـنْ قَـطِـيـنٍ مُـوَلَّـدٍ: حَـدِّثـانـي[5]

كـيـفَ لـي الـيـومَ أَنْ أَرَى عُـمَـرَ الْـمُـرْ … سِـلَ سِـرّاً فـي الـقَـوْلِ أَنْ يَـلْـقَـانِـي؟

قـالـتَـا: نَـبْـتَـغِـي رسـولاً إلـيـه … ونُـمِـيـتُ الـحـديـثَ بـالـكِـتـمـانِ

إنّ قَـلْـبِـي بَـعْـدَ الّـذي نِـلْـتُ مـنـهـا … كَـالـمُـعَـمَّـى عـن سَـائِـرِ الـنِّـسْـوَانِ[6]

قال: وكان سببُ ذِكْرِهِ لها أنّ ٱبنَ أبي عتيق ذَكَرَها عِندَه يوماً فَأَطْراها، ووصَفَ من عقلِها وأدبِها وجمالِها ما شَغَل قلبَ عُمَر وأمالَه إليها، فقالَ فيها الشِّعْرَ

(١) الأظعان: جمع الظّعينة: الجمل يظعن عليه، وتستعمل للنساء المسافرات في الهوادج.

(٢) العاني: الأسير.

(٣) في الديوان (ما حييتُ) بدل (ما بقيت). والخَيْف: ما انحدر من غِلَظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء وهو بطحاء مكّة (معجم البلدان ٢: ٤١٢).

(٤) لا تعذلاني: لا تلوماني.

(٥) القطين: الخدم والأتباع. والمُوَلَّد من العبيد والإماء: الذي وُلِدَ بين العرب ونشأ مع أولادهم.

(٦) في الديوان (المُعَنَّى) بدل (المُعَمّى). والمُعَنّى: المحبوس عن غيرها.

وشَبَّبَ بها؛ فبلغَ ذلك ٱبنَ أبي عَتِيقٍ، فلامَهُ فيه وقال له: أَتَنطِقُ الشّعرَ في ٱبنةِ عَمِّي؟ فقال عمرُ:

صوت

[الخفيف]

لا تَلُمْنِي عَتِيقُ حَسْبِي الّذي بي ... إنَّ بي يا عَتِيقُ ما قَدْ كَفَانِي[١]

لا تَلُمْنِي وأَنْتَ زَيَّنْتَها لي ... أَنْتَ مِثْلُ الشَّيطانِ لِلإِنسانِ

إنّ بي داخلاً مِنَ الحُبِّ قد أَبْـ ... ـلَى عِظَامِي مَكْنُونُهُ وبَرَانِي

لو بِعَيْنَيْكَ يا عَتِيقُ نَظَرْنا ... لَيْلَةَ السَّفْحِ قَرَّتِ العَيْنَانِ[٢]

إذ بَدَا الكَشْحُ والوِشَاحُ مِنَ الدُّ ... رِّ وَفَصْلٌ فيه مِنَ المَرْجانِ[٣]

قد قَلَى قَلْبِيَ النِّسَاءَ سِوَاها ... غيرَ ما قُلْتُ مازِحاً بِلساني[٤]

وأوّل هذه القصيدة: [الخفيف]

إنَّني اليومَ عَادَ لِي أحزاني ... وتَذَكَّرْتُ ما مَضَى مِنْ زَمَانِي[٥]

وتَذَكَّرْتُ ظَبْيَةً أُمَّ رِئْمٍ ... هَاجَ لي الشَّوْقَ ذِكْرُهَا فَشَجَانِي[٦]

غَنَّى أبو العُبَيْس بنُ حَمْدون في «لا تلمني عتيق...» لحناً من الثقيل الأوّلِ المُطلَقِ. وفيه رَمَلٌ طُنْبُورِيٌّ مجهولٌ.

أخبرني الحَرَمِيُّ قال: حدَّثنا الزُّبَيرُ قال: أخبرني عبدُ الملك بنُ عبد العزيز عن يوسفَ بن الماجِشُون قال: أنشد عمرُ بنُ أبي ربيعة قوله:

يا خَلِيلَيَّ من مَلامٍ دَعَاني ... وأَلِمَّا الغَدَاةَ بِالأَظْعانِ

---

(١) حسبي: يكفيني.
(٢) السَّفْح: موضع وعرض الجبل (معجم البلدان ٣: ٢٢٤)، قَرَّت العينان: اطمأنّت وهدأت.
(٣) الكَشْح: ما بين الخاصرة والسّرَّة ووسط الظهر من الجسم. والوشاح: شبه قلادة من نسيج أو جلد عريض يرصّع بالجوهر تشدّه المرأة بين عاتقها وكشحيها.
(٤) قلى: أبغض. والشّطر الثاني في الديوان هكذا:
.... بعدما كانَ مغرماً بالغواني
أما الشطر الثاني فقد ورد بغير هذه القصيدة (ديوانه ص ٤١٦):
لم تَدَعْ للنّساء عندي نصيباً ... غيرَ ما قلتُ مازحاً بلساني
(٥) في الديوان (عادني) بدل (عاد لي). و (ميعتي) بدل (ما مضى). وميعة الشباب: أوّله وأنشطه.
(٦) الرِّئم: ولد الظّبية.

لا تَـلـومَـا فـي آلِ زَيـنَـبَ إنَّ الـ ـقَـلْـبَ رَهْـنٌ بـآلِ زَيْـنَـبَ عَـانِـي

. . . القصيدةَ. قال: فبلغَ ذلك أبا وَدَاعَةَ السَّهْمِيّ فأنكره وغَضِبَ. وبلغَ ذلك ٱبنَ أبي عَتِيقٍ وقيلَ له: إنّ أبا وَدَاعَةَ قد ٱعترَض لابنِ أبي ربيعةَ من دون زينبَ بنت موسى، وقال: لا أُقِرُّ لابنِ أبي ربيعةَ أن يذكُرَ ٱمرأةً من بني هُصَيْصٍ في شعره. فقال ٱبنُ أبي عتيقٍ: لا تلوموا أبا وَدَاعَةَ أن يُنْعِظَ مِنْ سَمَرْقَنْدَ[١] على أهلِ عَدَنَ!

قال الزُّبَير: وحَدَّثني عبدُ الرّحمن بنُ عبد الله بن عبد العزيز الزُّهْرِيّ قال حدّثني عَمِّي عِمْرانُ بنُ عبد العزيز، قال: شَبَّبَ عُمَرُ بن أبي ربيعة بِزينبَ بنتِ موسى في أبياته التي يقول فيها: [الخفيف]

لا تَـلـومـا فـي آلِ زيـنـبَ إنّ الـ ـقـلْـبَ رَهْـنٌ بـآلِ زيـنـبَ عَـانِـي

فقال له ٱبنُ أبي عتيق: أَمَّا قَلبُكَ فقد غُيِّبَ عنّا، وأمّا لِسانُكَ فشاهدٌ عليك.

قال عبدُ الرّحمن بنُ عبد الله: قال عِمرانُ بنُ عبد العزيز: عَذَلَ ٱبنُ أبي عتيقٍ عمرَ في ذكره زينبَ في شعره؛ فقال عمرُ:

لا تَـلُـمْـني عَـتِـيقُ حَسْـبِي الّـذي بي إنّ بـي يـا عِـتَـيـقُ مـا قَـدْ كَـفـانـي
لا تـلـمـنـي وأنـتَ زَيَّـنْـتَـهـا لـي . . . .

قال: فبدَرَهُ ٱبنُ أبي عتيق، فقال:

. . . . أَنـتَ مِـثْـلُ الـشَّـيـطـانِ لِـلإنـسـانِ

فقال ٱبن أبي ربيعة: هكذا ورَبِّ البيتِ قُلْتُهُ. فقال ٱبنُ أبي عَتيق: إنّ شيطانَكَ ورَبِّ القَبْر[٢] ربّما أَلَمَّ بي، فَيَجِدُ عندي من عِصْيانِهِ خِلافَ ما يَجِدُ عندكَ من طاعتِهِ، فَيُصِيبُ منّي وأُصِيبُ منه.

أخبرني الحرميّ قال: حدّثنا الزُّبير قال: حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال: حدّثني قُدَامة بن موسى قال: خَرَجْتُ بِأختي زينبَ إلى العُمْرَةِ، فلمّا كُنْتُ بِسَرِفٍ[٣] لَقِيَنِي عُمَرُ بن أبي ربيعة على فرسٍ فَسَلَّمَ عَلَيَّ. فقلتُ له: إلى أينَ أراك

(١) سَمَرْقَنْد: بلد معروف قيل إنه من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر (معجم البلدان ٣: ٢٤٦).
(٢) ورب القبر: قَسَمٌ اعتاده أهل المدينة وهم يعنون قبر النبيﷺ.
(٣) سَرِف: موضع على ستة أميال من مكة، حيث تزوّج رسول اللهﷺ ميمونة بنت الحارث وبنى بها وتوفيت هناك. (معجم البلدان ٣: ٢١٢).

مُتَوَجِّهاً يا أبا الخَطَّابِ؟ فقالَ: ذُكِرَتْ لي ٱمرأةٌ من قومي بَرْزَةُ[1] الجَمَالِ، فأردتُ الحديثَ معها. فقلتُ: هل عَلِمْتَ أَنَّها أختي؟ فقال: لا! وٱسْتَحْيا وثَنَى عُنُقَ فَرَسِهِ راجعاً إلى مَكَّةَ.

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبَانِ قال: حدّثنا أحمد بن الهَيْثم قال: حدّثنا العُمَرِيّ عن لَقِيط بن بكر المُحَارِبيّ قال: أنشدني ٱبنُ أبي عَتِيق قولَ عمر:

صوت

[الطويل]

مَـنْ لِسَـقِيـم يَـكْـتُـمُ الـنَّـاسَ مـا بـه ... لِزَيْنَبَ نَجْوَى صَدْرِه والوَساوِسُ[2]

أقولُ لِمَنْ يَبْغِي الشِّفَاءَ مَتَى تَجِىءْ ... بِزَيْنَبَ تُدرِكْ بعضَ ما أنتَ لامِسُ

فإنَّكَ إنْ لم تَشْفِ من سَقَمِي بها ... فَـإِنِّـيَ مِـنْ طِـبِّ الأطـبَّـاءِ آيِـسُ[3]

ولَسْتُ بِناسٍ ليلةَ الدَّارِ مَجْلِساً ... لِزينبَ حتى يَعْلُوَ الرَّأْسَ رَامِسُ[4]

خَلاَءً بَدَتْ قَمْراؤُه وتَكَشَّفَتْ ... دُجُنَّتُهُ وغَابَ مَنْ هو حارِسُ[5]

وما نِلْتُ منها مَحْرَماً غير أَنَّنا ... كِلانا مِنَ الثَّوبِ المُوَرَّدِ لاَبِسُ

نَجِيَّيْنِ نَقْضِي اللَّهْوَ في غير مَأْثَمٍ ... وإن رَغِمَتْ مِ ٱلكاشِحِينَ المَعَاطِسُ[6]

قال: فقالَ ٱبنُ أبي عَتِيق: أَمِنَّا يَسْخَرُ ٱبنُ أبي رَبيعة! فَأَيُّ مَحْرَمٍ بَقِيَ! ثمَّ أتى عمرَ فقال له: يا عمرُ، ألم تُخبِرْنِي أنَّكَ ما أتَيْتَ حَرَاماً قَطُّ؟ قالَ: بَلَى! قال: فأخْبِرني عن قولك:

كِلاَنَا مِنَ الثَّوْبِ المورَّد لابسُ

ما معناه؟ قالَ: واللَّهِ لأُخبِرَنَّكَ! خَرَجْتُ أُريدُ المسجدَ وخَرَجَتْ زينبُ تريدُه، فالتقينا فَاتَّعَدْنا[7] لبعض الشِّعَابِ[8]، فلما تَوَسَّطْنا الشِّعْبَ أَخَذَتْنا

---

(١) البَرْزة من النساء: الجليلة التي تظهر للنساء ويجلس إليها القوم فهي موثوق برأيها وعفافها.
(٢) في الديوان (ومن لسقيم) وهي الأصح لأن الواو هي فاء فعولن في الوزن.
(٣) آيس: يائس.
(٤) الرَّامس: الدّافن في الرَّمس وهو القبر.
(٥) الدُّجُنَّة: الظلام الدّامس.
(٦) الكاشح: العدو المبغض الذي يُضمر العداوة. والمعاطس: الأنوف.
(٧) اتّعدنا: تواعدنا.
(٨) الشّعاب: جمع الشِّعب: الطريق في الجبل أو هو الحي والناحية.

السَّماءُ[١]، فَكَرِهْتُ أن يُرَى بثيابِهَا بَلَلُ المطر، فيقالَ لها: ألاَ ٱسْتَتَرْتِ بِسَقَائِفِ المسجدِ أنْ كنتِ فيه، فَأَمَرْتُ غِلْماني فَسَتَرُونَا بِكِسَاءِ خَزٍّ كانَ عَلَيَّ؛ فذلك حين أقول:

كـلانـا مِـنَ الـثَّـوب الـمَـطَـارِفِ[٢] لابِـسُ

فقال له ٱبنُ أبي عتيق: يا عَاهِرُ! هذا البيت يحتاجُ إلى حَاضِنَة!

الغناء في هذه الأبيات الَّتي أَوَّلها:

مَـنْ لِـسَـقِـيـمٍ يَـكْـتُـمُ الـنَّـاسَ مـا بـه

لِرَذَاذٍ ثقيلٌ أوّلُ، وكان بعض المحدَثين مِمّن شاهدناه يَدَّعي أنّه له، ولم يُصَدَّقْ.

أخبرني الحَرَمِيُّ قال: حدَّثنا الزُّبَيْر قال: حدّثني عبد الملك بن عبدِ العزيز عن يوسفَ بن المَاجُشُونِ قال: قال عمر بن أبي ربيعة في زينب بنت موسى:

صوت

[الخفيف]

طَـالَ مِـنْ آلِ زَيْـنَـبَ الإعْـرَاضُ ... لِـلـتَّـعَـدِّي ومـا بـهـا الإبـغـاضُ
وَوَلِـيـدَيْـنِ كـان عُـلِّـقَـهـا الـقـلـ ... ـبُ إلـى أنْ عـلا الـرُّؤوسَ بَـيَـاضُ
حَـبْـلُـهـا عِـنـدَنـا مَـتِـيـنٌ وحَـبْـلـي ... عِـنـدَهـا واهِـنُ الـقُـوَى أنْـقَـاضُ[٣]

الغناء في هذه الأبيات لابن مُحْرِز خَفِيفُ رَمَلٍ بِالبِنْصر عن عمرو. وقال الهِشاميّ: فيه لابن جامع خَفيفُ رَمَلٍ آخر.

أخبرني الحَرَمِيُّ بن أبي العَلاَءَ قال: حَدّثنا الزُّبَير قال: قال عبد الرّحمن بن عبد الله وحدّثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز عن أبيه قال: لمّا قالَ عُمَرُ بن أبي ربيعة في زينب:

---

(١) أخذتنا السماء: فاجأنا المطر.

(٢) المطارف: جمع المطرف: رداء من خَزّ مربّع ذو أعلام.

(٣) الحبل: العهد والمودة، وواهن القوى: ضعيف الفتل، وأنقاض: جمع النِّقْض: الحبل الذي لم يُجوّد فتله ولم يُبْرَم.

لم تَدَعْ لِلنِّساءِ عِندِي نَصِيباً   غيرَ ما قُلْتُ مازحاً بِلساني

قال له ابن أبي عَتِيق: رَضِيتَ لها بِالمودَّةِ، ولِلنِّساءِ بالدَّهْفَشَةِ. قال: والدَّهْفَشَةُ: التَّجْمِيشُ[1] والخَدِيعةُ بِالشَّيءِ اليسيرِ. وقال غيرُ الزُّبَيْرِ في هذا الخبر: الدَّهقشة[2]، مكان الدّهفشة.

ومما قاله عمرُ في زينب وغُنِّيَ فيه قولُه:

صوت

[الخفيف]

أيُّها الكاشِحُ المُعَيِّرُ بِالصُّرْ   م تَزَحْزَحْ فما لها الهِجْرَانُ[3]
لا مُطاعٌ في آلِ زَيْنَبَ فارْجِعْ   أَو تَكَلَّمْ حتَّى يَمَلَّ اللِّسَانُ
نَجْعَلُ اللَّيْلَ مَوعِداً حينَ نُمْسِي   ثم يُخْفِي حَدِيثَنا الكِتْمانُ
كيفَ صَبْرِي عن بعضِ نَفْسِي وهل يَصْـ   ـبِرُ عن بَعْضِ نَفْسِهِ الإنسانُ!
ولقد أَشْهَدُ المُحَدَّثَ عِنْدَ الـ   ـقَصرِ فيه تَعَفُّفٌ وبَيَانُ
في زمانٍ مِنَ المَعِيشَةِ لَذْنٍ   قد مَضَى عَصْرُهُ وهذا زَمَانُ[4]

الغناء في هذه الأبيات لابن سُرَيجٍ رَمَلٌ بالوُسْطى عن عمرٍو ودَنَانيرَ. وذكر يونسُ أنّ فيه لحناً لابن مُحْرِز ولحناً لابن عَباد الكاتب، أوّل لحن ابن عبَّاد الكاتب:

لا مُطَاعٌ في آلِ زينبَ....

وأوّل لحن ابن مُحرِز:

ولقد أشهدُ المُحَدَّثَ....

ومما غُنِّيَ فيه لابن مُحْرِز من أشعار عمرَ بن أبي ربيعة في زينبَ بنتِ موسى قولُه:

---

(١) التَّجميش: المداعبة والمغازلة.
(٢) الدَّهقشة: لغة في الدَّهْفَشة (لسان العرب مادة دهش).
(٣) في الديوان (المُعَرِّض) بدل (المُعَيِّر). والصُّرْم: الهجر.
(٤) اللَّذن: اللَّيِّن. وفي الديوان (لَذٍّ) بدل (لَذنٍ). واللَّذّ: اللَّذيذ.

صوت

[البسيط]

يـا مَـنْ لِـقَـلْـبٍ مُـتَـيَّـمٍ كَـلِـفٍ   يَـهْـذِي بِـخَـوْدٍ مَـرِيـضَـةِ الـنَّـظَـرِ[1]
تـمـشـي الـهُـوَيْـنَـى إذا مَـشَـتْ فُـضُـلاً   وهْيَ كـمِـثْـلِ العُـسْـلُـوجِ في الشَّجَـرِ[2]

ـ لِلغَرِيض في هذين البيتين خَفِيفُ رَمَلٍ بالوُسْطى، ولابن سُرَيج رَمَلٌ بالبِنْصر عن الهِشَاميّ وحَبَش ـ.

[البسيط]

مـا زال طَـرْفِـي يَـحَـارُ إذ بَـرَزَتْ   حتى رأيتُ النُّقْصَانَ في بَصَرِي[3]
أبْـصَـرْتُـهـا لَـيْـلَـةً ونِـسْـوَتَـهـا   يَـمْـشِـيـنَ بـيـن الـمَـقَـام والـحَـجَـرِ[4]
مـا إن طَـمِـعْـنـا بـهـا ولا طَـمِـعَـتْ   حَـتَّـى الْـتَـقَـيْـنَـا لَـيـلاً عـلـى قَـدَرِ[5]
بِـيـضـاً حِـسـانـاً خَـرَائِـداً قُـطُـفـاً   يَـمْـشِـيـنَ هَـوْنـاً كَـمِـشْـيَـةِ الـبَـقَـرِ[6]
قَـد فُـزْنَ بِـالـحُـسْـنِ والـجَـمـالِ مـعـاً   وفُـزْنَ رِسْـلاً بِـالـدَّلِّ والـخَـفَـرِ[7]
يُـنْـصِـتْـنَ يـومـاً لـهـا إذا نَـطَـقَـتْ   كَـيْـمَـا يُـشَـرِّفْـنَـهَـا عـلـى الـبَـشَـرِ[8]
قَـالَـتْ لِـتِـرْبٍ لـهـا تُـحَـدِّثُـهَـا   لَـنُـفْـسِـدَنَّ الـطَّـوَافَ فـي عُـمَـرِ
قُـومِـي تَـصَـدَّيْ لـه لِـيَـعْـرِفَـنـا   ثـمّ اغْـمِـزِيـهِ يـا أُخْـتُ فـي خَـفَـرِ[9]
قَـالـتْ لـهـا قـد غَـمَـزْتُـهُ فَـأَبَـى   ثـم اسْـبَـطَـرَّتْ تَـسْـعَـى عـلـى أثَـرِي[10]
مَـنْ يُـسْـقَ بـعـد الـمـنـامِ رِيـقَـتَـهـا   يُـسْـقَ بِـمِـسْـكٍ وبَـارِدٍ خَـصِـرِ[11]

---

(١) الخَوْد: الفتاة الحسنة الخَلْق الشّابة. ومريضة النظر: ذابلة العينين.
(٢) مشي الهُوَيْنَى: التّمهُّل والرِّفق في المشي. وفُضُلاً: متفضّلة في ثوب واحد. والعُسْلوج: ما لان واخضرّ من القضبان.
(٣) في الديوان (نظرت) بدل (برزت).
(٤) المقام: مقام إبراهيم في الكعبة. والحجر: الحجر الأسود. أي في الحج.
(٥) على قَدَر: على غير موعد.
(٦) الخرائد: جمع الخريدة: الفتاة العذراء الحَيِيَّة. والقُطُف: جمع القطوف: البطيئة في السَّيْر. الهَوْن: الرَّصانة والوقار.
(٧) الرِّسْل: الرِّفق والتّؤدة. والدَّلُّ: الغنج. والخَفَر: الحياء.
(٨) في الديوان (يفضّلنها) بدل (يُشَرِّفنها).
(٩) في الديوان (ليبصرّنا) بدل (ليعرفنا).
(١٠) اسبطرّتْ: أسرعت.
(١١) الخَصِر: البارد.

غَنَّى في هذا الشّعرِ الغَريضُ خفيفَ رمل بالوسطى عن عمرو. وغَنَّى فيه ابن سُرَيجٍ رَمَلاً بِالبنصر عن الهشاميّ وحبَش. ومنها[١]:

صوت

[الوافر]

أَلاَ يَا بَكْرُ قد طَرَقَا ... خَيَالٌ هاجَ لي الأَرَقَا[٢]

لِزَيْنَبَ إِنَّهَا هَمِّي ... فكيفَ بِحَبْلِهَا خَلَقَا[٣]

خَدَلَّجَةٌ إذا انْصَرَفَتْ ... رَأَيْتَ وِشَاحَهَا قَلِقَا[٤]

وسَاقاً تَمْلأُ الخَلْخَا ... لَ فيه تَراهُ مُخْتَنِقَا

إذا ما زَيْنَبٌ ذُكِرَتْ ... سَكَبْتُ الدَّمْعَ مُتَّسِقَا[٥]

كأنَّ سَحَابَةً تَهْمِي ... بِمَاءٍ حُمِّلَتْ غَدَقَا[٦]

الغناء لِحُنَيْن رَمَلٌ عن الهِشَاميّ. وفيه لابن عبَّاد خَفِيفُ ثَقِيل، ويقال: إنّه ليونس، ومما قاله فيها أيضاً وغُنِّيَ فيه:

صوت

[البسيط]

أَلْمِمْ بِزَيْنَبَ إنَّ البَيْنَ قد أَفِدَا ... قَلَّ الثَّواءُ لَئِنْ كانَ الرَّحِيلُ غَدَا[٧]

قل حَلَفَتْ ليلةَ الصَّوْرَينِ جاهدةً ... وما على المَرْءِ إلا الحَلْفُ مُجْتَهِدَا[٨]

لأُخْتِهَا ولأُخْرَى من مَنَاصِفِهَا ... لقد وَجَدْتُ به فوقَ الّذي وَجَدَا[٩]

---

(١) ومنها: يريد من الأشعار التي قالها في زينب.

(٢) طَرَق: أتاني ليلاً.

(٣) الحبل: الوصال. وخلق: بَلِيَ.

(٤) خَدَلَّجة: المرأة الممتلئة الذراعين والساقين وفي ديوان الشاعر بيتان لهما الشطر الأول نفسه أما الثاني:

.... أَلِفَتُ السُّهدَ والأَرَقا

(٥) مُتَّسِقاً: منتظماً.

(٦) تهمي: تصبّ. والغَدَق: الماء الكثير.

(٧) أَفِدَ: دنا واقترب بسرعة. والثَّوَاء: الإقامة بالمكان والثّبات به.

(٨) الصّوران: موضع بالمدينة بالبقيع (معجم البلدان ٣: ٤٣٢).

(٩) المناصف: جمع المِنْصف: الخادم. وفي الديوان (لِتِربها) بدل (لأختها). ووجدت: لقيتُ من الوَجْدِ.

لو جُمِّعَ النَّاسُ ثمّ اختِيرَ صَفْوُهُمُ شَخصاً مِنَ النَّاسِ لم أَعْدِلْ به أَحَدا

الغناء لابن سُرَيج رَمَلٌ بالسَّبَّابة والبِنْصر في الأوّل والثّاني عن يحيى المكّيّ، وله فيه أيضاً خَفيفُ رَمَلٍ بالوُسْطى في الثّاني والثّالث والرابع عن عَمْرو. ولِمَعْبَد ثقيلٌ أوّلُ في الأوّل والثّاني عن الهِشَامِيّ. وفيه خفِيفُ ثَقِيلٍ يُنْسَبُ إلى الغَرِيض ومالك.

أخبرني عليّ بن صالح قال: حدّثنا أبو هَفّان عن إسحاقَ عن مُصْعَبٍ الزُّبَيريّ قال: اجتمعَ نِسْوَةٌ فَذَكَرْنَ عمرَ بنَ أبي رَبيعةَ وشِعْرَهُ وظَرْفَهُ ومَجْلِسَهُ وحديثَه، فَتَشَوَّقْنَ إليه وتَمَنَّيْنَهُ. فقالَتْ سُكَيْنَةُ: أنا لَكُنَّ به، فَبَعَثَتْ إليه رسولاً أنْ يُوافِي الصَّوْرَيْنِ ليلةَ سَمَّتها، فوافاهُنَّ على رَوَاحِلِهِ، فَحَدَّثَهُنَّ حتى طلعَ الفجرُ وحانَ ٱنصرافُهُنَّ. فقالَ لهنّ: واللَّهِ إنّي لَمُحْتَاجٌ إلى زيارةِ قَبْرِ النَّبِيّ ﷺ والصّلاةِ في مسجدِه، ولكِنّي لا أَخْلِط بزيارتِكُنَّ شيئاً. ثم ٱنصرفَ إلى مكّةَ وقالَ في ذلك:

أَلْمِمْ بِزَينبَ إنّ البينَ قد أَفِدَا

وذكر الأبيات المتقدّمة.

[عودةٌ إلى آراء الشعراء فيه]

أخبرني عمّي قال: حَدَّثنا الكُرَانيُّ قال: حدّثنا العُمَرِيّ عن لَقيط قال: أُنْشِدَ جَريرٌ قولَ عُمَرَ بنِ أبي ربيعةَ:

صوت [الخفيف]

سَائِلاَ الرَّبْعَ بِالبُلَيِّ وقُولا هِجْتَ شَوْقاً لِيَ الغَدَاةَ طَوِيلا[١]
أينَ حَيٌّ حَلُّوكَ إذْ أَنْتَ مَحْفُو فٌ بِهِم آهِلٌ أراكَ جَمِيلا؟[٢]
قال سَارُوا فَأَمْعَنُوا وٱسْتَقلُّوا وبِرَغْمِي لَو ٱسْتَطَعْتُ سَبِيلا[٣]
سَئِمُونا وما سَئِمْنَا مُقَاماً وأَحَبُّوا دَمَاثَةً وسُهُولا[٤]

(١) البُلَيّ: تلّ قصير أسفل حاذة بينها وبين ذات عِرق (معجم البلدان ١: ٤٩٤).
(٢) الحَيّ: الجماعة من القبيلة. والآهل من الأمكنة: ما كان فيه أهله.
(٣) أمعنوا: بعدوا. واستقلّوا: واصلوا السّير وجَدّوا في الارتحال.
(٤) الدَّمث: السهل من الأرض.

فقال جَرير: إنّ هذا الّذي كنّا ندُورُ عليه فأخطأناه وأصابَهُ هذا القُرَشِيُّ. وفي هذه الأبيات رَمَلانِ: أحدهما لابن سريج بِالسَّبَّابة في مَجْرى الوُسْطى، والآخَر لإِسحاق مطلقٌ في مَجْرى البِنْصَر جميعاً من روايته. وذكر عمرو: أن فيها رَملاً ثالثاً بِالوُسْطى لابن جَامِع. وقال الهشامِيّ: فيها ثلاثة أرمال لابن سُرَيْج، وابن جامِع، وإبراهيم. ولأبي العُبَيْس بن حَمْدُون فيها ثاني ثَقِيلٍ. وفيها هَزَجٌ لإِبراهيم الموْصليّ من جامع أغانيه.

أخبرني الحَرَمِيّ قال: حَدَّثنا الزُّبَيْر قال: وَجَدْتُ كتاباً بخطِّ محمد بن الحَسَن ذُكِر فيه أنَّ فُلَيح بن إسماعيل حَدَّثه عن مُعاذٍ صاحب الهَرَوِيّ أن النُّصَيْبَ قال:

عُمَرُ بن أبي ربيعة أَوْصَفُنا لِرَبَّاتِ الحِجَالِ.

أخبرني الطُّوسِيُّ: قالَ: حَدَّثنا الزُّبَير قال: حَدَّثتني ظَمْيَاءُ مولاةُ فاطمة بنت عمر بن مُصْعَب قالت: سَمِعْتُ جَدَّكَ يقولُ ـ وقد أُنْشِدَ قولَ عمر بن أبي ربيعة:

صوت

[البسيط]

يا ليتني قد أَجَزْتُ الحَبْلَ نَحْوَكُمُ ... حَبْلَ المُعَرَّفِ أو جَاوَزْتُ ذا عُشَرِ[1]
إنَّ الثَّوَاءَ بِأَرْضٍ لا أَرَاكِ بِهَا ... فَاسْتَيْقِنيهِ ثَوَاءٌ حَقُّ ذِي كَدَرِ
وما مَلِلْتُ ولَكِنْ زَادَ حُبُّكُمُ ... وما ذَكَرْتُكِ إلاّ ظِلْتُ كَالسَّدِرِ[2]
ولا جَذِلْتُ بِشَيءٍ كانَ بَعْدَكُمُ ... ولا مَنَحْتُ سِواكِ الحُبَّ مِنْ بَشَرِ[3]

الغناء في هذه الأربعة الأبيات لِسَلاَّم بن الغَسَّانيّ رَمَلٌ بالسَّبَّابة في مَجْرى الوُسْطَى عن إسحاق، وفيه لابن جامِع وَقَفَا النَّجار لَحْنانِ من كتاب إبراهيم ولم يُجَنِّسْهُمَا. وتمامُ الأبياتِ:

[البسيط]

أَذْرِي الدُّمُوعَ كَذي سُقْمٍ يُخَامِرُه ... وما يُخامِرُني سُقْمٌ سِوى الذِّكَرِ[4]

(١) أجزت: جاوزت. والحبل: حبل عرفة وهو موضع بعرفات. والمُعَرَّف: الموقف بعرفة. وذو عُشَر: وادٍ بين البصرة ومكة (معجم البلدان ٤ : ١٢٥).
(٢) ظِلْت: ظللتُ. والسَّدِر: المتحيِّر.
(٣) جَذِلْتُ: فرحتُ.
(٤) في الديوان (وما يخامرُ من سُقْمٍ) بدل (وما يخامرني سقمٌ). ذرت العين الدمع: أسالته وصَبَّتْهُ.

كم قد ذَكَرْتُكِ لَوْ أَجْدَى تَذَكُّرُكُمْ   يَا أَشْبَهَ النَّاسِ كُلِّ النَّاسِ بِالقمرِ[(١)]

ـ قالَتْ: فقال جَدُّكَ: إن لِشِعْرِ عُمَرَ بن أبي ربيعة لَمَوْقِعاً في القلبِ، ومخالطةً لِلنّفسِ ليسا لِغيرِه، ولو كان شِعرٌ يَسْحَرُ لَكانَ شِعرُه سِحْراً.

أخبرني الحَرَمِيّ قال: حَدَّثنا الزُّبَيرُ قال: حدّثني عِمَامَةُ بن عُمَر قال: رأيتُ عامر بن صالح بن عبد الله بن عُرْوة بن الزُّبَير يسألُ المِسْوَرَ بن عبد الملك عن شعرِ عمر بن أبي ربيعة، فجعَلَ يذكرُ له شيئاً لا يَعرِفُهُ، فيسألُه أَنْ يُكْتِبَهُ[(٢)] إيّاه، فيفعلُ، فرأيتُهُ يكتبُ ويَدُهُ تُرْعَدُ من الفرحِ.

[رأيُ ابن أبي عتيق في شعر عمر]

أخبرني الحَرَميُّ قال: حَدَّثنا الزُّبَير قال: حَدَّثني عبد الملِك بن عبد العزيز بن الماجِشُون عن عَمِّهِ يوسفَ قال: ذُكر شِعْرُ الحارثِ بن خالد وشِعْرُ عمر بن أبي ربيعة عند ابنِ أبي عَتِيق في مجلِسِ رجلٍ من وَلَدِ خالد بن العَاصِي بن هِشَام، فقال: صاحِبُنا ـ يعني الحارثَ بنَ خالد ـ أَشْعَرُهُمَا. فقال له ٱبنُ أبي عتِيق: بعض قَولِكَ يابْنَ أخي، لِشِعْرِ عمر بن أبي ربيعة نَوْطَةٌ[(٣)] في القلبِ، وعُلُوقٌ بالنَّفْسِ، ودَرَكٌ لِلحَاجَةِ ليست لِشِعْرٍ، وما عُصِيَ اللَّهُ جَلَّ وعَزَّ بِشعرٍ أكثرَ مِمَّا عُصِيَ بِشعرِ ٱبن أبي ربيعة، فَخُذْ عَنِّي ما أَصِفُ لكَ: أَشْعَرُ قريشٍ مَنْ دَقَّ معناه، ولَطُفَ مَدْخَلُه، وسَهُلَ مَخْرَجُهُ، ومَتُنَ حَشْوُهُ[(٤)]، وتَعَطَّفَتْ حَوَاشِيه، وأنارَتْ مَعَانِيه، وأَعْرَبَ عن حاجَتِهِ. فقال المُفَضَّلُ للحارثِ: أليس صاحِبُنا الّذي يقول: [ ]

إنِّي وما نَحَرُوا غَدَاةَ مِنىً   عِنْدَ الجِمَارِ يَؤُودُها العَقْلُ[(٥)]
لو بُدِّلَتْ أَعْلَى مَسَاكِنِها   سُفْلاً وأَصْبَحَ سُفْلُها يَعْلُو
فَيَكادُ يَعْرِفُها الخَبِيرُ بها   فَيَرُدُّهُ الإِقْواءُ والمَحْلُ[(٦)]

---

(١) البيت في ديوانه:
كم قد ذكرتُكِ لو أُجزَى بذكركم   يا أشبه النّاسِ كلّ الناسِ، بالقمرِ
(٢) يُكْتِبُه إيّاه: يمليه عليه.
(٣) نوطة في القلب: تَعَلُّقٌ به ولصوق.
(٤) مَتُنَ حشوه: قَوِيَ مضمونه.
(٥) يؤودها: يثقلها.
(٦) الإقواء: إقفار الدار من أهلها. والمحل: الجَدْب.

لَعَرَفْتُ مَغْنَاها بما ٱحْتَمَلَتْ ... مِنّي الضُّلوعُ لأَهْلِهَا قَبْلُ[١]

فقال له ٱبن أبي عَتِيق: يابنَ أخي، ٱسْتُرْ على نفسِكَ، وٱكْتُمْ على صاحبِكَ، ولا تُشَاهِدِ المحافِلَ بمثلِ هذا؛ أمَا تَطَيَّرَ الحارثُ عليها حين قَلَبَ رَبْعَها فجعلَ عَالِيَهُ سَافِلَهُ! ما بَقِيَ إلاَّ أنْ يسألَ اللَّهَ تباركَ وتعالى لها حِجَارةً من سِجِّيلٍ[٢]. ابنُ أبي ربيعة كان أحسنَ صُحْبَةً لِلرَّبْعِ من صاحِبِكَ. وأجملَ مُخاطبةً حيثُ يقولُ:

[الخفيف]

سائلاً الرَّبعَ بِالبُلَيِّ وقُولاً ... هِجْتَ شَوْقاً لِيَ الغَدَاةَ طويلا

وذكر الأبيات الماضية. قال: فانصرفَ الرَّجلُ خَجِلاً مُذْعِناً[٣].

[بعض أخبار الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة]

أخبرني عليّ بن صالح قال: حَدّثني أبو هَفَّان عن إسحاق عن رجاله المُسمَّيْنَ، وأخبرني به الحَرَمِيّ عن الزُّبَير عن عَمِّه عن جَدِّه، قالوا: كان الحارثُ بن عبد الله ابن أبي ربيعة أخو عمرَ بن أبي ربيعة رجلاً صالحاً ديِّناً من سَرَوَاتِ[٤] قريش؛ وإنما لُقِّبَ القُبَاعَ لأنَّ عبد الله بن الزُّبَيْر كان وَلاَّهُ البصرةَ، فرأى مكيالاً لهم فقال: إنّ مكيالَكُمْ هذا لَقُبَاعٌ - قال: وهو الشَّيءُ الّذي له قَعْرٌ - فَلُقِّبَ بِالقُبَاعِ.

وأخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبَانِ وأحمد بن عبد العزيز الجَوْهَرِيّ وحَبِيب بن نَصْر المُهَلَّبِيّ قالوا: حَدَّثنا عُمَرُ بن شَبَّة قال: حَدَّثني عبد الله بن محمد الطائيّ قال: حَدَّثنا خالد بن سعيد قال: استعملَ ٱبنُ الزُّبَيْر الحارثَ بن عبد الله بن أبي ربيعة على البصرةِ، فَأَتَوْهُ بمكيالٍ لهم، فقالَ لهم: إنَّ مِكيالَكُمْ هذا لَقُبَاعٌ، فَغَلَبَ عليه. وقال أبو الأسود الدُّؤليّ - وقد عَتَبَ عليه - يَهْجُوه ويُخاطِبُ ٱبنَ الزُّبَيْرِ: [الوافر]

أَمِيرَ المؤمنينَ جُزِيْتَ خَيْراً ... أرِحْنَا مِنْ قُبَاعِ بَنِي المُغِيرَهْ

---

(١) مغناها: منزلها.
(٢) السِّجّيل: الطين اليابس المتحجّر، وقد ورد ذكره في القرآن ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝﴾.
(٣) مُذْعِناً: خاضعاً معترفاً.
(٤) سروات: سادة.

بَلَوْنَاهُ ولُمْنَاهُ فَأَعْيَا ... علينا ما يُمِرُّ لنا مَرِيرَهْ[1]
على أنَّ الفَتَى نِكْحٌ أَكُولٌ ... وَوَلاَّجٌ مَذَاهِبُهُ كَثِيرَهْ

قالوا: وكانَ الحارثُ يَنْهَى أخاه عن قَوْلِ الشِّعرِ فَيَأْبَى أَنْ يقبلَ منه، فأعطاه ألفَ دينارٍ على ألاَّ يقول شِعراً؛ فأخذَ المالَ وخرجَ إلى أخوالِهِ بِلَحْجٍ[2] وأَبْيَنَ[3] مخافةَ أن يَهِيجَهُ مُقَامُهُ بِمَكَّةَ على قَوْلِ الشعرِ؛ فَطَرِبَ يوماً فقال:

صوت [البسيط]

هَيْهَاتَ مِنْ أَمَةِ الوَهَّابِ مَنْزِلُنا ... إذا حَلَلْنا بِسِيفِ البَحْرِ مِنْ عَدَنِ[4]
واحْتَلَّ أَهْلُكِ أَجْيَاداً وليسَ لنا ... إلا التَّذَكُّرُ أو حَظٌّ مِنَ الحَزَنِ[5]
لَوْ أَنَّها أَبْصَرَتْ بِالجَزْعِ عَبْرَتَهُ ... مِنْ أَنْ يُغَرِّدَ قُمْرِيٌّ على فَنَنِ[6]
إذاً رَأَتْ غيرَ ما ظَنَّتْ بصاحِبِها ... وأَيْقَنَتْ أَنَّ لَحْجاً ليسَ من وَطَنِي
ما أَنْسَ لا أَنْسَ يومَ الخَيْفِ مَوْقِفَها ... وموقفي وكِلانا ثَمَّ ذو شَجَنِ[7]
وقولَها لِلثُّرَيَّا وهي باكيةٌ ... والدَّمْعُ منها على الخَدَّيْنِ ذو سُنَنِ[8]
بِاللَّهِ قُولِي له في غيرِ مَعْتَبَةٍ ... ماذا أَرَدْتَ بطولِ المُكْثِ في اليَمَنِ
إنْ كُنْتَ حاولتَ دُنيا أو ظَفِرْتَ بها ... فما أَخَذْتَ بِتَرْكِ الحَجِّ مِنْ ثَمَنِ

قال: فَسَارَتِ القصيدةُ حتى سَمِعَها أخوه الحارثُ، فقالَ: هذا واللهِ شِعْرُ عُمَرَ، قد فَتَكَ وغَدَرَ. قال: وقال ابن جُرَيْج: ما ظَنَنْتُ أَنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ ينفعُ أحداً بشعرِ عمر بن أبي ربيعة حتى سَمِعْتُ وأنا باليمنِ مُنْشِداً يُنْشِدُ قولَه: [البسيط]

بِاللَّهِ قُولِي له في غَيْرِ مَعْتَبَةٍ ... ماذا أَرَدْتَ بطولِ المُكْثِ في اليَمَنِ

---

(١) بلوناه: اختبرناه. وأعيا: أتعب وأعجز. وأَمَرَّ الحبل: أحكم فتله، والمريرة: ما لَطُفَ وطال واشتد فتله. والمراد أنه لا يُحسِن سياستهم ومعاملتهم.
(٢) لَحْج: مخلاف باليمن ينسب إلى لحج بن وائل (معجم البلدان ٥: ١٤).
(٣) أَبْيَن: مخلاف باليمن منه عدن (معجم البلدان ١: ٨٦).
(٤) سيف البحر: شاطئه.
(٥) أجياد: موضع بمكة يلي الصّفا. (معجم البلدان ١: ١٠٤).
(٦) الجَزْع: منعطف الوادي، وهو ثلاثة مواضع: جَزْع بني كُوز وجَزْع بني حَمّاز وجَزْع الدَّواهي. (معجم البلدان ٢: ١٣٤). والقُمْرِيّ: نوع من الحمام حَسَنُ الصوت.
(٧) الخَيْف: ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع من مسيل الماء (معجم البلدان ٢: ٤١٢). وثَمَّ: هناك.
(٨) ذو سُنَن: ذو طرائق.

إن كنتَ حاولتَ دنيا أو ظَفِرْتَ بها فما أَخَذْتَ بِتَرْكِ الحَجِّ مِنْ ثَمَنِ

فَحَرَّكَنِي ذلك على الرّجوعِ إلى مكّةَ، فخرجْتُ مع الحَاجِّ[1] وحَجَجْتُ.

غَنَّى في أبياتِ عُمَرَ هذه ٱبن سُرَيْج؛ ولَحْنُهُ رَمَلٌ بِالبِنْصر في مَجْراها عن إسحاق وفيها للغَرِيض ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو.

[عمر يخبرُ الوليد بن عبد الملك عن الأثر الذي في منكبه]

أخبرني عليّ بن صالح قال: حدّثنا أبو هَفَّان قال: حَدّثني إسحاق عن السَّعْدِيّ قال: قَدِم الوليدُ بن عبد الملك مَكَّةَ، فأرادَ أَنْ يأتيَ الطَّائفَ فقال: هل لي في رَجُلٍ علم بأموال[2] الطَّائف فيُخْبِرَني عنها؟ فقالوا: عُمَرُ بن أبي ربيعة. قال: لا حاجةَ لي به. ثم عاد فسألَ فذكروه له فَرَدَّهُ. ثُمَّ عادَ فَسألَ فذكروه له ثم رَدَّهُ. ثم عاد فسأل فذكروه له؛ فقال: هاتوه. فَرَكِبَ معه يُحَدِّثُهُ ثمّ حَرَّكَ عمرُ رِداءَهُ لِيُصْلِحَهُ على كَتِفِهِ فرأى على مَنْكِبِهِ أَثَراً. فقال: ما هذا الأَثَرُ؟ فقال: كنتُ عند جاريةٍ إذْ جاءَتْني جاريةٌ برسالةٍ من عندِ جاريةٍ أُخرى، فَجَعَلَتْ تُسَارُّني، فَغارَت التي كُنْتُ أُحَدِّثُها فَعَضَّتْ مَنكِبي، فما وَجَدْتُ أَلَمَ عضِّها من لذَّةِ ما كانت تلك تَنْفُث في أُذُني، حتى بَلَغَتْ ما ترى، والوليدُ يضحكُ، فلمّا رجعَ عمر قيل له: ما الذي كنتَ تُضْحِكُ أميرَ المؤمنين به؟ فقال: ما زِلْنا في حديثِ الزِّنَا حتى رَجَعْنا.

أخبرني الحَرَمِيّ قال: حدّثنا الزُّبَيرقال: حدّثني محمد بن عبد الله البَكْريّ وغيره عن عبد الجَبَّار بن سَعِيد المُسَاحِقيّ عن أبيه قال: دخلْتُ مسجدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ مع نَوْفَل بن مُسَاحِق[3]؛ فإنّهُ لَمُعْتَمِدٌ على يدي، إذ مَرَرْنا بسعِيد بن المُسَيَّبِ في مجلسِه وحوله جلساؤه، فَسَلَّمنا عليه فردَّ علينا، ثم قال لِنَوْفَل: يا أبا سعِيد، مَنْ أشْعَرُ: صاحبُنا أم صاحِبُكُمْ؟ يريدُ: عبدَ الله بن قَيْس، أو عمر بن أبي ربيعة. فقال نَوْفلٌ: حينَ يقولان ماذا يا أبا محمد؟ قال: حين يقولُ صاحبُنا: [الطويل]

---

(١) الحاجّ: الحجيج.

(٢) ربّما أراد: هل لي في رجل يعلم بأحوال الطائف.

(٣) نوفل بن مُسَاحِق: بن عبد الله الأكبر بن مخرمة القرشي العامري، من التابعين ومن أشراف قريش، تولّى قضاء المدينة (ت ٧٤ هـ/ ٦٩٣ م) ترجمته في: الإصابة ٣: ٥٠٩، وتهذيب التهذيب ١٠: ٤٩٢، وخلاصة تذهيب الكمال ٣٤٧.

خَلِيلَيَّ ما بالُ المَطايا كأنَّما نَرَاهَا على الأدْبار بالقوم تَنْكِصُ[1]
وقد قُطِعَتْ أعناقُهنّ صبابَةً فأنفُسُنا مما يُلاقِينَ شُخَّصُ[2]
وقد أتْعَبَ الحادي سُراهُنَّ وٱنْتَحَى بِهِنَّ فما يَألُو عَجُولٌ مُقَلِّصُ[3]
يَزِدْنَ بنا قُرْباً فَيزدادُ شَوْقُنا إذا زادَ طُولُ العَهْدِ والبُعْدُ يَنْقُصُ

ويقولُ صاحبُك ما شئتَ. فقالَ له نَوفلٌ: صاحبُكم أشعرُ في الغزلِ، وصاحبُنا أكثرُ أفانين شعرٍ. فقال سعيد: صَدَقْتَ. فلما ٱنقضى ما بينهما من ذِكْر الشِّعْرِ، جعلَ سعيدٌ يستغفرُ اللّهَ ويَعْقِد بيده حتى وَفَّى مائةً. فقال البَكْرِيّ في حديثِهِ عن عبد الجَبَّار: قال مُسْلِم: فلمّا ٱنصرفْنا قلتُ لِنَوْفل: أتُرَاهُ ٱسْتَغفرَ اللّهَ من إنشادِ الشّعرِ في مسجدِ رسولِ اللهﷺ؟ فقال: كَلاًّ! هو كثيرُ الإنشادِ والاستنشادِ لِلشِّعرِ فيه، ولكن أَحْسَبُ ذلك للفخرِ بصاحبِه.

[المفاضلة بين غزل عمر وغزل جميل بن معمر]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عُمَرُ بن شَبَّة قال: قال أبو عُبَيدة: حدّثنا عَوَانةُ بن الحَكَم وأبو يَعْقُوبَ الثَّقَفِيّ: أنّ الوليدَ بنَ يزيدَ بنِ عبد الملك قال لأصحابِهِ ذاتَ ليلةٍ: أيُّ بيتٍ قَالَتْهُ العربُ أغْزَلُ؟ فقالَ بعضُهم: قولُ جمِيل: [الطويل]

يَمُوتُ الهَوَى مِنِّي إذا ما لَقِيتُها ويَحْيا إذا فَارَقْتُها فَيَعُودُ

وقال آخر: قولُ عُمَرَ بن أبي ربيعة: [البسيط]

كَأَنَّني حينَ أُمْسِي لا تُكَلِّمُنِي ذُو بُغْيةٍ يَبْتَغي ما ليس موجودَا

فقال الوليدُ: حَسْبُكَ واللّهِ بهذا!

أخبرني الحَرَمِيّ قال: حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكّار قال: حَدَّثني محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم بن عبد الحميد عن شيخ من أهله عن أبي الحارث مَوْلى هِشام بن الوليد ابن المغيرة ـ قال: وهو الّذي يقولُ فيه عمر بن أبي ربيعة: [الرمل]

---

(١) تنكص: ترجع وتحجم وتعود.

(٢) الصَّبابة: الشوق. وشُخَّصُ: قلقة مضطربة.

(٣) الحادي: الذي يسوق البعير ويحدو لها. وسُرَاهنّ: سيرهن ليلاً. وانتحى: جَدَّ في السَّيْر. يألو: يُقَصِّر. والمُقَلِّص: المشمِّر الجادّ في سيره.

يـا أبـا الـحـارث قَـلْـبِـي طـائـرٌ   فَـأْتَـمِـرْ أمْـر رَشِـيـدٍ مُـؤْتَـمَـنْ

قال: شَهِدْتُ عُمَرَ بنَ أبي ربيعةَ، وجَمِيلَ بن عبد الله بن مَعْمَر العُذْرِيّ، وقد اجتمعا بالأَبْطَح[1]؛ فأنشد جميلٌ قصيدتَه التي يقول فيها: [الطويل]

لقد فَرِحَ الوَاشُونَ أنْ صَرَمَتْ حَبْلي   بُثَينةُ أو أبْدتْ لنا جانبَ البُخْلِ
يقولونَ مَهْلاً يا جَمِيلُ وإنَّني   لأُقْسِمُ مالي عن بُثَيْنَةَ مِنْ مَهْلِ

حتى أتَى على آخرِها، ثم قال لِعمرَ: يا أبا الخَطَّابِ، هل قُلْتَ في هذا الرَّوِيِّ شيئاً؟ قال: نعم. قال: فَأَنْشِدْنِيه؛ فأنشدَه قولَه: [الطويل]

جَرَى نَاصِحٌ بِالوُدِّ بيني وبَيْنَها   فَقَرَّبَنِي يومَ الحِصَابِ إلى قتْلِي[2]
فَطَارَتْ بِحَدٍّ مِنْ فؤادي وقَارَنَتْ   قَرِينَتُها حَبْلَ الصَّفَاءِ إلى حَبْلي[3]
فَلَمَّا تَوَاقَفْنا عَرَفْتُ الّذي بها   كَمِثْلِ الّذي بي، حَذْوَكَ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ
فَقُلْنَ لها: هذا عِشَاءٌ وأَهْلُنا   قَرِيبٌ أَلَمَّا تَسْأَمِي مَرْكَبَ البَغْلِ
فقالَتْ: فما شِئْتُنَّ، قُلْنَ لها انْزلي   فَلَلأرضُ خيْرٌ من وقوفٍ على رَحْلِ
نُجومٌ دَرارِيٌّ تَكَنَّفْنَ صورةً   مِنَ البَدْرِ وَافَتْ غيرَ هُوجٍ ولا عُجْلِ[4]
فَسَلَّمْتُ واسْتَأْنَسْتُ خِيفَةَ أن يَرَى   عَدُوٌّ مُقَامِي أو يَرَى كَاشِحٌ فِعْلِي
فقالَتْ وأَرْخَتْ جانبَ السِّتْرِ إنَّما   معي فَتَكَلَّمْ غيرَ ذِي رِقْبَةٍ أَهْلِي[5]
فَقُلْتُ لها: ما بي لهم مِنْ تَرَقُّبٍ   ولَكِنَّ سِرِّي ليسَ يَحْمِلُهُ مِثْلي
فَلَمَّا اقْتَصَرْنا دُونَهُنَّ حَدِيثَنا   وهُنَّ طَبِيبَاتٌ بِحاجةِ ذِي الشِّكْلِ[6]
عَرَفْنَ الّذي تَهْوَى فَقُلْنَ ائْذَنِي لنا   نَطُفْ ساعةً في بَرْدِ لَيْلٍ وفي سهْلِ[7]
فقالَتْ: فلا تَلْبَثْنَ، قُلْنَ: تَحَدَّثِي   أَتَيْنَاكِ، وانْسَبْنَ انْسِيَابَ مَهَا الرَّمْلِ[8]

(١) الأبطح: مكان يضاف إلى مكة وإلى منى وربما كان إلى منى أقرب (معجم البلدان ١: ٧٤).
(٢) الحصاب: موضع رمي الجمار بمِنى.
(٣) في الديوان (قريبتها) بدل (قرينتها).
(٤) الدَّراري: الكواكب العظام التي لا تُعرَف أسماؤها. والهُوج: جمع الهوجاء: المتعجّلة في السير كأن بها هوجاً وحمقاً. وفي الديوان (ولا نُكل) بدل (ولا عُجْلِ)، ونُكل: ضعاف جبناء.
(٥) غير ذي رِقبة: أي ليسوا في حال مراقبة وحراسة.
(٦) الشِّكْل: دَلّ المرأة وغزلها. وفي الديوان (ذي التَّبْلِ) بدل (ذي الشِّكْل) والتَّبل: سقم القلب.
(٧) في الديوان (في طِيبِ ليلٍ) بدل (في بَرْدِ ليلٍ).
(٨) لا تلبثن: لا تُطِلْنَ الغياب. وانسبن: أسرعن في مشيهن.

وقُمْنَ وقد أفْهَمْنَ ذا اللُّبِّ أنَّما ... أتَيْنَ الّذي يَأتِينَ مِنْ ذاكَ مِنْ أجْلِي(١)

فقال جَمِيلٌ: هَيْهَاتَ يا أبا الخَطَّابِ! لا أقُولُ واللَّهِ مثلَ هذا سَجِيسَ اللّيالي(٢)، والله ما يُخاطِبُ النِّسَاءَ مُخاطَبَتَكَ أحدٌ. وقام مُشَمِّراً(٣).

قال أبو عبد الله الزُّبَيْر قال عَمّي مُصْعَب: كان عُمَرُ يُعَارِضُ جَمِيلاً؛ فإذا قال هذا قصيدة قالَ هذا مِثْلَها، فيُقالُ: إنّه في الرّائيّةِ والعَيْنيّةِ أشعر من جميلٍ، وإنّ جميلاً أشعرُ منه في اللاّميَّةِ، وكِلاهما قد قالَ بيتاً نادراً ظَرِيفاً؛ قال جميل: [الطويل]

خَلِيلَيَّ فيما عِشْتُما هل رَأَيْتُما ... قَتيلاً بَكَى مِنْ حُبِّ قاتِلِهِ قَبْلِي

وقال عمر: [الطويل]

فَقَالَتْ وَأَرْخَتْ جانِبَ السِّتْرِ إنَّما ... مَعِي فَتَكَلَّمْ غَيْرَ ذِي رِقْبةٍ أهْلِي

[شهادة الفرزدق لعمر]

أخبرني عليّ بن صالح قال: حدّثنا أبو هَفَّان عن إسحاق عن المدائنيّ قال: سَمِعَ الفرزدقُ عمرَ بن أبي ربيعةَ يُنْشِد قوله:

جَرَى ناصحٌ بِالوُدِّ بيني وبينها ... فَقَرَّبَنِي يومَ الحِصابِ إلى قَتْلِي

ولمّا بلغَ قولَه:

فَقُمْنَ وقد أفْهَمْنَ ذا اللُّبِّ أنَّما ... أتَيْنَ الّذي يَأتِينَ مِنْ ذاكَ مِنْ أجلي

صاح الفرزدق: هذا والله الّذي أرادَتْهُ الشُّعَرَاءُ فأخْطَأتْهُ، وبَكَتْ على الدِّيارِ.

نسبة ما في هذه الأشعار من الغناء

منها في قصيدة جَمِيلٍ التي أنشدَها عمرَ، واستنشدَهُ ما لَه في وزنِها:

---

(١) في الديوان (فقمن) بدل (وقمن). والشّطر الثاني:

.... فَعَلْنَ الذي يفعلن من ذاك من أجلي

(٢) سجيس: تستعمل الكلمة للتأبيد، أي أبداً.

(٣) مُشَمِّر: متهيىء للذهاب.

صوت

[الطويل]

خَلِيلَيَّ فيما عِشْتُما هل رَأَيْتُمَا قَتيلاً بَكَى من حُبِّ قاتِلِهِ قَبْلي
أَبيتُ مع الهُلاَّكِ ضَيْفاً لأَهْلِهَا وأَهْلِي قَرِيبٌ مُوسِعُونَ ذَوُو فَضْلِ[1]
أَفِقْ أَيُّها القَلْبُ اللَّجُوجُ عَنِ الجَهْلِ ودَعْ عنك جُمْلاً لا سَبِيلَ إلى جُمْلِ[2]
فلو تَرَكَتْ عَقْلِي مَعِي ما طَلَبْتُها ولَكِنْ طِلابِيها لِمَا فاتَ مِنْ عَقْلي

الغناء للغَرِيض ثاني ثَقِيلٍ بالوُسْطى عن عمرو في الأوّل والثّاني من الأبيات. وذكر الهِشَامِيّ الأبياتَ كلَّها ووصفَ أَنَّ الثَّقِيلَ الثَّاني الَّذي يُغَنَّى به فيها لِمَعْبَد. وذكر يحيى المَكّيّ: أنّ لابنِ مُحْرِز في الثّالث وما بعده من الأبيات ثاني ثقِيلٍ بالخِنْصر والبِنْصر. وفي هذه الأبيات التي أوّلُها الثّالثُ هَزَج بالبِنْصر يَمانٍ عن عمرو. وفي الرّابع والخامس لابن طُنْبُورَةَ خَفِيفُ رملٍ عن الهشاميّ. وفيها لإسحاق ثقيلٌ أوّلُ عن الهِشَامِيّ أيضاً. وذكر حَمَّادٌ عن أبيه: أنّ لنافِع الخَيْرِ مَوْلى عبد الله بن جعفر في هذه الأبيات لَحْناً، ولم يُجَنِّسْهُ. وذَكَرَ حَبَش أنّ الثّقيل الأوّلَ لابن طُنْبورَةَ.

ومنها في شعر جميل أيضاً:

صوت

[الطويل]

لقد فَرِح الواشونَ أنْ صَرَمَتْ حَبْلي بُثَيْنَةُ أو أَبْدَتْ لنا جَانِبَ البُخْلِ
فلو تَرَكَتْ عَقْلِي مَعِي ما طَلَبْتُها ولَكِنْ طِلاَبِيها لِمَا فاتَ مِنْ عَقْلِي

الغناء لابن مِسْجَح ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن الهشاميّ.

ومنها في شعر عمر بن أبي ربيعة المذكورِ في أوّل الخبر:

صوت

فقالَتْ وَأَرْخَتْ جانبَ السِّتْرِ إِنَّما مَعِي فَتَحَدَّثْ غيرَ ذِي رِقْبةٍ أهلي
فَقُلْتُ لها ما بي لهم مِنْ تَرَقُّبٍ ولكنَّ سِرِّي ليسَ يَحْمِلُهُ مِثْلي

---

(١) الهُلاّك: الصعاليك الذين ينتابون الناس ابتغاء معروفهم.
(٢) اللَّجوج: الكثير الإلحاح.

جَرَى نـاصِـحٌ بِـالـوُدِّ بيـنـي وبيـنـهـا فَـقَـرَّبَـنِـي يـوم الـحِـصَـابِ إلـى قَـتْـلِـي

غَنّى في هذه الأبيات ٱبنُ سُرَيْج، ولحنهُ رَمَلٌ مُطْلَقٌ في مَجْرَى البِنْصر عن إسحاق وعمرو. وذكر يونس: أنّ فيه لحناً لمالكٍ لم يُجَنِّسْهُ، وذكر الهشاميّ: أنَّ لحنَ مالك خَفِيفُ ثقيلٍ. وذكر حَبَشٌ: أن لِمَعْبَد فيه لحناً من الثَّقِيل الأوّل بالبِنْصر، ولابن سُرَيْج ثاني ثقيل بالوُسْطَى. وليس حَبَشٌ مِمَّنْ يُعْتَمَدُ في هذا على روايته.

أخبرني الحَرَمِيُّ بن أبي العَلاَء قال: حَدَّثنا الزُّبَير بن بَكَّار قال: أدركتُ مَشْيَخَةً[١] من قُرَيْش لا يَزِنُونَ بِعمَر بن أبي ربيعة شاعراً من أهل دَهْرِه في النَّسِيبِ، ويستحسنون منه ما كانوا يستقبحونه من غيرِه من مَدْحِ نفسِه، والتَّحَلِّي بِمودَّتِهِ، والابتِيَارِ في شِعرِه، والابتيارُ: أنْ يفعلَ الإنسانُ الشَّيءَ فيذكُرَهُ ويَفخَرَ به. والابْتِهَارُ: أنْ يقولَ ما لم يفعلْ.

أخبرني محمد بن خَلف قال: أخبرني عبد الله بن عمر وغيره عن إبراهيم بن المُنْذِر الحِزَاميّ عن عبد العزيز بن عِمْران قال: قال ابن أبي عَتِيق لِعمرَ وقد أنشده قولَه:

صوت

[الرمل]

بَـيْـنَـمـا يَـنْـعَـتْـنَـنِـي أَبْـصَـرْنَـنِـي دُونَ قِـيـدِ الـمِـيـلِ يَـعْـدُو بـي الأَغَـرْ[٢]

قـالَـتِ الـكُـبْـرَى: أَتَـعْـرِفْـنَ الـفَـتَـى قـالَـتِ الـوُسْـطـى: نَـعـم هـذا عُـمَـرْ

قـالَـتِ الـصُّـغْـرَى وقـد تَـيَّـمْـتُـهـا قـد عـرفـنـاه وهـل يَـخْـفَـى الـقَـمَـرْ[٣]

ـ الغناء في هذه الأبيات لابن سُرَيْج خَفِيفُ رَمَلٍ بالبِنْصر ـ فقال له ٱبن أبي عَتِيق: ـ وقد أَنْشَدَها ـ أنتَ لم تَنْسُبْ بها، وإنما نَسَبْتَ بِنفسك؛ كان ينبغي أن تقولَ: قُلْتُ لها فقالتْ لي، فَوضَعْتُ خَدِّي فَوَطِئَتْ عليه.

[عفّته]

أخبرني الحَرَميّ قال: حدّثنا الزُّبَير بن بَكَّار قال: لم يَذْهَبْ على أَحَدٍ مِنَ

(١) مشيخة: جمع شيخ.

(٢) قِيد الميل: قدر المِيل، أي المسافة التي ينتهي إليها النظر في الأرض.

(٣) تيَّمْتُها: استولى حبّي على قلبها.

الرُّوَاةِ أَنَّ عمرَ كان عَفِيفاً يَصِفُ ولا يَقِفُ، ويَحُومُ ولا يَرِدُ.

أخبرني محمد بن خَلَف قال: حَدَّثنا أحمد بن منصور عن ٱبن الأعرابيّ، وحدّثني عليّ بن صالح قال: حَدَّثنا أبو هَفَّانَ عن إسحاقَ المَوْصليّ عن رجالِهِ، قالوا: كان ٱبنُ أبي ربيعة قد حَجَّ في سنةٍ من السّنين. فلمّا ٱنصرفَ من الحَجِّ أَلْفَى الوليدَ بن عبد الملك وقد فُرِشَ له في ظهرِ الكعبةِ وجَلَسَ، فجَاءَهُ عُمَرُ فسلّمَ عليه وجلسَ إليه. فقال له: أَنْشِدْني شيئاً من شِعرِكَ. فقال: يا أميرَ المؤمنين، أنا شيخٌ كبيرٌ وقد تَرَكْتُ الشِّعْرَ، ولي غلامان هما عندي بمنزلةِ الولدِ، وهما يَرْوِيانِ كلَّ ما قلتُ وهما لك. قال: ٱئْتِني بهما ففعل، فأنشَداه قولَه:

أَمِـنْ آلِ نُـعْـمٍ أنـتَ غـادٍ فَـمُـبْـكِـرُ

فَطَرِبَ الوليدُ وٱهتزَّ لذلك، فلم يزالا يُنْشِدانه حتى قامَ، فأجزلَ صِلَتَهُ ورَدَّ الغلامَيْنِ إليه.

حدّثني عليّ بن صالح بن الهَيْثَم الأنْبَاريّ الكاتب المُلَقَّب «كِيلَجَة» قال: حَدَّثني أبو هَفَّانَ قال: حَدَّثَنا إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن مُصْعَب بن عبد الله الزُّبَيْرِيّ، وأخبرني الحَرَميُّ بن أبي العَلاَء قال: حَدَّثنا الزُّبَيْر بن بَكَّار عن عمّه مصعَب أنّه قالَ:

[مميزات شعره]

راقَ عمرُ بن أبي ربيعة النَّاسَ وفاقَ نُظَرَاءَهُ وبَرَعَهُمْ بسهولةِ الشّعرِ وشِدَّةِ الأَسْرِ، وحُسْنِ الوَصْفِ، ودِقَّةِ المعنى وصوابِ المَصْدَرِ، والقَصْدِ للحاجةِ، وٱستنطاقِ الرَّبْعِ، وإنطاقِ القلبِ، وحُسْنِ العَزَاءِ، ومخاطبةِ النّساءِ، وعِفَّةِ المَقَالِ، وقلّةِ الانتقالِ، وإثباتِ الحُجَّةِ، وترجيحِ الشَّكِّ في موضعِ اليقينِ، وطُلاَوةِ الاعتذارِ، وفَتْحِ الغَزَلِ، ونَهْجِ العِلَلِ، وعَطْفِ المَسَاءَةِ على العُذَّالِ، وأَحْسَنَ التَّفَجُّعَ، وبَخَّلَ المنازلَ، وٱختصرَ الخبرَ، وصَدَقَ الصَّفَاءَ؛ إنْ قَدَحَ أَوْرَى، وإن ٱعتذرَ أَبْرا، وإن تَشَكَّى أَشْجَى، وأَقْدَم عن خِبْرة ولم يَعْتَذِرْ بِغِرَّة[1]، وأَسَرَ النَّومَ، وغَمَّ الطَّيْرَ، وأَغَذَّ السَّيْرَ، وحَيَّرَ ماءَ الشَّبَابِ، وسَهَّلَ وَقَوَّلَ، وقاسَ الهوى

(١) بغِرّة: بخديعة.

فَأَرْبَى[١]، وعَصَى وأَخْلَى، وحَالَفَ بِسَمْعِهِ وطَرْفِهِ، وأَبْرَمَ نَعْتَ الرّسلِ وحَذَّرَ، وأَعْلَنَ الحُبَّ وأَسَرَّ، وبَطَنَ به وأَظْهَرَ، وأَلَحَّ وأَسَفَّ[٢]، وأَنْكَحَ النَّوْمَ، وجَنَى الحديثَ، وضربَ ظَهْرَهُ لِبَطْنِهِ، وأَذَلَّ صَعْبَهُ، وقَنِعَ بِالرَّجَاءِ من الوَفَاءِ، وأَعْلَى قاتله، وٱسْتَبكى عاذِلَه، ونَفَّضَ النَّوْمَ، وأَغْلَق رَهْنَ مِنِىَ وأَهْدَرَ قَتْلاه؛ وكان بَعْدَ هذا كُلِّهِ فَصِيحاً.

فمن سُهولة شعرِه وشِدَّةِ أَسْرِهِ قولُه:

صوت

[الطويل]

فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَشْرَقَتْ ... وُجُوهٌ زَهَاهَا الحُسْنُ أنْ تَتَقَنَّعَا

تَبَالَهْنَ بالعِرْفانِ لَمَّا رَأَيْنَنِي ... وقُلْنَ ٱمْرُؤٌ بَاغٍ أَكَلَّ وأَوْضَعا[٣]

الغناء لابن عَبَّادٍ رَمَلٌ عن الهشاميّ. وفيه لابن جامع لحنٌ غيرُ مُجَنَّس عن إبراهيم.

ومن حسن وصفه قولُه:

[البسيط]

لها مِنَ الرِّيمِ عَيْنَاهُ وسُنَّتُهُ ... ونَخْوةُ السَّابِقِ المُخْتَالِ إذْ صَهَلاَ[٤]

ومن دِقَّةِ معناه وصوابِ مصْدرِهِ قَوْلُهُ:

صوت

[السريع]

عُوجَا نُحَيِّ الطَّلَلَ المُحْوِلاَ ... والرَّبْعَ مِنْ أسماءَ والمَنْزِلاَ[٥]

بِسَابِغِ البَوْبَاةِ لم يَعْدُهُ ... تَقَادُمُ العَهْدِ بِأَنْ يُؤْهَلاَ[٦]

الغناء لابن سُرَيج ثاني ثَقِيلٍ بِالسَّبَّابة في مَجْرى الوُسْطى عن إسحاق. قال

---

(١) أربى: زاد.

(٢) أَسَفَّ: طلب الأمور الدّنيئة.

(٣) تبالهن: تظاهرن بالبله. وأكَلّ: أعيا. وأوضع: أسرع في السَّيْر.

(٤) سُنَّته: طبيعته وخَلْقُه. والسّابق: الحِصان.

(٥) الطَّلَل المحول: الذي أتت عليه أحوال كثيرة فحوّلته.

(٦) السابغ: الطويل. والبَوْبَاة: الفلاة واسم لصحراء بأرض تهامة (معجم البلدان ١: ٥٠٦).

إسحاق بن إبراهيم: يعني أنّه لم يُؤَهَلْ فيَعْدُوهُ تقادُمُ العَهْدِ. وقالَ الزُّبَيْرُ: قال بعضُ المدنيّين: يُحَيِّيه بأنْ يُؤَهَلَ، أي يدعو له بذلك.

ومن قَصْده للحاجة قولُه:

صوت [الخفيف]

أَيُّهَا المُنْكِحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلاً ... عَمْرَكَ اللَّهَ كيفَ يَلتقيانِ[1]
هي شَامِيَّةٌ إذا ما استقلَّتْ ... وسُهَيْلٌ إذا ٱسْتَقَلَّ يَمانِي

ويُرْوَى: هي غَوْرِيَّةٌ[2]. الغناءُ للغَرِيض خَفِيفُ ثَقِيلٍ بالبِنصر عن عمرو وٱبن المكيّ.

ومن ٱستِنْطاقِه الرَّبْعَ قولُه:

صوت [الخفيف]

سَائِلاَ الرَّبْعَ بِالبُلَيِّ وقُولاَ ... هِجْتَ شَوْقاً لِيَ الغَدَاةَ طويلا
أين حَيٌّ حَلُّوكَ إذْ أنتَ مَحْفو ... فٌ بهم آهِلٌ أَرَاكَ جَمِيلا
قال سارُوا فَأمْعَنوا وٱسْتَقَلُّوا ... وبِرَغْمِي لو قد وَجَدْتُ سَبِيلا

ويروى:

وبِكُرْهِي لَوِ ٱسْتَطَعْتُ سبيلا

سَئِمُونا وما سَئِمْنا جِوَاراً ... وأَحَبُّوا دَمَاثَةً وسُهولا

فيه رَمَلانِ: أحدهما لابن سُرَيج بالسَّبَّابة في مَجْرى الوُسْطى عن إسحاق، والآخر لإسحاق مطلقٌ في مَجْرى البِنْصر. وفيه لأبي العُبَيْسِ بنِ حَمْدُون ثاني ثقيلٍ.

---

(١) الثّريا: بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر، وسهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري وقد تزوّجها ونقلها إلى مصر. ويضرب عمر المثل في هذا الشعر بالثريا وسهيل النجمين المعروفين.

(٢) غوريّة: نسبة إلى الغَوْر: والغور أصله ما تداخل وما هبط من الأرض وهناك غور تهامة وغور الأردن بالشام (معجم البلدان ٤: ٢١٦).

وقد شرحتُ نِسبتَه مع خبرِه في موضع آخر. قال سحاق: أُنْشِدَ جريرٌ هذه الأبياتَ فقال: إنّ هذا الّذي كُنّا نَدورُ عليه فأخطأناه.

ومن إنطاقه القلب قوله: [المديد]

قالَ لي فيها عَتِيقٌ مَقالاً ... فَجَرَتْ مما يَقُولُ الدُّمُوعُ
قالَ لي وَدِّعْ سُلَيْمَى ودَعْها ... فأجابَ القَلْبُ: لا أستطيعُ

الغناء لِلهُذَلِيّ ثاني ثقيلٍ بالوُسْطى عن الهِشَامي. قال: وفيه ليحيى المكيّ ثقيلٌ أوّل نُسِبَ إلى مَعْبَد وهو من مَنْحوله.

ومن حُسْنِ عَزَائِهِ قولُه:

صوت

[الطويل]

أَأَلْحَقُّ إنْ دارُ الرَّبَابِ تَباعَدَتْ ... أو ٱنْبَتَّ حَبْلٌ أنَّ قَلبَكَ طائرُ[1]
أَفِقْ قد أفاقَ العاشقونَ وفَارَقُوا الـ ... ـهوى وٱسْتَمَرَّتْ بِالرِّجالِ المَرَائرُ[2]
زَعِ النَّفْسَ وٱسْتَبْقِ الحياءَ فإنَّما ... تُبَاعِدُ أو تُدنِي الرَّبابَ المَقَادِرُ[3]
أَمِتْ حُبَّها واجْعَلْ قَدِيمَ وِصَالِهَا ... وعِشْرَتِها كَمِثْلِ مَنْ لاَ تُعَاشِرُ
وهَبْها كَشَيءٍ لم يَكُنْ أو كَنَازحٍ ... بهِ الدَّارُ أو مَنْ غَيَّبَتْهُ المَقَابرُ
وكالنَّاسِ عُلِّقْتَ الرَّبابَ فلا تَكُنْ ... أحاديثَ مَنْ يَبْدُو ومَنْ هو حَاضرُ[4]

الغناء في بعض هذه الأبيات وأوّلُه «زَعِ النَّفسَ» لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ بالبِنْصَر عن عمرو. وفيه لعمرَ الوَادِيِّ رَمَلٌ بالبنصر عن ٱبن المكّيّ. وفيه لـ «قُدَارٍ» لحنٌ من كتاب إبراهيمَ غيرُ مُجَنَّس. وهذه الأبيات يَرْويها بعض أهل الحجاز لِكُثَيِّر، ويرويها الكوفيون لِلكُمَيت بن مَعْروف الأسَدِيّ، وذكر بعضَها الزُّبَيرُ بن بكّار عن أبي عُبَيدة لكُثَيِّرٍ في أخباره.

ومن حسن غَزله في مخاطبة النّساء: قال مُصعَبٌ الزُّبَيريّ: وقد أَجْمَع أهلُ بلدنا ممن له علمٌ بِالشِّعرِ أنَّ هذه الأبيات أغزلُ ما سمِعوا ـ قولُه:

---

(١) انبتّ الحبل: انقطع حبل المودة. وفي الديوان (أحقاً لئن) بدل (أألحق إنْ).
(٢) استمرّت بالرجال المرائر: يعني استحكم أمرهم واشتدت عزائمهم.
(٣) زَع النفس: ازجرها وكُفَّها عن هواها.
(٤) من يبدو ومن هو حاضر: الذي يقيم في البدو والذي يقيم في الحضر.

صوت

[المتقارب]

تـقـولُ غَـدَاةَ الْـتَـقَـيْـنـا الـرَّبَـابُ أَيَـاذا أَفَـلْـتَ أُفُـولَ الـسِّـمـاكِ[١]
وكَـفَّـتْ سـوابـقَ مِـنْ عَـبْـرةٍ كـمـا ٱرْفَـضَّ نَـظْـمٌ ضَـعِـيـفُ السِّلاَكِ
فَـقُـلْـتُ لـهـا مَـنْ يُـطِـعْ فـي الـصَّـديـقِ أعـداءَهُ يَـجْـتَـنِـبْـهُ كـذاكِ
أغَـرَّكِ أنّـي عَـصَـيْـتُ الـمَـلاَ مَ فـيـكِ وأنّ هَـوَانـا هَـوَاكِ
وألاَّ أرى لَـذَّةً فـي الـحـيـاةِ تَـقَـرُّ بـهـا الـعَـيْـنُ حَـتَّـى أراكِ
فـكـانَ مِـنَ الـذَّنْـبِ لـي عِـنْـدَكُـم مُـكَـارَمـتِـي وٱتِّـبـاعِـي رِضَـاكِ
فـلـيـتَ الّـذي لاَمَ فـي حُـبِّـكُـمْ وفـي أنْ تُـزَارِي بِـقَـرْنٍ وَقَـاكِ[٢]
هُـمُـومَ الـحـيـاةِ وأسْـقَـامَـهـا وإنْ كـان حَـتْـفٌ جَـهِـيـزٌ فَـدَاكِ[٣]

الغناء لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالوسطى. وذكر إبراهيمُ أنّ فيه لحناً لحكَم. وقيل: إنّ فيه لحناً آخر لابن جامع.

ومن عِفّة مَقَالِهِ قولُه:

صوت

[الخفيف]

طَـالَ لَـيْـلِـي وٱعْـتَـادَنِـي الـيومَ سُـقْـمُ وأَصَـابَـتْ مَـقَـاتِـلَ الـقَـلْـبِ نُـعْـمُ
حُـرَّةُ الـوجـهِ والـشَّـمـائـلِ والـجـو هـرِ تَـكْـلِـيـمُـهـا لِـمَـنْ نـالَ غُـنْـمُ
وحـديـثٌ بِـمِـثْـلِـهِ تُـنْـزَلُ الـعُـصْـ مُ رَخِـيـمٌ يَـشُـوبُ ذلـكَ حِـلْـمُ[٤]
هـكـذا وَصْـفُ مـا بـدا لِـيَ مـنـهـا لـيـسَ لـي بـالّـذي تَـغَـيَّـبَ عِـلْـمُ
إن تَـجُـودي أو تَـبْـخَـلـي فَـبِـحَـمْـدٍ لَـسْـتِ يـا نُـعْـمُ فـيـهـمـا مَـنْ يُـذَمُّ

الغناء لابن سُرَيج رَمَلٌ عن الهِشَامِيّ.

ومن قِلّةِ ٱنتقالِهِ قولُه:

---

(١) أفلتَ: غبت. والسِّماك: أحد نجمين نيّرين، واحد في الشمال ويُعرَف بالرّامح والآخر في الجنوب ويُعرف بالأعزل.
(٢) قرن المنازل: هو ميقات أهل اليمن والطائف (معجم البلدان ٤: ٣٣٢).
(٣) جهيز: سريع.
(٤) العُصْم: جمع الأعصم: الوعل الذي في ذراعيه بياض وهو غالباً يعتصم في الجبال.

صوت

[المديد]

أَيُّهَا القَائِلُ غيرَ الصَّوابِ ... أَمْسِكِ النُّصْحَ وأَقْلِلْ عِتَابِي
وٱجْتَنِبْنِي وٱعْلَمَنْ أَنْ سَتُعْصَى ... ولَخَيْرٌ لكَ طُولُ ٱجتنابِي
إِنْ تَقُلْ نُصْحاً فعن ظَهْرِ غِشٍّ ... دائِم الغِمْرِ بعيدِ الذَّهَابِ(١)
ليس بي عِيٌّ بما قُلْتَ إنِّي ... عالمٌ أَفْقَهُ رَجْعَ الجوابِ(٢)
إنّما قُرَّةُ عَيْنِي هَوَاها ... فَدَعِ اللَّوْمَ وكِلْنِي لمَا بِيْ(٣)
لا تَلُمْنِي في الرَّبَابِ وأَمْسَتْ ... عَدَلَتْ لِلنَّفْسِ بَرْدَ الشَّرَابِ
هي، واللَّهِ الَّذي هو رَبِّي، ... صادقاً أَحْلِفُ غيرَ الكِذَابِ
أَكْرَمُ الأحياءِ طُرًّا علينا ... عند قُرْبٍ مِنْهُمُ وٱجتنابِ(٤)
خَاطَبَتْنِي ساعةً وهي تَبكِي ... ثم عَزَّتْ خُلَّتِي في الخِطَابِ(٥)
وَكَفَى بي مِدْرَهاً لِخُصُومٍ ... لِسِوَاها عندَ حَدٍّ تَبَابِي(٦)

الغناء لِكَرْدَم ثقيلٌ أوّلُ بالسَّبّابة في مَجْرى الوُسْطى عن إسحاقَ في الأوّل والخامس ثم الثاني والثالث. وفيه لمَعْبَد خَفِيفُ ثَقِيلٍ بالبِنْصَر عن يحيى المكيّ.

ومن إثباته الحُجَّةَ قولُه: [الطويل]

خَلِيلَيَّ بعضَ اللَّومِ لا تَرْحَلا به ... رَفِيقَكُمَا حتّى تَقُولاَ على عِلْمِ
خَلِيلَيَّ مَنْ يَكْلَفْ بِآخَرَ كالّذي ... كَلِفْتُ به يَذْمُلْ فؤاداً على سُقْمِ(٧)
خَلِيلَيَّ ما كانَتْ تُصَابُ مَقَاتِلي ... ولا غِرَّتِي حتى وَقَعْتُ على نُعْمِ(٨)
خَلِيلَيَّ حتى لُفَّ حَبْلِي بِخَادِعٍ ... مُوَقًّى إذا يُرْمَى، صَيُودٍ إذا يَرْمِي(٩)

---

(١) الغِمْر: الحقد.
(٢) العِيّ: عدم الاهتداء لوجه المُرَاد في أمر أو حاجة.
(٣) كِلْني لما بي: اتركني.
(٤) طُرًّا: جميعاً.
(٥) عَزَّتْ: غلبت. الخُلَّة: الحبيبة والخليلة.
(٦) المِدْرَه: المتقدّم عند الخصومة والقتال. والتّباب: الهلاك والخسران، وفي الديوان (عند جِدٍّ تناب) بدل (عند حَدٍّ تبابي)، والتنابي: التجافي.
(٧) يَذْمُل: يطوي.
(٨) الغِرَّة: الغفلة. ووقعت: أي في حُبِّها وشراكها.
(٩) لُفَّ حبلي بخادعٍ: أي وقعتُ بالشَّرَك.

خَلِيلَيَّ لو يُرْقَى خَلِيلٌ مِنَ الهَوَى ... رُقِيتُ بما يُدْنِي النَّوَارَ مِنَ العُصْمِ[١]
خَلِيلَيَّ إنْ بَاعَدْتُ لانَتْ وإن أَلِنْ ... تُبَاعِدْ فلم أَنْبُلْ بِحَرْبٍ ولا سَلْمِ[٢]

ومن ترجيحه الشّكَّ في موضع اليقين قولُه:

صوت

[الطويل]

نَظَرْتُ إليها بالمُحَصَّبِ مِنْ مِنىً ... ولي نَظَرٌ، لولا التَّحَرُّجُ، عارِمُ[٣]
فَقُلْتُ: أَشَمْسٌ أم مَصَابِيحُ بِيعَةٍ ... بَدَتْ لكَ خَلْفَ السَّجْفِ أَمْ أنتَ حالِمُ[٤]
بَعِيدةُ مَهْوَى ٱلْقُرْطِ إمَّا لِنَوْفَلٌ ... أبوها وإمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وهَاشِمُ[٥]
ومَدَّ عليها السَّجْفَ يومَ لَقِيتُها ... عَلَى عَجَلٍ تُبَّاعُهَا والْخَوادِمُ
فلم أَسْتَطِعْها غيرَ أنْ قد بدا لنا ... عَشِيَّةَ رَاحَتْ وَجْهُها والمَعَاصِمُ
مَعَاصِمُ لم تَضْرِبْ على البَهْمِ بالضُّحَى ... عَصَاها ووجهٌ لم تَلُحْهُ السَّمَائِمُ[٦]
نُضَارٌ تَرَى فيه أساريعَ مائِهِ ... صَبِيحٌ تُغادِيهِ الأَكُفُّ النَّوَاعِمُ[٧]
إذا ما دَعَتْ أترابَها فاكْتَنَفْنَها ... تَمَايَلْنَ أو مَالَتْ بِهِنَّ المآكِمُ[٨]
طَلَبْنَ الصِّبَا حتّى إذا ما أَصَبْنَهُ ... نَزَعْنَ وهُنَّ المُسْلِمَاتُ الظَّوَالِمُ[٩]

الغناء لِمَعْبَد ثقيلٌ أول بالسّبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وابن المكيّ. وفيها لابن سُريج رَمَلٌ بالسّبابة في مجرى البنصر عن إسحاق أيضاً. وفيها للغريض خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ.

---

(١) النّوَار: الناخرة، والعُصم: الظباء التي في أذرعها بياض.
(٢) في الديوان (فما تُرْجى) بدل (فلم أنبل).
(٣) المُحَصَّب: موضع رمي الجمار بمنى. والتحرّج: خوف الإثم. والعارم: البَطِر الفاسد.
(٤) البِيعة: الكنيسة أو معبد اليهود. والسَّجْف: السّتر.
(٥) بعيدة مهوى القرط: كناية عن طول العنق.
(٦) البهم: جمع البهمة: الصغير من أولاد الضأن والمعز والبقر، والمراد أنها ليست راعية للمواشي. ولم تَلُحْه: لم تغيّره والسمائم: الرياح الحارة، والمراد أنها مخدّرة متنعّمة.
(٧) النُّضَار: الذهب أو الجوهر الخالص من الذهب الخام. وفي الديوان (نضيرٌ) بدل (نضار) والنضير: الذهب أيضاً. وأساريع مائه: طرائق مائه. والأكف النواعم: أكفّ جواريها اللواتي يزيّنّها.
(٨) المآكم: الأرداف.
(٩) نزعن عن الصّبا: تركنه وانتهين عنه.

ومن طُلاوة اعتذاره قولُه:

صوت [الخفيف]

عَاودَ القلبَ بعضُ ما قد شَجَاهُ مِن حبيبٍ أمْسَى هَوَانَا هَوَاهُ
يا لَقَومِي فكيفَ أصْبِرُ عَمَّنْ لا تَرى النَّفْسُ طِيبَ عَيْشٍ سِوَاهُ
أرسَلَتْ، إذ رَأَتْ بِعَادِيَ، ألاّ يَقْبَلَنْ بي مُحَرِّشاً إنْ أتاهُ[1]
دونَ أن يَسْمَعَ المقالةَ مِنّا ولْيُطِعْنِي فإنَّ عِندِي رِضاه[2]
لا تُطِعْ بي، فَدَتْكَ نَفْسِي، عَدُوًّا لِحديثٍ على هَواهُ افْتَرَاه
لا تُطِعْ بي، مَنْ لو رَآني وإيَّا كَ أسِيرَيْ ضَرُورةٍ، ما عَنَاه
ما ضِرَارِي نفسي بِهَجْرِيَ مَنْ ليـ ـس مُسِيئاً ولا بعيداً ثَرَاه[3]
واجتِنَابِي بَيْتَ الحَبيبِ وما الخُلْـ ـدُ بأشْهَى إلَيَّ مِنْ أنْ أرَاه

الغناء لِمَعْبَد خَفِيفُ ثَقِيلٍ بالخِنْصَر في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لابن جامع ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وقال عمرو: فيه خَفِيفُ ثَقِيلٍ بالوسطى للهُذَلِيّ. وفيه لابن مُحْرِز ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو، وابتداؤه نشيدٌ أوّله: «ما ضراري نفسي» وقال الهشاميّ: وفيه لِعُلَيَّةَ بنتِ المَهْدِيّ وسَعِيد بن جابر لَحْنانِ من الثّقيل الثّاني.

ومن نهجه العِلَلَ قولُهُ: [المتقارب]

وآيَةُ ذلِكِ أنْ تَسْمَعِي إذا جِئْتُكُمْ نَاشِداً يَنْشُدُ
فَرُحْنا سِرَاعاً ورَاحَ الهَوَى دَليلاً إليها بنا يَقْصِدُ
فلمَّا دَنَوْنا لِجَرْسِ النُّبا حِ والصَّوتِ، والحَيُّ لم يَرْقُدوا
بَعَثْنا لها باغِياً ناشِداً وفي الحَيِّ بُغْيَةُ مَنْ يَنْشُدُ

وقد نُسِبتْ هذه الأبيات إلى مَنْ غَنَّى فيها مع:

---

(١) المُحَرِّش: المُغْرِي والمفسِد.
(٢) في الديوان (المعاذر) بدل (المقالة).
والشطر الثاني هكذا:
.... أو يُرَى عاتباً، فعندي رضاه
(٣) الضِّرار: الخلاف والضَّرَر. وفي الديوان (بهجرة) بدل بهجري. والثَّرى: الخير.

تَـــشُـــطُّ غـــداً دَارُ جـــيـــرانِـــنـــا

ومن فتحه الغزلَ قولُه: [الطويل]

إذا أنت لم تَعْشَقْ ولم تَدْرِ ما ٱلهوى فكُنْ حَجَراً مِنْ يابسِ الصَّخْرِ جَلْمَدَا

ومن عطفه المساءةَ على العُذَّالِ قولُه:

صوت [الخفيف]

لا تَلُمْنِي عَتِيقُ حَسْبي الّذي بي إنّ بي يا عَتِيقُ ما قَد كَفَانِي
لا تَلُمْني وأنتَ زَيَّنْتَها لي أنتَ مِثْلُ الشَّيطانِ لِلإنسانِ

الغناء لأبي العُبَيْسِ بن حَمْدُون ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ من مجموع أغانيه. وفيه رَمَلٌ طُنْبورِيّ مُحْدَث. وفيه هَزَجٌ لأبي عيسى بن المتوكّل.

ومِنْ حُسْنِ تَفَجُّعِهِ قولُهُ:

صوت [الطويل]

هَجَرْتَ الحبيبَ اليومَ من غيرِ ما اجْتَرَمْ وقَطَّعْتَ من ذِي وُدِّكَ الحَبْلَ فانْصَرَمْ[(١)]
أَطَعْتَ الوُشَاةَ الكَاشِحينَ ومَنْ يُطِعْ مَقالةَ وَاشٍ يَقْرَعِ السِّنَّ مِنْ نَدَمْ[(٢)]
أتاني رَسُولٌ كُنْتُ أحْسَبُ أنّه شَفِيقٌ علينا ناصحٌ كالّذي زَعَمْ
فلما تَبَاثَثْنَا الحديثَ وصَرَّحَتْ سَرَائِرُهُ عن بعضِ ما كانَ قَدْ كَتَمْ
تَبَيَّنَ لي أنَّ المُحَرِّشَ كاذبٌ فعندي لَكِ العُتْبَى على رَغْمِ مَنْ رَغَمْ
فَمِلآنَ لُمْتُ النَّفْسَ بعدَ الّذي مَضَى وبعدَ الّذي آلَتْ وآلَيْتُ مِنْ قَسَمْ[(٣)]
ظَلَمْتَ ولم تُعْتِبْ وكان رسولُها إليك سريعاً بِالرِّضا لَكَ إذْ ظَلَمْ

الغناء لابن سُرَيج رَمَلٌ مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق. وقال يونس: فيه لابن سُرَيج لحنان، وذكر الهشاميّ أنّ لحنَه الآخر ثقيلٌ أوّلُ، وأنّ لعَلُّويَةَ فيه رملاً آخر.

---

(١) اجترمَ: أذنب.
(٢) الكاشح: العدو المبغض.
(٣) فَمِلآنَ: فمن الآن. وآلت وآليتُ: أقسمت وأقسمتُ.

ومن تبخيله المنازلَ قولُه:

صوت

[الطويل]

عَرَفْتُ مَصِيفَ الحَيِّ والمُتَرَبَّعا ... بِبَطْنِ حُلَيَّاتٍ دَوَارِسَ بَلْقعا[1]
إلى السَّرْح من وادي المُغَمَّسِ بُدِّلَتْ ... مَعالِمُها وَبْلاً وَنَكْباءَ زَعْزَعا[2]
فَيَبْخَلْنَ أو يُخْبِرنَ بالعلمِ بعدَما ... نَكَأنَ فُؤاداً كان قِدْماً مُفَجَّعا[3]

الغناء للغريض ثاني ثقيلٍ بالوسطى.

ومن ٱختصاره الخبرَ قولُه:

صوت

[الطويل]

أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فَمُبْكِرُ ... غَداةَ غَدٍ أَمْ رائِحٌ فَمُهَجِّرُ
بِحاجةِ نَفْسٍ لم تَقُلْ فِي جوابِها ... فَتُبْلِغَ عُذْراً والمَقالَةُ تُعْذِرُ
أَشارَتْ بِمِدْراها وقالَتْ لِتِرْبِها ... أهذا المُغِيريُّ الّذي كان يُذْكَرُ
لَئِنْ كانَ إِيّاهُ لقد حالَ بَعْدَنا ... عَنِ العَهْدِ والإِنْسانُ قد يَتَغَيَّرُ

الغناء لابن سُرَيج رَمَلٌ بالسبَّابة في مجرَى البِنصر، وله في بيتين آخرين من هذه القصيدة، وهما:

ولَيْلَةَ ذِي دَوْرَانَ جَشَّمْتِنِي السُّرَى ... وقد يَجْشَمُ الهولَ المُحِبُّ المُغَرَّرُ
فَقُلْتُ أُبادِيهِم فإمّا أَفُوتُهُمْ ... وإمّا يَنَالُ السَّيفُ ثأراً فيثأَرُ

---

(١) الشطر الأول في الديوان هكذا:
ألم تسألِ الأطلالَ والمتربَّعا
وحُلَيَّات: موضع قرب مكة في طريق الطائف. والبلقع: الأرض الخالية التي لا شيء فيها.

(٢) في الديوان (إلى الشَّرْيِ) بدل (إلى السَّرْح)، والشَّرْي: موضع قريب من مكة (معجم البلدان ٣: ٣٤١) وذو السَّرْح: وادٍ بين مكة والمدينة قرب ملل (معجم البلدان ٣: ٢٠٨). والمغمَّس: موضع قرب مكة بطريق الطائف (معجم البلدان ٥: ١٦١) والنَّكباء: كل ريح من الرياح الأربع انحرفت ووقعت بين ريحين. وزعزع: شديدة.

(٣) نكأ الجرح: قشره قبل أن يلتئم ويبرأ.

رَمَلٌ آخرُ بالوسطى عن عمرو. قال الزُّبَير: حدّثني إسحاقُ الموصلي قال: قلتُ لأَعْرَابِيٍّ ما معنى قولِ ٱبنِ أبي ربيعة:

بِحاجةِ نَفْسٍ لم تَقُلْ في جوابِها ... فَتُبلِغَ عُذْراً والمقالةُ تُعذِرُ

فقال: قام كما جَلَسَ.

ومن صدْقِهِ الصَّفاءَ قولُه: [الخفيف]

كلُّ وَصْلٍ أَمْسَى لَدَيْكَ لأُنْثَى ... غَيْرِها وَصْلُها إليها أداءُ

كلُّ أُنثَى وإن دَنَتْ لِوِصَالٍ ... أو نَأَتْ فَهْيَ لِلرَّبابِ الفِداءُ

وقوله:

صوت [المتقارب]

أُحِبُّ لِحُبِّكِ مَنْ لم يَكُنْ ... صَفِيّاً لِنَفْسي ولا صَاحِبَا

وأَبْذُلُ مالي لِمَرْضاتِكُمْ ... وأُعْتِبُ مَنْ جاءَكُمْ عَاتبا[1]

وأَرْغَبُ في وُدِّ مَنْ لم أَكُنْ ... إلى وُدِّهِ قَبْلَكُمْ رَاغِبَا

ولو سَلَكَ النَّاسُ في جَانبٍ ... مِنَ الأرضِ واعْتَزَلَتْ جَانِبَا

لَيَمَّمْتُ طِيَّتَها إنَّني ... أرى قُرْبَها العجبَ العَاجِبَا[2]

الغناء لابن القَفَّاص رَمَلٌ عن الهشاميّ ويحيى المكّيّ، وفيه لِلرَّبَعيِّ لحنٌ من كتاب إبراهيمَ غيرُ مُجَنَّس.

ومِمَّا قَدَحَ فيه فأورى قولُه:

صوت [الرمل]

طالَ لَيْلِي وتَعَنَّاني الطَّرَبْ ... واعْتَرَانِي طُولُ هَمٍّ وَوَصَبْ[3]

أَرْسَلَتْ أسماءُ في مَعْتَبَةٍ ... عَتَبَتْها وهي أحلَى مَنْ عَتَبْ

(١) في الديوان (من جاءني) بدل (من جاءكم).

(٢) يمّمتُ طيّتها: توجّهت ناحيتها.

(٣) تعنّاني: أصابني. والطَّرَب: خِفَّة تعتري الإنسان عند شدة الفرح أو الحزن والهمّ. والوصب: الألم الدائم.

أنْ أتى منها رسولٌ مَوْهِناً وجَدَ الحَيَّ نِياماً فانْقَلَبْ(١)
ضَرَبَ البابَ فلم يَشْعُرْ به أحَدٌ يَفْتَحُ باباً إذ ضَرَبْ(٢)
قال: أيْقاظٌ، ولكن حاجةٌ عَرَضَتْ تُكْتَمُ منّا فاحْتَجَبْ
ولَعَمْداً رَدَّني فاجْتَهَدَتْ بِيَمينٍ حَلْفَةً عندَ الغَضَبْ
يَشْهَدُ الرَّحْمٰنُ لا يَجْمَعُنا سَقْفُ بيتٍ رَجَباً بعد رَجَبْ(٣)
قُلْتُ: حِلاً فاقْبَلِي مَعْذِرَتي ما كذا يَجْزِي مُحِبٌّ مَنْ أحَبْ
إنّ كَفِّي لكِ رَهْنٌ بالرِّضا فَاقْبَلِي يا هِنْدُ، قالتْ: قد وَجَبْ

الغناء لمالك خفيفُ ثقيلٍ بالسّبّابة في مَجْرى الوُسْطَى عن إسحاق. وفيه لِدَحْمَانَ ثقيلٌ أوّلُ بالبِنْصَر عن عمرو. وفيه لمَعْبَدٍ لحنٌ من كتاب يونسَ لم يُجَنِّسه، وذكر الهِشَاميُّ أنه خفيفُ ثقيلٍ. وفيه لابن سُرَيج رَمَلٌ عن الهِشَامي.

قال مَنْ حكينا عنه في صدر أخبار عمر روايتَه التي رواها عليُّ بن صالح عن أبي هفّانَ عن إسحاقَ عن رجاله والحَرَمِيُّ عن الزُّبير عن عمّه: كان عمرُ بن أبي ربيعة يَهْوَى امرأةً يُقَالُ لها أسماءُ فكان الرَّسولُ يختلفُ(٤) بينهما زماناً وهو لا يَقْدِرُ عليها. ثم وَعَدَتْهُ أن تَزورَه؛ فتأهَّب لذلك وانتظرَها، فأبطأتْ عنه حتى غَلَبَتْهُ عَيْنُهُ فنامَ، وكانت عِندَه جاريةٌ له تَخْدُمُه؛ فلم تَلْبَثْ أن جاءت ومعها جاريةٌ لها. فوقَفَتْ حَجْرَةً(٥) وأمَرَتِ الجاريةَ أنْ تَضْرِبَ البابَ، فضربَتْه فلم يستيقظْ. فقالت لها: تَطَلَّعي فانظري ما الخبر؟ فقالَتْ لها: هو مُضْطَجِعٌ وإلى جنبِهِ امرأةٌ فَحَلفَتْ لا تزورُه حَوْلاً؛ فقال في ذلك:

طالَ لَيلي وتَعَنّاني الطَّرَبْ

قال أبو هَفَّانَ في حديثه: وبَعَثَ إليها امرأةً كانت تختلفُ بينه وبين مَعَارِفِه، وكانت جَزْلَةً(٦) من النّساءِ، فَصَدَقَتْها عن قِصَّتِهِ وحَلَفَتْ لها أنَّه لم يَكُنْ عِندَه إلا

(١) الموهن: نحو منتصف اللّيل.
(٢) في الديوان (عنه) بدل (باباً).
(٣) في الديوان (أُشهِدُ الرَّحمنَ) بدل (يشهد الرحمن).
(٤) يختلف بينهما: يتردّد مرّة بعد مرّة.
(٥) حجرة: ناحية.
(٦) الجزلة من النساء: الجيّدة الرأي العاقلة.

جاريتُه، فَرَضِيَتْ. وإيّاها يَعْني عمرُ بقوله: [الرمل]

فَأَتَتْهَا طَبَّةٌ عالِمةٌ تَخْلِطُ الجِدَّ مِراراً بِاللَّعِبْ[١]
تُغْلِظُ القَوْلَ إذا لانَتْ لها وتُراخِي عِنْدَ سَوْرَاتِ الغَضَبْ[٢]
لم تَزَلْ تَصْرِفُها عن رَأْيِها وتَأَنّاها بِرِفْقٍ وأَدَبْ[٣]

قال إسحاق في خبره وحَدَّثني ٱبن كُنَاسَةَ قال: أخبرني حَمَّادٌ الراوية قال: استنشدني الوليدُ بنُ يزيدَ فأنشدْتُهُ نَحْواً من ألفِ قصيدةٍ، فما استعادني إلا قصيدة عمرَ بن أبي ربيعة:

طَالَ لَيْلِي وتَعَنَّانِي الطَّرَبْ

فلما أنشدتُه قولَه:

فَأَتَتْها طَبَّةٌ عالِمَةٌ تَخْلِطُ الجِدَّ مِراراً بِاللَّعِبْ

إلى قوله:

إنَّ كَفِّي لكِ رَهْنٌ بِالرِّضا فاقْبَلِي يا هِنْدُ قالَتْ قد وَجَبْ

فقال الوليد: وَيْحَك يا حَمَّاد! اطْلُبْ لي مثلَ هذه أُرسِلْها إلى سَلْمَى. يعني امرأته سلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان، وكان طَلَّقها لِيتزوَّجَ أُخْتَها ثم تَتَبَّعَتْهَا نَفْسُه.

قال إسحاقُ وحدّثني جماعةٌ منهم الحَرَميُّ والزُّبَيريُّ وغيرُهما: أن عمر أنشدَ ٱبنَ أبي عتيقٍ هذه القصيدةَ، فقال له ٱبنُ أبي عتيقٍ: النّاسُ يطلبون خليفةً مُذْ قُتِلَ عثمانُ في صفةِ قَوَّادَتِكَ هذه يُدَبِّرُ أمورَهم فما يجدونه!

رجْعٌ إلى خبر عمر الطويل

قالوا: ومن شِعره الذي اعتذرَ فيه فأبرأ قولُه: [الخفيف]

فَالْتَقَيْنَا فَرَحَّبَتْ حِينَ سَلَّمْـ ـتُ وكَفَّتْ دَمْعاً مِنَ العَيْنِ مَارَا[٤]

---

(١) طَبّة: حاذقة خبيرة. وفي الديوان (محتالةٌ تمزج) بدل (عالمةٌ تخلط).

(٢) في الديوان (ترفع الصّوتَ) بدل (تغلظ القولَ).

(٣) تأنّاها: تتمهّلُ عليها. وفي الديوان تتأتّاها: أي تأتيها مُتَرَفّقة.

(٤) مار الدمع: سال وجرى.

ثمّ قالَتْ عِندَ العِتَابِ رَأَيْنا مِنك عَنَّا تَجَلُّداً وأزْوِرَارَا[١]
قُلْتُ كَلاَّ، لاَهِ ٱبْنُ عَمِّكِ بل خِفْـ نا أُموراً كُنَّا بها أَغْمَارَا[٢]
فَجَعَلْنا الصُّدودَ لمَّا خَشِينا قَالَةَ النَّاسِ لِلْهَوى أَسْتَارَا
ليس كَالعَهْدِ إذ عَهِدْتِ ولكنْ أَوْقَدَ النَّاسُ بِالنَّمِيمَةِ نَارا[٣]
فَلِذَاكِ الإعراضُ عنكِ ومَا آ ثَرَ قلبي عليكِ أُخرَى اختيارا
ما أُبَالي إذا النَّوَى قَرَّبَتْكُمْ فَدَنَوْتُمْ مَنْ حَلَّ أو مَنْ سَارَا
فَاللَّيالي إذا نَأَيْتِ طِوَالٌ وأرَاها إذا قَرُبْتِ قِصَارا

ومن تَشَكّيه الّذي أشجى فيه قولُه:

صوت

[الطويل]

لَعَمْرُكِ ما جَاوَرْتُ غُمْدَانَ طائعاً وقَصْرَ شَعُوبٍ أَنْ أَكونَ به صَبّا[٤]
ولكنَّ حُمَّى أَضْرَعَتْني ثلاثةً مُجَرَّمَةً ثم ٱسْتَمَرَّتْ بنا غِبَّا[٥]
وحَتَّى لَوَ ٱنَّ الخُلْدَ تَعْرِضُ إنْ مَشَتْ إلى البابِ رِجْلي ما نَقَلْتُ لها إِرْبَا[٦]
فَإِنَّكِ لو أَبْصَرْتِ يومَ سُوَيْقَةٍ مُنَاخِي وحَبْسِي العِيسَ داميةً حُدْبَا[٧]
ومَصْرَعَ إخوانٍ كَأنَّ أَنِينَهُمْ أَنِينُ المَكَاكي صَادَفَتْ بَلَداً خِصْبَا[٨]
إذاً لاَقْشَعَرَّ الرَّأسُ مِنْكِ صَبَابةً ولاَسْتَفْرَغَتْ عَيْنَاكِ مِنْ سَكْبةٍ غَرْبا[٩]

---

(١) التَّجَلُّد: التَّصَبُّر. والازورار: الإعراض.
(٢) لاه ابنُ عَمّك: أي لِلّهِ ابنُ عَمّك، فحذف لام الجر واللام التي بعدها. والأغمار: جمع الغُمْر: هوالذي لم يجرّب الأمور.
(٣) في الديوان (بالأحاديث) بدل (بالنميمة).
(٤) غُمْدَان: قصر باليمن بين صنعاء وطيوة بناه سليمان بن داود (معجم البلدان ٤: ٢١٠). وشَعوب: قصر باليمن معروف بالارتفاع. (معجم البلدان ٣: ٣٥٠) وفي الديوان (بها) بدل (به). بها: أي بهذه المواضع.
(٥) أضرعتني: أضعفتني وأكرهتني على النوم. ومُجَرَّمة: كاملة. والغِبّ: الحمى التي تزور يوماً وتغيب يوماً.
(٦) في الديوان (يعرضُ) بدل (تعرض) والإرْبُ: العضو.
(٧) سويقة: موضع قرب المدينة أو ببطن مكة (معجم البلدان ٣: ٢٨٦). والعِيس: الإبل. وحُدْبا: متقوّسة الظهور من التعب والإعيار.
(٨) المكاكي: جمع المكّاء: طائر يشبه القُبَّرَة حسن الصّوت.
(٩) في الديوان (من عبرةٍ سكبا). بدل (من سكبةٍ غربا). والغَرب: الدّمع.

غَنَّى في الأوّل والثّاني من هذه الأبيات مَعْبَدٌ ولَحْنُهُ خَفِيفُ ثَقِيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو. وفيهما لمالك ثقيل أوّلُ عن الهشاميّ، ونسبه يونس إلى مالك ولم يُجَنِّسْهُ.

ومن إقدامه عن خِبْرةٍ ولم يَعْتَذِرْ بغِرّةٍ قولُه: [المتقارب]

صَـرَمْـتُ وَوَاصَـلْـتُ حَـتَّـى عـرفـ ـتُ أيـن الـمَـصَـادِرُ والـمَـوْرِدُ
وجَـرَّبْـتُ مِـنْ ذَاكَ حَـتَّـى عـرفـ ـتُ مـا أَتَـوقَّـى ومـا أَعْـمِـدُ

ومن أَسره النومَ قولُه: [الخفيف]

نـامَ صَـحْـبِـي وبـاتَ نَـومِـي أَسِـيـرَا أَرْقُـبُ الـنَّـجْـمَ مَـوْهِـنـاً أَنْ يَـغُـورا

ومن غَمِّه الطَّيْرَ قولُه: [الطويل]

فَرُحْنَـا وقُـلْـنَـا لِـلـغُـلام ٱقْـضِ حَـاجَـةً لـنـا ثُـمَّ أَدْرِكْـنَـا ولا تَـتَـغَـبَّـرِ
سِـرَاعـاً نَـغُـمُّ الـطَّـيْـرَ إنْ سَـنَـحَـتْ لـنـا وإن تَـلْـقَـنـا الـرُّكْـبـانُ لا نَـتَـخَـبَّـرِ(١)

تَتَغَبَّر: من قولهم: غَبَرَ فلانٌ أي لَبِثَ.

ومن إغذاذِه السَّيْرَ قولُه: [الخفيف]

قُـلْـتُ سِـيـرَا ولا تُـقِـيـمَـا بِـبُـصْـرَى وحَـفِـيـرٍ فـمـا أُحِـبُّ حَـفِـيـرا(٢)
وإذا مـا مَـرَرْتُـمـا بِـمَـعَـانٍ فَـأَقِـلاّ بِـهِ الـثَّـوَاءَ وسِـيـرَا(٣)
إنَّـمـا قَـصْـرُنَـا إذا حَـسَّـرَ الـسَّـيـ ـرُ بَـعِـيـراً أَنْ نَـسْـتَـجِـدَّ بَـعِـيـرَا(٤)

ومن تحييره ماءَ الشَّباب قولُه:

صوت

[الخفيف]

أَبْـرَزُوهـا مِـثْـلَ الـمَـهَـاةِ تَـهَـادَى بـيـن خَـمْـسٍ كَـوَاعِـبٍ أَتْـرابِ(٥)

---

(١) في الديوان (لا نتحيَّر) بدل (لا نتخبَّر).
(٢) بصرى: بلد بالشام أو من قرى بغداد قرب عُكبراء (معجم البلدان ١ : ٤٤١)، وحفير: موضع بين مكة والمدينة (معجم البلدان ٢ : ٢٧٦).
(٣) مَعَان: مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز (معجم البلدان ٥ : ١٥٣).
(٤) قصرنا: قُصارانا وغايتنا. وحَسَّرَ السّيرُ بعيراً: أتعبه وأجهده.
(٥) الكواعب: جمع الكاعب: الفتاة التي نهد ثديها وأشرف. والأتراب: جمع التِّرْب: من كان مماثلاً لآخَرَ في السّنّ.

ثُمَّ قالُوا تُحِبُّهَا؟ قُلْتُ: بَهْراً عَدَدَ القَطْرِ والحَصَى والتُّرَابِ[1]
وهي مَكْنُونَةٌ تَحَيَّرَ منها في أَدِيمِ الخَدَّيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ[2]

الغناء لمحمد بن عائشة خَفِيفُ ثقيلٍ بالبنصر. وفيه لمالك خفيف ثقيل آخر عن الهشامي، وقيل: بل هو هذا.

ومن تَقويلِه وتَسْهيلِه قولُه: [البسيط]

قَالَتْ على رِقْبَةٍ يوماً لِجارَتِها ما تَأْمُرِينَ فَإِنَّ القَلْبَ قد تُبِلاَ[3]
وهل لِيَ اليومَ مِنْ أُخْتٍ مُوَاخِيَةٍ مِنْكُنَّ أَشْكُو إليها بَعْضَ ما فَعَلا
فَرَاجَعَتْهَا حَصَانٌ غَيْرُ فاحشةٍ بِرَجْعِ قَوْلٍ ولُبٌّ لم يَكُنْ خَطِلاَ[4]
لا تَذْكُرِي حُبَّهُ حَتَّى أُرَاجِعَهُ إِنِّي سَأَكْفِيكِه إِنْ لم أَمُتْ عَجَلا
فَاقْنَيْ حَياءَكِ في سَتْرٍ وفي كَرَمٍ فَلَسْتِ أَوَّلَ أُنثى عُلِّقَتْ رَجُلا

وأما ما قاس فيه الهوى فقولُه: [الطويل]

وقَرَّبْنَ أسبابَ الهَوَى لِمُتَيَّمٍ يَقِيسُ ذِراعاً كُلَّما قِسْنَ إِصبعَا

ومن عصيانِهِ وإخلائِه قوله: [الخفيف]

وأُنصُّ المَطِيَّ يَتْبَعْنَ بِالرَّكْـ ـبِ سِرَاعاً نَوَاعِمَ الأَظْعَانِ[5]
فَنَصِيدُ الغَرِيرَ مِنْ بَقَرِ الوَحْـ ـشِ ونَلْهُو بِلَذَّةِ الفِتْيَانِ
في زمانٍ لو كُنْتِ فيه ضَجِيعِي غيرَ شَكٍّ عَرَفْتِ لي عِصْيَانِي
وتَقَلَّبْتِ في الفِرَاشِ ولا تَدْ رِينَ إلاّ الظُّنونَ أَينَ مَكَانِي

ومن محالفته بسمعه وطرفه قوله: [البسيط]

سَمْعِي وطَرْفِي حَلِيفَاها على جَسَدِي فكيفَ أَصْبِرُ عن سَمْعِي وعن بَصَرِي
لو طَاوعاني على ألاَّ أُكَلِّمَها إذاً لَقَضَّيْتُ مِنْ أَوْطَارِهَا وَطَرِي[6]

---

(١) بَهْراً: كثيراً أو عجباً.
(٢) تَحَيَّرَ الماءُ: تردّد.
(٣) تُبِلَ: أسقم وغُلِبَ على أمره.
(٤) الحَصَان: المرأة العفيفة. والخَطِل: الفاسد المضطرب.
(٥) أَنُصّ المطيّ: أسوقها سوقاً شديداً.
(٦) الوَطَر: الحاجة والبغية.

ومن إبرامه نعتَ الرُّسُلِ قولُه: [الخفيف]

فَبَعَثْتُ كاتِمَةَ ٱلحَديـ ـثِ رَفِيقَةً بِجَوَابِهَا
وَحْشِيَّةً إِنْسِيَّةً خَرَّاجَةً مِنْ بَابِهَا[١]
فَرَقَتْ فَسَهَّلَتِ المَعَا رِضَ مِنْ سَبِيلِ نِقَابِهَا[٢]

ومن تحذيره قولُه:

صوت

[مجزوء الوافر]

لَقَدْ أَرْسَلْتُ جارِيَتي وقُلْتُ لها: خُذِي حَذَرَكْ[٣]
وقُولِي في مُلاَطَفَةٍ لِزَيْنَبَ: نَوِّلِي عُمَرَكْ
فَإِنْ دَاوَيْتِ ذا سَقَمٍ فَأَخْزَى اللَّهُ مَنْ كَفَرَكْ
فَهَزَّتْ رَأْسَها عَجَباً وقالَتْ: مَنْ بِذَا أَمَرَكْ؟
أَهٰذا سِحْرُكَ النِّسْوا نَ، قد خَبَّرْنَنِي خَبَرَكْ
وقُلْنَ: إذا قَضَى وَطَراً وأَدْرَكَ حَاجَةً هَجَرَكْ

غَنَّى ٱبن سُرَيج في هذه الأبيات، ولَحْنُه خَفِيفُ ثَقِيلٍ. ولابن المَكِّيّ فيها هَزَجٌ بالوسطى. وفيها رَمَلٌ ذكر ذُكَاءُ وَجهُ الرُّزَّة[٤] عن أحمدَ بن أبي العَلاَء عن مُخَارِق أنه لابن جَامِع، وذكر قُمْرِيٌّ أنه له وأنّ ذُكَاءَ أَبْطَل في هذه الحكاية.

قال الزُّبَيْر: حدّثني عَمِّي قال: حدّثني أبي قال: قال شيخٌ من قريش: لا تُرَوُّوا نِسَاءَكُم شِعرَ عمر بن أبي ربيعة لا يَتَوَرَّطْنَ في الزِّنَا تَوَرُّطاً؛ وأنشد:

لَقَدْ أَرْسَلْتُ جارِيَتي وقُلْتُ لها خُذِي حَذَرَكْ

... الأبيات

ومن إعلانه الحبَّ وإسراره قوله: [الطويل]

(١) خَرَّاجة من بابها: تعرف كيف تتصرف عند المآزق.
(٢) رقت: قالت رقية. والمعارض: مواضع عرض الشيء وإظهاره والمراد معارض وجهها.
(٣) الشطر الأول في الديوان:
بَعَثْتُ وَلِيدَتي سَحَراً
(٤) وجه الرُّزَّة: هو غلام أحمد بن يوسف.

شَكَوْتُ إليها الحُبَّ أُعْلِنُ بَعْضَهُ وأَخْفَيْتُ منه في الفؤادِ غَلِيلاَ[١]

ومما بطن به وأظهر قولُه: [الرمل]

حُبُّكُم يا آلَ لَيْلَى قَاتِلي ظَهَرَ الحُبُّ بِجِسْمِي وبَطَنْ
ليس حُبٌّ فوقَ ما أَحْبَبْتُكُمْ غَيْرَ أَنْ أَقْتُلَ نَفْسِي أو أُجَنْ

ومما أَلحَّ فيه وأَسَفَّ قولُه: [الخفيف]

ليتَ حَظِّي كَطَرْفَةِ العينِ منها وكثيرٌ منها القليلُ المُهَنَّا
أو حديثٌ على خَلاَءٍ يُسَلِّي ما يُجِنُّ الفُؤَادُ منها ومِنَّا[٢]
كَبُرَتْ رَبِّ نِعْمَةً مِنْكَ يوماً أَنْ أراها قبلَ المَمَاتِ ومَنَّا[٣]

ومن إنكاحِهِ النومَ قوله:

صوت

[الكامل]

حَتَّى إذا ما اللَّيْلُ جَنَّ ظَلاَمُهُ ونَظَرْتُ غَفْلَةَ كَاشِحٍ أَنْ يَعْقِلاَ
وٱسْتَنْكَحَ النَّومُ الّذين نَخَافُهُمْ وسَقَى الكَرَى بَوَّابَهُمْ فَاسْتُثْقِلاَ[٤]
خَرَجَتْ تَأَطَّرُ في الثيابِ كأنَّها أَيْمٌ يَسِيبُ على كَثِيبٍ أَهْيَلاَ[٥]

الغناء لمَعْبَد خَفِيفُ ثَقِيلٍ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه ألحانٌ لغيره وقد نُسِبَتْ في غير هذا الموضع مع قوله:

وَدِّعْ لُبَابَةَ قبلَ أَنْ تَتَرَحَّلا[٦]

ومن جَنْيِهِ الحديثَ قولُه: [الخفيف]

وجَوارٍ مُسَاعِفَاتٍ على اللّهـ ـوِ مُسِرَّاتِ باطنِ الأضغانِ[٧]

---

(١) الغليل: حرارة الحبّ.
(٢) أَجَنّ الفؤادُ: أخفى وستر.
(٣) المَنّ: الإحسان والإنعام.
(٤) استنكحهم النوم: غَشِيَهُمْ وغلبهم. والكَرى: النُّعاس. واستثقل: أثقله النوم.
(٥) تأطّر: تتأطّرُ: تتثنّى. والأيم: الأفعى. ويسيب: يمشي. والكثيب الأهيل: الرمل المنهال.
(٦) لبابة: بنت عبد الله بن عباس امرأة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان.
(٧) البيت في الديوان:
وجَوَارٍ مُسْتَقْتَلاتٍ إلى اللّهـ ـوِ حِسَانٍ كناضرِ الأغصانِ

صُيَّدٍ لِلرِّجالِ يَرْشُقْنَ بِالطَّرْ ... فِ حِسَانٍ كَخُذَّلِ الغِزْلَانِ[١]
قد دَعَانِي وقد دَعَاهُنَّ لِلَّهـ ... ـوِ شُجُونٌ مُهِمَّةُ الأَشجَانِ[٢]
فاجْتَنَيْنَا مِنَ الحديثِ ثِمَاراً ... ما جَنَى مِثْلَها لَعَمْرُكَ جَانِي[٣]

ومن ضَرْبِه الحديثَ ظهرَه لبطنِه قولُه: [الخفيف]

في خَلاءٍ مِنَ الأنِيسِ وأَمْنٍ ... فَبَثَثْنَا غَلِيلَنا واشْتَفَيْنا
وضَرَبْنا الحديثَ ظَهْراً لبطنٍ ... وأَتَيْنَا مِنْ أمرِنا ما اشْتَهَيْنا
فَمَكَثْنَا بذاكَ عَشْرَ لَيالٍ ... في قَضَاءٍ لِدَيْنِنَا واقْتَضَيْنَا[٤]

ومن إذلاله صَعْبَ الحديثِ قولُه: [الطويل]

فلمّا أَفَضْنَا في الهوى نَسْتَبِينُهُ ... وعادَ لنا صَعْبُ الحديثِ ذَلُولاَ
شَكَوْتُ إليها الحُبَّ أُظْهِرُ بَعْضَهُ ... وأَخْفَيْتُ منه في الفؤادِ غَلِيلاَ

ومن قناعته بالرَّجاءِ من الوفاء قولُه: [الخفيف]

فَعِدِي نَائلاً وإنْ لم تُنِيلي ... إنَّهُ يَنْفَعُ المُحِبَّ الرَّجَاءُ

قال الزُّبَير: هذا أحسن من قول كُثَيِّر: [الطويل]

ولَسْتُ بِرَاضٍ من خَلِيلٍ بِنَائِلٍ ... قَلِيلٍ ولا أَرْضَى له بِقَلِيلِ

ومن إعلائه قاتِلَه قولُه: [الكامل]

فَبَعَثْتُ جَارِيَتي وقُلْتُ لها اذْهَبي ... فَاشْكِي إليها ما عَلِمْتِ وسَلِّمِي
قُولِي يقولُ تَحَرَّجِي في عاشقٍ ... كَلِفٍ بكم حتّى المَمَاتِ مُتَيَّمِ
ويقولُ إنَّكِ قد عَلِمْتِ بِأنَّكُمْ ... أَصْبَحْتُمُ يا بِشْرُ أَوْجَهَ ذِي دمٍ[٥]
فُكِّي رَهِينَتَهُ فَإنْ لم تَفْعَلِي ... فَاعْلَيْ على قَتْلِ ابْنِ عَمِّكِ وَاسْلَمِي
فَتَضَاحَكَتْ عَجَباً وقالَتْ: حَقُّهُ ... ألاَّ يُعَلِّمَنَا بما لم نَعْلَمِ

---

(١) في الديوان (قُتَّلٍ للرجال) بدل (صُيَّدٍ). والخُذَّل: الظِّباء التي تخذل أصحابها وتنفرد بالمرعى.
(٢) مُهِمَّة الأشجان: مثيرة لها. وفي الديوان (من أعجب) بدل (مهمّة).
(٣) في الديوان (فاهتصرنا) بدل (فاجتنينا).
(٤) البيت في الديوان:
فلبثنا بذاكَ عشراً تباعاً ... فقضينا ديونَنا واقتضينا
(٥) أوجه ذي دم: أي أحقّ من آخُذُ منه بدمي.

عِلْمِي بهِ - واللَّهُ يَغْفِرُ ذَنْبَهُ - فيما بَدَا لي، ذو هَوىً مُتَقَسَّمِ
طَرِفٌ يُنازِعُهُ إلى الأدْنَى الهَوَى وَيَبُتُّ خُلَّةَ ذِي الوِصَالِ الأقْدَمِ[١]

ومن تنفيضه النَّومَ قَولُه: [الطويل]

فلمَّا فَقَدْتُ الصَّوتَ منهم وَأُطْفِئَتْ مَصَابِيحُ شُبَّتْ بِالعِشَاءِ وأَنْوُرُ[٢]
وغابَ قُمَيْرٌ كُنْتُ أَرْجُو غُيوبَهُ ورَوَّحَ رُغْيانٌ ونَوَّم سُمَّرُ
ونَفَّضْتُ عنِّي النَّومَ أَقْبَلْتُ مِشْيَةَ الـ حُبَابِ ورُكْنِي خَشْيَةَ القَومِ أزْوَرُ[٣]

ومن إغلاقِهِ رَهْنَ مِنىً وإهدارِه قَتْلاه قولُه: [الطويل]

فَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ ما يُبَاءُ به دَمٌ ومِن غَلِقٍ رَهْناً إذا لَفَّهُ مِنَى[٤]
ومِنْ مَالِىءٍ عَيْنَيْهِ مِنْ شَيءِ غَيْرِه إذا رَاحَ نحوَ الجَمْرَةِ البِيضُ كَالدُّمَى

وكان بعد هذا كلِّه فصيحاً شاعراً مِقْوَلاً[٥].

[عمر يشفق على العاشق الفقير ويتكفّل بتزويجه]

أخبرني الحَرَمِيُّ بن أبي العَلاَء قال: حدّثنا الزُّبَيْر قال: حَدَّثني عَمِّي، وأخبرنا به علي بن صالح عن أبي هَفَّانَ عن إسحاق عن رجاله: أنّ عمر بن أبي ربيعة نظرَ إلى رجلٍ يُكَلِّمُ آمرأةً في الطَّوَافِ، فعابَ ذلك عليه وأنكره. فقال له: إنها آبنة عَمِّي. قال: ذاكَ أَشْنَعُ لأمرِكَ. فقال: إنِّي خَطَبْتُهَا إلى عَمِّي، فأبى عليّ إلا بِصَدَاقِ أربعمائة دينار، وأنا غير مُطِيق ذلك، وشكا إليه من حُبِّها وكَلَفِه بها أمراً عظيماً، وتَحَمَّلَ[٦] به على عَمِّه. فسارَ معه إليه فَكَلَّمَهُ. فقال له: هو مُمْلِقٌ، وليس عندي ما أُصْلِحُ به أَمْرَهُ. فقال له عمر: وكم الّذي تريدُه منه؟ قال: أربعمائة دينار. فقال له: هي عَلَيَّ فَزَوِّجْهُ، ففعلَ ذلك.

وقد كان عمر حين أَسَنَّ حَلَفَ ألاَّ يقول بَيْتَ شِعرٍ إلاَّ أعتقَ رَقبةً. فانصرفَ

---

(١) الطَّرِف: الذي لا يثبت على حبّه بل يطلب الجديد. ويبتّ: يقطع. والخُلّة: الصّداقة.
(٢) في الديوان أنؤر، وأنؤر وأنور: جمع نار.
(٣) الحُباب: الحية. وأزور: مائل. وفي الديوان: وشخصي خشية الحيّ أزور.
(٤) ما يباء به دمٌ: لا يؤخذ بثأره. وغَلِق الرهن: إذا لم يستطع الراهن افتكاكه في الوقت المشروط.
(٥) المِقْوَل: الحسن القول المفصح المبين.
(٦) تَحمَّلَ به: جعله شفيعاً له.

عمرُ إلى منزِلِه يُحَدِّثُ نفسَه؛ فجعلتْ جاريةٌ له تُكَلِّمُه فلا يردُّ عليها جواباً. فقالت له: إنّ لكَ لأمراً، وأراكَ تريدُ أن تقولَ شِعراً؛ فقال:

صوت

[الوافر]

تقولُ وَليدتي لمَّا رَأَتْني ... طَرِبْتُ وكُنْتُ قد أَقْصَرْتُ حِينا
أراكَ اليومَ قد أَحْدَثْتَ شَوْقاً ... وهاجَ لكَ الهَوَى دَاءً دَفِينَا
وكنتَ زَعَمْتَ أنَّك ذو عَزَاءٍ ... إذا ما شِئْتَ فارَقْتَ القَرِينَا
بِرَبِّكَ هل أتاكَ لها رَسُولٌ ... فَشَاقَكَ أم لَقِيتَ لها خَدِينَا[1]
فَقُلْتُ شكا إِلَيَّ أَخٌ مُحِبٌّ ... كَبعضِ زَمانِنَا إذ تَعْلَمِينَا
فَقَصَّ عَلَيَّ ما يَلْقَى بِهِنْدٍ ... فَذَكَّرَ بَعْضَ ما كُنَّا نَسِينَا
وذو الشَّوْقِ القديم وإنْ تَعَزَّى ... مَشُوقٌ حين يَلْقَى العاشِقِينَا[2]
وكم مِنْ خُلَّةٍ أَعْرَضْتُ عنها ... لِغَيْرِ قِلىً وكُنْتُ بها ضَنِينَا[3]
أَرَدْتُ بِعادَها فَصَدَدْتُ عنها ... ولو جُنَّ الفُؤَادُ بها جُنونَا

ثم دعا تِسْعَةً من رقيقِه فأعتقَهُمْ لِكلِّ بيتٍ واحدٌ. الغناء لابن سُرَيج رَمَلٌ بالبنصر عن عمرو والهشاميّ. وفيه ثقيلٌ أوّلُ يقال: إنه للغَرِيض. وذكَر عبدُ الله بن موسى أن فيه لدَحْمَانَ خَفِيفَ رَمَلٍ.

أخبرني الحَرَمِيُّ قال: حَدَّثنا أحمد بن عُبَيد أبو عَصِيدَةَ قال: ذَكَر ٱبنُ الكَلْبيّ أنّ عمر بن أبي ربيعة كان يُسايرُ عُرْوَةَ بن الزُّبَير ويُحادثُه، فقال له: وأين زينُ المواكبِ؟ يعني ٱبنَه محمدَ بن عُرْوة، وكان يُسَمَّى بذلك لِجمالِه. فقال له عُرْوة: هو أمامَكَ؛ فركَضَ يَطْلُبُهُ. فقالَ له عروةُ: يا أبا الخَطَّابِ، أَوَلَسْنَا أكفاءً كِراماً لِمُحَادَثَتِكَ ومسايرَتِكَ؟ فقال: بَلَى بأبي أنتَ وأُمّي! ولَكِنّي مُغْرىً بهذا الجمالِ أَتْبَعُهُ حيثُ كانَ. ثم ٱلتفتَ إليه وقال:

[المنسرح]

إنِّي ٱمْرؤٌ مُولَعٌ بالحُسْنِ أَتْبَعُهُ ... لاحَظَّ لي فيه إلا لَذَّةُ النَّظَرِ

ثم مضى حتى لَحِقَهُ فسارَ معه، وجعَلَ عُرْوَةُ يضحَكُ من كلامِهِ تَعَجُّباً منه.

---

(١) الخدين: الصديق.

(٢) في الديوان: وذو القلب المصاب ولو تَعَزَّى.

(٣) الخُلَّة: الخليلة. والقِلى: البغض. والضّنين: البخيل.

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبَان قال: حدّثنا أحمد بن زُهَير قال: حدّثنا مُصْعَب بن عبد الله قال: رأى عمرُ بن أبي ربيعة رَجُلاً يَطُوفُ بالبيتِ قد بهرَ النَّاسَ بجمالِهِ وتَمامِه، فسألَ عنه فقيلَ له: هذا مالكُ بن أسماءَ بن خارجةَ. فجاءه فَسَلَّمَ عليه وقال له: يابنَ أخي، ما زلتُ أَتَشَوَّقُكَ منذُ بلغنِي قولُك: [الخفيف]

إنَّ لي عندَ كُلِّ نَفْحَةِ بستا ... نٍ مِنَ الوَرْدِ أو مِنَ اليَاسِمِينَا
نظرةً وٱلتفاتةً أَتَمَنَّى ... أنْ تكوني حَلَلْتِ فيما يَلِينَا

ويروَى:

«... أَتَرَجَّى أن تكوني حَلَلْتِ...»

[تَعَرُّض عمر لامرأة أبي الأسود في الطوَاف]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبَان قال: حدَّثنا عبد الله بن محمد قال: حدَّثنا العباس بن هِشَام عن أبيه قال: أخبرني مولىً لزِيَادٍ قال: حَجَّ أبو الأسود الدُّؤَلِيّ ومعه ٱمرأتُهُ وكانت جميلةً. فبينا هي تَطُوفُ بالبيت إذ عَرَضَ لها عُمَر بن أبي ربيعة، فأتَتْ أبا الأسود فأخبرته، فأتاه أبو الأسود فعاتبه. فقال له عمر: ما فعلتُ شيئاً. فلمّا عادَتْ إلى المسجدِ عادَ فَكَلَّمَها، فأخبرَتْ أبا الأسودِ، فأتاهُ في المسجدِ وهو مع قومٍ جالسٌ فقال له: [الطويل]

وإنِّي لَيَثْنِينِي عن الجَهْلِ والخَنَا ... وعن شَتْمِ أقوامٍ خلائقُ أربعُ
حَيَاءٌ وإسلامٌ وبُقْيَا وأنَّني ... كريمٌ ومِثْلِي قد يَضُرُّ ويَنْفَعُ
فشَتَّانَ ما بيني وبينَكَ إنَّني ... على كُلِّ حَالٍ أستقيمُ وتَظْلَعُ(١)

فقال له عمر: لَسْتُ أعودُ يا عَمِّ لكلامِها بعد هذا اليومِ. ثم عاودَ فَكَلَّمها، فأتتْ أبا الأسود فأخبَرَتْهُ؛ فجاءَ إليه فقال له: [الطويل]

أنتَ الفَتَى وٱبنُ الفَتَى وأَخُو الفتى ... وسَيِّدُنا لولا خَلاَئِقُ أربعُ
نُكُولٌ عَنِ الجُلَّى وقُرْبٌ مِنَ الخَنَا ... وبُخْلٌ عَنِ الجَدْوَى وأنَّكَ تُبَّعُ(٢)

---

(١) تظطلع: تعرج في مشيك وتغمز فيه.

(٢) نُكولٌ: امتناعٌ وإحجام. والجُلَّى: الأمر العظيم. والخَنا: الفحش في الكلام أو الفعل. والجَدْوَى: العطية. وتُبَّع: يتبع النساء ويَجِدُّ في طلبهن.

ثمّ خَرَجَتْ وخرجَ معها أبو الأسود مُشْتَمِلاً على سيفٍ، فلمّا رآهما عمرُ أعرض عنها؛ فَتَمَثَّلَ أبو الأسود: [البسيط]

تَغْدُو الذِّئَابُ على مَنْ لا كِلاَبَ له ... وتَتَّقِي صَوْلَةَ المُسْتَأْسِدِ الحَامِي

[الفرزدق يعترف بأن عمر أغزل الشعراء]

أخبرني ابن المَرْزُبَان قال: حَدَّثنا أحمد بن الهَيْثَم الفِراسيّ[1] قال: حدّثنا العُمَرِيّ قال: أخبرنا الهَيْثَمُ بن عَدِيّ قال: قَدِمَ الفَرَزْدَقُ المدينةَ وبها رجلان يُقَالُ لأَحَدِهِما صُرَيْمٌ، ولِلآخَرِ ابنُ أسماء، وُصِفَا له فَقَصَدَهُما، وكان عندهما قِيانٌ؛ فَسَلَّمَ عليهما وقالَ لهما: مَنْ أنتما؟ فقال أحدهما: أنا فِرْعون، وقال الآخر: أنا هَامَانُ. قال: فأين منزلُكما في النَّارِ حتى أَقْصِدَكما؟ فقالا: نحن جِيرَانُ الفرزدق الشَّاعر! فَضَحِكَ ونَزَلَ، فَسَلَّمَ عليهما وسَلَّما عليه وتعاشروا مُدَّةً. ثم سألَهما أن يَجْمَعَا بينه وبين عمر بنِ أبي ربيعة ففعلا، واجتمعا وتحادثا وتناشدا إلى أن أَنْشَدَ عمرُ قصيدتَه الَّتي يقولُ فيها: [الطويل]

فَلمَّا الْتَقَيْنا واطْمَأَنَّتْ بنا النَّوَى ... وغُيِّبَ عَنَّا مَنْ نَخَافُ ونُشْفِقُ

حتى انتهى إلى قوله:

فَقُمْنَ لِكَيْ يُخْلِينَنا فترقرقَتْ ... مَدَامِعُ عَيْنَيْها وظَلَّتْ تَدَفَّقُ

وقالَتْ: أَمَا تَرحَمْنَنِي! لا تَدَعْنَنِي ... لَدَى غَزِلٍ جَمِّ الصَّبَابةِ يَخْرُقُ[2]

فَقُلْنَ اسْكُتِي عَنَّا فَلَسْتِ مُطَاعةً ... وخِلُّكِ مِنَّا - فاعْلَمِي - بكِ أَرْفَقُ

فصاح الفرزدقُ: أنتَ واللَّهِ يا أبا الخَطَّاب أَغْزَلُ النَّاسِ! لا يُحْسِنُ واللَّهِ الشُّعَراءُ أن يقولوا مثلَ هذا النَّسيبِ ولا أن يَرْقُوا مثلَ هذه الرُّقْيَةِ، وَوَدَّعَهُ وانصرفَ.

[شعرٌ قاله عمر في شيخوخته]

أخبرني الحَرَمِيّ قال: حَدَّثنا الزُّبَيْرُ قال: حَدَّثني عبد الجَبَّار بن سعيد

---

(١) أحمد بن الهيثم الفِراسي: لم نعثر عليه ولعله ينتمي إلى بني فراس وفِراس: قرية قرب تونس من بقية (معجم البلدان ٤ : ٢٤٣).

(٢) يخرق: يحمق. والبيت في الديوان:

وقالت: أما ترحمنني أن تَدَعْنَني ... لَدَيْهِ وهو فيما عَلِمْتُنَّ أخرقُ

المُسَاحِقِيّ عن المُغيرة بن عبد الرّحمن عن أبيه: أنّه حَجَّ مع أبيه الحارِث بن عبد الله بن عَيَّاش بن أبي ربيعة، فأتَى عمرَ بن أبي ربيعة وقد أَسَنَّ وشاخَ، فَسَلَّمَ عليه وسأله ثمَّ قال له: أيَّ شيء أحدثْتَ بعدي يا أبا الخَطَّاب؟ فأنشده: [الطويل]

يقولون: إنّي لَسْتُ أَصْدُقُكِ الهَوَى ... وإنِّيَ لا أرعاكِ حينَ أَغِيبُ

فما بالُ طَرْفِي عَفَّ عَمَّا تَسَاقَطَتْ ... له أَعْيُنٌ مِنْ مَعْشَرٍ وقُلوبُ

عَشِيَّةَ لا يَسْتَنْكِفُ القومُ أنْ يَرَوْا ... سَفَاهَ ٱمْرِىءٍ مِمّنْ يُقَالُ لَبِيبُ[1]

ولا فِتْنَةً من ناسكٍ أَوْمَضَتْ له ... بِعَيْنِ الصِّبَا كَسْلَى القيام لَعُوبُ[2]

تَرَوَّحَ يَرْجُو أَنْ تُحَطَّ ذُنُوبُهُ ... فَآبَ وقَدْ زِيدَتْ عليه ذُنُوبُ

وما النُّسْكُ أَسْلاَنِي ولَكِنَّ للهوى ... على العينِ مِنِّي والفؤادِ رَقِيبُ

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعِيّ قال: حَدَّثنا عيسى بن إسماعيل عن القَحْذَمِيّ قال: واعدَ عمرَ بن أبي ربيعة نِسْوةٌ من قريشٍ إلى العَقِيقِ لِيَتَحَدَّثْنَ معه؛ فخرجَ إليهنّ ومعه الغَرِيضُ، فتحدَّثُوا مَلِيّاً ومُطِرُوا، فقام عمرُ والغَرِيضُ وجاريتانِ لِلنّسوةِ فَأَظَلُّوا عليهنَّ بِمِطْرَفِه وبُرْدَيْنِ[3] له حتى ٱسْتَتَرْن من المطرِ إلى أن سكَنَ، ثم ٱنصرَفْنَ. فقال له الغرِيض: قل في هذا شعراً حتى أُغَنِّي فيه؛ فقال عمر:

صوت

[المتقارب]

أَلَمْ تَسألِ المَنْزِلَ المُقْفِرا ... بياناً فَيَكْتُمَ أو يُخْبِرَا

ذَكَرْتَ به بعضَ ما قد شَجَاكَ ... وحُقَّ لِذِي الشَّجْوِ أَنْ يَذْكُرَا

مُقَامَ المُحِبَّيْنِ قد ظَاهَرا ... كِسَاءً وبُرْدَيْنِ أَنْ يُمْطَرَا[4]

ومَمْشَى الثَّلاثِ به مَوْهِناً ... خَرَجْنَ إلى زَائرٍ زُوَّرَا[5]

إلى مَجْلِسٍ من وراءِ القِبَا ... بِ سَهْلِ الرُّبَا طَيِّبٍ أَعْفَرَا[6]

غَفَلْنَ عَنِ اللَّيلِ حَتَّى بَدَتْ ... تَباشيرُ مِنْ واضحٍ أَسْفَرَا

---

(١) استنكف: أنِفَ وامتنع.

(٢) أومضت له: سارقته النظر.

(٣) المِطْرَف: رداء من حرير ذو أعلام. والبُرْد: ثوب مُخَطّط يُلتَحف به.

(٤) في الديوان (مبيتَ الحبيبين) بدل (مقام المحبّين).

(٥) في الديوان (ومَشْيَ ثلاثٍ) بدل (وممشى الثلاث) وموهناً: ليلاً.

(٦) الأعفر: ذو الرمل الأحمر.

فَقُمْنَ يُعَفِّينَ آثارَنا ... بِأكْسِيَةِ الخَزِّ أنْ تُقْفَرَا[1]
مَهاتانِ شَيَّعَتا جُؤْذُراً ... أسِيلاً مُقَلَّدُهُ أحْوَرَا[2]
وقُمْنَ وقُلْنَ لَوَ انّ النُّها ... رَ مُدَّ له اللَّيْلُ فاسْتَأخَرَا
قَضَيْنَا به بعضَ أشْجانِنَا ... وكان الحديثُ به أجْدَرَا

ذكرَ ٱبنُ المكيّ أنّ الغناء في الخمسة الأبيات الأولى لابن سُريج ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مَجْرى البِنْصر، وذكر الهِشَاميّ أنّ هذا اللحنَ للغَرِيض، وأنّ لحَن ٱبنِ سُرَيج رَمَلٌ بالوسطى. قال: ولِدَحْمَانَ فيه أيضاً ثاني ثقيلٍ آخر بالوسطى. وفيها لابن الهِرْبِذِ خفيفُ رَمَلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى. وقال حَبَشٌ: فيها لِمَعْبَد خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى.

[ابن أبي عتيق وخالد القسري يأتيان عمر]

أخبرنا محمد بن خَلفَ بن المَرْزُبَان قال: حَدَّثني أبو العبَّاس المَدِينيّ قال: أخبرنا ٱبنُ عائشة قال: حضرَ ٱبنُ أبي عَتِيق عمرَ بنَ أبي ربيعة وهو يُنْشد قولَه:

[الطويل]

ومَنْ كان مَحْزوناً بِإهراقِ عَبْرةٍ ... وَهَى غَرْبُها فَلْيَأْتِنا نُبْكِهِ غَدَا[3]
نُعِنْهُ على الإثْكَالِ إنْ كان ثاكلاً ... وإن كانَ مَحْرُوباً وإنْ كانَ مُقْصَدا[4]

قال: فلمّا أصبحَ ٱبنُ أبي عتيق أخذَ معه خالداً الخِرِّيتَ. وقال له: قُمْ بنا إلى عمر. فمضيا إليه، فقال له ٱبن أبي عتيق: قد جِئنَاكَ لِموعدِكَ. قال: وأيُّ موعدٍ بيننا؟ قال: قولُك: «فَلْيَأْتِنا نُبْكِه غداً». قد جئناك، والله لا نَبرَحُ أو تَبْكِي إن كنتَ صادقاً في قولِكَ، أو ننصرف على أنّكَ غير صادق، ثم مَضَى وتركه. قال ٱبن عائشة: خالدٌ الخِرِّيت هو خالد بن عبد الله القَسْرِيّ.

(١) يعفّين الآثار: يمحينها ويطمسنها. أن تُقْفَرَ: أن تتبع وتقتفى.
(٢) الجؤذر: ولد البقرة. والأسيل: اللّيّن الأملس. والمُقَلَّد: موضع القلادة أي العنق. والأحور: من كان بياض عينه شديد البياض وسوادها شديد السّواد.
(٣) وهى غَرْبُها: ضعف دَمعُها.
(٤) الثُّكل: فقدان الولد أو الحبيب. والمحروب: مَنْ سُلِبَ مالُه. والمُقْصَد: مَنْ طُعِنَ أو رُمِيَ بسهم فلم يخطىء مقاتله.

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعِيّ قال: حَدَّثنا دَماذ[١] عن الهَيْثَم بن عَدِيّ عن عبد الله بن عَيَّاش الهَمْدَانِيّ قال: لَقِيتُ عمرَ بن أبي ربيعة فقلتُ له: يا أبا الخَطَّابِ، أَكُلُّ ما قُلْتَهُ في شِعْرِكَ فَعَلْتَهُ؟ قال: نَعَمْ، وأستغفرُ اللَّهَ.

أخبرني عليّ بن صالح عن أبي هَفَّانَ عن إسحاقَ عن عبد الله بن مُصْعَب قال: قَدِمَ عمرُ بن أبي ربيعةَ الكُوفَةَ، فنزَلَ على عبد الله بن هِلاَلٍ الذي كان يُقَالُ له صاحبُ إبليس، وكان له قَيْنتانِ حاذقتان، وكان عمرُ يأتيهما فيسمَعُ منهما؛ فقال في ذلك: [الكامل]

يا أهلَ بَابِلَ ما نَفِسْتُ عليكُمُ ... مِنْ عَيْشِكُمْ إلاّ ثلاثَ خِلاَلِ[٢]
ماءَ الفُرَاتِ وطِيبَ لَيْلٍ باردٍ ... وغِناءَ مُسْمِعَتَيْنِ لابنِ هِلاَلِ

[عمر وبعض الشعراء يصفون البرق]

أخبرني عليّ بن صالح عن أبي هَفَّانَ عن إسحاقَ عن رجاله: أن عمرَ بن أبي ربيعة والحارثَ بن خالد وأبا رَبيعة المُصْطَلِقِيّ ورجلاً من بني مَخْزُوم وٱبنَ أُختِ الحارث بن خالد، خَرَجوا يُشَيِّعُونَ بعضَ خلفاء بني أمية. فلمّا ٱنصرفوا نزلوا بسرِفٍ[٣] فلاحَ لهم بَرْقٌ؛ فقال الحارث: كُلُّنا شاعر، فَهَلُمُّوا نَصِفِ البرقَ. فقال أبو ربيعة: [الطويل]

أَرِقْتُ لِبَرْقٍ آخِرَ اللَّيلِ لامِعٍ ... جَرَى مِنْ سَنَاهُ ذو الرُّبَا فَيُنَابِعُ[٤]

فقال الحارثُ: [الطويل]

أَرِقْتُ له لَيْلَ التِّمَامِ ودُونَهُ ... مَهَامِهُ مَوْمَاةٍ وأَرضٌ بَلاَقِعُ[٥]

---

(١) دماذ: رفيع بن سلمة بن مسلم بن رفيع العبدي وكنيته أبو غسان، روى عن أبي عبيدة وكان يورّق كتبه وأخذ عنه الأنساب والأخبار والمآثر. ذكره القالي في أماليه ٣: ٨٦ منشورات المكتب التجاري ـ بيروت.

(٢) ما نَفِسْت عليكم: ما حسدتكم.

(٣) سَرِف: موضع على ستة أميال من مكة (معجم البلدان ٣: ٢١٢).

(٤) الرُّبا: موضع بين الأبواء والسّقيا من طريق الجادة بين مكة والمدينة. (معجم البلدان ٣: ٢٣). وينابع: مكان أو جبل أو وادٍ في بلاد هُذَيْل (معجم البلدان ٥: ٤٩).

(٥) ليل التِّمَام: أطول ليالي الشتاء. والمهامه: جمع المهمه: المفازة البعيدة. والموماة: الفلاة التي لا ماء فيها. والبلاقع: جمع البلقع: الأرض القفراء.

فقال المخزوميّ: [الطويل]

يُضِيءُ عِضَاهَ الشَّوْكِ حتّى كأنّه مَصَابِيحُ أو فَجْرٌ مِنَ الصُّبْحِ سَاطِعُ(١)

فقال عمر: [الطويل]

أيا رَبِّ لا آلُو المَوَدَّةَ جاهِداً لأَسْمَاءَ فاصْنَعْ بي الَّذي أنْتَ صانعُ

ثم قال: ما لي ولِلبرقِ والشَّوكِ!

[هند وأسماء وخالد القسري وعمر]

أخبرني عَمِّي قال: حدّثنا الكُرَانِيّ قال: حَدَّثنا العُمَرِيُّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ قال: كان عمرُ بن أبي ربيعة وخالدٌ القَسْرِيّ معه ـ وهو خالد الخِرِّيتُ ـ ذاتَ يومٍ يمشيانِ، فإذا هما بهند وأسماءَ اللَّتينِ كان يُشَبِّبُ بهما عمر بن أبي ربيعة تتماشيان، فقصَدَاهُمَا وجَلَسا معهما مَلِيّاً، فأخَذَتْهُمُ السَّمَاءُ ومُطِروا. ثم ذَكَر مِثْلَ خبرٍ تَقَدَّمَ، ورويتُه آنِفاً عن هاشم بن محمد الخُزَاعيّ: وذكَر الأبياتَ الماضية، ولم يذكر فيها خبرَ الغَرِيض. وحكَى أنه قال في ذلك:

صوت [الطويل]

أفِي رَسْمِ دارٍ دَمْعُكَ المُتَرَقْرِقُ سَفَاهاً! وما اسْتِنْطَاقُ ما ليس يَنْطِقُ!

بحيثُ الْتَقَى جَمْعٌ ومُفْضَى مُحَسِّرٍ مَغَانِيَ قد كَادَتْ على العَهْدِ تَخْلُقُ(٢)

ذَكَرْتُ به ما قد مَضَى من زَمَانِنَا وذِكْرُكَ رَسْمَ الدَّارِ مِمَّا يُشَوِّقُ

مَقَاماً لنا عندَ العِشاءِ ومَجْلِساً به لم يُكَدِّرْهُ علينا مُعَوِّقُ

ومَمْشَى فَتَاةٍ بالكِساءِ تَكُنُّنا به تحتَ عَيْنٍ بَرْقُها يَتَألَّقُ(٣)

يَبُلُّ أعالي الثَّوبِ قَطْرٌ وتحتَه شُعَاعٌ بَدَا يُعْشِي العيونَ ويُشْرِقُ

فأحسنُ شيءٍ بَدْءُ أوّلِ ليلِنا وآخِرُهُ حُزْنٌ إذا نَتَفَرَّقُ

---

(١) العِضاه: كلّ شجر يعظم وله شوك.

(٢) جَمْع: المزدلفة، سُمّيَ كذلك لاجتماع الناس فيه أيام الحج (معجم البلدان ٢: ١٦٣). ومُحَسّر: موضع بين منى والمزدلفة. (معجم البلدان ٥: ٦٢). وتخلق: تبلى. والبيت في الديوان:

بحيث التقى جمعٌ، وأقصى مُحَسِّرٍ معالمُه كادتْ، على البُعْدِ تَخلَقُ

(٣) العين: السَّحاب. ويتألّق: يلمع.

ذكر يحيى بن المكيّ أنّ الغناء في ستة أبيات متواليةٍ من هذا الشّعر لمَعْبَدٍ خَفِيفُ ثقيلٍ بالسَّبّابة والوسطى، وذكر الهشاميّ أنه من منحول يحيى.

[عمر يقرأ لليلى البكرية وما قاله فيها]

أخبرنا الحَرَمِيّ بن أبي العَلاَء قال: حَدَّثنا الزُّبَير بن بَكَّار قال: أخبرني مُصْعَب قال: لَقِيَ عمرُ بن أبي ربيعةَ ليلى بنتَ الحارث بن عمرو البَكْرِيَّةَ وهي تَسِير على بغلةٍ لها، وقد كان نَسَبَ بها، فقال: جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكِ! عَرِّجِي هاهنا أُسْمِعْكِ بعضَ ما قُلْتُهُ فيك. قالت: أَوَقَدْ فعلتَ؟ قال: نعم! فوقفَتْ وقالت: هاتِ. فأنشدها:

صوت

[الوافر]

أَلاَ يَـا لَـيْـلُ إنَّ شِـفَـاءَ نَـفْـسِـي ... نَـوَالُـكِ إنْ بَـخِـلْـتِ فَـنَـوِّلِـيـنَـا
وقـد حَـضَـرَ الـرَّحِـيـلُ وحـانَ مِـنَّـا ... فِـرَاقُـكِ فـانْـظُـرِي مـا تَـأْمُـرِيـنَـا

فقالت: آمُرُكَ بِتقوى اللَّهِ وإيثارِ طاعتهِ وتَرْكِ ما أنتَ عليه، ثم صاحَتْ ببغلتها ومَضَتْ.

وفي هذين البيتين لابن سُرَيج خفيفُ ثَقِيلٍ بالوسطى عن يحيى المكّي، وذكر الهِشَاميّ أنه من مَنْحُولِه إلى ابن سُرَيج. وفيهما رَملٌ طُنْبُورِيٌّ لأحمدَ بن صَدَقَةَ.

أخبرني بذلك جَحْظَةُ عنه. وأخبرني بهذا الخبر عبد الله بن محمد الرَّازيّ قال: حَدَّثنا أحمدُ بن الحارث الخَرَّازُ عن ابن الأعرابيّ: أنّ ليلى هذه كانتْ جالسةً في المسجدِ الحرامِ، فرأَتْ عمرَ بن أبي ربيعة، فوجَّهَتْ إليه مَوْلىً لها فجاءَها به. فقالت له: يابن أبي ربيعة، حتَّى متى لا تزالُ سادِراً[1] في حَرَمِ اللَّهِ تُشَبِّبُ بالنِّساءِ وتُشِيدُ بِذِكْرِهِنَّ! أَمَا تخافُ اللَّهَ! قال: دعيني من ذاك واْسْمَعِي ما قلتُ. قالت: وما قلتَ؟ فأنشدها الأبياتَ المذكورة. فقالت له القولَ الّذي تَقَدَّمَ أنّها أَجابتْه به. قال: وقال لها: اْسْمَعِي أيضاً ما قلتُ فيكِ، ثم أنشدها قولَه: [الرّمل]

---

(١) السّادر: الذي لا يهتم ولا يبالي ما صنع.

أَمِنَ الرَّسْمِ وأَطْلاَلِ الدِّمَنْ عَادَ لي وَجْدِي وعاوَدْتُ الحَزَنْ[(١)]
إنّ حُبِّي آلَ لَيْلَى قاتِلِي ظَهَرَ الحُبُّ بِجِسمي وبَطَنْ
يا أبا الحارثِ قلبي طائرٌ فَأْتَمِرْ أمرَ رشيدٍ مُؤْتَمَنْ[(٢)]
الْتَمِسْ لِلْقَلْبِ وَصْلاً عِندَها إنَّ خَيْرَ الوَصْلِ ما ليس يُمَنْ[(٣)]
عَلِقَ القَلْبُ، وقد كان صَحَا، مِن بَنِي بَكْرٍ غَزَالاً قد شَدَنْ[(٤)]
أَحْوَرَ المُقْلَةِ كالبدرِ، إذا قُلِّدَ الدُّرَّ فقلبي مُمْتَحَنْ[(٥)]
ليس حُبٌّ فوقَ ما أَحْبَبْتُكُمْ غيرَ أَنْ أَقْتُلَ نَفْسِي أو أُجَنْ
خُلِقَتْ لِلْقَلْبِ مِنِّي فِتْنَةً هكذا يُخْلَقُ معروضُ الفِتَنْ

قال: وفيها يقول: [الخفيف]

إنَّ لَيلَى وقد بَلَغْتُ المَشِيبا لم تَدَعْ لِلنّساءِ عِندِي نَصِيبَا
هاجِرٌ بَيْتَها لأَنْفِيَ عنها قَوْلَ ذِي العَيْبِ إنْ أَرَادَ عيوبا

نسبة ما في هذين الشعرين من الغناء

الغناء في الأبيات الأولى النّونيّة لابن سُرَيج ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيها لابن عائشةَ ثقيلٌ أوّلُ، يقال: إنّه أوّلُ ثقيلٍ غنّاه، كان يُغَنِّي الخفيفَ، فَعِيبَ بذلك فصنع هذا اللّحن. وفيه لعبد الله بن يونس الأُبُلّي رَمَلٌ عن الهشاميّ.

والغناء في:

إنّ لَيلَى وقد بَلَغْتُ المشيبا

---

(١) رواية البيت في الديوان:
مِن رسوم بالياتٍ ودِمَنْ عادَ لي هَمّي، وعاودتُ دَدَنْ
(٢) في الديوان (هائمٌ) بدل (طائرٌ).
(٣) الشطر الأول في الديوان:
اطْلُبَنَ لي صاحِ وصلاً عنده ....
ما ليس يُمَن: ما ليس يقطع.
(٤) رواية البيت في الديوان:
عُلِّقَ القلبُ غزالاً شادناً يا لَقومي من غزالٍ قد شَدَنْ
والغزال الشّادن: الذي قوي واستغنى عن أُمّه.
(٥) مُمْتَحَن: واقع في مِحنة.

لابن سُرَيج رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو. وفيه لكَرْدَم ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو أيضاً. وذكر إبراهيم أنّ فيه لَحْناً لِعَطَرَّدٍ، ولم يُجَنِّسْهُ.

[حديثه مع النّوار وشعره فيها]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال: حَدَّثني محمد بن منصور الأزدِيّ قال: حدّثني أبي عن الهَيْثَم بن عديّ قال: بينما عمرُ بن أبي ربيعة مُنْصَرِفٌ من المُزْدَلِفَةِ يريد مِنىً إذ بَصُرَ بامرأةٍ في رِحَالَةٍ[1] فَفَتَنَ، وسَمِعَ عجوزاً معها تُناديها: يا نَوَارُ ٱسْتَتِرِي لا يَفْضَحْكِ ٱبنُ أبي ربيعة. فاتَّبَعَهَا عُمَرُ وقد شَغَلَتْ قلبَه حتى نزلت بمِنىً في مِضْرَبٍ[2] قد ضُرِبَ لها، فنزلَ إلى جنبِ المِضْرَبِ، ولم يَزَلْ يَتَلَطَّفُ حتى جلسَ معها وحادَثَها، وإذا أحسنُ النَّاسِ وَجهاً وأحلاه مَنْطِقاً، فزادَ ذلك في إعجاب عمرَ بها. ثم أرادَ معاودتَها فتعذَّرَ ذلك عليه، وكان آخرَ عهده؛ فقال فيها:

صوت

[الكامل]

عَلِقَ النَّوَارَ فُؤَادُهُ جَهْلاَ ... وصَبَا فلم تَتْرُكْ له عَقْلا
وتَعَرَّضَتْ لي في المَسِيرِ فما ... أَمْسَى الفؤادُ يَرى لها مِثْلا
ما نعجةٌ من وَحْشِ ذِي بَقَرٍ ... تَغْذُو بِسَقْطِ صَرِيمةٍ طِفْلا[3]
بِأَلَذَّ منها إذ تقولُ لنا ... وأَرَدْتُ كَشْفَ قِنَاعِهَا: مَهْلا
دَعْنا فإنَّكَ لا مُكَارَمَةً ... تَجْزِي ولَسْتَ بِوَاصِلٍ حَبْلا
وعليكَ مِنْ تَبَلَ الفؤادَ وإنْ ... أَمْسَى لِقَلْبِكَ ذِكْرُهُ شُغْلا[4]
فَأَجَبْتُها إنَّ المُحِبَّ مُكَلَّفٌ ... فَدَعِي العِتَابَ وأَحْدِثِي بَذْلا

الغناء لابن مُحْرِز خفيفُ ثَقِيلٍ بالسّبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه ثاني ثقيلٍ بالبنصر يُنْسَبُ إلى ٱبن عائشة.

---

(١) الرِّحالة: مركب للنساء يوضع على البعير.

(٢) المضرب: الفسطاط العظيم.

(٣) في الديوان (ما ظبيةٌ) بدل (ما نعجةٌ). وذو بقر: وادٍ بين أخيلة حمى الرَّبَذَة (معجم البلدان ١: ١٤٧). وسقط الصريمة: منتهاها. والصّريمة: الرّملة المنصرمة من الرمال ذات الشجر.

(٤) التَّبَل: السّقم الناتج عن الحب المُذْهب للعقل.

[شعره في أم الحكم الأموية]

أخبرني محمد بن خَلَف قال: حَدَّثني أبو عبد الله السَّدُوسِي عن عيسى بن إسماعيل العَتَكِيّ عن هشام بن الكلبيّ عن أبيه قال: حَجَّتِ امرأةٌ من بني أُمية يقال لها أُمُّ الحَكَم، فَقَدِمَتْ قبلَ أوانِ الحَجِّ مُعْتَمِرةً. فبينا هي تَطُوفُ على بغلةٍ لها إذ مَرَّتْ على عمر بن أبي ربيعة في نَفَرٍ من بني مَخْزوم وهم جلوسٌ يتحدَّثون وقد فَرَعهم(١) طُولاً وَجَهَرَهُمْ(٢) جمالاً وبَهَرَهُمْ شارةً وعارضةً(٣) وبياناً، فمالَتْ إليهم ونزلَتْ عندهم، فتحدَّثَتْ معهم طويلاً ثم انصرفَتْ. ولم يَزَلْ عمرُ يتردَّدُ إليها إلى أن انقضتْ أيّامُ الحجِّ، فرحَلَتْ إلى الشّأم. وفيها يقول عمر: [المتقارب]

تَـأَوَّبَ لَـيْـلِـي بِـنَـصْـبٍ وهَـمّ ... وعـاوَدْتُ ذِكْـرَى لأُمّ الـحَـكَـمْ
فَـبِـتُّ أُرَاقِـبُ لـيـلَ الـتِّـمـا ... م، مَـنْ نـامَ مِـنْ عـاشـقٍ لـم أَنَـمْ
فـإِمَّـا تَـرَيْـنَـنِـي عـلـى مـا عَـزَا ... ضَـعِـيـفَ الـقـيـامِ شـديـدَ الـسَّـقَـمْ
كـثـيـرَ الـتَّـقَـلُّـبِ فـوقَ الـفِـرَا ... شِ مـا إنْ تُـقِـلُّ قِـيـامِـي قَـدَمْ
بِـآنـسـةٍ طَـيِّـبٍ نَـشْـرُهـا ... هَـضِـيـمِ الـحَـشَـا عَـذْبَـةِ الـمُـبْـتَسَـمْ(٤)

في أوّل الأبيات الثّلاثة غناء. وقبلها وهو أوّل الصّوت:

صوت [المتقارب]

وفِـتـيـانِ صِـدْقٍ صِـبـاحِ الـوجـو ... هِ لا يَـجِـدُونَ لِـشَـيءٍ أَلَـمْ
مِـنْ آلِ الـمُـغِـيـرة لا يَـشْـهَـدُو ... نَ عـنـد الـمَـجَـازِرِ لَـحْـمَ الـوَضَـمْ(٥)

الغناء في هذه الأبيات لمالك خفيفُ ثقيلِ الثّاني بالبنصر وهو الّذي يقال له المَاخُورِيُّ، عن عمرو. وفيه ثاني ثقيلٍ يُنْسَب إلى ابن سُرَيج والغريض ودَحْمَانَ. وفيه لابن المكيّ خفيفُ رَمَلٍ.

---

(١) فرعهم طولاً: زادهم طولاً.
(٢) جهرهم: راعهم جماله وهيئته.
(٣) العارضة: القول السّديد وقوة الحجّة.
(٤) هضيم الحشا: هيفاء لطيفة الخصر.
(٥) الوضم: ما يوضع تحت اللحم من خشب أو حصير أو غيره.

[رسول سكينة بنت الحسين عليها السلام إلى عمر][١]

أخبرني عليّ بن صالح قال: حدّثنا أبو هَفَّانَ عن إسحاق عن أبي عبد الله الزُّبَيْرِيّ قال:

اجتمعَ نسوةٌ من أهل المدينةِ من أهلِ الشَّرَفِ، فَتَذَاكَرْنَ عمرَ بن أبي ربيعة وشعرَه وظَرْفَه وحُسْنَ حديثِه، فَتَشَوَّقْنَ إليه وتَمَنَّيْنَه؛ فقالت سُكَيْنَةُ بنت الحُسَين عليها السلام: أنا لَكُنَّ به. فأرسلَتْ إليه رسولاً وواعدَتْه الصَّوْرَيْنِ[٢]، وسَمَّتْ له اللّيلةَ والوقتَ، وواعدت صواحباتِها، فوافاهُنَّ عمرُ على راحِلَتِهِ، فحدَّثَهُنَّ حتى أضاءَ الفجرُ وحانَ انصرافُهُنَّ. فقال لهنّ: واللَّهِ إنِّي لَمُحْتاجٌ إلى زيارةِ قبرِ رسولِ الله ﷺ والصَّلاةِ في مسجِده، ولكن لا أخلطُ بزيارتِكُنَّ شيئاً. ثم انصرفَ إلى مكّة وقال:

صوت [الكامل]

قالت سُكَيْنَةُ والدُّموعُ ذَوَارِفٌ ... منها على الخَدَّيْنِ والجِلْبَابِ[٣]

ليتَ المُغِيرِيَّ الّذي لم أَجزِهِ ... فيما أطالَ تَصَيُّدِي وطِلاَبِي

كانَتْ تردُّ لنا المُنَى أيّامنا ... إذ لا نُلاَمُ على هَوىً وتَصَابِي

خُبِّرْتُ ما قالَتْ فَبِتُّ كأنَّما ... تَرْمِي الحَشَا بنَوافِذِ النُّشَّابِ[٤]

---

(١) استبعد هذا الخبر عن سكينة بنت الحسين عليها السلام لأمرين:

الأول: أنه غريب من سليلة بيت النبوّة تشبهها ببعض ماجنات عصرها اللواتي كن يلاحقن ابن أبي ربيعة ويضربن له المواعيد ويلاقينه ويتحدثن معه إلى الصباح ثم يقول فيهن ما بدا له من الشعر المتهتك.

والثاني: أن مصدر الخبر هو أبو عبد الله الزبيري سليل آل الزبير الذين شهد التاريخ بعداوتهم لأهل البيت وافترائهم وتمالئهم عليهم حتى الفتك بهم.

والأرجح أن سكينة هذه هي سكينة بنت خالد بن مصعب بن الزبير التي ذكر عنها في خبر لاحق اجتماعها مع عمر والمغنيات في بيتها.

ويؤكد ذلك أن خبر اجتماع سكينة ورفيقاتها بعمر مرّ سابقاً وفيه ذكر سكينة من دون تحديد نسبها، وأن في الكلام اللاحق عن ابن سريج يظهر أن اهتمام سكينة بنت الحسين عليها السلام محصور في النواح على أمواتها وليس في الغناء والشعر وملاقاة الشعراء كما يلفّق ويقال.

(٢) الصَّوْرَيْن: موضع قرب المدينة، مَرَّ رسول الله ﷺ بنفر من أصحابه بالصَّورَين عندما كان متوجّهاً إلى بني قريظة (معجم البلدان ٣: ٤٣٤).

(٣) الجلباب: القميص أو الثوب الواسع الذي تغطي به المرأة رأسها.

(٤) نوافذ النُّشّاب: السهام الصائبة النافذة.

أَسُكَيْنُ ما ماءُ الفُراتِ وطِيبُهُ ... منّي على ظَمَأٍ وفَقْدِ شَرَابِ
بِأَلَذَّ منكِ وإنْ نَأَيْتِ وَقَلَّما ... تَرْعَى النِّسَاءُ أمانةَ الغُيَّابِ

الغناء لِلهُذَلِيّ رَمَلٌ بالوسطى عن الهِشَامِيّ. وفيه للغَرِيض خفيفُ ثقيل بالوسطى عن حَبَشٍ. قال وقال فيها:

صوت [المتقارب]

أُحِبُّ لِحُبِّكِ مَنْ لم يَكُنْ ... صَفِيّاً لِنَفْسِي ولا صَاحبَا[١]
وأَبْذُلُ نَفْسِي لِمَرْضَاتِكُمْ ... وأُعْتِبُ مَنْ جَاءَكُمْ عَاتِبَا[٢]
وأرْغَبُ في وُدِّ مَنْ لم أكُنْ ... إلى وُدِّهِ، قَبْلَكُمْ، رَاغِبَا
ولو سَلَكَ النَّاسُ في جانبٍ ... مِنَ الأرضِ وٱعتزلْتُ جانِبَا
لَيَمَّمْتُ طِيَّتَها، إنَّني ... أرى قُرْبَها العَجَبَ العاجبا[٣]
فما نَعْجَةٌ من ظِبَاءِ الأرا ... كِ تَقْرُو دَمِيثَ الرُّبَا عَاشِبا[٤]
بِأحسنَ منها غَدَاةَ الغَمِيم ... وقد أبْدَتِ الخَدَّ والحاجبا[٥]
غداةَ تقولُ على رِقْبَةٍ ... لِخادِمِها: يا ٱحْبِسي الرّاكبا
فقالَتْ لها: فيمَ هذا الكلامُ ... وأَبْدَتْ لها عابساً قاطِبا
فقالَتْ كريمٌ أتى زَائراً ... يَمُرُّ بكم هكذا جانبا
شريفٌ أتى رَبْعَنا زائراً ... فَأكْرَهُ رَجْعَتَهُ خائِبَا

غَنَّى في الأوّل والثّاني والرّابع والخامس من هذه الأبيات ٱبن القفاص المكيّ، ولحنه رملٌ من رواية الهِشاميّ.

[شِعره في البغوم وأسماءُ الرباب]

وحَدَّثني وَكِيعٌ وٱبنُ المَرْزُبان وعَمِّي قالوا: حَدَّثنا عبدُ الله بن أبي سَعْد قال:

---

(١) في الديوان (لحبّكِ أحببت) بدل (أحبّ لحبّك).
(٢) أعتب: أرضي.
(٣) طيّتها: ناحيتها أو المكان الذي تقصده.
(٤) في الديوان: (وما ظبيةٌ) بدل (وما نعجةٌ). وتقرو: تتبع. والدّميث: السّهل اللّيّن.
(٥) الغميم: موضع بين مكة والمدينة (معجم البلدان ٤: ٢١٤).

حدّثنا إبراهيم بن المُنْذِر الحِزامِيّ قال: حدّثنا محمدُ بن مَعْن الغِفَارِيّ قال: حدّثني سُفْيانُ بن عُيَينةَ قال: بينا أنا ومِسْعَرُ بنُ كِدَام[1] مع إسماعيلَ بنِ أُمَيَّةَ بِفِنَاءِ الكعبةِ إذا بعجوزٍ قد طلعَتْ علينا عَوْراءَ مُتَّكِئَةً على عَصاً يُصَفِّقُ أحدُ لَحْيَيْها[2] على الآخر، فوقفَتْ على إسماعيلَ فَسَلَّمَتْ عليه، فردَّ عليها السّلامَ، وسألها فأَحْفَى[3] المسألةَ، ثم أنصرفَتْ. فقال إسماعيلُ: لا إلّه إلا الله! ماذا تفعلُ الدّنيا بأهلِها! ثم أقبل علينا فقال: أتعرِفان هذه؟ قلنا: لا والله، ومَنْ هي؟ قال: هذه «بَغُومُ» ٱبن أبي ربيعة التي يقولُ فيها: [الخفيف]

حَبَّذا أنتِ يا بَغُومُ وأسما ... ءُ وعِيصٌ يُكُنُّنا وخَلاَءُ

انظرا كيف صارتْ، وما كان بمكّةَ ٱمرأةٌ أجملَ منها. قال: فقال له مِسْعَر: لا وربِّ هذه البَنِيَّة، ما أَرَى أنه كان عند هذه خيرٌ قَطُّ. وفي هذه الأبيات يقول عمر:

صوت

[الخفيف]

صَرَمتْ حَبْلَكَ البغوم وصَدَّتْ ... عنكَ في غيرِ رِيبَةٍ أسماءُ
والغَوَانِي إذا رَأَيْنَكَ كَهْلاً ... كان فيهنّ عن هَوَاكَ الْتِوَاءُ
حَبَّذَا أنتِ يا بَغُومُ وأسما ... ءُ وعِيصٌ يَكُنُّنا وخَلاَءُ[4]
ولقد قُلْتُ ليلةَ الجَزْلِ لمّا ... أَخْضَلَتْ رَيْطتي عليَّ السَّماءُ[5]
ليتَ شِعْرِي - وهل يَرُدَّنَّ لَيْتٌ - ... هل لهذا عِندَ الرَّبَابِ جَزَاءُ
كُلُّ وَصْلٍ أَمْسَى لَدَيَّ لأُنْثى ... غَيْرِها وَصْلُها إليها أداءُ
كلُّ خَلْقٍ وإنْ دنا لِوِصَالٍ ... أو نَأَى فهو لِلرَّبَابِ الفِدَاءُ
فَعِدِي نائلاً وإن لم تُنِيلي ... إنَّما يَنْفَعُ المُحِبَّ الرّجَاءُ

(١) مِسْعَر بن كدام: العامري من ثقات أهل الحديث عنده نحو ألف حديث (ت ١٥٢ هـ/ ٧٦٩ م) ترجمته في: تهذيب التهذيب ١٠: ١١٣ وحلية الأولياء ٧: ٢٠٩ والمعارف ٢١١.
(٢) اللّحيان: حائطا الفم وهما العظمان اللذان فيهما الأسنان من داخل الفم.
(٣) أحفى المسألة: بالغ فيها.
(٤) العِيص: الشجر الكثيف الملتف.
(٥) الجزل: موضع قرب مكة (معجم البلدان ٢: ١٣٤). والرّيطة: الملاءة من قطعة واحدة.

لِمَعْبَدٍ في: «ولقد قلت ليلة الجزل. . .» والذي بعده خفيفُ ثقيلٍ مطلقٍ في مجرى الوسطى عن يونسَ وإسحاقَ ودنَانِيرَ، وهو من مشهور غنائه.

أخبرني الحَرَمِيّ قال: حَدَّثنا الزُّبَير قال: حَدَّثتني ظَبْيَةُ مولاةُ فاطمةَ بنت عمر ابن مُصْعَب عن ذُهَيبة مولاةِ محمد بن مُصْعَب بن الزُّبَير قالت: كنتُ عندَ أَمَةِ الواحد أو أَمَة المجيد بنتِ عمرَ بن أبي ربيعة في الجُنْبُذِ[1] الذي في بيت سُكَيْنَة بنتِ خالد بن مصعب أنا وأبوها عمرُ وجاريتان له تُغَنِّيان، يقال لإحداهما البَغُوم، والأُخرى أسْماء. وكانت أَمةُ المَجِيد بنتُ عمرَ تحت محمد بن مُصْعَب بن الزّبير. قالت: فقال عمر بن أبي ربيعةَ وهو معهم في الجُنْبُذِ هذه الأبيات. فلما انتهى إلى قوله: [الخفيف]

ولـقـد قُـلْـتُ لـيـلـةَ الـجَـزْلِ لَـمَّـا أَخْـضَـلـتْ رَيْـطـتِـي عـلـيَّ الـسَّـمـاءُ

خَرَجَتِ البَغُومُ ثمّ رَجعَتْ إليه فقالت: ما رأيتُ أكذبَ منك يا عمر! تزعمُ أنّكَ بالجَزْل وأنت في جُنْبُذ محمد بن مصعب، وتزعمُ أنّ السّماءَ أَخْضَلتْ رَيْطَتَك وليس في السّماء قَزَعَةٌ[2]! قال: هكذا يستقيم هذا الشّأن.

وأخبرني عليّ بن صالح عن أبي هَفَّانَ عن إسحاقَ عن المُسَيَّبِيّ ومحمد بن سَلاَّم أنّ عمر أنشد ابنَ أبي عَتيق قوله: [الخفيف]

حَـبَّـذا أنـتِ يـا بَـغُـومُ وأسـمـا ءُ وعِـيـصٌ يَـكُـنُّـنَـا وخـلاءُ

فقال له: ما أبقيتَ شيئاً يُتَمَنَّى يا أبا الخَطّاب إلا مِرْجَلاً يُسخَّنُ لكم فيه الماءُ لِلغُسْلِ.

[أم الحكم ترجوه أن لا يُشَهِّرَ بها]

أخبرني ابن المَرْزُبان قال: حدّثني إسماعيل بن جعفر عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال: حَجَّتْ أُمُّ محمدٍ بنتُ مروانَ بنِ الحَكَم، فلمّا قَضَتْ نُسُكَها أتتْ عَمرَ بن أبي ربيعةَ وقد أخفَتْ نفسَها في نِسْوةٍ، فَحَدَّثها مَلِيّاً. فلمّا انصرفَتْ

(١) الجُنْبُذ: كل مرتفع مستدير من الأبنية ويشبه القبّة؛ وجنبذ أيضاً بلد بفارس (معجم البلدان ٢: ١٦٨).

(٢) القزعة: القطعة من الغيم.

أتْبَعَها عمرُ رسولاً عرَفَ موضعَها وسألَ عنها حتى أثْبتها[١]؛ فعادَتْ إليه بعد ذلك فأخبرها بمعرفته إيَّاها. فقالت: نَشَدْتُكَ اللَّهَ أن تُشَهِّرَنِي بِشِعْرِك[٢]! وبَعَثَتْ إليه بألفِ دينار، فَقَبِلَها وابتاعَ بها حُلَلاً وطِيباً فأهْدَاه إليها، فَرَدَّتْه. فقالَ لها: واللَّهِ لَئِنْ لم تَقْبَلِيه لأُنْهِبَنَّه[٣]، فيكون مشهوراً؛ فَقَبِلَتْه ورحَلَتْ. فقال فيها:

صوت

[الخفيف]

أيُّها الرّاكبُ المُجِدُّ ابْتِكَارَا ... قد قَضَى من تِهَامَةَ الأوْطَارَا

مَنْ يَكُنْ قَلْبُهُ صَحِيحاً سَلِيماً ... فَفُؤَادِي بالخَيْفِ أمْسَى مُعَارا[٤]

ليتَ ذا الدَّهْرَ كان حَتْماً علينا ... كُلَّ يَومَينِ حِجَّةً واعْتِمارَا

الغناء لابن مُحرِزٍ ولحنُه من القَدْر الأوسط من الثَّقِيل الأوّل بالخِنْصَر في مجرى الوُسْطى عن إسحاقَ، وفيه أيضاً له خفيفُ ثقيل بالوُسْطى عن ابن المَكِّيّ. وفيه لذُكَاءَ وَجْهِ الرُّزَّةِ المُعْتَمِدِيّ ثقيلٌ أوّلُ من جيِّد الغناء وفاخر الصَّنْعة ليس لأحد من طبقته وأهل صَنْعَتِه مثلُه، وأنْشِدَ ابن أبي عَتِيق قولَ عمر هذا، فقال: اللَّهُ أرْحَمُ بعبادِهِ أن يجعلَ عليهم ما سألته لِيَتِمَّ لكَ فِسْقُكَ.

أخبرني ابن المَرْزُبَان قال: أخبرني أحمدُ بن يحيى القُرَشِيّ عن أبي الحَسَن الأَزْدِيّ عن جماعةٍ من الرُّوَاة: أنّ عمرَ كان يَهْوَى حُمَيدةَ جاريةَ ابنِ تُفَّاحَةَ؛ وفيها يقول:

صوت

[الخفيف]

حُمِّلَ القلبُ مِنْ حُمَيدةَ ثِقْلاً ... إنَّ في ذاكَ لِلفُؤادِ لَشُغْلاَ

إنْ فَعَلْتُ الّذي سَألْتِ فَقُولِي ... حَمْدُ خيراً وأتْبِعِي القَوْلَ فِعْلا

---

(١) أثبتها: تحقّق من معرفتها.

(٢) يقصد: أسألك بالله ألا تشهِّرني في شعرك.

(٣) لأنهبنّه: لأبيحنّه للنهب.

(٤) الخَيف: ما انحدر من غِلَظ الجبل وارتفع من مسيل الماء، وهو عدّة مواضع: خيف بني كنانة وهو المحصَّب والخيف الوادي وخَيف سلاّم وخيف الحميراء وخيف ذي القبر وخيف الخيل (معجم البلدان ٢: ٤١٣).

وصِـلِـيـنِـي فَـأُشْـهِـدُ الـلَّـهَ أنِّـي ... لَسْتُ أُصْفِي سِوَاكِ ما عِشْت وَصْلاَ

الغناء لِمَعْبَد خفيفُ ثقيلٍ بالوُسْطى عن يحيى المكيّ والهشاميّ. وفيها يقول:

صوت

[البسيط]

يـا قَـلْبُ هـل لـكَ عـن حُـمَـيدة زَاجـرُ ... أمْ أنـتَ مُـدَّكِـرُ الـحـيـاءِ فـصـابـرُ[١]

فـالـقَـلْبُ مِنْ ذِكْـرَى حُـمَـيْدَةَ مُوجَـعٌ ... والـدَّمْـعُ مُـنْـحَـدِرٌ وعَـظْـمِـي فـاتـرُ[٢]

قـد كـنـتُ أَحْـسَـبُ أنَّـنـي قـبـلَ الّـذي ... فَـعَـلَـتْ عـلـى مـا عـنـد حَـمْـدَةَ قـادرُ

حَـتَّـى بَـدَا لـي مـن حُـمَـيْـدَةَ خُـلَّـتِـي ... بَـيْـنٌ وكـنـتُ مـن الـفِـراق أُحَـاذِرُ[٣]

الغناء لِمَعْبَدٍ خفيفُ ثقيلٍ بالسّبابة في مَجْرى البِنْصر عن إسحاق.

[هدية الجواري إليه في موسم الحجّ]

أخبرني الحَسَن بنُ عليّ الخَفَّاف قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: حدّثني أبو مُسْلم المُسْتَمْلِي عن ٱبن أخي زُرْقَانَ عن أبيه قال: أدركتُ مَوْلىً لعمر بن أبي ربيعةَ شيخاً كبيراً، فقلتُ له: حَدِّثني عن عمرَ بحديثٍ غريب؛ فقال: نعمْ! كنتُ معه ذاتَ يوم، فاجتازَ به نِسْوةٌ من جواري بني أُمَيَّة قد حَجَجْنَ، فتعرَّض لهنّ وحادَثَهُنَّ وناشدهنّ مُدّةَ أيّام حَجِّهِنّ؛ ثم قالت له إحداهنّ: يا أبا الخَطَّاب، إنّا خارجاتٌ في غَدٍ فابْعَثْ مولاكَ هذا إلى منزِلنا نَدْفعُ إليه تَذْكِرَةً تكون عندك تَذْكُرُنا بها. فَسُرَّ بذلك ووجَّهَ بي إليهنّ في السَّحَرِ، فوجدْتُهُنَّ يَرْكَبْنَ، فَقُلْنَ لِعجوزٍ معهنّ: يا فلانةُ، ادفَعي إلى مولَى أبي الخطاب التَّذْكِرَة التي أتْحَفْناه[٤] بها. فأخرجَتْ إلَيَّ صُنْدوقاً لَطيفاً مُقْفَلاً مَختوماً؛ فَقُلْنَ ادفَعْه إليه وارْتَحَلْنَ. فَجِئْتُهُ به وأنا أظنُّ أنه قد أُودِعَ طِيباً أو جَوْهَراً. ففتَحَهُ عمرُ فإذا هو مملوءٌ من المَضَارِبِ (وهي الكيرِنْجَاتُ)[٥]، وإذا على كُلِّ واحد منها ٱسمُ رجل من مُجّانِ مَكَّةَ، وفيها ٱثنانِ

(١) مُدَّكر: متذكّر.

(٢) في الديوان (ودمعي فاتر) والدمع الفاتر: بين الحار والبارد.

(٣) خُلَّتي: صديقتي. والبَيْن: البعد.

(٤) أتحفناه بها: أهديناها إليه.

(٥) الكيرنج: كلمة فارسية مُرَكّبة من كلمتين هما (كير) بمعنى عضو التناسل و (رنج) وهو بالفارسية رَنْك ومعناه الشكل واللون. والمضارب: جمع المضرب: لعلّه يريد آلة الضّراب وهو السّفاد.

كبيرانِ عظيمانِ، على أحدهما الحارثُ بن خالد وهو يومئذٍ أميرُ مكّة، وعلى الآخر عمرُ بن أبي ربيعة. فَضَحِكَ وقال: تَمَاجَنَّ عَلَيَّ ونَفَذَ لهنَّ[١]. ثم أصلحَ مَأْدُبَةً ودَعَا كلَّ واحد ممن له اسمٌ في تلك المَضَارِبِ. فلما أكلوا واطمأنوا لِلجلوسِ قال: هاتِ يا غلام تلك الوديعة، فَجِئْتُهُ بالصّندوقِ؛ ففتحَهُ ودفع إلى الحارث الكِيرِنْجَ الّذي عليه ٱسمُه. فلما أخذَهُ وكشفَ عنه غَطَاءَه فَزِعَ وقال: ما هذا أخزاكَ اللَّهُ! فقال له: رُوَيداً، اصْبِرْ حتى تَرَى. ثم أخرجَ واحداً واحداً فدفَعه إلى من عليه ٱسمُه حتى فَرَّقَها فيهم؛ ثم أخرجَ الذي بِاسْمِه وقال: هذا لي. فقالوا له: وَيْحَكَ! ما هذا؟ فحدَّثهم بالخبرِ فعجبوا منه، وما زالوا يتمازَحُون بذلك دهراً طويلاً ويضحكون منه.

[قصّته مع المرأة التي تَصدّت له في الطواف]

قال: وَحَدَّثني هذا المولى قال: كُنْتُ مع عمر وقد أَسَنَّ وضَعُفَ، فخرجَ يوماً يمشِي مُتَوَكِّئاً على يدي حتى مَرَّ بعجوزٍ جالسةٍ، فقال لي: هذه فلانةُ وكانت إِلْفاً لي، وعَدَلَ إليها فَسَلَّمَ عليها وجلَسَ عندها وجعَلَ يُحادِثُها، ثم قال: هذه التي أقول فيها:

صوت [المنسرح]

أَبْصَرْتُها ليلةً ونِسْوَتَها ... يَمْشِينَ بينَ المَقَامِ والحَجَرِ
بِيضاً حِسَاناً نَوَاعِماً قُطُفاً ... يَمْشِينَ هَوْناً كَمِشْيَةِ البَقَرِ[٢]
قالَتْ لِتِرْبٍ لها تُلاَطِفُها ... لَتُفْسِدَنَّ الطَّوافَ في عُمَرِ
قُومِي تَصَدَّيْ له لِيَعْرِفَنَا ... ثم ٱغمزِيهِ يا أُخْتِ في خَفَرِ[٣]
قالَتْ لها قد غَمَزْتُهُ فَأَبَى ... ثم ٱسْبَطَرَّتْ تَشْتَدُّ في أَثَرِي[٤]
بل يا خَلِيلَيَّ عادَنِي ذِكَرِي ... بل ٱعْتَرَتْنِي الهُمُومُ بالسَّهَرِ

(١) أي نفذَ لهنّ تماجنهنّ وتَمَّ.

(٢) في الديوان: (خرائداً) بدل (نواعماً) والخريدة: البِكر الحَيِيّة التي لم تُمسّ قَطّ. وقُطُفاً: بطيئة السير.

(٣) الخفر: الحياء.

(٤) اسْبَطرّت: أسرعت.

الغناء لابن سُرَيج في السّادس والأوّل والثّاني خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيها لِسنَانٍ الكاتبِ رَمَلٌ بالوسطى عنه وعن يونسَ. وفيها للأَبْجَر خفيفُ رملٍ بالوسطى عنه وفي:

قـالـت لِـتِـرْبٍ لـهـا تُـلاطِـفـهـا

لعبد الله بن العباس خفيفُ رملٍ بالبِنْصر عن الهشاميّ، وفيه للدَّلاَلِ خفيفُ ثقيلٍ عنه أيضاً. ولأبي سَعِيد مولى فائدٍ في الأوّل والثّاني ثقيلٌ أوّلُ عن الهِشَامِيّ أيضاً، ومن النّاسِ من يَنْسُب لحنَه إلى سِنَان الكاتب وينسب لحن سنان إليه.

قال: وجلس معها يحادِثُها، فأطلَعَتْ رَأْسَها إلى البيتِ وقالت: يا بناتي، هذا أبو الخطاب عمر بن أبي ربيعة عِندي؛ فإن كُنْتُنَّ تشتهِينَ أن تَرَيْنَه فتَعَالَيْنَ. فَجِئْنَ إلى مِضْرَبٍ[1] قد حُجِزْنَ به دونَ بابِها فجعلْنَ يَنْقُبْنَه ويَضَعْنَ أعينَهن عليه يُبصرن. فاستسقاها عمرُ؛ فقالت له: أيُّ الشَّرابِ أَحَبُّ إليك؟ قال: الماء. فأُتِيَ بإناء فيه ماء، فَشَرِبَ منه، ثم ملأَ فَمَهُ فَمَجَّهُ عليهِنَّ في وُجوههنّ من وراءِ الحاجزِ؛ فصاحَ الجواري وتَهَارَبْنَ وجَعَلْنَ يَضْحكْنَ. فقالت له العجوز: ويلَكَ! لا تَدَعُ مُجُونَكَ وسَفَهَكَ مع هذه السّنِّ! فقال: لا تلوميني؛ فما مَلَكْتُ نفسي لمّا سَمِعْتُ من حَرَكَاتِهِنَّ أن فَعَلْتُ ما رأيتِ.

[يقطع عمر المسافات وراء المرأة ليخطبها ثم يعود خائباً]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال: حَدَّثني أحمد بن منصور بن أبي العَلاَء الهَمْدَانيّ قال: حَدَّثني عليُّ بنُ طَرِيف الأَسَديّ قال: سَمِعْتُ أبي يقول: بينما عمرُ بنُ أبي ربيعة يطوفُ بالبيتِ إذ رأى أمرأةً من أهل العراق فأعجبَهُ جمالُها، فمشى معها حتى عرَفَ موضِعَها، ثم أتاها فحادثها وناشدها وناشدته وخَطَبها. فقالت: إنّ هذا لا يصلُحُ هاهنا، ولكن إن جِئْتَني إلى بلدي وخَطَبتني إلى أهلي تزوَّجْتُكَ. فلما أرتحلوا جاءَ إلى صديقٍ له من بني سهْمٍ وقال له: إنّ لي إليك حاجةً أريدُ أن تُساعِدَني عليها؛ فقال له: نعمْ. فأخَذَ بيده ولم يذكُرْ له ما هي، ثم أتى منزلَهُ فَرِكِبَ نجِيباً وله وأركبه نجيباً[2] آخر، وأخذَ معه ما يُصْلِحُهُ، وسارا لا يَشُكُّ

---

(١) المِضْرَب: الفسطاط العظيم.

(٢) النجيب من الإبل: القوي السريع الخفيف.

السَّهْمِيُّ في أنه يريدُ سفرَ يوم أو يومين؛ فما زال يَحْفِدُ[١] حتى لَحِقَ بالرُّفْقَةِ، ثم سارَ بسيرِهم يُحادِثُ المرأةَ طولَ طريقِهِ ويُسايرها وينزلُ عندها إذا نَزَلَتْ حتى وَرَد العِرَاقَ. فأقامَ أيّاماً، ثم راسَلها يَتَنَجَّزُها[٢] وَعْدَها؛ فأعلمَتْهُ أنها كانت متزوجةً ٱبن عَمٍّ لها وولدَتْ منه أولاداً ثم ماتَ وأوصى بهم وبمالِه إليها ما لم تتزوّجْ، وأنّها تخافُ فُرْقةَ أولادِها وزوالَ النّعمةِ؛ وبعَثَتْ إليه بخمسةِ آلافِ درهمٍ وٱعتذَرَتْ؛ فَرَدَّها عليها ورحَلَ إلى مكّة؛ وقال في ذلك قصيدتَه الّتي أوّلها:

صوت [مجزوء الخفيف]

نامَ صَحْبِي ولم أَنَمْ	من خَيالٍ بنا أَلَمّ
طافَ بالرَّكْبِ مَوْهِناً	بين خاخٍ إلى إِضَمْ[٣]
ثم نَبَّهْتُ صاحباً	طَيِّبَ الخِيمِ والشِّيَمْ[٤]
أَرْيَحِيّاً مُساعِداً	غيرَ نِكْسٍ ولا بَرَمْ[٥]
قُلْتُ يا عَمْرُو شَفَّني	لاعِجُ الحُبِّ والأَلَمْ[٦]
إيتِ هِنداً فَقُلْ لها	ليلةَ الخَيْفِ ذي السَّلَمْ[٧]

الغناء لمالك خفيفُ رَمَلٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس. وفيه لعبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ خفيفُ رَمَلٍ من رواية عمرو بن بَانَة، وذكر حَبَشٌ أنّ لحنَ عبدِ الله بن العباس رَمَلٌ آخر عن الهشاميّ.

[جرير يشهد لعمر بالشّعر]

أخبرني محمد بن خلف قال: حدَّثَنا الحُسَين بن إسماعيل عن ٱبن عائشة عن

(١) يحفد: يخفّ ويُسرعُ.
(٢) يتنجزها وعدها: يطلب منها أن تنجز وعدها أي تقضيه.
(٣) خاخ: موضع بين الحرمين ويقال له: روضة خاخ بقرب حمراء الأسد من المدينة. (معجم البلدان ٢: ٣٣٥). وإضم: وادٍ بجبل تهامة وهو الوادي الذي فيه المدينة (معجم البلدان ١: ٢١٤).
(٤) الخِيم: الشّيمة والخلق والسّجيّة.
(٥) الأريحي: الذي يهتزّ للندى والمعروف ويبادر بهما. والنِّكس: الضعيف. والبَرم: الذي لا نفع فيه.
(٦) شَفَّني: أضعفني. واللاّعج: الحب المُحْرِق.
(٧) ليلة الخيف: يريد اذكري ليلة الخيف. وذي سلم: موضع.

أبيه قال: كان جريرٌ إذا أُنْشِد شعرَ عَمرَ بن أبي ربيعة قال: شِعْرٌ تِهَاميٌّ إذا أَنْجَدَ وَجَدَ البَرْدَ، حتى أُنْشِدَ قولَه: [الطويل]

رَأَتْ رجُلاً أَمَّا إذا الشَّمْسُ عارضَتْ فَيضْحَى وأَمَّا بِالعَشِيِّ فَيَخْصَرُ[1]

. . . الأبيات. فقال: ما زال هذا يَهْذِي حتى قال الشّعرَ.

[عُمَر يستحضر ذكريات الماضي]

أخبرني حَبِيبُ بنُ نَصْر المهَلَّبيّ قال: حَدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال: حَدَّثني عمّي عن عثمان بنِ إبراهيم الخاطِبيّ، وأخبرني به محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال: حدّثني إسحاق بن إبراهيم عن محمد بن أَبَان قال: أخبرني العُتْبيّ عن أبي زيد الزُّبَيْرِيّ عن عثمان بن إبراهيم الخاطبيّ قال: أتيتُ عمرَ بنَ أبي ربيعة بعد أَنْ نَسَكَ بِسنينَ وهو في مجلسِ قومِه من بني مَخْزوم، فانتظرتُ حتى تَفَرَّق القومُ، ثم دَنَوْتُ منه ومعي صاحبٌ لي ظريفٌ وكان قد قال لي: تَعَالَ حتى نَهِيجَه[2] على ذِكْرِ الغَزَل، فننظرَ هل بَقِيَ في نفسِهِ منه شيءٌ. فقال له صاحبي: يا أبا الخَطّاب، أكرمَكَ اللَّهُ! لقد أحسنَ العُذرِيُّ وأجادَ فيما قال. فنظر عمرُ إليه ثم قال له: وماذا قال؟ قال: حيث يقول: [البسيط]

لو جُذَّ بِالسَّيفِ رَأْسِي في مَوَدَّتِها لَمَرَّ يَهْوِي سَرِيعاً نَحْوَهَا رَاسِي

قال: فارتاحَ عمرُ إلى قوله وقال: هَاهْ! لقد أجادَ وأحسنَ! فقلتُ: ولِلَّهِ دَرُّ جُنادة العُذْريّ! فقال عمر: حيث يقولُ ماذا وَيْحَك؟ فقلت: حيث يقول: [البسيط]

سَرَتْ لِعَيْنِك سَلْمَى بعد مَغْفَاها فَبِتَّ مُسْتَنبِهاً من بَعْدِ مَسْرَاها[3]
وقُلْتُ أهلاً وسهلاً مَنْ هَدَاكِ لنا إن كنتِ تِمْثَالَها أو كنتِ إيَّاها
مِن حُبِّها أَتَمنَّى أن يُلاَقِيَنِي مِنْ نَحْوِ بَلْدَتِها نَاعٍ فَيَنْعَاها
كيما أقولَ فراقٌ لا لِقَاءَ له وتُضْمِرُ النَّفْسُ يَأْساً ثم تَسْلاَها
ولو تَمُوتُ لَرَاعَتْنِي وقُلْتُ ألاَ يا بُؤْسَ لِلْمَوتِ لَيْتَ الموتَ أبقاها

---

(١) يضحى: يظهر للشمس. ويخصر: يبرد.
(٢) نهيجه: نثيره.
(٣) مستنبهاً: مستيقظاً. وسَرَت: أتت ليلاً.

قال: فضحِكَ عمرُ ثم قال: وأبيكَ لقد أحسنَ وأجادَ وما أبْقَى! ولقد هَيَّجْتُمَا عَلَيَّ ساكناً، وذَكَّرْتُماني ما كان عنّي غائباً، وَلأُحَدِّثَنَّكُما حديثاً حُلْواً:

[هند بنت الحارث وصاحبتها ينصبن فخّاً لعمر]

بينا أنا منذُ أعوام جالسٌ، إذ أتاني خالدٌ الخِرِّيتُ، فقال لي: يا أبا الخَطَّاب، مَرَّتْ بي أربعُ نسوةٍ قُبَيْلَ العِشَاءِ يُرِدْنَ موضَع كذا وكذا لم أَرَ مثلَهن في بَدْوٍ ولا حَضَر، فيهنّ هند بنت الحارث المُرِّيَّة، فهل لك أن تأتيَهنَّ مُتَنَكِّراً فتسمعَ من حديثِهِنَّ وتتمتَّعَ بالنَّظَرِ إليهنّ ولا يَعْلَمْنَ مَنْ أنت؟ فقلتُ له: وَيْحَكَ! وكيف لي أن أُخْفِي نفسي؟ قال: تَلْبَسُ لِبْسَةَ أعرابي ثم تَجلِسُ على قَعُودٍ[1] ثم ائْتِهِنَّ فَسَلِّمْ عليهنّ، فلا يَشْعُرْنَ إلاّ بكَ قد هَجَمْتَ عليهنّ. فَفَعَلْتُ ما قال، وجَلَسْتُ على قَعُودٍ، ثم أَتَيْتُهُنَّ فسلَّمْتُ عليهنّ ثم وقفتُ بِقُرْبِهِنَّ. فَسَأَلْنَنِي أن أُنْشِدَهنّ وأُحَدِّثَهنَّ، فأنشدتهنَّ لِكُثَيِّر وجَميل والأَحْوَصِ ونُصَيْبٍ وغيرهم. فقلنَ لي: وَيْحَك يا أعرابي! ما أملَحَكَ وأظرفَكَ! لو نزلْتَ فتحدَّثْتَ معنا يومَنا هذا! فإذا أَمْسَيتَ انصرفْتَ في حفظِ اللّهِ. قال: فأَنَخْتُ بعيري ثم تحدَّثْتُ معهنّ وأنشدتهن، فَسُرِرْنَ بي وجَذِلْنَ بِقُرْبِي وأعجبَهُنَّ حديثي. قال: ثم إنهنَّ تَغَامَزْنَ وجعلَ بعضهُنَّ يقولُ لبعضٍ: كأنّا نعرفُ هذا الأعرابيّ! ما أشبهَهُ بعمر بن أبي ربيعة! فقالت إحداهنّ: فهو والله عمر! فَمَدَّتْ هندٌ يدها فانتزعَتْ عِمامتي فألقَتْها عن رأسي ثم قالت لي: هيه يا عمر: ! أَتُراكَ خَدَعْتَنا منذُ اليوم! بل نحن والله خدعناك واحتلنا عليك بِخالدٍ، فأرسلناه إليك لتأتيَنا في أسوإ هيئةٍ ونحن كما ترى. قال، عمرُ: ثم أخذنا في الحديث؛ فقالت هندُ: وَيْحَكَ يا عمرُ! اسْمَعْ مِنِّي، لو رأيتَني منذُ أيام وأصبحْتُ عند أهلي، فأدخلْتُ رأسي في جَيْبِي[2] فنظرتُ إلى حِرِي[3] فإذا هو مِلءُ الكفِّ ومُنْيَةُ المُتَمَنِّي، فناديتُ يا عُمَراه يا عُمَراه! قال عمرُ: فَصِحْتُ يا لَبَّيْكَاه يا لَبَّيْكَاه! ثلاثاً ومَدَدْتُ في الثّالثة صوتي. فَضَحِكَتْ. وحَادَثْتُهُنَّ ساعةً، ثم وَدَّعْتُهُنَّ وانصرفتُ. فذلك قولي:

---

(١) القعود: من الجمال: ما يُتَّخذ مركباً في كلّ حاجة.

(٢) الجيب: طوق القميص.

(٣) الحِرُ: بتخفيف الرّاء: الفَرْج.

صوت

[الطويل]

عَرَفتُ مَصِيفَ الحَيِّ والمُتَرَبَّعا ... بِبَطْنِ حُلَيَّاتٍ دوارِسَ بَلْقَعَا(١)
إلى السَّفْحِ من وادي المُغَمَّس بُدِّلَتْ ... مَعالِمُهُ وَبْلاً ونَكْبَاءَ زَعْزَعَا(٢)
لِهِنْدٍ وأترابٍ لِهِندٍ إذِ الهَوَى ... جَمِيعٌ وإذ لم نَخْشَ أن يَتَصَدَّعَا
وإذ نحن مثلُ الماءِ كان مِزَاجُهُ ... كما صَفَّقَ السَّاقي الرَّحيقَ المُشَعْشَعَا(٣)
وإذ لا نُطِيعُ الكاشحينَ ولا نَرَى ... لِوَاشٍ لَدَيْنَا يطلبُ الصُّرْمَ مَوضِعَا(٤)

الغناء للغَريضِ ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميِّ ومن نسخة عمرو الثانية. وفيه لابن جامع وابن عَبَّادٍ لحنانٍ من كتاب إبراهيمَ. وفيها يقول... وفيه غناء:

صوت

[الطويل]

فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا وسَلَّمْتُ أَشْرَقَتْ ... وُجوهٌ زَهَاها الحُسْنُ أنْ تَتَقَنَّعَا
تَبَالَهْنَ بالعِرْفَانِ لَمَّا رَأَيْنَنِي ... وقُلْنَ امْرُؤٌ بَاغٍ أَكَلَّ وَأَوضَعَا(٥)
وقَرَّبْنَ أسبابَ الهَوَى لِمُتَيَّمٍ ... يَقِيسُ ذِراعاً كلَّما قِسْنَ إصبَعا

الغناء لابنِ عَبّادٍ رَمَلٌ عن الهشامي. وفيه لابن جامعٍ لحنٌ من كتاب إبراهيم غيرُ مجنسٍ. هذه الأبيات مقرونةٌ بالأولى، والصنعةُ في جميعها مختلفةٌ، يُغَنّي المُغَنُّون بعضَ هذه وبعض تلك ويخلِطونهما، والصّنعة لمن قَدَّمْتُ ذِكْرَه. وهي قصيدة طويلة، ذَكرتُ منها ما فيه صنعةٌ.

ومما قاله في هند هذه وغُنِّيَ فيه قولُه:

---

(١) حُلَيَّات: موضع قرب مكة. والبلقع: الأرض الخالية.

(٢) وادي المُغَمَّس: موضع قرب مكة في طريق الطائف (معجم البلدان ٥: ١٦١)، والنكباء: الريح التي تَنْكُب عن مهابّ الرياح. وزعزع: شديدة.

(٣) صَفَّق الشراب: حوّله من إناء إلى إناء ليصفو. والرّحيق: من أسماء الخمرة. والشراب المشعشع: الممزوج بالماء.

(٤) الكاشح: العذول الحاسد. والصُّرْم: القطيعة.

(٥) أكلَّ: أعيا. وأوضع: أسرع في سيره.

صوت

[الطويل]

أَلـم تَسْأَل الأَطْلالَ والـمنزِلَ الـخَلَقْ بِبُرْقَةِ ذِي ضَـالٍ فَـيُـخبِـرَ إنْ نَـطَـقْ؟(١)
ذَكَـرْتُ بـه هِـنـداً فَـظِـلْـتُ كـأنّـنـي أخو نَشْوَةٍ لاقَى الحوانيتَ فاغتَبَقْ(٢)

الغناء لِعَطَرَّدٍ ولَحْنُه من القَدرِ الأوسط من الثقيل الأوّلِ بالخِنْصَر في مَجْرَى البِنْصر عن إسحاق. وفيه لمَعْبدٍ ثقيلٌ أوّل بالوُسْطى عن الهِشَاميّ. وذكر حَبَشٌ أن فيه للغَرِيض ثاني ثقيلٍ بالوُسطى. ومنها:

صوت

[مجزوء الرمل]

أَصْـبَـح الـقَـلْـبُ مَـهِـيـضَـا رَاجَـعَ الـحُـبَّ الـغَـرِيـضَـا(٣)
وأَجَـدَّ الـشَّـوْقَ وَهْـنـاً أنْ رَأَى بَـرْقـاً وَمِـيـضَـا(٤)
ثـمّ بـاتَ الـرَّكْـبُ نُـوَّا مـاً ولـم أطْـعَـمْ غُـمـوضَـا
ذاكَ مِـنْ هـنـدٍ قـديـمـاً تَـرْكُـهـا الـقَـلْـبَ مَـهِـيـضَـا
وتَـبَـدَّتْ ثـم أَبْـدَتْ وَاضِـحَ الـلَّـوْنِ نَـحِـيـضَـا(٥)
وعِـذَابَ الـطَّـعْـمِ غُـرًّا كَـأَقَـاحِـي الـرَّمْـلِ بِـيـضَـا(٦)

الغناء لابن مُحْرِزٍ خفيفُ ثقيلٍ بالسَّبابة في مَجْرى البِنْصَر. وفيه لحَكَم هَزَجٌ بالوُسْطى عن عمرو، وقيل: إنه يَمَانٍ. ومن النَّاسِ مَنْ يَنْسُبُ لحنَ ٱبن مُحرِزٍ إلى ٱبن مِسْجَحٍ. ومنها:

---

(١) الخَلَق: البالي. وفي الديوان (برقة أعواء) بدل برقة (ذي ضال) وهو تحريف والصّحيح كما جاء في (معجم البلدان ١: ٣٩١) بُرقة أعيار.
(٢) اغتبق: شرب الخمر مساءً.
(٣) المهيض: المكسور. والغريض: الطّري. وفي الديوان (مريضاً) بدل (مهيضاً).
(٤) أجدّ: جَدّد. والوَهن: منتصف الليل.
(٥) النّحيض: البَضّ الممتلئ.
(٦) الأقاحي: جمع الأقحوان: هو البابونج أو القرّاص وهو نبت طيّب الريح حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر تُشَبَّه به الأسنان.

صوت

[الطويل]

أَرِبْتُ إلى هِنْدٍ وتِرْبَيْنِ مَرَّةً ... لها إذ تَوَاقَفْنا بِفَرْعِ المُقَطَّعِ(١)

لِتَغْرِيجِ يومٍ، أو لِتَغْرِيسِ ليلةٍ ... علينا بِجَمْعِ الشَّمْلِ قبلَ التَّصَدُّعِ(٢)

فَقُلْنَ لها لَولا ارتقابُ صَحَابةٍ ... لنا خَلْفَنا عُجْنا ولم نَتَوَرَّعِ

وقالَتْ فتاةٌ كُنْتُ أَحْسَبُ أنّها ... مُغَفَّلَةٌ في مِئْزَرٍ لم تُدَرَّعِ(٣)

لَهُنَّ ـ وما شَاوَرْنَها ـ ليس ما أرى ... بِحُسْنِ جزاءٍ لِلحبيبِ المُوَدِّعِ

فَقُلْنَ لها لا شَبَّ قَرْنُكِ فَافْتَحِي ... لنا بابَ ما يَخْفَى مِنَ الأمرِ نَسْمَعِ(٤)

وهي أبياتٌ. الغِناءُ للغَرِيضِ ولحنهُ من القَدْرِ الأوسطِ من الثَّقيل الأوّل بالخِنْصَر في مَجْرَى البِنْصر عن إسحاقَ، وذكر ابنُ المَكّيّ أنه لابن سُرَيج. ومنها:

صوت

[البسيط]

لَمَّا أَلَمَّتْ بِأَصْحَابِي وقد هَجَعُوا ... حَسِبْتُ وَسْطَ رِحَالِ القوم عَطَّارَا

فَقُلْتُ: مَنْ ذا المُحَيِّي؟ وٱنْتَبَهْتُ له، ... ومَنْ مُحَدِّثُنا هذا الّذي زارَا؟(٥)

ألاَ ٱنزِلوا نَعِمَتْ دارٌ بِقُرْبِكُمُ ... أهلاً وسَهلاً بكم مِنْ زائرٍ زَارَا(٦)

فَبُدِّلَ الرَّبْعُ مِمّن كان يَسْكُنُهُ ... عُفْرَ الظِّبَاءِ به يَمْشِينَ أَسْطَارَا(٧)

الغناءُ لابن سُرَيج رَمَلٌ بالخِنْصَر في مَجْرى البِنْصَر عن إسحاق. وفيه ليونُسَ خَفيفُ ثَقِيلٍ، وفيه لأبي فَارَةَ هَزَجٌ بالبنْصر. وأوّل هذه القصيدة الّتي فيها ذكرُ هِند قولُه: [البسيط]

(١) أَرِبْتُ إليها: احتجت إليها ودعاني الشّوق. وفي الديوان (بقرنِ المُقَطّع). والقرن: الجبل الصغير أو قطعة تنفرد من الجبل. ولعل المقطع اسم مكان لم نعثر عليه في المعاجم.

(٢) التعريس: النزول في آخر الليل أو عند السَّحَر.

(٣) لم تُدَرّع: لم تلبس الدرع وهو قميص مشقوق المقدّم تلبسه المرأة.

(٤) لا شَبَّ قرنك: دعاء تَحبُّب بأن تبقى صغيرة. وفي الديوان (لنا بابةً تُخفي) والبابة: الوجه والنوع.

(٥) في الديوان (أم من) بدل (ومن).

(٦) في الديوان (قُلْنَ: انزلوا) بدل (ألا انزلوا).

(٧) في الديوان (تَبَدَّلَ الرَّبْعُ) بدل (فبدِّل الربع). و (أُدْمَ) بدل (عُفْرَ). والظباء الأُدم: البيض. والعفر: التي يعلو بياضها حمرة. وأسطاراً: صفوفاً.

يا صاحِبَيَّ قِفَا نَسْتَخْبِرِ الدَّارا أَقْوَتْ وهاجَتْ لنا بِالنَّعْفِ تَذْكَارَا[١]
وقد أرَى مَرَّةً سِرْباً بها حَسَناً مِثْلَ الجَآذِرِ لم يُمْسَسْنَ أبكارا[٢]
فِيهِنَّ هِندٌ وهِندٌ لا شَبِيهَ لها فِيمَنْ أقامَ مِنَ الأحياءِ أو سَارَا
تقولُ ليتَ أبا الخَطَّاب وَافَقَنا كي نَلْهُوَ اليومَ أو نُنْشَدَ أشعارا
فلم يَرُعْهُنَّ إلاّ العِيسُ طالعةً بالقوم يَحْمِلْنَ رُكْباناً وأكْوَارا[٣]
وفارسٌ يَحْمِلُ البَازِي فَقُلْنَ لها هَاهُمْ أُولاَءِ وما أَكْثَرْنَ إِكْثَارَا
لما وَقَفْنَا وَعَنَّنَّا ركائِبَنا يُدْلِلْنَ بِالعُرْفِ بعدَ الرَّجْعِ إنكارَا[٤]

ومنها:

صوت [مجزوء الوافر]

أَلَمْ تَرْبَعْ على الطَّلَلِ ومَغْنَى الحَيِّ كَالخِلَلِ[٥]
لِهِنْدٍ إنّ هِنداً حُـ ـبُها قد كان من شُغُلِي
فلمَّا أنْ عَرَفْتُ الدَّا رَ عُجْتُ لِرَسْمِهَا جَمَلِي
وقُلْتُ لِصُحْبَتِي عُوجُوا فَعَاجُوا هِزَّةَ الإِبِلِ[٦]
وقالوا قِفْ ولا تَعْجَلْ وإن كُنَّا على عَجَلِ
قليلٌ في هَوَاكَ اليو مَ ما تَلْقَى مِنَ العَمَلِ

الغناء لابن سُرَيج ثاني ثقيلٍ مُطْلق في مَجْرى الوُسْطى عن إسحاق، وفيه له أيضاً رَمَلٌ عن الهشاميّ وحَبَشٍ. ومنها:

---

(١) أقوت: أقفرت وأوحشت. والنّعف: ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع من منحدر الوادي. والنعف عدة مواضع ذكرها ياقوت (معجم البلدان ٥: ٢٩٣).
(٢) في الديوان (مثلَ الجآذر أثياباً وأبكاراً). والجآذر: جمع الجؤذر: ولد البقرة الوحشية.
(٣) في الديوان (يحملن بالنّعفِ ركّاباً وأكواراً) والأكوار: جمع الكور: رَحْل النّاقة.
(٤) عَنّنّا ركائبنا: حبسناها بالعنان. وفي الديوان (غيّبنا ركائبنا). والرَّجْع: ترديد النظر.
(٥) تربع: تقف وتطمئن. والطَّلَل: آثار الديار. والمغنى: المنزل. والخِلَل: جمع الخِلّة: بطانة يُغَشّى بها جفن السيف تنقش بالذهب وغيره وقد شبّه الطّلل بها.
(٦) هِزّة الإبل: نوع من سير الإبل يهتزّ به الموكب ويسرع.

صوت

[مجزوء المتدارك]

هَاجَ ذَا الْقَلْبَ مَنْزِلُ ... بِالْبُلَيَّيْنِ مُحْوِلُ[(١)]
غَيَّرَتْ آيَهُ الصَّبَا ... وجَنُوبٌ وشَمْأَلُ
إنّ هِنْداً قَدَ ارْسَلَتْ ... وأخو الشَّوْقِ مُرْسِلُ
أَرْسَلَتْ تَسْتَحِثُّنِي ... وتُفَدِّي وتَعْذُلُ
أَيُّنَا بَاتَ لَيْلَهُ ... بين غُصْنَيْن يُوبَلُ[(٢)]
تحتَ عَيْنٍ، يَكُنُّنَا ... بُرْدُ عَصْبٍ مُهَلْهَلُ[(٣)]

في هذه الأبيات خفيفُ ثقيلٍ مطلقٍ في مَجْرى البِنْصر، ذكر إسحاق أنه لمالك، وذكر عمرو أنه لابن مُحْرِز. وذكر يونُس أنّ فيها لحناً لابن محرز ولحناً لمالك. وقال عمرو في نسخته الثانية: إنه لابن زُرْزُر الطَّائِفيّ خفيفُ ثقيلٍ بالوُسْطى، ورَوتْ مثلَ ذلك دَنَانِيرُ عن فُلَيْح. وفيها لابن سُرَيج رمل بالسّبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيها لعبد الله بن موسى الهادي ثاني ثقيلٍ من مجموعه ورواية الهشامي وفيه لحَكَم هَزَجٌ بالخِنْصر والبِنْصر عن ابن المَكّي. وفيه للحَجَبيّ رَمَلٌ عن الهِشَاميّ وفيه ثقيلٌ أوّلُ نَسبه ابن المكّيّ إلى ابن مُحْرِز، وذكَر الهشاميّ أنه منحول. وفيه خَفيفُ رَمَل ذكر الهشاميّ أنه لحن ابن مُحْرِز. ومنها:

صوت

[الكامل]

يا صَاحِ هل تَدْرِي وقد جَمَدَتْ ... عَينِي بما أَلْقَى مِنَ الوَجْدِ
لَمَّا رَأَيْتُ دِيَارَها دَرَسَتْ ... وتَبَدَّلَتْ أعلامُها بَعْدِي
وذَكَرْتُ مَجْلِسَها ومَجْلِسَنا ... ذاتَ العِشاءِ بِمَهْبِطِ النَّجْدِ
ورسالةً منها تُعَاتِبني ... فَرَدَدْتُ مَعْتَبَةً على هِنْدِ

الغناء ليحيى المَكّيّ رَمَل بالوُسْطَى. وفيه لغيره ألحان أُخَرُ. ومنها:

---

(١) البُلَيَّين: مثنى البُلَيّ. وفي الديوان (دارس الآيِ مُحْوِلُ). والآي: العلامات. ومُحول: أتت عليه أحوال فتغيّر.

(٢) الوبل: المطر.

(٣) تحت عين: تحت سحابة ماطرة. والعصب: ضرب من برود اليمن. والمهلهل: الرقيق النسج.

صوت

[الرمل]

لَيتَ هِنْداً أَنْجَزَتْنا ما تَعِدْ ... وشَفَتْ أَنْفُسَنا مِمَّا تَجِدْ
وَٱسْتَبَدَّتْ مَرَّةً واحِدَةً ... إنَّما العاجِزُ مَنْ لا يَسْتَبِدْ
ولقد قالَتْ لِجَاراتٍ لها ... ذاتَ يومٍ وتَعَرَّتْ تَبْتَرِدْ

- ويروى:

زَعَمُوها سألتْ جاراتِها

أَكَمَا يَنْعَتُنِي تُبْصِرْنَنِي ... عَمْرَكُنَّ اللَّهَ أم لا يَقْتَصِدْ[1]
فَتَضَاحَكْنَ وقد قُلْنَ لها ... حَسَنٌ في كلِّ عَيْنٍ مَنْ تَوَدّ
حَسَداً حُمِّلْنَهُ مِنْ أَجْلِها ... وقديماً كان في النَّاسِ الحَسَدْ

الغناء لابن سُرَيج رَمَلٌ بالخِنْصر في مجرى البِنْصر عن إسحاق. وفيه لحنٌ لمالكٍ من كتاب يونُسَ غيرُ مجنَّس. وفيه لابن سُرَيج خفيفُ رملٍ بالبِنْصر عن عمرو، وذكره إسحاقُ في خفيفِ الثّقيلِ بالخنصر في مجرى البنصر ولم ينسُبه إلى أحد. وفيه ثاني ثقيلٍ يقال إنه لَحْنٌ لمالكٍ. ويقال إنه لمُتَيَّم. ومنها:

صوت

[مجزوء الرجز]

هاجَ القَرِيضَ الذِّكَرُ ... لمّا غَدَوْا فانْشَمَرُوا[2]
على بِغالٍ شُحَّجٍ ... قد ضَمَّهُنَّ السَّفَرُ[3]
فِيهِنّ هِندٌ لَيتني ... ما عُمِّرتْ أُعَمَّرُ[4]
حتّى إذا ما جاءَها ... حَتْفٌ أَتَانِي القَدَرُ

لابن سُرَيج فيه لَحْنَان: رَمَلٌ مُطْلَقٌ في مجرى البِنْصر عن إسحاق، وخفيفُ رملٍ عن الهشاميّ. ومنها:

---

(١) عمركن الله: تقسم بهن.
(٢) القريض: الشِّعر. وانشمروا: مرّوا مسرعين. وفي الديوان (فابتكروا) بدل (فانشمروا).
(٣) شُحّج: جمع الشّاحج، والشُّحاج: صوت الحمار. وفي الديوان (وُسَّجٍ) بدل (شحّج) ووُسّج: سائرة.
(٤) هذا البيت والذي بعده من قصيدة أخرى مطلعها:
قد هاج قلبي محضر ... أقوى وربع مقفر

صوت

[السريع]

يـا مَـنْ لِـقـلـبٍ دَنِـفٍ مُـغْـرَمِ ... هَـامَ إلـى هِـنْـدٍ ولـم يَـظْـلِـمِ
هـامَ إلـى رِيـمٍ هَـضِـيـمِ الـحَـشـا ... عَـذْبِ الـثـنَـايـا طَـيِّـبِ الـمَـبْـسِـمِ(١)
لـم أحْـسَـبِ الـشَّـمْـسَ بِـلَـيـلٍ بَـدَتْ ... قَـبْـلِـي لِـذِي لَـحْـمٍ ولا ذِي دَمِ
قـالَـتْ: ألاَ إنَّـكَ ذو مَـلَّـةٍ ... يَـصْـرِفُـكَ الأدْنَـى عَـنِ الأقْـدَمِ
قـلـتُ لـهـا بـل أنـتِ مُـعْـتَـلَّـةٌ ... فـي الـوَصْـلِ يـا هِـنْـدُ لِـكَـيْ تَـصْـرِمِـي

الغناء لابن سُرَيج رَمَلٌ بالسَّبَّابة في مَجْرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لبُدَيح لحنٌ قديمٌ. وقيل: إن فيه رَملاً آخر لعَمَّارةَ مولاةِ عبد الله بن جعفر. ومنها:

صوت

[الطويل]

تَصَابَى وما بَعْضُ التَّصَابِي بِطَائِلِ ... وعَـاوَدَ مِـنْ هِـنْـدٍ جَـوًى غـيـرُ زَائِلِ
عَشِيَّةَ قالَتْ: صَدَّعَتْ غَرْبَةُ النَّوَى ... فـمـا مِـنْ تَـلاَقٍ قـد أرَى دونَ قَـابِـلِ(٢)
ومَا أنْسَ مِ الأشياءِ لا أنْسَ مَجْلِساً ... لـنـا مَـرَّةً مـنـهـا بِـقَـرْنِ الـمـنـازِلِ(٣)
بِـنَـخْـلَـةَ بـيـن الـنَّـخْـلَـتَـيْـنِ يَـكُـنُّـنـا ... مِنَ العَيْنِ عندَ العَيْنِ بُرْدُ المَرَاجِلِ(٤)

الغناءُ للغَرِيض ثقيلٌ أوّلُ بالبِنْصر عن عمرو. وفيه للعُمَانيّ خفيفُ ثقيلٍ عن دَنَانِيرَ والهشاميّ. ومنها:

صوت

[الرمل]

لَـجَّ قَـلْـبِـي فـي الـتَّـصَـابِـي ... وازْدَهَـى عَـنِّـي شَـبَـابِـي
ودَعَـانِـي لِـهَـوى هِـنْـدٍ فـؤادٌ غـيـرُ نـابِـي

---

(١) الرّيم: ولد الظّبي. وهضيم الحشا: ضامر البطن. والثنايا: جمع الثَّنِيّة: إحدى الأسنان الأربعة في مقدّم الفم. وعذب الثنايا: طيب ماء الفم.

(٢) غربة النوى: بعدها. ودون قابل: أي قبل العام القابل.

(٣) قرن المنازل: جبل مُطِلّ على عرفات وهو ميقات أهل اليمن. (معجم البلدان ٤: ٣٣٢).

(٤) النخلتان: هما الشامية واليمانية وهما واديان على ليلتين من مكة (معجم البلدان ٥: ٢٧٦). والعين الأول: النظر والثانية عين الماء. والمراجل: ضرب من برود اليمن.

قُلْتُ لَمَّا فَاضَتِ العَيْـ ... ـنَانِ دَمْعاً ذا ٱنْسِكَابِ
إنْ جَفَتْني اليومَ هِنْدٌ ... بَعْدَ وُدٍّ واقترابِ
فَسَبِيلُ النَّاسِ طُرًّا ... لِفَنَاءٍ وذهابِ

الغناء لأهل مكة رَمَلٌ بالوُسْطى.

[قصة عمر مع فاطمة بنت عبد الملك بن مروان وشِعرُه فيها مع عدم التصريح باسمها]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال: حدّثني أبو عليّ الأسَدي - وهو بِشْرُ بن موسى بن صالح - قال: حَدَّثني أبي موسى بنُ صالح عن أبي بكر القُرَشي قال: كان عمر بن أبي ربيعة جالساً بِمِنىً في فناء مِضْرَبِه وغِلْمَانُه حَوْلَه، إذ أقْبَلتِ ٱمرأةٌ بَرْزَةٌ عليها أَثَرُ النّعْمةِ، فَسَلَّمَتْ، فَرَدَّ عليها عمرُ السّلامَ، فقالت له: أنت عمر ابن أبي ربيعة؟ فقال لها: أنا هو، فما حَاجَتُكِ؟ قالت له: حَيَّاكَ اللّهُ وقَرَّبَكَ! هل لكَ في محادثةِ أحسنِ النّاسِ وَجْهاً، وأتَمّهم خَلْقاً، وأكْمَلِهم أدباً، وأشرفِهم حَسَباً؟ قال: ما أَحَبَّ إليّ ذلك! قالت: على شرطٍ. قال: قُولي. قالت: تُمْكِنُني من عَيْنَيْكَ حتى أشُدَّهما وأقودَكَ، حتى إذا تَوَسَّطْتَ الموضعَ الّذي أُريدُ حَلَلْتُ الشَّدَّ، ثم أفعلُ ذلك بك عند إخراجِكَ حتى أنتهي بك إلى مِضْرَبِكَ. قال: شأنَكِ، ففعلتْ ذلك به. قال عمر: فلمّا ٱنتهتْ بي إلى المِضْرَب الذي أرادتْ كشَفَتْ عن وجهي، فإذا أنا بامرأة على كرسي لم أرَ مثلَها قطُّ جمالاً وكمالاً، فسلَّمْتُ وجلستُ. فقالت: أأنت عمر بن أبي ربيعة؟ قلت: أنا عمر. قالت: أنت الفاضح للحرائر؟ قلت: وما ذاكِ جعلني الله فداءك؟ قالت: ألستَ القائل:

صوت

[الكامل]

قالَتْ وعَيْشِ أخي ونِعْمَةِ والدي ... لأُنَبِّهَنَّ الحَيَّ إنْ لَمْ تَخْرُجِ[1]
فَخَرجْتُ خَوْفَ يَمينِها فَتبسَّمَتْ ... فَعَلِمْتُ أنَّ يَمِينَها لم تُحْرَجِ[2]

---

(١) الشطر الأول في الديوان (قالت: وعيشِ أبي وحُرمةِ إخوتي).
(٢) لم تحرج: لم توقعها في الحرج والإثم.

فَتناولَتْ رَأسي لِتَعْرِفَ مَسَّهُ بِمُخَضَّبِ الأطرافِ غيرِ مُشَنَّجِ[١]
فَلَثَمْتُ فَاهَا آخِذاً بِقُرونِها شُرْبَ النَّزِيفِ بِبَرْدِ ماءِ الحَشْرَجِ[٢]

ـ الغناء لمَعْبَدٍ ثقيلٌ أوّلُ بالبِنْصر عن يونُسَ وعمرٍو ـ.

ثم قالَتْ: قُمْ فاخْرُجْ عَنِّي، ثم قامَتْ من مَجلِسِها. وجاءت المرأةُ فَشَدَّتْ عينيَّ، ثم أخرَجَتْني حتى أنتهتْ بي إلى مِضْرَبي، وأنصرفَتْ وتركتني. فَحَلَلْتُ عينيَّ وقد دخلني من الكآبةِ والحزنِ ما اللَّهُ به أعْلَمُ. وبِتُّ ليلتي، فلمّا أصبحتُ إذا أنا بها؛ فقالت: هل لكَ في العَوْدِ؟ فقلتُ: شأنَكِ. ففعلَتْ بي مثلَ فِعْلها بالأمسِ، حتى أنتهَتْ بي إلى الموضعِ. فلمّا دخلتُ إذا بتلك الفتاة على كرسي. فقالت: إيهِ[٣] يا فَضَّاحَ الحَرائرِ! قلتُ: بماذا جعلني الله فداءك؟ قالت: بقولك:

صوت [الطويل]

ونَاهِدَةِ الثَّدْيَيْنِ قُلْتُ لها ٱتَّكِي على الرَّمْلِ مِنْ جَبَّانَةٍ لم تَوَسَّدِ[٤]
فَقَالَتْ على ٱسْمِ اللَّهِ أمْرُكَ طَاعةٌ وإنْ كُنْتُ قد كُلِّفْتُ ما لم أُعَوَّدِ
فلمّا دَنَا الإصباحُ قالَتْ فَضَحْتَني فَقُمْ غيرَ مطرودٍ وإنْ شِئْتَ فَازْدَدِ

الغناء لأهل مكةَ ثقيلٌ أولُ عن الهِشاميّ ـ ثمّ قالَتْ: قُمْ فاخرجْ عنّي. فَقُمْتُ فخرجْتُ ثم رُدِدْتُ. فقالت لي: لولا وَشْكُ الرَّحيلِ، وخوفُ الفَوْت، ومَحَبَّتي لمُنَاجَاتك والاستكثار من مُحادَثَتِكَ، لأقْصيتُكَ، هاتِ الآنَ كَلِّمْني وحَدِّثْني وأنْشِدْني. فَكَلَّمْتُ آدَبَ النَّاسِ وأعْلَمَهُمْ بِكُلِّ شَيء. ثم نَهَضَتْ وأبطأتِ العَجُوزُ وخلا لِيَ البيتُ، فأخَذْتُ أنظرُ، فإذا أنا بِتَوْرٍ[٥] فيه خَلُوق[٦]، فأدخلتُ يَدِي فيه ثم خَبَأْتُها في رُدْنِي[٧]. وجاءَتْ تلكَ العجوزُ فَشَدَّتْ عينيَّ ونَهَضَتْ بي تَقُودُنِي، حتى

(١) بمخضّب الأطراف: أي بمعصم مخضّب الأطراف. وغير مشنّج: غير متقبّض فهو طريّ رَخص.
(٢) القرون: الذّوائب. والنزيف: المنزوف: مَنْ عطش حتى يبست عروقه وجفّ لسانه. والحشرج: النقرة في الجبل يصفو فيها الماء.
(٣) إيهِ: كلمة يُرادُ بها الاستزادة والاستنطاق.
(٤) الجبّانة: الصّحراء.
(٥) التّور: إناء صغير يُشرَب فيه.
(٦) الخَلوق: نوع من الطِّيب أعظم أجزائه من الزّعفران.
(٧) الرُّدن: الكُمّ.

إذا صِرْتُ على باب المِضْرَبِ أخرجْتُ يدي فضَربْتُ بها على المِضْرَبِ، ثم صِرْتُ إلى مِضْرَبِي، فدعوتُ غِلْمَانِي فقلتُ: أَيُّكُمْ يَقِفُنِي على بابِ مِضْرَبٍ عليه خَلُوقٌ كأنّه أَثَرُ كَفٍّ فهو حُرٌّ وله خمسمائة درهم. فلم أَلْبَثْ أن جاءَ بعضُهُمْ فقال: قم. فَنَهضْتُ معه، فإذا أنا بِالكَفِّ طَرِيَّةً، وإذا المِضْرَبُ مِضْرَبُ فاطمة بنتِ عبد الملك بن مروان. فأخذَتْ في أُهْبَةِ الرَّحيل، فلمّا نَفَرَتْ نَفَرْتُ معها، فَبَصُرَتْ في طريقها بقِبَابٍ ومِضْرَبٍ وهيئةٍ جميلةٍ، فسألَتْ عن ذلك، فقيلَ لها: هذا عمرُ بن أبي ربيعة؛ فساءَها أَمْرُهُ وقالَتْ لِلعجوزِ التي كانت تُرسلُها إليه: قولي له نَشَدْتُكَ اللَّهَ والرَّحِمَ أن تَصْحَبَنِي[1] وَيْحَكَ! ما شأنُكَ وما الّذي تريدُ؟ انْصَرِفْ ولا تَفْضَحْنِي وتُشِيطَ بِدَمِكَ[2] فَسَارَتِ العَجُوزُ إليه فَأَدَّتْ إليه ما قالَتْ لها فاطمةُ. فقال: لَسْتُ بمنصرفٍ أو تُوَجِّهَ إِلَيَّ بقميصِها الذي يَلِي جِلْدَها؛ فأخبرَتْها ففعلَتْ ووَجَّهَتْ إليه بقميصٍ من ثيابها؛ فزاده ذلك شَغَفاً. ولم يَزَلْ يَتْبَعُهُمْ لا يُخالِطُهُمْ، حتّى إذا صاروا على أميالٍ من دِمَشْقَ آنصرفَ وقالَ في ذلك: [الكامل]

ضَاقَ الغَدَاةَ بِحَاجَتِي صَدْرِي ... ويَئِسْتُ بعد تَقَارُبِ الأمرِ
وَذَكَرْتُ فَاطِمَةَ الَّتِي عُلِّقْتُها ... عَرَضاً فيا لِحَوَادِثِ الدَّهْرِ[3]

وفي هذه القصيدة مما يُغَنَّى فيه قولُه:

صوت

[الكامل]

مَمْكُورةٌ رَدْعُ العَبِيرِ بها ... جَمُّ العِظَامِ لَطِيفَةُ الخَصْرِ[4]
وكأنَّ فَاهَا عِنْدَ رَقْدَتِها ... تَجْرِي عليه سُلافَةُ الخَمْرِ[5]

الغناء لإبراهيم بن المَهْدِي ثاني ثقيلٍ من جامعه. وفيه لِمُتَيَّم رَمَلٌ من جامعها أيضاً. وتمام الأبيات وليست فيه صَنْعةٌ: [الكامل]

---

(١) أن تصحبني: يريد أن لا تصحبني.

(٢) تشيط بدمك: تهدره وتعرّض نفسك للقتل.

(٣) عُلِّقْتُها: أحببتها حبًّا شديداً.

(٤) ممكورة: مستديرة الساقين. والرَّدْع: أثر الطِّيب في الجسد. وجَمّ العظام: أصلها جَمَّاء العظام: أي إن عظامها ممتلئة باللّحم المكتنز.

(٥) سلافة الخمر: أفضله.

فَسَبَتْ فؤادي إذ عَرَضْتُ لها ... يومَ الرَّحيلِ بساحةِ القَصْرِ
بِمُزَيَّنٍ رَدْعُ العَبِيرِ به ... حَسَنِ التَّرائِبِ واضِحِ النَّحْرِ[١]
وبِجِيدِ آدَمَ شادِنٍ خَرِقٍ ... يَرْعَى الرِّياضَ ببلدةٍ قَفْرِ[٢]
لمّا رأيتُ مَطِيَّها حِزَقاً ... خَفَقَ الفؤادُ وكُنْتُ ذا صَبْرِ[٣]
وتَبادَرَتْ عَيْنايَ بَعْدَهُمُ ... وانْهَلَّ دَمْعُهُما على الصَّدْرِ
ولقد عَصَيْتُ ذَوِي القَرابةِ فيكمُ ... طُرًّا وأهلَ الوُدِّ والصِّهْرِ
حتّى لقدْ قالوا وما كَذَبُوا ... أَجُنِنْتَ أمْ بكَ داخِلُ السِّحْرِ؟[٤]

أخبرنا محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال: حَدَّثني إسحاقُ عن محمد بن أبَان قال: حَدَّثني الوَليدُ بن هِشَام القَحْذَميّ عن أبي مُعَاذٍ القُرَشِيّ قال: لَمَّا قَدِمتْ فاطمَةُ بنتُ عبد الملك بن مَرْوان مكّةَ جَعَلَ عمرُ بن أبي ربيعة يَدُورُ حولَها ويقولُ فيها الشِّعْرَ ولا يَذْكُرُها باسْمِها فَرَقاً[٥] من عبدِ الملك بن مروان ومِنَ الحَجّاج؛ لأنّه كان كتبَ إليه يَتَوَعَّدُهُ إنْ ذكرَها أو عَرَّضَ باسْمِها. فلما قَضَتْ حَجَّها وارْتَحَلَتْ أنشأ يقولُ:

صوت

[الخفيف]

كِدتُ يومَ الرَّحيلِ أقْضِي حَيَاتِي ... لَيتَني مُتُّ قَبْلَ يوم الرَّحيلِ
لا أُطِيقُ الكَلامَ مِنْ شِدَّةِ الخَوْ ... فِ ودَمْعِي يَسِيلُ كُلَّ مَسِيلِ
ذَرَفَتْ عَيْنُها وفاضَتْ دُموعِي ... وكِلانا يَلْقَى بِلُبٍّ أصِيلِ
لو خَلَتْ خُلَّتِي أَصَبْتُ نَوالاً ... أوْ حَدِيثاً يَشْفِي مِنَ التَّنْوِيلِ
ولَظَلَّ الخَلْخالُ فوقَ الحَشَايَا ... مِثْلَ أثْناءِ حَيَّةٍ مَقْتُولِ[٦]
فلقَدْ قالَتِ الحَبِيبَةُ لولاَ ... كَثْرَةُ النَّاسِ جُدْتُ بِالتَّقْبِيلِ

---

(١) بمزيَّن: أي بعنق مزيّن بالحلي. والترائب: جمع التَّريبة: أعلى الصدر.

(٢) في الديوان (وبعين) بدل (وبجيد). والجِيد: العنق. الأدمة: لون مُشْرَب بالبياض. والشّادن: ولد الظّبية. والخَرِق: ولد الغزالة المدهوش المتحيِّر.

(٣) حِزَقاً: جماعات.

(٤) الشطر الأول في الديوان (حتى مقالهم إذ اجتمعوا).

(٥) فَرَقاً: خوفاً.

(٦) الحشايا: جمع الحَشِيّة: الفِراش المحشو. وأثناء: طَيّات.

غَنَّى فيه ٱبنُ مُحْرِزٍ ولحنُه ثقيلٌ أوّلُ من أصواتٍ قليلةِ الأشْباهِ عن إسحاق وفيه لعَبَادِل خفيفُ ثقيلٍ بالبِنْصر عن عمْرو، ويقالُ إنّه لِلهُذَلِيّ. وفيه لِعُبَيْد الله بن أبي غسَّان ثاني ثقيلٍ عن الهشاميّ.

أخبرني محمد بنُ خَلَف بن المَرْزُبان قال: أخبرني أبو عليّ الحسنُ بن الصبَّاح عن محمد بن حبيب أنه أخبره: أنّ عمرَ بن أبي ربيعة قال في فاطمةَ بنتِ عبد الملك بن مَرْوان:

صوت

[المديد]

يا خَلِيلِي شَفَّنِي الذِّكَرُ ... وحُمُولُ الحَيِّ إذ صَدَرُوا[1]

ضَرَبُوا حُمْرَ القِبَابِ لها ... وأُدِيرَتْ حَوْلَها الحُجَرُ

سَلَكُوا شِعْبَ النِّقَابِ بها ... زُمَراً تَحْثُّها زُمَرُ[2]

وطَرَقْتُ الحَيَّ مُكْتَتِماً ... ومَعِي عَضْبٌ به أُثُرُ[3]

وأَخٌ لم أَخْشَ نَبْوَتَهُ ... بِنَوَاحِي أَمْرِهِمْ خَبِرُ[4]

فإذا رِيمٌ على فُرُشٍ ... في حِجَالِ الخَزِّ مُخْتَدِرُ[5]

حَوْلَهُ الأَحْرَاسُ تَرْقُبُهُ ... نُوَّمٌ مِنْ طُولِ ما سَهِرُوا

شَبَهُ القَتْلى وما قُتِلُوا ... ذاكَ إلاّ أَنَّهُمْ سَمَرُوا[6]

فَدَعَتْ بِالوَيْلِ، ثمّ دَعَتْ ... حُرَّةً مِنْ شَأْنِها الخَفَرُ[7]

---

(١) شَفَّهُ الحبّ: أضعفه وأذهب عقله. وفي الديوان (هاجني الذِّكَرُ) بدل (شَفَّني). والحمول: النساء في الهوادج. وصدروا: انصرفوا.

(٢) النِّقاب: موضع من أعمال المدينة يتشعب منه طريقان إلى وادي القرى ووادي المياه (معجم البلدان ٥: ٢٩٧). وتحثّها: تستعجلها.

(٣) العَضْب: السيف القاطع. وأُثُر السيف: فِرِنْدُ السّيفِ ورَونقه والفِرِنْدُ: ما يُرى في السّيف من تَمَوُّجات الضوء. وفي الديوان (سيفٌ) بدل (عضبٌ).

(٤) نبوته: جفوته.

(٥) في الديوان:

فإذا ريمٌ على مُهُدٍ ... في حِجَالِ الخَزِّ مُسْتَتِرُ

والحجال: جمع الحجلة: مثل القبة أو الخدر تزيّن بالثياب والستور.

(٦) في الديوان (أشبهوا).

(٧) في الديوان:

فدعتْ بالويلِ ثم دَعَتْ ... حين أدناني لها النَّظَرُ

ودَعَتْ حوراءَ، آنِسةً ... حُرَّةً، من شأنِها الخَفَرُ

ثُـمَّ قـالَـتْ لِـلَّـتـي مَـعَـهـا: وَيْـحَ نَـفْـسِـي قـد أَتَـى عُـمَـرُ
مَـا لَـه قـد جـاءَ يَـطْـرُقُـنـا ويَـرَى الأَعْـدَاءَ قـد حَـضَـرُوا[1]
لِـشَـقـائِـي كـانَ عُـلِّـقْـنَـا ولِـحَـيْـنِـي سَـاقَـهُ الـقَـدَرُ[2]
قُـلْـتُ عِـرضِـي دُونَ عِـرضِـكُـمُ ولِـمَـنْ نَـاوَاكُـمُ الـحَـجَـرُ[3]

هذا البيت الأخير مما فيه غناء مع:

وطَـرَقْـتُ الـحَـيَّ مُـكْـتَـتِـمـاً

للغَرِيض.

وفي: يـا خَـلِـيـلِـي شَـفَّـنِـي الـذُّكَـرُ

وفي: قُـلْـتُ عِـرْضِـي دونَ عِـرْضِـكُـم

وفي: ثـمَّ قـالَـتْ لِـلَّـتـي مـعـهـا

وفي: مـا لـه قـد جـاءَ يَـطْـرُقُـنـا

ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو.

وفي: ضَـرَبُـوا حُـمْـرَ الـقِـبَـابِ لـهـا

وما بعده أربعةٍ متواليةٍ خفيفُ رملٍ بالوُسْطَى للهُذَلِيّ.

وفي: «وطَرَقْتُ» وبعده: «فإذا ريم» وبعده: «حوله الأحراس» والبيتين اللَّذَيْنِ بعده لابن سُرَيج خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيها بعَيْنِها ثقيلٌ أوّلُ يقال إنه لِلأَبْجَرِ، ويُنْسَبُ إلى غيره عن الهشاميّ.

---

(١) يَطْرُقُ: يأتي ليلاً.

(٢) الحَيْن: الهلاك. وفي الديوان (أُخْتِ) بدل (كان).

(٣) العِرْض: النفس والجسد. وناوأكم: عاداكم. وفي الديوان (عاداكُمُ جَزَرُ) والجزر: كلّ شيء مُباح للذبح.

[شِعْرُهُ في عائشة بنت طلحة]

أخبرني الحَرَمِيُّ بن أبي العَلاَء قال: حَدَّثنا الزُّبَير بن بَكَّار قال: أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز عن رجل من قريش قال: بينا عمرُ بن أبي ربيعة يَطُوفُ بالبيتِ، إذ رأى عائشةَ بنت طَلْحَة بن عبيد الله وكانَتْ من أجملِ أهلِ دَهْرِها، وهي تريدُ الرُّكْنَ تَسْتَلِمُهُ، فَبُهِتَ لَمَّا رآها ورأته، وعَلِمَتْ أنَّها قد وَقَعَتْ في نَفسِهِ، فَبَعَثَتْ إليه بجاريةٍ لها وقالت: قولي له: اتَّقِ اللَّهَ ولا تَقُلْ هُجْراً[١]، فإنّ هذا مَقَامٌ لا بُدَّ فيه مما رأيتَ. فقالَ للجاريةِ: أَقْرِئِيها السَّلامَ وقولي لها: ابنُ عَمِّكِ لا يقولُ إلاّ خَيْراً. وقال فيها:

صوت [الوافر]

لِعَائِشَةَ ٱبْنَةِ التَّيْمِيِّ عِندي ... حِمىً في القَلْبِ ما يُرْعَى حِمَاها
يُذَكِّرُني ٱبْنَةَ التَّيْمِيِّ ظَبْيٌ ... يَرُودُ بِرَوْضَةٍ سَهْلٍ رُبَاها
فَقُلْتُ لهـ وكادَ يُرَاعُ قلبي ـ ... فَلَمْ أَرَ قَطُّ كاليوم ٱشْتِبَاهَا
سِوَى حَمْشٍ بِساقِكَ مُسْتَبِينٍ ... وأَنَّ شَوَاكَ لم يُشْبِهْ شَوَاهَا[٢]
وأنَّكَ عاطِلٌ عَارٍ ولَيْسَتْ ... بِعارِيةٍ ولا عُطُلٍ يَدَاها[٣]
وأنَّكَ غَيْرُ أَفْرَعَ وهي تُذْلِي ... على المَتْنَيْنِ أَسْحَمَ قد كَسَاها[٤]
ولو قَعَدَتْ ولم تَكْلَفْ بِوُدٍّ ... سِوَى ما قد كَلِفْتُ به كَفَاهَا
أَظَلُّ إذا أُكَلِّمُها كَأَنِّي ... أُكَلِّمُ حَيَّةً غَلَبَتْ رُقَاها
تَبِيتُ إِلَيَّ بعدَ النَّومِ تَسْرِي ... وقد أَمْسَيْتُ لا أَخْشَى سُرَاهَا

الغِناءُ في البيتين الأوّلين من هذه الأبيات لأبي فارة ثقيلٌ أوّل. وفيهما لعبد الله بن العبَّاس الرَّبِيعيّ خفيفُ ثقيلٍ جميعاً عن الهشاميّ، وذكر إسحاقُ أنّ هذا الصوتَ مما يُنْسَب إلى مَعْبَد؛ وهو يُشْبِهُ غناءَه إلا أنّه لم يَرْوِه عن ثَبَتٍ[٥] ولم يذكر

---

(١) الهُجْر: القبيح من الكلام.

(٢) الحمش: دِقَّة السّاق. والشّوى: أحد الأطراف.

(٣) العاطل من الرّجال: الخالي من المال أو الأدب. ومن النساء: التي ليس عليها حلي.

(٤) الأفرع: الطويل الفَرْع، والفَرْع: الشَّعْر. والمَتْن: الظّهر والمتنان: جانبا الظهر. والأسحم: الأسود ويريد به الشَّعر.

(٥) الثَّبَت: الراوي الحُجَّة الثِّقَة.

طريقته. قال: وقال فيها أشعاراً كثيرة، فبلغَ ذلك فِتْيَانَ بني تَيْم، أبلغَهم إيَّاه فَتىً منهم وقال لهم: يا بَنِي تَيْم بن مُرَّة، هاللَّهِ لَيَقْذِفَنَّ بنو مَخْزُوم بَنَاتِنا بِالعَظَائِم وتَغْفُلون، فَمَشَى ولدُ أبي بَكر وولدُ طلحةَ بن عُبَيدِ الله إلى عمر بن أبي ربيعة فأعلموه بذلك وأخبروه بما بلغهم. فقال لهم: واللَّهِ لا أَذْكُرُها في شِعرٍ أبداً. ثم قال بعد ذلك فيها ـ وكنى عن اسمِها ـ قصيدته التي أوّلها:

صوت

[البسيط]

يا أُمَّ طَلْحَةَ إنَّ البَيْنَ قَدْ أَفِدا — قَلَّ الثَّوَاءُ لَئِنْ كان الرَّحِيلُ غَدَا[1]

أَمْسَى العِراقيُّ لا يَدْرِي إذا بَرَزَتْ — مَنْ ذا تَطَوّفَ بِالأركانِ أو سَجَدا

ـ الغناء لِمَعْبَد ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو ويونس ـ قال: ولم يَزَلْ عمرُ يَنسُبُ بعائشةَ أيّام الحَجِّ ويطوفُ حولَها ويتعرّضُ لها وهي تكره أن يرى وَجهَها، حتى وافقها وهي ترمي الجِمَارَ سافرةً، فنظرَ إليها فقالَتْ: أَمَا واللَّهِ لقد كُنْتُ لهذا منكَ كارهةً يا فاسق! فقال:

صوت

[الكامل]

إنِّي وأَوّلَ ما كَلِفْتُ بِذِكْرِها — عَجَبٌ، وهل في الحُبِّ من مُتَعَجَّبِ

نُعِتَ النّساءُ فقلتُ: لستُ بِمُبْصِرٍ — شَبَهاً لها أبداً ولا بِمُقَرِّبِ

فَمَكَثْنَ حِيناً ثم قُلْنَ تَوَجَّهَتْ — لِلحَجِّ، مَوعِدُها لِقَاءُ الأَخْشَبِ[2]

أَقْبَلْتُ أنظرُ ما زَعَمْنَ وقُلْنَ لي — والقلبُ بين مُصَدِّقٍ ومُكَذِّبِ

فَلَقِيتُها تَمْشِي تَهَادَى مَوْهِناً — تَرْمِي الجِمَارَ عَشِيَّةً في مَوْكِبِ

غَرَّاءَ يُعْشِي النّاظرين بياضُها — حَوْرَاءَ في غُلَوَاءِ عَيْشٍ مُعْجِبِ[3]

إنَّ الَّتي مِنْ أرضِها وسَمَائِها — جُلِبَتْ لِحَيْنِك لَيْتَها لم تُجْلَبِ[4]

---

(١) البين: الفراق. أفِد: دنا.

(٢) الأخشب: أحد الأخشبين وهما جبلان بمكة أحدهما أبو قبيس والآخر قعيقعان (معجم البلدان ١: ١٢٢).

(٣) في غلواء عيش: في أرغد عيش وأنضره.

(٤) الحَيْن: الهلاك.

الغناء لِمَعْبَدٍ في الأوّل والثّاني والرّابع والسّابع ثقيل أوّلُ بالوسطى عن عمرو وفيها للغَرِيض خفيفُ ثقيلٍ عن الهشاميّ، يُبْدأ فيه بالثّالث.

أخبرني عليّ بن صالح قال: حَدَّثَنا أبو هَفَّانَ عن إسحاقَ قال: أخبرني مُصْعَب الزُّبَيْريّ: أنّ عمر بن أبي ربيعة لَقِيَ عائشةَ بنتَ طَلْحَةَ بِمَكَّةَ وهي تسيرُ على بغلة لها، فقال لها: قِفي حتى أُسْمِعَكِ ما قلتُ فيكِ. قالت: أَوَقَدْ قُلْتَ يا فاسق؟ قال: نَعَمْ! فوقفتْ فأنشدها:

صوت

[البسيط]

يا ربَّةَ البغلةِ الشَّهْباءِ هل لكِ في ... أَن تُنْشِري مَيِّتاً لا تُرْهِقي حَرَجا[1]

- ويروى

.... هل لكُمُ ... في عاشقٍ دَنِفٍ.........

قالتْ: بِدائِكَ مُتْ أو عِشْ تُعَالِجُه ... فما نَرَى لكَ فيما عندنا فَرَجا

قد كنتَ حَمَّلْتَنا غَيْظاً نُعالِجُه ... فإنْ تُقِدْنا فقد عَنَّيْتَنا حِجَجا[2]

حتَّى لَوَ اَسْطِيعُ مِمّا قد فَعَلْتَ بنا ... أَكَلْتُ لَحْمَك من غَيْظٍ وما نَضِجَا

- الغناءُ لابن سُرَيج ثقيل أوّلُ مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاقَ. وفيه لابن سريج ثلاثةُ ألحانٍ ذكرها إسحاقُ ولم يُجَنِّسْ منها إلا واحداً، وذكر الهشاميّ أنّ أحدها خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى، وذكر عمرو أنّ الثّالثَ هَزَجٌ بالوُسْطى. ولإسحاقَ فيها هزج من مجموع صَنْعته - فقالت: لا وَرَبِّ هذه البَنِيَّة[3]! ما عَنَّيْتَنا طَرْفَةَ عينٍ قطُّ. ثم قالت لِبغلتِها: عَدَسْ[4]، وسارتْ، وتمام هذه الأبيات: [البسيط]

فقلتُ لا والّذي حَجَّ الحَجِيجُ له ... ما مَحَّ حُبُّكِ من قلبي ولا نَهِجَا[5]

ولا رأى القلبُ مِنْ شَيءٍ يُسَرُّ به ... مُذْ بَانَ منزلُكُمْ مِنَّا ولا ثَلِجا[6]

---

(١) لا ترهقي حرجاً: لا تُحمّليه أكثر من طاقته.
(٢) القَود: القِصاص. وإن تُقِدْنا: إن تُرِدْ قصاصنا. والحِجَج: جمع الحِجَّة: السَّنة.
(٣) البَنِيّة: الكعبة.
(٤) عدس: كلمة تُزجَر بها البغال.
(٥) مَحَّ ونهج: ضعف.
(٦) ثَلِجَ القلبُ: اطمأنّ.

ضَنَّتْ بِنائِلِها عنه فقد تَرَكَتْ ... في غير ذَنبٍ أبا الخَطَّابِ مُخْتَلِجَا[١]

قال: فلم تَزَلْ عائشةُ تُدَارِيه وتَرْفُقُ به خوفاً من أن يتعرَّضَ لها حتى قَضَتْ حَجَّها وانصرفَتْ إلى المدينة. فقال في ذلك: [الرمل]

إنّ مَنْ تَهْوَى مع الفجرِ ظَعَنْ ... لِلْهَوى والقلبُ مِتْبَاعُ الوَطَنْ
بانَتِ الشَّمْسُ وكانت كُلَّما ... ذُكِرَتْ لِلقلبِ عاوَدْتُ الدَّدَنْ[٢]

صوت [الرمل]

يا أبا الحارثِ قلبي طائرٌ ... فَأْتَمِرْ أَمْرَ رَشِيدٍ مُؤْتَمَنْ
نَظَرَتْ عَيني إليها نظرةً ... تَرَكَتْ قلبي لَدَيْها مُرْتَهَنْ
ليس حُبٌّ فوقَ ما أَحْبَبْتُها ... غيرَ أنْ أَقْتُلَ نفسي أو أُجَنّ

فيها ثاني ثقيلٍ بالوسطى نسبه عمرو بن بانةَ إلى ٱبن سُرَيج، ونسبه ٱبن المكّي إلى الغرِيض، وفيها رمَل لأهل مكة.

ومما يُغَنَّى فيه من أشعاره في عائشة بنتِ طلحةَ قولُه في قصيدته التي أوّلُها:

صوت [الخفيف]

مَنْ لِقَلْبٍ أَمْسَى رَهِيناً مُعنَّى ... مُستكيناً قد شَفَّهُ ما أَجَنَّا[٣]
إِثْرَ شَخْصٍ نفسي فَدَتْ ذاكَ شخصاً ... نازحِ الدَّارِ بالمدينةِ عَنَّا
ليتَ حَظِّي كَطَرْفَةِ العَيْنِ منها ... وكثيرٌ منها القليلُ المُهَنَّا

الغناء لإبراهيمَ خفيفُ ثقيلٍ بالسبابة في مَجْرى البِنْصر عن إسحاقَ.

أخبرني الحَسَن بن عليّ الخفَّاف ومحمد بن خَلَف قالا: حَدَّثنا محمد بن زَكَريّا الغَلابيّ قال: حَدَّثني محمد بن عبد الرّحمن التَّيمِيّ عن هِشَام بن سُلَيمان بن عِكْرمة بن خالد المَخْزُوميّ قال: كان عمر بن أبي ربيعة يهوى

(١) مختلج: مضطرب.
(٢) الدَّدَن: اللهو واللّعِب.
(٣) المُعَنَّى: المكلَّف ما يصعب ويشقّ عليه. وشَفَّه الحب والحزن: أهزله وأسقمه. وما أَجَنَّ: ما أخفى.

كَلْثَمَ بنتَ سعد المَخْزُوميَّةَ فأرسلَ إليها رسولاً فضربَتْها وحَلَقتْها[١] وأَحْلَفَتْها ألاّ تُعاوِدَ؛ ثم أعادَها ثانيةً ففعلَتْ بها مثلَ ذلك، فتحَامَاهَا رُسُلُهُ. فابتاعَ أَمَةً سَوْداءَ لطيفةً رقيقةً وأتى بها منزلَهُ، فأحسنَ إليها وَكسَاها وآنَسَها وعَرَّفَها خَبَرَهُ وقالَ لها: إنْ أَوْصَلْتِ لي رُقْعةً إلى كَلْثَم فقرأتْها فأنتِ حُرَّةٌ ولكِ مَعِيشَتُكِ ما بَقيتِ. فقالت اكتُبْ لي مُكَاتَبَةً[٢] وأكتُبْ حاجَتَكَ في آخرِها. ففعلَ ذلك. فأخذَتْها ومَضَتْ بها إلى بابِ كَلْثَم فاستأذنتْ، فخرجَتْ إليها أَمَةٌ لها فَسَأَلَتْها عن أمرِها؛ فقالت: مُكَاتبةٌ لبعضِ أهلِ مَوْلاتِك جِئْتُ أستعِينُها في مُكَاتَبتِي وحادثتها وناشدَتْها حتى ملأَت قلبَها؛ فدخَلَتْ إلى كَلْثَم وقالَتْ: إنّ بالبابِ مُكاتَبَةً لم أرَ قطُّ أجملَ منها ولا أكملَ ولا آدَبَ. فقالتْ: ائْذَنِي لها، فدخلَتْ فقالتْ: مَنْ كاتَبَكِ؟ قالت: عمرُ بن أبي ربيعة الفاسقُ! فاقرئي مُكَاتَبتِي، فمدَّتْ يَدَها لتأخذَها. فقالت لها: لي عليكِ عَهْدُ اللَّهِ أَنْ تَقْرَئِيها؛ فإنْ كان منكِ إليَّ شيءٌ مما أُحِبُّه وإلاّ لم يَلْحَقْنِي منكِ مكروهٌ، فعاهَدَتْها وفَطِنَتْ وأَعْطَتْها الكتابَ، فإذا أوّلُه: [السريع]

مِنْ عاشقٍ صَبٍّ يُسِرُّ الهوى	قد شَفَّهُ الوَجْدُ إلى كَلْثَمِ
رَأَتْكِ عَيْنِي فدعاني الهوى	إليكِ لِلحَيْنِ ولم أَعْلَمِ
قَتَلْتِنَا يا حَبَّذا أَنْتُمُ،	في غَيرِ ما جُرْمٍ ولا مَأْثَمِ
واللَّهُ قد أَنْزَلَ في وَحْيِهِ	مُبَيِّناً في آيِهِ المُحْكَمِ
مَنْ يَقْتُلِ النَّفْسَ كذا ظالماً	ولم يُقِدْهَا نَفْسَه يَظْلِمِ
وَأَنْتِ ثَأْرِي فَتَلافَيْ دَمِي	ثم اجْعَلِيهِ نِعمةً تُنْعِمِي
وحَكِّمي عَدْلاً يَكُنْ بينَنا	أو أنتِ فيما بينَنا فاحْكُمِي
وجالِسِيني مَجْلِساً واحداً	من غيرِ ما عارٍ ولا مَحْرَمِ[٣]
وَخَبِّرِيني ما الّذي عِندَكم	بِاللَّهِ في قَتْلِ امْرِئٍ مُسْلِمِ

قال: فلمّا قَرَأَتِ الشِّعْرَ قالت لها: إنّه خدّاعٌ مَلِقٌ[٤]، وليس لما شكَاهُ أصلٌ. قالت: يا مولاتي! فما عليكِ من امتحانِه؟ قالت: قد أَذِنْتُ له، وما زالَ حتى ظَفِرَ

(١) حلقتها: ضربتها وأهلكتها.

(٢) المكاتبة: أن يكاتب الرجل عبدَه على مال يؤدّيه فإذا أدّاه صار حُرًّا.

(٣) المحرم: الحرام.

(٤) المَلِق: الذي يتودّد بلسانه ويظهر غير ما في قلبه.

بِبُغَيتِه؛ فقولي له: إذا كان المَسَاءُ فَلْيَجْلِسْ في موضعِ كذا وكذا حتى يأتيَه رسولي. فانصرفَتِ الجاريةُ فأخبرَتْه فتأهَّبَ لها. فلمّا جاءه رسولُها مَضَى معه حتّى دخلَ إليها وقد تَهَيَّأَتْ أجملَ هيئةٍ، وزَيَّنَتْ نفسَها ومَجْلِسَها وجَلَسَتْ له من وراءِ سِتْرٍ، فَسَلَّمَ وجَلَسَ. فتركَتْه حتى سَكَنَ، ثم قَالَتْ له: أخبِرْني عنكَ يا فاسق! أَلَسْتَ القائل:

[الكامل]

هـلاَّ ٱسْتَحيْتِ فَتَرْحَمِي صَبًّا ... صَدْيَانَ لم تَدَعي له قَلْبَا[1]

جَشِمَ الزّيارةَ في مَوَدَّتِكُمْ ... وأرادَ ألاَّ تُرْهِقِي ذَنْبَا[2]

ورَجَا مُصَالَحَةً فكان لكم ... سِلْماً وكُنْتِ تَرَيْنَهُ حَرْبَا

يا أيُّها المُعْطِي مَوَدَّتَهُ ... مَنْ لا يَرَاكَ مُسامِياً خِطْبَا[3]

لا تَجْعَلَنْ أحداً عليكَ إذا ... أحْبَبْتَهُ وهَوِيتَهُ رَبَّا

وَصِلِ الحبيبَ إذا شُغِفْتَ به ... وٱطْوِ الزِّيَارَةَ دُونَهُ غِبَّا[4]

فَلِذَاكَ أحْسَنُ مِنْ مُوَاظَبةٍ ... ليستْ تَزِيدُكَ عندَهُ قُرْبَا

لا بل يَمَلُّكَ عند دَعْوَتِهِ ... فيقولُ هَاهِ وطَالمَا لَبَّى[5]

فقال لها: جُعِلْتُ فِدَاكِ! إنّ القلبَ إذا هَوِيَ نَطقَ اللّسانُ بما يَهوى. فمكَثَ عندها شهراً لا يَدْرِي أَهْلُهُ أينَ هو. ثم ٱستأذَنَها في الخروجِ. فقالَتْ له: بعد أن فَضَحْتَني! لا واللّهِ لا تخرجُ إلا بعد أن تتزوَّجَني. ففعلَ وتزوَّجَها؛ فولدتْ منه ٱبنين أحدهما جُوَانٌ؛ وماتت عنده.

أخبرني حَبِيبُ بنُ نَصْرٍ المهلَّبِيّ قال: حَدَّثنا الزّبيرُ بن بَكَّار قال: حَدَّثني عبد الجبَّار بن سَعِيد قال: حَدَّثني إبراهيمُ بن يعقوبَ بن أبي عبد الله عن أبيه عن جدّه: أنّ عمرَ رأى لُبَابَةَ بنتَ عبد الله بن العباس ٱمرأةَ الوليد بن عُتْبَةَ بنِ أبي سفيان تَطُوف بالبيت، فرأى أَحْسَنَ خَلْقِ اللّهِ، فكادَ عقلُهُ يذهبُ، فسألَ عنها فأُخْبِرَ بنسبِها؛ فنسَبَ بها وقال فيها:

---

(١) في الديوان (ارعويتِ) بدل (استحيتِ) وصديان: عطشان.

(٢) في الديوان: (فأراد أن لا تحقدي ذنباً). وجَشِمَ: أتى الأمر على مشقّة وتعب.

(٣) في الديوان مسامتاً. ومسامتاً: متعمّداً قاصداً. والخِطب: الخطيب.

(٤) غِبّاً: يوماً بعد يوم.

(٥) هاه: كلمة زجر ووعيد مع هاء السّكت وقد حُرّكت للشعر.

صوت

[الكامل]

وَدِّعْ لُبَابَةَ قبلَ أَنْ تترَحَّلا ... وَاسْأَلْ فإنَّ قُلالَهُ أَنْ تَسْأَلاَ[١]

إلبَثْ بِعَمْرِكِ ساعةً وتَأنَّها ... فلعلَّ ما بَخِلَتْ به أن يُبْذَلاَ

قال ائْتَمِرْ ما شِئْتَ غيرَ مُخالِفٍ ... فيما هَوِيتَ فإنّنا لن نَعْجَلاَ[٢]

لَسْنَا نُبَالِي حين تَقْضِي حاجةً ... ما باتَ أو ظَلَّ المَطِيُّ مُعَقَّلا[٣]

حتى إذا ما اللَّيْلُ جَنَّ ظَلامُه ... ورَقَبْتُ غَفْلَةَ كاشِحٍ أَنْ يَمْحُلاَ[٤]

خَرَجَتْ تَأَطَّرُ في الثِّيابِ كأنَّها ... أَيْمٌ يَسِيبُ على كَثِيبٍ أَهْيَلا[٥]

رَحَّبْتُ حينَ رَأَيْتُها فَتَبَسَّمَتْ ... لِتَحيَّتِي لمّا رَأَتْنِي مُقْبِلاَ

وجَلاَ القِنَاعُ سَحَابةً مشهورةً ... غَرَّاءَ تُغْشِي الطَّرْفَ أَنْ يتأمَّلاَ[٦]

فَلَبِثْتُ أَرْقِيها بما لو عَاقِلٌ ... يُرْقَى به ما اسْطَاعَ ألاَّ يَنْزِلاَ

غَنَّى في هذه الأبيات مَعْبدٌ خفيفَ ثقيلٍ مطلقٍ في مَجْرَى الوُسْطَى عن إسحاقَ، ابتداؤه نَشِيدٌ. وفيها لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ بالوُسْطى في مجراها عن إسحاقَ أيضاً. وفيها لابن سُرَيج في الأوّل والرّابع من الأبيات رمَلٌ عن ابن المكيّ، ولأبي دُلَف القاسِمِ بن عيسى في هذين البيتين خَفِيفُ ثقيلٍ بالسّبّابة والبنصر، وابتداؤه نشيدٌ من رواية ابن المكّيّ. وفيه لمحمدِ بنِ الحسنِ بن مُصْعَبٍ هَزَجٌ.

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزْهَر قال: حَدَّثنا حَمَّاد بن إسحاقَ عن أبيه قال: لمَّا حَجَّ الغَمْر بنُ يزيدَ بنِ عبد الملك دخل إليه مَعْبَدٌ فَغَنَّاه:

وَدِّعْ لبابةَ قبلَ أن تترحَّلا

فلم يَزَل يُردِّدُهُ عليه، ثم أخرجَهُ معه لمَّا رَحَلَ عن المدينة، فَغَنَّاه في المنزل به حتى أراد الرَّحيلَ فحملَه على بغلةٍ له وذهَب غلامٌ له يَتْبَعُه؛ فقال: إلى أين؟ فقال:

---

(١) القُلال: القليل، وفي الديوان (القليل).

(٢) في الديوان غير (مُنازع).

(٣) عقل البعير: ربط بالعقَال ليبقى باركاً.

(٤) جَنّ ظلامه: اشتدّ. ويَمْحُل: يختلق الكذب.

(٥) تأطَّرُ: تتأطر: تتثنى. والأيم: الحيّة. والكثيب: الرمل المحدودب. والأهيل: المنهال رملُه.

(٦) جلا: كشف.

أَمْضِي معه حتى أجيءَ بالبغلةِ. فقال: هيهات! ارجِعْ يا بُنيَّ ذهبتْ والله لُبَابةُ ببغلةِ مولاك. وقد رُوِيَ هذا الخبرُ لغير الغَمْر بن يزيد.

[نسب الثريا بنت علي]

وهذه الأبيات التي فيها الغناء المختار وهو:

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرْيَ لمّا جَهَدْتُه

يقولها عمرُ بن أبي ربيعة في الثُّريّا بنتِ عليّ بن عبد الله بن الحارث بن أُمَيَّة الأصغرِ بن عبد شمس بن عبد مَنَاف، وهم الذينَ يُقالُ لهم العَبَلاتُ، سُمُّوا بذلك لِجَدَّةٍ لهم يُقال لها عَبْلَةُ بنتُ عُبَيد بن خالد بن خازِل بن قَيْس بن مالِك بن حَنْظَلَة بن مالك بن زَيْد مَنَاة بن تَمِيم، وهي من بطنٍ من تَمِيم يقال لهم البَرَاجِم؛ غيرُ بَرَاجِمِ بني أسد.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ قال: حَدَّثنا عُمَرُ بن شَبَّة قال:

كانت عبلةُ بنتُ عُبَيد بن خالد بن خازِل بن قَيْس بن حَنْظلة. عند رجلٍ من بني جُشم بن معاويةَ، فبعَثَها بأنْحاءِ سَمْنٍ تبيعها له بعُكَاظ، فباعَتِ السَّمْنَ وراحلتين كان عليهما، وشربَتْ بثمنِها الخمرَ. فلما نَفِدَ ثَمَنُهَا رَهَنَتِ ٱبنَ أخيه وهَرَبَتْ فَطَلَّقَها، وقالت في شُرْبِها الخمر: [المتقارب]

شَرِبْتُ بِرَاحِلَتَيْ مِحْجَنٍ ... فيَا وَيْلَتِي مِحْجَنٌ قاتِلي
وبِابْنِ أخيه على لَذَّةٍ ... ولم أحْتَفِلْ عَذَلَ العَاذِلِ

قال: فتزوَّجَها عبدُ شمس بن عبد مناف؛ فولدَتْ له أميّة الأصغر وعبد أُمَيّة ونَوْفَلاً، وهم العَبَلاتُ.

وقد ذَكَر الزُّبَير بن بَكَّار عن عمّه: أنّ الثُّريّا بنتُ عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن الحارث بن أُميّة الأصغر، وأنها أختُ محمد بن عبد الله المعروف بأبي جِرَابٍ العَبْليّ الذي قتله داودُ بن عليٍّ، وهو الذي يقول فيه ٱبن زِيَادٍ المَكِّيُّ. [الوافر]

ثلاثُ حَوَائجٍ ولَهُنَّ جِئْنا ... فَقُمْ فيهنَّ يابْنَ أَبي جِرَابِ
فَإِنّكَ ماجِدٌ في بيتِ مَجْدٍ ... بَقِيَّةُ مَعْشَرٍ تحتَ التُّرابِ

قال: وله يقول ٱبنُ زِيَادٍ المكّيّ أيضاً: [الطويل]

إذا مُتَّ لم تُوصَلْ بِعُرْفٍ قرابةٌ ولم يَبْقَ في الدّنيا رَجَاءٌ لسَائِلِ

قال الزبير: وهذا أشبهُ من أن تكون بنتَ عبد الله بن الحارث، وعبدُ الله إنما أدرك سُلطانَ معاويةَ وهو شيخ كبير، وورث بقُعْدُدِه[1] في النَّسَبِ دارَ عبدِ شمس بن عبد مناف، وحَجَّ معاويةُ في خِلافتِه، فجعَلَ ينظرُ إلى الدَّارِ، فخرَجَ إليه عبدُ الله بن الحارث بِمِحجَنٍ[2] لِيضربَهُ به وقال: لا أَشْبَعَ اللَّهُ بطنَكَ! أمَا تكْفِيكَ الخلافةُ حتى تَطْلُب هذه الدّار! فخرجَ معاويةُ يضحَكُ.

قال مؤلف هذا الكتاب: وهذا غلطٌ من الزُّبَيْرِ عندي، والثُّريّا أن تكون بنت عبدِ الله بن الحارثِ أَشْبَهُ من أن تكون أُختَ الذي قَتَله داودُ بنُ عليّ؛ لأنها رَبَّتِ الغَرِيضَ المُغَنِّي، وعَلَّمَتْهُ النَّوْحَ بالمَراثِي على مَنْ قَتَلَهُ يزيدُ بن معاويةَ من أهلِها يومَ الحرَّة. وإذا كانت قد ربَّتِ الغريضَ حتى كَبِر وتَعلَّم النَّوحَ على قَتْلى الحرّة وهو رجل ـ وهي وَقْعةٌ كانت بعقب موتِ معاوية ـ فقد كانت في حياة معاوية امرأةً كبيرةً، وبينَ ذلك وبينَ مَنْ قتله داودُ بن عليّ من بني أُميّة نحوُ ثمانين سنةً، وقد شَبَّبَ بها عمرُ بن أبي ربيعةَ في حياة معاويةَ، وأنشدَ عبد الله بن عباس شِعرَه فيها، فكيف تكون أُختَ الذي قَتله داودُ بن عليّ وقد أدركَتْ عبدَ الله بنَ عباس وهي آمرأةٌ كبيرةٌ! وقد آعترفَ الزُّبَيْرُ أيضاً في خبره بأن عبدَ الله بنَ الحارث أدركَ خلافةَ معاويةَ وهو شيخٌ كبيرٌ؛ فقَوْلُ مَنْ قالَ: إنها بِنتُهُ، أَصْوَبُ مِنْ قَوْلِ مَن قَرَنَها بمن قَتَلَهُ داودُ ابن عليّ. وهذا القولُ الذي قلتُهُ قولُ آبن الكلبيّ[3]، وأبي اليَقْظَان، أخبرني به الحَسَنُ بن عَلِيٍّ عن أحمدَ بنِ الحارث عن المَدَائنيّ عن أبي اليقظان، قال: وحدّثني به جماعةٌ من أهل العلم بنَسَبِ قُرَيش.

[قصة وقصيدة]

أخبرني الحَرَمِيّ بن أبي العَلاَء قال: حَدَّثنا الزُّبَير بن بَكَّار قال: حَدَّثني مَسْلَمَةُ ابنُ إبراهيمَ بن هِشَام المَخْزُوميّ عن أيُّوبَ بن مَسْلَمة أنه أخبره أنّ عمرَ بن أبي ربيعةَ

(١) القُعدد: القرابة.

(٢) المحجن: عصا منحنية الرأس كالصّولجان.

(٣) ابن الكلبي: هشام بن محمد أبو النضر بن السّائب الكلبي، مؤرّخ وعالم بالأنساب وأخبار العرب وأيامها (ت ٢٠٤ هـ/ ٨١٩ م) ترجمته في: وفيات الأعيان ٢: ١٩٥، ونزهة الألباب ١١٦، ولسان الميزان ٦: ١٩٦، وتاريخ بغداد ١٤: ٤٥.

كان مُشْهَباً[١] بالثُّرَيَّا بنت عليّ بن عبد الله بن الحارث بن أميّةَ الأصغرِ، وكانت عُرْضَةً[٢] ذلك جَمَالاً وتَمَاماً وكانت تَصِيفُ بالطَّائِف، وكان عمرُ يَغْدُو عليها كلَّ غَداةٍ إذا كانت بالطّائِفِ على فَرَسِهِ، فيسألُ الرُّكبانَ الذين يَحْمِلون الفاكهةَ من الطّائف عن الأخبار قِبَلَهُمْ، فَلَقِيَ يوماً بعضَهم فسأله عن أخبارِهم، فقال: ما آستَطْرَفْنا[٣] خبراً، إلا أنَّني سَمِعْتُ عندَ رحِيلنا صوتاً وصِيَاحاً عالياً على آمرأة من قُرَيش آسمُها آسمُ نَجْمٍ في السّماءِ وقد سَقَطَ عنّي آسْمُهُ. فقال عُمَرُ: الثُّرَيّا؟ قال: نعم. وقد كان بلغَ عمرَ قبلَ ذلك أنها عَلِيلةٌ، فَوَجَّهَ فرسَهُ على وَجْهِهِ إلى الطَّائفِ يَرْكُضُه مِلْءَ فُرُوجِهِ[٤] وسَلَكَ طريقَ كَدَاء[٥] ـ وهي أَخْشَنُ الطُّرُقِ وأقربُها ـ حتى آنتهى إلى الثُّرَيّا وقد تَوَقَّعَتْهُ وهي تَتَشوَّفُ[٦] له وتُشْرِفُ، فوجَدَها سليمةً عَميمةً[٧] ومعها أُختاها رُضَيَّا وأُمُّ عثمانَ. فأخبرها الخَبَرَ؛ فَضَحِكَتْ وقالت: أنا والله أَمَرْتُهم لأَخْتَبِرَ ما لي عندكَ، فقال عمر في ذلك هذا الشّعرَ: [الطويل]

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرْيَ لمّا جَهَدْتُهُ ... وَبيَّنَ لو يَسْطِيعُ أنْ يَتَكَلَّما[٨]

فَقُلْتُ له إنْ أَلْقَ لِلعَيْنِ قُرَّةً ... فَهَانَ عَلَيَّ أنْ تَكِلَّ وَتَسْأَمَا[٩]

لذلك أُدْنِي دونَ خَيْلِي رِبَاطَهُ ... وأُوصِي به أَلاَّ يُهَانَ ويُكْرَمَا

عَدِمْتُ إذاً وَفْرِي وفارَقْتُ مُهْجَتِي ... لَئِنْ لم أَقِلْ قَرْناً إنِ اللَّهُ سَلَّما[١٠]

قال مَسْلَمَةُ بن إبراهيمَ: قلتُ لأيُّوبَ بنِ مَسْلَمَةَ: أكانتِ الثريّا كما يَصِفُ عمرُ ابن أبي ربيعة؟ فقال: وفوقَ الصِّفَةِ، كانت واللَّهِ كما قال عبدُ الله بن قَيْسٍ:

[الخفيف]

حَبَّذَا الحَجُّ والثُّرَيَّا ومَنْ بَالـ ... ـخَيْفِ مِنْ أَجْلِهَا ومُلْقَى الرِّحَالِ

---

(١) المُشْهَب: من أسقمه الحب وأذهب عقله. والمُشْهَب: الذي لا تنتهي نفسه عن شيء.
(٢) عُرْضة لذلك: أي قويَّة وأهلٌ لأن يُشغَف بها ويحبّها.
(٣) ما استطرفنا: ليس عندنا خبر جديد.
(٤) الفروج: ما بين قوائم الفرس، وملء فروجه: كأنّ العدو ملأ قوائمه وسَدَّها.
(٥) كداء: جبل بأعلى مكة عند المحصّب، دار إليه النبيّ ﷺ من ذي طوًى (معجم البلدان ٤: ٤٣٩).
(٦) تتشوّف: تظهر.
(٧) عميمة: طويلة تامّة القوام والخَلْق.
(٨) الكميت: الفرس الأحمر الضارب إلى السّواد.
(٩) قرّة العين: ما يُسَرُّ به الإنسان ويطمئن.
(١٠) وفري: مالي. وأَقِلْ: من القيلولة. والقرن: قرن المنازل.

يا سليمانُ إنْ تُلاقِ الثّريّا تَلْقَ عَيْشَ الخُلُودِ قَبْلَ الهِلاَلِ[١]
دُرَّةٌ من عَقَائِلِ البحرِ بِكْرٌ لم تَشِنْها مَثَاقِبُ اللأَّلِ[٢]
تَعْقِدُ المِئْزَرَ السُّخَامَ من الخَـ ـزِّ على حَقْوِ بَادنٍ مِكْسَالِ[٣]

[شعره في رملة الخزاعية وهجر الثريا له عندما بلغها الشعر]

قال إسحاق في خبره عَمَّن أسْنَد إليه أخبارَ عمرَ بنِ أبي ربيعةَ وذكر مثله الزُّبَيرُ ابن بَكَّار فيما حدَّثنا به عنه الحَرَمِيّ بنُ أبي العَلاَء قال: حَدَّثني مؤمن بنُ عمرَ بن أَفْلَح مَوْلَى فاطمةَ بنتِ الوَلِيدِ بن عبد شمس بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخْزُوم قال: حَدَّثني بِلالٌ مَوْلَى ابن أبي عَتِيق: أنَّ الحارثَ بنَ عبد الله بن عَيَّاش بن أبي ربيعة قَدِمَ لِلحجِّ، فأتاه ابنُ أبي عَتيق فسلَّمَ عليه وأنا معه. فَلمَّا قَضَى سَلامَه ومُسَاءلَته عن حَجِّه وسَفَرِه، قال له: كيف تركْتَ أبا الخطَّاب عمرَ بن أبي ربيعة؟ قال: تركْتُهُ في بُلَهْنِيةٍ[٤] من العَيْشِ. قال: وأنَّى ذلك؟ قال: حَجَّتْ رَمْلَةُ بنتُ عبد الله بن خَلَفٍ الخُزَاعِيَّةُ فقال فيها:

صوت

[الخفيف]

أَصْبَحَ القَلْبُ في الحِبَالِ رَهِينَا مُقْصَداً يومَ فارَقَ الظَّاعِنينَا[٥]
قلتُ: مَنْ أنتُمُ فَصَدَّتْ؟ وقالَتْ: أَمُبِدٌّ سؤالَك العَالَمِينَا[٦]
نحن من سَاكِنِي العِرَاقِ وكُنَّا قَبْلَهُ قاطِنِينَ مَكَّةَ حِينَا
قد صَدَقْنَاك إذْ سَأَلْتَ فَمَنْ أنـ ـتَ عسى أنْ يَجُرَّ شَأْنٌ شُؤونا
ونَرَى أنَّنا عَرَفْنَاكَ بِالنَّعْـ ـتِ بِظَنٍّ وما قَتَلْنَا يَقِينَا[٧]

---

(١) الهلال: ربما يريد الدفعة من المطر فيكون المعنى: إن تَلْقَ الثّريا ينعم بالك ويخصب عيشك قبل أوان الخصب. أو أتى بلفظ الهلال للتناسب بينه وبين الثريا.
(٢) اللأآل: ثاقب اللّؤلؤ أو بائعه.
(٣) السّخام: اللّيّن أو الأسود. والخزّ: الحرير. والحَقْو: الخصر. وبادن: سمين.
(٤) بلهنية العيش: سعة العيش وبحبوحته.
(٥) المُقْصَد: من يمرض ثم يموت سريعاً. والظاعنين: الراحلين.
(٦) أَمُبِدٌّ: أمقسِّمٌ سؤالك على الناس جميعاً؟.
(٧) ما قتلنا يقيناً: لم نتأكّد.

بِسَوَادِ الثَّنِيَّتَيْنِ ونَعْتٍ قد نَراه لِناظرٍ مُشْتَبِينَا[1]

ـ غَنَّى مَعْبَدٌ في البيتين الأوّلين خَفِيفَ ثَقِيلٍ أوّلَ بالوُسْطى في مَجْراها عن إسحاقَ. وغَنَّى في الثّاني وما بعده ٱبنُ سُرَيج خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالسَّبَّابة في مَجْرَى البِنْصر عنه أيضاً، وذَكَر حَبَشٌ أنّ فيه للغَرِيض أيضاً لحناً من الثقيل الأوّل بالبِنْصرِ.

قال: فبلغَ ذلك الثُّرَيَّا بَلَّغَتْها إيَّاه أُمُّ نَوْفَلٍ، وكانت غَضْبَى عليه، وقد كان ٱنتشرَ خبرُه عن الثّريّا حتى بلغَها من جهةِ أُمِّ نَوْفلٍ وأنشدتْها قولَه: [الخفيف]

أَصْبَحَ القَلْبُ في الحِبَالِ رَهِينَا مُقْصَداً يومَ فارقَ الظَّاعِنِينَا

فقالت: إنه لوقَاحٌ[2] صَنَعٌ[3] بلسانِه، ولَئِنْ سَلِمْتُ له لَأَرُدَّنَّ من شأوِه[4]، ولأَثْنِيَنَّ من عِنَانِه، ولأُعَرِّفَنَّهُ نَفْسَهُ، فلمَّا بَلَغَتْ إلى قوله:

قُلْتُ مَنْ أَنْتُمُ فَصَدَّتْ وقالَتْ أَمُبِدٌّ سُؤالَكَ العَالَمِينا

فقالت: إنه لَسَآلٌ مُلِحٌّ قُبْحاً له! ولقد أجابَتْه إن وَفَتْ. فلمّا بَلَغَتْ إلى قوله:

[الخفيف]

نحن من ساكِنِي العراقِ وكُنَّا قَبْلَهُ قاطنينَ مَكَّةَ حِينا

قالت: غَمَزَتْهُ الجَهْمةُ[5]. فلمّا بَلَغَتْ إلى قوله:

قد صَدَقْنَاكَ إذ سَأَلْتَ فَمَنْ أنـ ـتَ عسى أن يَجُرَّ شَأْنٌ شُؤونا

قالت: رَمَتْه الوَرهاءُ[6] بآخرِ ما عندَها في مَقامٍ واحدٍ. وهَجَرَتْ عمرَ.

أخبرني الحَرَمِيّ بن أبي العَلاَء قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ بن بَكَّار قال: حَدَّثني عَمِّي مُصْعَب: أنَّ رَمْلَة بنتَ عبدِ الله بن خَلَف حَجَّتْ، فَتَعَرَّضَ لها عمرُ بن أبي ربيعة فقال فيها:

---

(١) الثنيتان: مثنى الثّنيّة: ما يظهر من أسنان المرء عند الابتسام، وسواد الثنيتين: علامة فارقة عند عمر ابن أبي ربيعة بعد أن لطمته الثريا على فمه.

(٢) وقاح: قليل الحياء وجريء على فعل القبائح.

(٣) صَنَع اللّسان: ذلق اللسان فصيح.

(٤) الشّأو: الزمام.

(٥) الجهمة: الضعيفة العاجزة، أي إنها استلانت له وضعفت.

(٦) الورهاء: الخرقاء.

أصبحَ القَلْبُ في الحبالِ رَهينا ... مُقْصَداً يومَ فارقَ الظَّاعنينا

وقال في هذه القصيدة:

فرأتْ حِرْصِي الفتاةُ فقالتْ ... خَبِّرِيهِ مِنْ أجْلِ مَنْ تَكْتُمِينا[1]؟
نحنُ من ساكِني العراقِ وكُنَّا ... قَبْلَهُ قاطنينَ مَكَّةَ حِينا
قد صَدَقْنَاكَ إذْ سَأَلْتَ فَمَنْ أنـ ... ـتَ عَسَى أن يَجُرَّ شَأْنٌ شؤونا

قال الزُّبير: ورَمْلَةُ هذه أُمُّ طَلْحَةَ بنِ عمرَ بنِ عُبَيد الله بن مَعْمَرِ التَّيْميّ، وهي أُختُ طَلْحَةَ الطَّلَحاتِ بن عبدِ الله بن خَلَفٍ الخُزَاعِيّ.

[كُثَيِّر يغضب إثر سماعه شعر عمر في رملة]

قال: فبلَغَتْ هذه الأبياتُ كُثَيِّراً، فَغَضِبَ لذلك وقال: وأنا واللّهِ لا أتَمَارى[2] أَنْ سَيَجُرُّ شأنٌ شؤوناً. ثم ذَكَرَ نِسْوَةً من قُرَيْشٍ فساقهنَّ في شِعْرِهِ من الحجّ حتى بلغَ بهنّ إلى مَللٍ[3]، ثم أشفَقَ فجازَ[4]، ولم يَزِدْ على ذلك، وهو قولُه في قصيدته التي أوّلها: [الخفيف]

ما عَنَاكَ الغَدَاةَ مِنْ أطْلالِ ... دَارِسَاتِ المُقَامِ مُذْ أحْوالِ

صوت [الخفيف]

قُمْ تَأَمَّلْ فأنتَ أَبْصَرُ مِنِّي ... هل تَرَى بِالغَمِيمِ مِنْ أجْمَالِ[5]
قاضياتٍ لُبَانَةً مِنْ مُناخٍ ... وطَوَافٍ ومَوْقِفٍ بالجِبَالِ[6]
قِلْنَ عُسْفَانَ ثمّ رُحْنَ سِراعاً ... هابطاتٍ عَشِيَّةً من غَزَالِ[7]

---

(١) هذا البيت غير موجود في الديوان.
(٢) لا أتمارى: لا أشكّ.
(٣) ملل: موضع على طريق المدينة إلى مكّة (معجم البلدان ٥: ١٩٤).
(٤) جاز: مَرَّ تاركاً التعرّض لهنّ.
(٥) الغميم: موضع قرب المدينة (معجم البلدان ٤: ٢١٤).
(٦) اللُّبانة: الحاجة.
(٧) قِلْن: من القيلولة. وعُسْفان: موضع على مرحلتين من مكة في طريق المدينة والجحفة (معجم البلدان ٤: ١٢١) وغزال: أحد الأودية الثلاثة بين ثنية هرش وبين الجحفة. (معجم البلدان ٤: ٢٠١).

واردات الكَدِيدِ مُجْتَرِعَاتٍ جُزْنَ وَادي الحَجُونِ بالأثقالِ(١)
قَصْدَ لِفْتٍ وهُنَّ مُتَّسِقَاتٌ كالعَدَوْلِيِّ لاحِقَاتِ التَّوَالِي(٢)
طالعاتِ الغَمِيس من عَبُّودٍ سالكاتِ الخَوِيِّ من أَمْلالِ(٣)
فسقى اللَّهُ مُنْتَوى أُمِّ عَمْرٍو حيثُ أَمَّتْ بها صُدُورُ الرِّحالِ(٤)
حَبَّذَا هُنَّ مِنْ لُبَانَةِ قَلْبِي وجَدِيدُ الشَّبابِ من سِرْبَالِي(٥)
رُبَّ يوم أَتَيْتُهُنَّ جَميعاً عندَ بَيْضاءَ رَخْصَةٍ مِكْسَالِ(٦)
غَيرَ أَنِّي ٱمْرُؤٌ تَعَمَّمْتُ حِلْماً يَكْرَهُ الجَهْلَ والصِّبَا أمثالي(٧)

غَنَّى ٱبنُ سُرَيج في الثّلاثة الأبياتِ الأُوَل خَفِيفَ ثقيلٍ بالوُسْطَى عن عمرو ويونُس. وذكر الهشاميّ أنّ فيها لِلحَجَبِيّ رَمَلاً بالبِنْصَر.

قالوا: فلمّا هجرت الثُّرَيّا عمرَ قال في ذلك: [الخفيف]

مَنْ رَسُولِي إلى الثُّرَيَّا فإنِّي ضِقْتُ ذَرْعاً بِهَجْرِها والكتابِ(٨)

فبلغَ ابنَ أبي عَتِيقٍ قولُه، فمضَى حتى أصلحَ بينهما. وهذه الأبيات تُذْكَرُ مع ما فيها من الغناء ومع خبر إصلاح ٱبنِ أبي عتِيقٍ بينهما بعد ٱنقضاء خبر رَمْلَةَ التي ذكرها عمرُ في شعره.

قال مُصْعَب بن عبد الله في خبره: وكانت رَمْلَةُ جَهْمَة الوجهِ، عظيمةَ الأنفِ، حسنةَ الجسمِ، وتَزَوَّجها عمرُ بن عُبَيد الله بن مَعْمَر، وتزوَّجَ عائشةَ بنتَ طَلْحَة بن عُبَيد الله وجَمَعَ بينهما، فقال يوماً لِعَائشةَ: فعلتُ في مُحَارَبَةِ الخَوَارج مع أبي

(١) الكَدِيد: موضع بالحجاز (معجم البلدان ٤: ٤٢). ومجترعات: من اجترع الماء: ابتلعه. والحَجُون: جبل بأعلى مكّة عنده مدافن أهلها (معجم البلدان ٢: ٢٢٥).
(٢) لِفْت: وادٍ بالحجاز بين مكة والمدينة (معجم البلدان ٥: ٢٠). والعَدَوْلِيّ: جمع العدولية. السفينة المنسوبة إلى عَدولَى وعَدَوْلَى: قرية بالبحرين تنسب إليها السّفن (معجم البلدان ٤: ٩٠).
(٣) الغَمِيس: موضع مَرَّ به النبيﷺ يوم بدر (معجم البلدان ٤: ٢١٤). وعَبُّود: جبل بين السّيالة ومَلَل له ذكْرٌ في (المغازي ٤: ٨٠)، والخَوِيّ: وادٍ بناحية الحمى (معجم البلدان ٢: ٤٠٩). وأملال: منزل على طريق المدينة من مكّة (معجم البلدان ١: ٢٥٥).
(٤) المنتوى: المكان الذي يتوون الذهاب إليه. وصدور الرحال: طلائعها.
(٥) اللُّبانة: الحاجة. والسّربال: القميص أو الثوب الذي يُلبَس.
(٦) رخْصة: ناعمة البشرة رقيقتها.
(٧) تعمّمت حلماً: تعقّلتُ. والجهل والصّبا: طيش الشباب وجهله.
(٨) والكتاب: تحمل معنى القسم أو يريد أنه ضاق ذرعاً بهجرها وبمكاتبتها.

فُدَيْكٍ[١] كذا، وصَنَعْتُ كذا، يذكرُ لها شجاعتَهُ، وإقدامَهُ، فقالَتْ له عائشةُ: أنا أعلمُ أنَّكَ أشجعُ النَّاسِ، وأعرفُ لكَ يوماً هو أعظمُ من هذا اليوم الذي ذكرتَهُ. قال: وما هو؟ قالت: يومَ ٱجْتَلَيْتَ رَمْلَةَ وأقدمْتَ على وَجْهِهَا وأنْفِها.

قال مُصْعَب وحَدَّثني يعقوبُ بن إسحاقَ قال: لمّا بلغَ الثُّريَّا قولُ عمر بن أبي ربيعة في رملة: [الخفيف]

وجَـلاَ بُـرْدُهـا وقـد حَـسَـرتْـهُ نُـورَ بَـدْرٍ يُـضِـيءُ لِـلـنـاظِـريـنَـا[٢]

قالت: أُفٍّ له ما أكْذَبَهُ! أَوَ ترتفعُ حَسْنَاءُ بصفتِهِ لها بعدَ رملَةَ!

[زواج عمر من المرأة الجمحيّة]

وذكَر ٱبنُ أبي حَسَّان عن الرِّيَاشِيِّ عن العبَّاس بنِ بَكَّارٍ عن ٱبن دَأْب: أن هذا الشّعر قاله عمرُ في ٱمرأةٍ من بَنِي جُمَحَ كان أبوها من أهلِ مكَّةَ، فَوُلِدَتْ له جاريةٌ لم يُولَدْ مِثْلُها بالحجازِ حُسْناً. فقال أبوها: كأنّي بها وقد كَبِرَتْ، فَشَبَّبَ بها عمرُ بن أبي ربيعة وفَضَحها ونَوَّهَ باسمِها كما فعلَ بنساءِ قريش، واللَّهِ لا أقَمْتُ بمكّةَ. فباعَ ضَيْعَةً له بالطّائف ومكّةَ ورحَلَ بابنتِهِ إلى البصرةِ، فأقامَ بها وٱبتاعَ هناك ضيعةً، ونشأت ٱبنتُه من أجملِ نساءِ زمانِها. وماتَ أبوها فلم تَرَ أحداً من بني جُمَحَ حضرَ جَنَازَته، ولا وَجَدَتْ لها مُسْعِداً[٣] ولا عليها دَاخِلاً. فقالَتْ لِدايةٍ لها سوداءَ: مَنْ نحنُ؟ ومِنْ أيِّ البلادِ نحن؟ فَخَبَّرتْها. فقالت: لا جَرَمَ واللَّهِ لا أقَمْتُ في هذا البلد الذي أنا فيه غريبةٌ! فباعَتِ الضَّيعةَ والدّارَ، وخرجَتْ في أيام الحجِّ. وكان عمرُ يَقْدَمُ فَيَعْتَمِرُ في ذي القَعْدة ويُحِلُّ[٤]، ويَلْبَسُ تلك الحُلَلَ والوَشْيَ، ويَرْكَبُ النَّجائِبَ المَخْضُوبَةَ بِالحنَّاءِ عليها القُطُوعُ والدِّيبَاجُ[٥]، ويُسْبِلُ لِمَّتَهُ[٦]، ويَلْقَى العِرَاقِيَّاتِ فيما

(١) أبو فُدَيْك: عبد الله بن ثور بن قيس... رأس من رؤوس الخوارج، وَجّهَ عبدُ الملك عمر بن عبيد الله لقتاله فقتله وانصرف عمر بن عبيد الله عائداً إلى البصرة. (ت ٧٣ هـ/ ٦٩٢ م) ترجمته في: خزانة البغدادي ٢: ٩٧.

(٢) اجتلى العروس: نظر إليها مجلوّة ليلة عرسها.

(٣) المُسْعِد: التي تساعد المرأةَ في النّواح على فقيدها.

(٤) يُحِلّ: يخرج من إحرامه في العمرة.

(٥) القطوع: جمع القِطْع: الطنفسة يجعلها الرّاكب تحته وتغطّي كتفي البعير. والدِّيباج: ثوب من الحرير.

(٦) اللِّمَّة: شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن.

بينه وبين ذاتِ عِرْقٍ[١] مُحْرِمَاتٍ، ويتلقى المَدَنِيَّات إلى مَرٍّ[٢]، ويتلقَّى الشَّامِياتِ إلى الكدِيدِ[٣]. فخرَج يوماً لِلعراقيّاتِ فإذا قُبَّةٌ مَكْشوفةٌ فيها جاريةٌ كأنّها القَمَرُ، تُعَادِلُها[٤] جارية سوداء كالسُّبْجَة[٥]. فقال للسّوداء: مَنْ أنت؟ ومن أين أنت يا خالة؟ فقالت: لقد أطالَ الله تَعَبَكَ، إن كنتَ تسألُ هذا العالَمَ مَنْ هُمْ ومن أين هم. قال: فأخبريني عسى أن يكونَ لذلك شأنٌ. قالَتْ: نحن من أهلِ العراق؛ فأمّا الأصلُ والمَنْشأ فمكّة، وقد رَجَعْنا إلى الأصلِ ورَحَلنَا إلى بلدِنا؛ فَضَحِكَ، فلما نَظَرَتْ إلى سوادِ ثَنِيَّتَيْهِ قالت: قد عَرفناك. قال: ومن أنا؟ قالت: عمرُ بن أبي ربيعة. قال: وبِمَ عرفتِني؟ قالت: بسوادِ ثَنِيَّتَيْكَ وبِهيئتِكَ التي ليستْ إلاّ لقريشٍ، فأنشأ يقول: [الخفيف]

قُلْتُ مَنْ أَنْتُمْ فَصَدَّتْ وقالَتْ ... أَمُبِدٌّ سؤالَكَ العالَمينا

وذكر الأبيات. فلم يَزَلْ عمر بها حتى تزوّجَها وولدَتْ له.

قال: فلمّا صَرَمتِ الثّريّا عمرَ قال فيها:

صوت

[الخفيف]

مَنْ رَسُولي إلى الثُّرَيّا فَإنّي ... ضِقْتُ ذَرْعاً بِهَجْرِهَا والكتابِ[٦]
سَلَبَتْنِي مَجَّاجَةُ المِسْكِ عَقْلِي ... فَسَلُوها ماذا أَحَلَّ اغْتصابِي[٧]
وهي مَكْنونَةٌ تَحَيَّرَ منها ... في أَدِيمِ الخَدَّيْنِ مَاءُ الشَّبابِ[٨]
أَبْرَزُوها مِثْلَ المَهَاةِ تَهَادَى ... بينَ خَمْسٍ كَوَاعِبٍ أَتْرابِ[٩]
ثُمَّ قالوا تُحِبُّها قُلْتُ بَهْراً ... عَدَدَ القَطْرِ والحَصَى والتُّرَابِ[١٠]

---

(١) ذات عِرق: مُهَلُّ أهلِ العراق وهو الحدّ بين نجد وتهامة (معجم البلدان ٤: ١٠٧).
(٢) مَرّ: موضع على مرحلة من مكّة (معجم البلدان ٥: ١٠٤).
(٣) الكديد: موضع بالحجاز (معجم البلدان ٤: ٤٤٢).
(٤) تعادلها: تركب معها على أحد شقي المحمل.
(٥) السُّبجة: كساء أسود اللون.
(٦) في الديوان (بأني) بدل (فإني).
(٧) في الديوان (غصبتني) بدل (سلبتني). ومجّاجة المسك: يشير إلى طيب ريقها وبأنه كالمِسكِ.
(٨) تحيّر الماء: تردد. وأديم الخدين: صفحتهما.
(٩) تهادى: تتهادى. والمهاة: البقرة الوحشية شبّهت بها المرأة لحسن عينيها ومشيتها. والكواعب: جمع الكاعب: الفتاة التي نهد ثدياها. وأتراب: أقران في نفس العمر.
(١٠) بَهراً: إما أنه قصد حُبًّا يبهرني بهراً، أي يملؤني، أو بهراً لكم: تبًّا لكم حيث تلومونني.

الغناء لابنِ عائشَةَ خَفِيفُ ثَقِيلٍ أوّل بالبِنْصَر عن عمرو، وذكر حَبَشٌ أنه لِمالك.

[ابنُ أبي عتيق يسعى بالصّلح بين عمر والثّريا]

أخبرني الحَرَمِيّ بن أبي العَلاَء قال: حَدَّثنا الزُّبَير بن بَكَّار قالَ: حَدَّثني مُؤْمن ابن عمرَ بنِ أَفْلَحَ مَوْلَى فاطمةَ بنتِ الولِيد قال: أخبرني بِلاَلٌ مولى ٱبْنِ أبي عَتِيق قال: أُنْشِد ابنُ أبي عَتِيق قولَ عمر:

مَـنْ رسـولـي إلـى الـثُّـرَيّـا فـإنّـي ضِـقْـتُ ذَرْعـاً بِـهَـجْـرِهـا والـكِـتَـابِ

فقال ٱبن أبي عتيق: إِيَّاي أرادَ وبي نَوَّهَ! لا جَرَمَ واللَّهِ لا أَذُوقُ أُكْلاً[1] حتى أَشْخَصَ فَأُصْلِحَ بينَهما، ونَهَض ونَهَضْتُ معه؛ فجاءَ إلى قوم من بَنِي الدِّيل بنِ بَكْر لم تكن تُفارِقُهم نَجائِبُ لهم فُرْهٌ يُكْرُونَها[2]، فاكْتَرَى منهم راحِلَتَيْنِ وأَغْلَى لهم. فقلْتُ له: اسْتَوْضِعْهم أو دَعْنِي أُمَاكِسهم[3]؛ فقد ٱشْتَطُّوا عليكَ[4]. فقال: وَيْحَكَ! أَمَا عَلِمْتَ أنّ المِكَاسَ ليس من أخلاق الكِرَام! ثم رَكِبَ إحداهما ورَكِبْتُ الأخرى، فسارَ سَيْراً شديداً؛ فقلتُ: أَبْقِ على نَفسِكَ؛ فإنّ ما تريد ليس يَفُوتُكَ. فقال: وَيْحَكَ!

أُبَـادِرُ حَـبْـلَ الـوَدِّ أن يَـتَـقَـضَّـبـا[5]

وما حلاوةُ الدّنيا إنْ تمَّ الصَّدْعُ بين عمرَ والثّرَيَّا! فقَدِمْنا مكَّةَ ليلاً غير مُحْرِمِينَ، فَدَقَّ على عمرَ بَابَهُ، فخَرَجَ إليه وسَلَّمَ عليه ولم يَنْزِلْ عن راحلتِهِ؛ فقال له: ارْكَبْ أُصلِحْ بينك وبينَ الثّريّا؛ فأنا رسولُكَ الّذي سألْتَ عنه. فرَكِبَ معنا وقَدِمْنا الطّائفَ، وقد كان عمرُ أَرْضَى أُمَّ نَوْفَلٍ فكانت تطلُبُ له الحِيَلَ لإصلاحِها فلا يُمْكِنُها. فقال ٱبن أبي عتيق لِلثّريّا: هذا عمرُ قد جَشَّمَنِي السَّفَرَ مِنَ المدينة إليكِ، فَجِئْتُكِ به مُعْتَرِفاً لكِ بِذَنْبٍ لم يَجْنِه، معتذراً إليكِ من إساءَتِهِ إليكِ؛ فَدَعِيني

---

(١) الأُكْل والأُكُل: ما يؤكَلُ من الطعام.

(٢) الفُرْه: جمع القاره: النشيط من الدواب. ويكرونها: يُؤَجّرونها.

(٣) أماكسهم: أساومهم في السّعر.

(٤) اشتطوا: بالغوا وأخذوا فوق حقّهم.

(٥) يتقضّب: يتقطّع.

مِنَ التَّعْدَادِ والتَّرْدَادِ؛ فإنّه من الشّعراءِ الّذين يقولون ما لا يفعلون؛ فصالَحَتْهُ أحسنَ صُلْحٍ وأَتَمَّهُ وأجملَهُ، وكَرَرْنَا[1] إلى مَكَّةَ، فلم يَنْزِلْها ٱبنُ أبي عتيق حتى رَحَلَ. وزادَ عمر في أبياته:

[الخفيف]

أَزْهَقَتْ أُمُّ نَوْفَلٍ إذ دَعَتْها ... مُهْجَتِي، ما لِقَاتِلِي مِنْ مَتَابِ[2]

حينَ قالَتْ لها: أَجِيبي، فقالَتْ: ... مَنْ دعانِي؟ قالت: أبو الخَطَّابِ

فاستجابَتْ عندَ الدُّعاءِ كما لَبَّى ... رجالٌ يَرْجُون حُسْنَ الثَّوابِ

قال الزُّبَيْر: وما دَعَتْها أُمُّ نوفلٍ إلا لابنِ أبي عتيق، ولو دَعَتْها لعمرَ ما أجابَتْ. قال: وسألْتُ عَمِّي عن أُمِّ نوفلٍ، فقال: هي أُمُّ ولدِ عبدِ الله بن الحارث أبي الثّريّا. وسألْتُهُ عن قولِهِ:

كما لَبَّى رجالٌ يرجونَ حُسْنَ الثّوابِ

فقال: كَرَّرَتْ في التّلبية كما يفعلُ المُحْرِمُ، فقالت: لَبَّيْكَ لَبَّيْك.

وأخبرني حَبِيبُ بن نَصْر قال: حَدَّثنا الزُّبَيْر بن بَكَّار عن عَمِّه أنّ بعضَ المَكِّيّين قال: كانت الثّريّا تَصُبُّ عليها جَرَّةَ ماءٍ وهي قائمةٌ فلا يُصِيبُ ظاهرَ فَخِذَيْها منه شيءٌ من عِظَمِ عَجِيزَتِها.

وأخبرني حبيبُ بن نصر قال: حَدَّثنا عمر بن شَبَّةَ قال: حَدَّثنا أبو غَسَّانَ محمدُ بن يحيى بخبر الثّريّا هذا مع عمرَ، فذكرَ نَحْواً مما ذَكَره الزُّبَير، وقال فيه: لمّا أناخَ ٱبنُ أبي عتيق ببابِ الثّريّا أرسلَتْ إليه: ما حاجَتُكَ؟ قال: أنا رسولُ عمرَ ابنِ أبي ربيعة وأنشدها الشِّعْرَ. فقالَتْ: ٱبنُ أبي ربيعة فارغٌ ونحن في شُغْلٍ، وقد تَعِبْتَ فانْزِلْ بنا. فقال: ما أنا إذاً برسولٍ. ثم كَرَّ راجعاً إلى ٱبن أبي ربيعة بمكّة فأخبره الخبرَ فأصلحَ بينهما.

---

(١) كَرَرْنا: رجعنا.

(٢) أزهقت: أبطلتِ وأذهبت. ومتاب: توبة.

[رسالة من نصيب إلى سلمى يحملها ابن أبي عتيق في طريقه إلى الثريا]

حَدَّثني أحمدُ بن عُبَيد الله بنِ عمار قال: حَدَّثني يعقوبُ بن نُعَيْم قال: حَدَّثني إبراهيمُ بن إسحاقَ العَنزي قال: حَدَّثني عبد الله بن إبراهيمَ الجُمَحِيّ، وأخبرني به الحُسَين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه عن أيُّوبَ بن عَبَايَةَ، وأخبرني به الحَرَمِيّ بنُ أبي العَلاَء قال: حَدَّثنا الزُّبَير عن مُؤْمِن بنِ عمرَ بنِ أَفْلَحَ عن عبد العزيز بنِ عِمْرَانَ، قالوا: قَدِمَ عمرُ بن أبي ربيعة المدينةَ، فنزلَ على ٱبنِ أبي عَتِيق ـ وهو عبدُ الله بن محمد بن عبد الرّحمن بن أبي بكر ـ فلمّا ٱسْتَلْقَى قال: أَوَّهْ[1].

مَـنْ رسـولِـي إلـى الـثّـريّـا فـإنِّـي ضِـقْـتُ ذَرْعـاً بِـهَـجْـرِهـا والـكِـتـاب

فقال ٱبنُ أبي عتيق: كلُّ مملوكٍ لي حُرٌّ إن بَلَّغَها ذاكَ غيرِي. فخَرَجَ، حتى إذا كان بِالمُصَلَّى مَرَّ بنُصَيْبٍ وهو واقفٌ فقال: يا أبا مِحْجَنٍ. قال: لَبَّيْكَ! قال: أَتُودِعُ إلى سَلْمَى[2] شيئاً؟ قال: نَعَمْ. قال: وما ذاكَ؟ قال: تقول لها يابنَ الصِّدِّيقِ: إنَّكَ مَرَرْتَ بي فقلْتَ لي: أَتُودِعُ إليها شيئاً، فقلتُ: [الطويل]

أَتَـصْـبِـرُ عـن سَـلْـمَـى وأنـتَ صَـبُـورُ وأنـتَ بِـحُـسْـنِ الـعَـزْمِ مـنـكَ جَـدِيـرُ
وكِـدْتُ ولـم أُخْـلَـقْ مِـنَ الـطَّـيـر إنْ بَـدا سَـنَـى بَـارِقٍ نـحـوَ الـحِـجَـازِ أَطِـيـرُ[3]

قال: فَمَرَّ بِسَلْمَى وهي في قريةٍ يقال لها «القَسْرِيَّةُ»، فأَبْلَغَها الرِّسالةَ؛ فَزَفَرَتْ زَفْرَةً كادتْ أن تُفَرِّقَ أضلاعَها. فقال ٱبنُ أبي عَتِيق: كُلُّ مملوكٍ لي حُرٌّ إن لم يكن جوابُكِ أحسنَ من رسالَتِهِ، ولو سَمِعَكِ الآنَ لَنَعَقَ وصارَ غُرَاباً. ثم مَضَى إلى الثُّرَيّا فأَبْلَغَ الكتابَ. فقالَتْ له: أمَا وجدَ رسولاً أصغرَ منكَ! انْزِلْ فَأَرِحْ، فقال: لَسْتُ إذاً برسولٍ! وسأَلَها أنْ تَرْضَى عنه، ففعلَتْ. وقالَ الزُّبَيرُ في خبره: فقال لها: أنا رسولُ ٱبنِ أبي ربيعة إليكِ، وأنشدَها الأبياتَ، وقال لها: خَشِيتُ أنْ تَضِيعَ هذه الرِّسالةُ. قالَتْ: أدّى اللّهُ عنكَ أمانَتَكَ. قال: فما جوابُ ما تَجَشَّمْتُه إليكِ؟ قالت: تُنْشِده قولَه في رَمْلَةَ: [الخفيف]

وَجَـلاَ بُـرْدُهـا وقـد حَـسَـرتْـهُ ضـوءَ بَـدْرٍ أضَـاءَ لِـلـنَّـاظِـرِيـنَـا

(١) أَوَّه: بمعنى آه.
(٢) سلمى: سترد في أخبار نصيب باسم سعدى.
(٣) السَّنى: الضوء.

فقال: أُعِيذُكِ باللَّهِ يابنةَ أخي أنْ تَغْلبيني بالمثلِ السّائرِ. قالت: وما هو؟ قال: حَرِيصٌ لا يَرَى عَمَلَهُ[١]. قالت: فما تشاءُ؟ قال: تَكْتُبِينَ إليه بالرِّضَا عنه كتاباً يَصِلُ على يدي، ففعلَتْ. فأخذَ الكتابَ ورَجَعَ من فَوْرِهِ حتّى قَدِمَ مكّةَ، فأتى عمرَ. فقال له: من أين أقبلْتَ؟ قال: من حَيْثُ أرسلْتَني. قال: وأنّى ذلكَ؟ قال: من عند الثّريّا، أَفْرِخْ[٢] رَوْعَكَ! هذا كتابُها بِالرِّضا عنكَ إليكَ.

[ابن عائشة يغني من شعر عمر في مجلس حسن بن حسن بن علي]

أخبرني الحُسَين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه عن أيُّوبَ بن عَبَايَةَ قال:

اجتمعَ ٱبنُ عائشة ويُونُس ومالكٌ عند حسن بن حسن بن عليّ ﷺ فقال الحسنُ لابنِ عائشة: غَنِّني «مَن رسولي إلى الثّريا...»؛ فسكَتَ عنه فلم يُجِبْهُ. فقالَ له جَلِيسٌ له: أيقولُ لكَ غَنِّني فلا تُجِيبُهُ! فسكَتَ. فقال له الحسنُ: مَا لَكَ؟ وَيْحَكَ! أَبِك خَبَالٌ[٣]! كانَ واللَّه ٱبنُ أبي عتيق أجودَ منك بما عندَه، فإنَّه لمَّا سَمِعَ هذا الشّعرَ قال لابنِ أبي ربيعة: أنا رسولُكَ إليها، فمضى نحوَ الثّريّا حتى أدّى رسالَتَهُ، وأنتَ معنا في المجلسِ تَبْخَلُ أنْ تُغَنِّيَهُ لنا! فقال له: لم أذْهَبْ حيثُ ظَنَنْتَ، إنّما كنتُ أَتَخَيَّر لكَ أيَّ الصّوتَيْنِ أُغَنِّي: أَقَوْلَهُ: [الخفيف]

مَـنْ رسـولِـي إلـى الـثُّـرَيَّـا فـإنِّـي ... ضَـاقَـنِـي الـهَـمُّ وٱعْـتَـرَتْـنِـي الـهُـمُـومُ
يَـعْـلَـمُ الـلَّـهُ أَنَّـنِـي مُـسْـتَـهَـامٌ ... بِـهَـوَاكُـمْ وأَنَّـنِـي مَـرْحُـومُ

أم قولَه:

مَـنْ رسـولـي إلـى الـثُّـرَيَّـا فَـإنِّـي ... ضِـقْـتُ ذَرْعـاً بِـهَـجْـرِهـا والـكـتـابِ

فقال له الحَسَنُ: أَسَأْنا بكَ الظَّنَّ أبا جَعْفرٍ، غَنِّ بهما جميعاً، فَغَنَّاهما. فقالَ له الحسنُ: لولا أنَّكَ تغضَبُ إذا قلنا لك: أحسنتَ، لقُلْتُ لك: أحسنتَ واللَّهِ! قال: ولم يَزَلْ يُرَدِّدُهما بَقِيَّةَ يومِهِ.

(١) يريد أن الحريص محروم وأنّه لا يريد أن يُحرَم نتيجة عمله.
(٢) الرَّوْع: الخوف، وأفرخ الخوف: انكشف وذهب.
(٣) الخَبَال: الفساد في العقل أو البدن أو النقصان.

[عمر ينشد ابن أبي عتيق شعره في الثريا]

أخبرنا الحَرَمِيّ بن أبي العَلاَء قال: حَدَّثنا الزُّبَير قال: حَدَّثني يعقوبُ بن إسحاقَ الرَّبَعيّ عن أبيه قال: أَنْشَدَ عمرُ بنُ أبي ربيعةَ ٱبنَ أبي عَتِيق قوله: [الخفيف]

لـم تَـرَ الـعَـيْـنُ لِـلـثُّـرَيَّـا شَـبِـيـهـاً بِـمَـسِـيـلِ الـتِّـلاَعِ يـومَ ٱلْـتَـقَـيْـنَـا[1]

فلما بلغَ إلى قوله:

ثـم قـالَـتْ لأُخـتـهـا قـد ظَـلَـمْـنـا إنْ رَدَدْنـاه خـائـبـاً وٱعْـتَـدَيْـنَـا

قال: أَحْسَنَتْ والهَدَايا[2] وأجادَتْ. ثم أنشده ٱبنُ أبي عتيق مُتَمثِّلاً قولَ الشّاعر: [الطويل]

أَرِيـنِـي جَـوَاداً مـاتَ هُـزْلاً لَـعَـلَّـنِـي أَرَى مـا تَـرَيْـنَ أو بَـخِـيـلاً مُـخَـلَّـدَا[3]

فلمّا بلغ عمرُ إلى قوله في الشّعر:

فــي خَــلاَءٍ مِــنَ الأَنِــيــسِ وأمــنِ

قال ٱبنُ أبي عَتِيق: أَمْكَنَتْ لِلشَّارِبِ الغُدُر[4]، مَنْ عَالَ بعدَها فلا ٱنْجَبَرَ[5]

فلمّا بلغ إلى قوله:

فَـمَـكَـثْـنَـا كـذاكَ عَـشْـراً تِـبَـاعـاً فـي قَـضَـاءٍ لِـدَيْـنِـنَـا وٱقْـتَـضَـيْـنَـا[6]

قال: أمَا والله ما قَضَيْتَها ذهباً ولا فِضةً ولا ٱقْتَضَيْتَها إيَّاه، فلا عَرَّفَكُما اللَّهُ قبيحاً! فلمّا بَلَغَ إلى قوله:

---

(١) التِّلاع: جمع التَّلعة: مجرى الماء من أعلى الوادي إلى بطون الأرض.
(٢) الهدايا: جمع الهدية: هي ما يُهدى إلى البيت الحرام من النعم لتنحَر. وهي هنا للقسم.
(٣) البيت لحاتم الطائي يخاطب امرأته التي تلومه على كرمه.
(٤) أمكنت للشارب الغُدُر: شطر بيت من قصيدة لعمر مطلعها:

يـا خـلـيـلـي هـاجـنـي ذكـر وحـمـول الـحـيّ إذ صـدروا

والبيت:

قـال حـاديـهـم لـهـم أُصُـلاً أمـكـنـت لـلـشـاربِ الـغُـدُرُ

والغُدُر: جمع الغدير.
(٥) من عال بعدها فلا انجبر: مثل ورد في لسان العرب يُضرَب في اغتنام الفرصة عند الإمكان. وعال: افتقر. وانجبر: استغنى.
(٦) اقتضينا: استوفينا الدَّيْن.

كـان ذا فـي مَـسِـيـرِنـا إذ حَـجَـجْـنـا عَـلِـمَ الـلّـهُ فـيـه مـا قـد نَـوَيْـنَـا

قال: إنّ ظاهرَ أمرِكَ لَيَدُلُّ على باطنِهِ، فَأَرْوِدِ التّفسيرَ[١]، ولَئِنْ مُتَّ لأَمُوتَنَّ معكَ، أُفٍّ لِلدّنيا بعدَكَ يا أبا الخَطّابِ! فقال له عمرُ: بل عليها بعدَكَ العَفَاءُ[٢] يا أبا محمد! قال: فَلَقِيَ الحارثُ بنُ خالد ٱبنَ أبي عَتِيق فقال: قد بَلَغَنِي ما دارَ بينَكَ وبينَ ٱبنِ أبي ربيعَةَ، فكيف لم تَتَحَلَّلاَ مِنِّي؟ فقال له ابنُ أبي عتيق: يَغْفِرُ اللَّهُ لكَ يا أبا عَمْرو، إن ٱبنَ أبي ربيعةَ يُبْرِئُ القَرْحَ[٣]، ويَضَعُ الهِنَاءَ[٤] مواضعَ النُّقْبِ[٥]، وأنتَ جَمِيلُ الخَفْضِ[٦]. فَضَحِكَ الحارثُ بن خالد وقالَ: حُبُّكَ الشّيءَ يُعْمِي ويُصِمُّ. فقال: هَيْهَاتَ أنا بِالحُسْنِ عالمٌ نَظّار!

[سبب السَّوَاد في ثَنِيَّتَيْ عمر]

وأمّا خبر السَّوَاد في ثَنِيَّتَيْ عُمَرَ فإنّ الزُّبَيْرَ بن بَكّار ذكَره عن عَمِّه مُصْعب في خبره: أنَّ ٱمرأةً غَارَتْ عليه فاعترضَتْهُ بِمِسْوَاكٍ كان في يَدِها فضَرَبَتْ به ثَنِيَّتَيْهِ فاسْوَدَّتا.

وذكَرَ إسحاقُ المَوْصِليّ عن أبي عبد الله المُسَيَّبِيّ وأبي الحسن المَدَائِنيّ: أنه أَتَى الثريّا يوماً ومعه صديقٌ له كان يُصاحِبُه ويتوصَّلُ بذكرِهِ في الشّعرِ؛ فلمّا كشَفَتِ الثّريّا السِّتْرَ وأرادتِ الخروجَ إليه، رأت صاحبَهُ فَرَجَعَتْ. فقال لها: إنه ليس ممَّنْ أَحْتَشِمُه ولا أُخْفِي عنه شيئاً؛ وٱسْتَلْقَى فَضَحِكَ ـ وكان النّساءُ إذ ذاكَ يتختَّمْنَ[٧] في أصابعهنَّ العَشْر ـ فخرجَتْ إليه فضربَتْهُ بِظاهِرِ كَفِّها، فأصابتِ الخَوَاتِيمُ ثَنِيَّتَيْهِ العُلْيَيَيْنِ فَنَغَضَتا[٨] وكادتا تَسْقُطان، فَقَدِمَ البصرةَ فَعُولِجَتا له، فَثَبَتَتا وٱسْوَدَّتا. فقال الحَزِينُ الكِنَانِيّ يُعَيِّرُهُ بذلكَ ـ وكان عَدُوَّه وقد بَلَغَهُ خَبرهُ ـ: [البسيط]

---

(١) أرود التفسير: اتركه لأنّ ظاهر أمرك يدلّ على باطنه.
(٢) العَفاء: الزّوال وامّحاء الأثر.
(٣) القَرْح: الجرح.
(٤) الهناء: القطران يطلى به الجرب.
(٥) النُّقْب: جمع النّقبة: أول ما يبدو من الجرب.
(٦) الخفض: الدّعة.
(٧) يتختمن: يلبسن الخواتم.
(٨) نغضت السّنّ: تحرّكت.

مـا بـالُ سِنَّيْكَ أَمْ مـا بَـالُ كَسْـرِهِـمـا أهـكـذا كُـسِـرَا فـي غـيـرِ مـا بَـاسِ
أم نَـفْـحَـةٌ مـن فـتـاةٍ كُـنْـتَ تـألَـفُـهـا أم نَالَـها وَسْطَ شَرْبٍ صَدْمةُ الكَاسِ[1]

قال: ولَقِيَهُ الحزينُ الكِنَانيّ يوماً فأنشده هذين البيتين؛ فقال له عمرُ: اذهَبْ اذْهَبْ، وَيْلَكَ! فإنك لا تُحْسِنُ أن تقول:

صوت

[الرمل]

لَـيْـتَ هِـنْـداً أَنْـجَـزَتْـنـا مـا تَـعِـدْ وشَـفَـتْ أَنْـفُـسَـنـا مِـمَّـا تَـجِـدْ
واسْـتَـبَـدَّتْ مَـرَّةً واحـدةً إنَّـمـا الـعـاجِـزُ مَـنْ لا يَـسْـتَـبِـدّ

لابن سُرَيْج في هذا الشّعر رَمَلٌ بالخِنْصَر في مَجْرَى البِنْصَر عن إسحاقَ، وخَفِيفُ رَمَلٍ أيضاً في هذه الإصبع وهذا المَجْرَى عن ابن المكيّ. ولمالِكٍ فيه ثقيلٌ أوّلُ عن الهِشامِيّ. ولِمُتَيَّم ثاني ثقيلٍ عن ابنِ المعتزّ. وذكر أحمدُ بنُ أبي العَلاَء عن مُخَارِقٍ أنّ خَفِيفَ الرَّمَلِ ليحيى المكيّ صنَعه وحكى فيه لحنَ هذا الصوت:

اسْـلَـمِـي يـا دارُ مِـنْ هِـنْـد

[خبر الثّريّا مع الحارث القباع]

حَدَّثني عليُّ بن صالح قال: حَدَّثني أبو هَفَّانَ عن إسحاقَ المَوْصِليّ عن رِجاله المذكورين: أنَّ الثُّرَيَّا وَاعَدَتْ عمرَ بن أبي ربيعة أنْ تَزُورَهُ، فجاءَتْ في الوقتِ الّذي ذَكَرَتْهُ، فصادَفَتْ أخاه الحارثَ قد طَرَقَه[2] وأقامَ عِندَهُ، ووَجَّهَ به في حاجةٍ له ونامَ مكانَهُ وغَطَّى وجهَهُ بثوبِهِ، فلم يَشْعُرْ إلا بالثّريّا قد أَلْقَتْ نفسَها عليه تُقَبِّلُهُ، فانتبهَ وجعلَ يقول: اعْزُبي[3] عنّي فلستُ بِالفاسِقِ، أَخْزَاكُمَا اللَّهُ! فلمّا عَلِمَتْ بِالقِصَّةِ انصرَفَتْ. ورجع عمرُ فأخبره الحارثُ بخبرِها؛ فاغْتَمَّ لِمَا فاتَه منها، وقال: أمَا واللَّهِ لا تَمَسُّكَ النّارُ أبداً وقد أَلْقَتْ نفسَها عليكَ. فقال له الحارث: عليك وعليها لعنةُ الله.

وأخبرني بهذه القِصّةِ الحَرَمِيّ بن أبي العلاء عن الزُّبَيْر بن بَكَّار عن يعقوب بن

---

(١) النَّفحة: اللَّطمة. ونالها: نال الأسنانَ. والشَّرْب: جماعة الشّاربين.
(٢) طرقه: أتاه ليلاً.
(٣) اعزبي: ابتعدي.

إسحاقَ الرَّبعيّ عن الثّقةِ عنده عن ٱبن جريج عن عثمانَ بنِ حَفْصٍ الثَّقَفِيّ: أنّ الحارثَ بنَ عبد الله زارَ أخاه، ثم ذكَر نحواً من الّذي ذكَرَه إسحاقُ، وقال فيه: فبلَغَ عُمَرَ خَبَرُها، فجاءَ إلى أخيه الحارثِ وقال له: جُعِلْتُ فِدَاءَكَ! ما لَكَ وَلأَمَةِ الوهّاب ٱبنتِك؟ أَتَتْكَ مُسَلِّمَةً عليكَ فَلَعَنْتَها وزَجَرْتَها وتَهَدَّدْتَها، وها هي تيكَ باكية. فقال: وإنها لَهِيَ! قال: وَمَنْ تَرَاها تَكُونُ؟ قال: فَانْكسرَ[1] الحارثُ عنه وعن لَوْمِهِ.

[زواج الثريا ووصول الخبر إلى عمر وهو في اليمن]

أخبرني عليُّ بن صالح قال: حَدَّثني أبو هَفَّانَ عن إسحاقَ بن إبراهيم عن جَعْفر بن سعيد عن أبي سَعِيد مولى فائد، هكذا قال إسحاقُ، وأخبرني الحَرَمِيُّ بنُ أبي العَلاَءَ قال: حَدَّثنا الزُّبَيْر قال: حَدَّثني جعفرُ بنُ سَعيد عن أبي عُبَيدة بن محمد ابن عَمَّار. ورواه أيضاً حَمَّادُ بنُ إسحاقَ عن أبيه عن جعفر بن سعِيد فقال فيه: عن أبي عُبَيدة العَمَّارِيّ، ولم يذكُر أبا سَعِيد مولى فائد، قالوا: تزوَّجَ سُهَيْلُ بن عبد العزيز بن مَرْوَانَ الثّريّا ـ وقال الزُّبَيْرُ: بل تَزَوَّجَها أبو الأَبْيَض سُهَيل بن عبد الرّحمن ابن عَوْف ـ فَحُمِلَتْ إليه وهو بِمِصْرَ، والصَّوابُ قولُ مَنْ قال: سهيل بن عبد العزيز؛ لأنه كان هناك منزلُهُ، ولم يكنْ لسُهَيل بن عبد الرَّحمن هناكَ موضعٌ. فقال عمر:

صوت [الخفيف]

أَيُّها المُنْكِحُ الثُّريَّا سُهَيلاً ... عَمْرَكَ اللّهَ كيف يَلْتَقيانِ
هي شَامِيَّةٌ إذَا ما اسْتَقَلَّتْ ... وسُهَيْلٌ إذا ٱسْتَقَلَّ يَمَانِي[2]

الغناء لِلغَرِيض خَفِيفُ ثقيلٍ بالبِنْصَر. وفيه لعبد الله بن العباس ثاني ثقيلٍ بالبِنْصَر. وأوّلُ هذه القصيدة: [الخفيف]

أَيُّها الطَّارِق الّذي قد عَنَانِي ... بعدما نام سَامِرُ الرُّكْبَانِ[3]

(١) انكسر عن لومه: انصرف عنه.
(٢) الثريا وسهيل: نجمان في السماء وقد ورّى بهما الشاعر عن محبوبته والرجل الذي تزوّجته. واستقلّ: ارتفع وعلا.
(٣) عناني: قصدني. والسّامر: السُّمّار ويطلق على الواحد والجمع.

زار مِـنْ نـازحٍ بـغـيـرِ دَلـيـلٍ　　يَـتَـخَـطَّـى إِلَـيَّ حـتـى أَتَـانِـي(١)

وذَكَرَ الرِّيَاشِيُّ عن ٱبن زَكَرِيَّا الغَلاَبِيّ عن محمدِ بن عبد الرّحمن التَّيْمِيّ عن أبيه عن هِشَام بنِ سليمانَ بن عِكْرِمَةَ بنِ خالد المَخْزُوميّ قال: كان عمرُ بن أبي ربيعةَ قد أَلَحَّ على الثُّريّا بِالهَوَى، فشَقَّ ذلك على أهلِها، ثم إنّ مَسْعَدَةَ بنَ عَمْرو أَخْرَجَ عمرَ إلى اليمنِ في أمرٍ عَرَضَ له، وتزوَّجَتِ الثريّا وهو غائب، فبلغَهُ تَزويجُها وخروجُها إلى مصرَ، فقال:

أيّـهـا الـمُـنْـكِـحُ الـثُّـريّـا سُـهَـيْـلاً　　عَـمْـرَكَ الـلَّـهَ كَـيـفَ يَـلـتـقـيـانِ

وذكرَ الأبياتَ. وقال في خبره: ثم حَمَلَهُ الشَّوقُ على أَنْ سارَ إلى المدينةِ فكتَبَ إليها: [مجزوء الوافر]

كَـتَـبْـتُ إلـيـكِ مِـنْ بَـلَـدِي　　كِـتَـابَ مُـوَلَّـهٍ كَـمِـدِ
كَـئِـيـبٍ وَاكِـفِ الـعَـيْـنَـيْـ　　ـنِ بِـالـحَـسَـراتِ مُـنْـفَـرِدِ(٢)
يُـؤَرِّقُـهُ لَـهِـيـبُ ٱلـشَّـوْ　　قِ بـيـن الـسَّـحْـرِ والـكَـبِـدِ(٣)
فَـيُـمْـسِـكُ قـلـبَـهُ بِـيَـدٍ　　ويَـمْـسَـحُ عَـيْـنَـهُ بِـيَـدِ

وكَتبه في قُوهِيَّةٍ(٤) وشَنَّفَهُ(٥) وحَسَّنَه وبَعث به إليها. فلمّا قرأتْه بَكَتْ بكاءً شديداً، ثم تَمَثَّلَتْ: [الطويل]

بِـنَـفْـسِـيَ مَـنْ لا يَـسْـتَـقِـلُّ بِـنَـفْـسِـهِ　　وَمَـنْ هـو إنْ لَـمْ يَـحْـفَـظِ الـلَّـهُ ضـائِـعُ

وكتبتْ إليه تقول: [الطويل]

أتـانـي كـتـابٌ لـم يَـرَ الـنَّـاسُ مِـثْـلَـهُ　　أُمِـدَّ بِـكَـافُـورٍ ومِـسْـكٍ وعَـنْـبَـرِ
وقِـرْطَـاسُـهُ قُـوهِـيَّـةٌ ورِبَـاطُـهُ　　بِـعِـقْـدٍ مِنَ الـيـاقـوتِ صَـافٍ وجَـوْهَـرِ
وفـي صَـدْرِهِ: مِـنِّـي إلـيـكِ تَـحِـيَّـةٌ　　لـقـد طـالَ تَـهْـيَـامِـي بـكـم وتَـذَكُّـرِي

(١) النازح: المكان البعيد.
(٢) وكفت العين: إذا سالت دموعها.
(٣) السَّحْر: الرئة.
(٤) قوهيّة: يريد ثوب قوهي أي منسوب إلى قوهستان، وهو ثوب أبيض وكلّ ثوب يشبهه يقال له قوهي. وقوهستان: كورة من كور فارس بين هراة ونيسابور فتحت في أيام عثمان بن عفان سنة ٢٩ للهجرة (معجم البلدان ٤: ٤١٦).
(٥) شَنّفه: زيّنه ونمّقه. والشّنف: القرط الذي تتزيّن به المرأة.

وعُنْوَانُه مِنْ مُسْتَهامٍ فُؤادُهُ   إلى هَائِمٍ صَبٍّ مِنَ الحُزْنِ مُسْعَرِ[١]

قال مؤلّف هذا الكتاب: وهذا الخبرُ عندي مصنوعٌ، وشِعرُه مُضَعَّفٌ يدلُّ على ذلك، ولكنّي ذكَرتُه كما وَقَعَ إليَّ.

قال أبو سَعيد مَوْلَى فائدٍ وَمَنْ ذَكَرَ خبرَهُ مَعَ الثُّرَيَّا: فماتَ عنها سُهَيلٌ أو طَلَّقَها، فخَرَجَتْ إلى الوليدِ بن عبد الملك وهو خَليفةٌ بِدِمَشْقَ في دَيْنٍ عليها؛ فبَيْنَا هي عند أمِّ البَنِينَ بنتِ عبد العزيز بن مَروانَ، إذ دَخَلَ عليها الوليدُ فقال: مَنْ هذه؟ فقالت: الثّريّا جاءتني، تَطلُبُ إليكَ في قضاءِ دَيْنٍ عليها وحَوَائِجَ لها. فأَقْبَلَ عليها الوليدُ فقال: أتَرْوِينَ من شعرِ عمرَ بن أبي ربيعةَ شيئاً؟ قالت: نعمْ، أمَا إنه يرحمه الله كان عَفيفاً عَفيفَ الشِّعْرِ، أَرْوِي قولَه:

صوت

[الخفيف]

ما عَلَى الرَّسْمِ بِالبُلَيَّيْنِ لو بَيَّـ   ـنَ رَجْعَ السَّلاَمِ أو لو أجَابَا
فإلى قَصْرِ ذِي العُشَيرةِ فالصَّا   ئِفِ أَمْسَى مِنَ الأَنِيسِ يَبَابَا[٢]
وبِما قد أرَى به حَيَّ صِدْقٍ   ظاهري العيشِ نَعْمَةً وشَبابَا
إذ فؤادي يَهْوَى الرَّبابَ وأَنَّى الـ   ـدَّهرَ حتى المَمَاتِ أَنْسَى الرَّبَابَا[٣]
وحِسَاناً جَوَارِياً خَفِرَاتٍ   حافظاتٍ عندَ الهوى الأَحْسَابَا[٤]
لا يُكَثِّرْنَ في الحديثِ ولا يَتْـ   ـبعنَ يَنْعِقْنَ بِالبِهَامِ الظِّرَابَا[٥]

فَقَضَى حوائجَها وأنصرفَتْ بما أرادَتْ منه. فلمّا خَلاَ الوَلِيدُ بأمِّ البَنِينَ قال لها: لله دَرُّ الثُّرَيّا! أتَدْرِينَ ما أرادَتْ بإنشادِها ما أنشدَتْني من شعرِ عُمَرَ؟ قالت لا. قال: إني لمّا عَرَّضْتُ لها به عَرَّضَتْ لي بأن أُمِّي أَعْرَابِيَّةٌ. وأُمُّ الوليد وسليمانَ وَلاَّدَةُ بنتُ العَبَّاسِ بن جزيّ بن الحارثِ بن زُهَير بن جَذِيمَةَ العَبْسِيّ.

---

(١) مُسْعَر: مُتَّقد من الشوق ومُوجَع.

(٢) العُشَيْرة: موضع بين مكة والمدينة (معجم البلدان ٤: ١٢٧). والصّائف: من نواحي المدينة أو موضع حجازي قريب من ذي طوى (معجم البلدان ٣: ٣٩٠) واليباب: الخراب والخالي.

(٣) في الديوان (ويأبى الدهرَ).

(٤) الخَفِرَات: الشديدات الحياء.

(٥) ينعق الراعي: بالغنم يزجرها ويصيح بها. والبهام: صغار الغنم. والظِّراب: جمع الظَّرِب: التلّة الصغيرة.

الغناء في الأبيات التي أَنشدَتْها الثّريّا الوليدَ بنَ عبد الملكِ لمالك بنِ أبي السَّمْح خَفِيفُ ثَقِيلٍ بإطلاقِ الوَتَرِ في مَجْرَى البِنْصر. وفيها لابن سُرَيج رَمَلٌ بِالخِنْصَر في مَجْرَى البِنْصَر. وفيها لإبراهيمَ خَفِيفُ ثَقِيلٍ بِالسَّبَّابة في مَجْرَى البِنصَر عن إسحاقَ. وذكر حَبَشٌ أيضاً أنّ فيها لابنِ مِسْجَح خَفِيفَ رَمَلٍ بالوسطَى. وذكر عمرُو بنُ بانةَ أن لابن مُحْرِزٍ فيها خَفِيفَ ثقيلٍ بالوسطَى.

ومما يُغَنَّى فيه من أشعارِ عمرَ بن أبي ربيعة التي قالَها في الثّريّا من القصيدة التي أوّلها «مَنْ رسولي»[1]:

صوت [الخفيف]

وَتَبَدَّتْ حَتَّى إذا جُنَّ قلبي حالَ دوني وَلائِدٌ بِالثِّيَابِ[2]
يا خَلِيلَيَّ فاعْلَما أَنَّ قلبي مُسْتَهَامٌ بِرَبَّةِ المِحْرَابِ[3]

الغناء لابنِ سُرَيْجٍ ثاني ثقيلٍ بالوسطَى عن عمرو. ومنها:

صوت [الخفيف]

أُقْتُلِيني قتلاً سَرِيعاً مُرِيحاً لا تَكُونِي عَلَيَّ سَوْطَ عَذَابِ[4]
شَفَّ عنها مُحَقَّقٌ جَنَدِيٌّ فهي كالشَّمسِ من خِلاَلِ السَّحَابِ[5]

الغناء للغَرِيضِ ثاني ثقيلٍ بالبِنْصَر عن عمرو. ومنها:

---

(١) الأبيات الأربعة التالية هي من قصيدة أُخرى قالها في فاطمة بنت عبد الملك بن مروان ومطلعها:
شاقَ قلبي تَذَكُّرُ الأحبابِ واعترتني نوائبُ الأطراب

(٢) رواية البيت في الديوان:
فتراءتْ، حتى إذا جُنَّ قلبي سَتَرتْها ولائدٌ بالثياب
والولائد: جمع الوليدة: الجارية المولودة بين العرب.

(٣) المِحراب: صدر البيت وأكرم مواضعه.

(٤) البيت ضمن أبيات تدلّ على المناسبة وروايته:
اقتليه قتلاً سريحاً مريحاً لا تكوني عليه سَوْطَ عذاب
والسّريح: المُعَجِّل الذي لا مطل فيه.

(٥) المُحَقَّق من الثياب: المحكَم النسج، وفي رواية الديوان (المُرَقّق). وشَفّ الثوب: رقّ حتى أظهر ما تحته. والجَنَدي: نسبة إلى الجَنَد: أحد ألوية اليمن، وبالجند مسجد بناه معاذ بن جبل. (معجم البلدان ٢: ١٦٩).

صوت [الخفيف]

قـال لـي صـاحـبـي لِـيَـعْـلَـمَ مـا بـي ... أَتُـحِـبُّ الـبَـتُـولَ أُخْـتَ الـرَّبَـابِ[١]
قُـلْـتُ وَجْـدِي بـهـا كَـوَجْـدِكَ بـالـمـا ... ءِ إذا مـا مُـنِـعْـتَ بَـرْدَ الـشَّـرَابِ

الغناء لمالكٍ رَمَلٌ مُطْلَقٌ في مَجْرَى الوُسْطَى عن إسحاقَ. ومنها:

صوت [الخفيف]

أَذْكَرَتْـنِـي مِـنْ بَـهْـجـةِ الـشَّـمـسِ لَـمَّـا ... بَـرَزَت مِـنْ دُجُـنَّـةٍ وسَـحَـابِ[٢]
أَزْهَـقَـتْ أُمُّ نَـوْفَـلٍ إذ دَعَـتْـهَـا ... مُـهْـجَـتِـي، ما لِقَاتِلي مِنْ مَتَابِ[٣]
حين قَالَتْ لـهـا: أَجِيبي، فقالَتْ: ... مَنْ دَعَـانِـي؟ قـالَتْ: أبـو الـخَـطَّـابِ

الغناء للغَرِيض خَفِيفُ رَمَلٍ عن الهِشَامِيّ وحَمَّادِ بنِ إسحاق. ومنها:

صوت [الخفيف]

مَـرْحَـبـاً ثـم مـرحـبـاً بـالّـتـي قـا ... لـتْ غَـدَاةَ الـوَدَاعِ عـنـد الـرَّحِـيـلِ
لِـلـثُّـرَيَّـا قُـولِـي لـه أنـتَ هَـمِّـي ... ومُـنَـى الـنَّـفْـسِ خَـالـيـاً وخَـلِـيـلِـي

الغناء لابن مُحْرِز ثقيلٌ مطلقٌ في مَجْرَى البِنْصَر عن إسحاق. وفيه لابن سُرَيج خَفِيفُ رَمَلٍ بالوسطَى عن عمرو. ومنها:

صوت [السّريع]

زَعَـمُـوا بـأنَّ الـبَـيْـن بـعـدَ غَـدٍ ... فـالـقَـلْـبُ مـمـا أَزْمَـعُـوا يَـجِـفُ[٤]
نَـشْـكُـو وتَـشْـكُـو مـا أَشَـتَّ بـنـا ... كُـلٌّ لِـوَشْـكِ الـبَـيْـنِ يَـعْـتَـرِفُ[٥]
حَـلَـفُـوا لـقـد قَـطَـعُـوا بِـبَـيْـنِـهِـمُ ... وحَـلَـفْـتُ أَلْـفـاً مِـثْـلَ مـا حَـلَـفُـوا

---

(١) في الديوان (القتول) بدل (البتول).
(٢) في الديوان (طلعتْ) بدل (برزت). والدُّجُنّة: الظُّلمة.
(٣) أزهقت: أذهبت وأبطلت. ومتاب: توبة.
(٤) أزمعوا: عزموا على الرّحيل. ويَجِف: يضطرب ويخفق.
(٥) أَشَتَّ: فَرَّق، وفي الديوان (ما وجدتْ) بدل (ما أشتَّ بنا). والوشك: القرب.

الغناء للغَرِيض خفيف ثَقيل بالوُسْطى. ومنها:

صوت [الخفيف]

فَلَوتْ رَأسَها ضِرَاراً وقالَتْ ... لا وَعَيْشِي ولو رَأَيْتُكَ مُتَّا
حِينَ آثَرْتَ بِالمَودَّةِ غَيْرِي ... وَتَنَاسَيْتَ وَصْلَنا ومَلِلْتَا
قد وَجَدْنَاكَ إذ خُبِرْتَ مَلُولاً ... طَرِفاً لم تَكُنْ كما كُنْتَ قُلْتَا[1]

الغناء لمالكٍ رَمَلٌ ثَقِيلٌ أوّلُ بالوُسْطى عن عمرو. وفيه لابن سُرَيج خَفِيفُ ثقيلٍ عن الهِشَامِيّ، وكذا رَوَتْه دَنَانِيرُ عن فُلَيحٍ، وقد نَسَبَ قومٌ لحنَ مالكٍ إلى الغَرِيضِ. ومنها:

صوت [الخفيف]

يا خَلِيلَيَّ سَائِلاَ الأطْلاَلا ... ومَحَلاً بِالرَّوْضَتَيْنِ أحَالا[2]

- ويُرْوَى:

بِالبُلَيَّيْنِ إنْ أحَرْنَ سُؤالا[3]

وسَفَاهٌ، لولا الصَّبَابَةُ، حَبْسِي ... في رُسُومِ الدِّيَارِ رَكْباً عِجَالاَ
بعدمَا أقْفَرَتْ مِن آلِ الثُّرَيَّا ... وأجَدَّتْ فيها النِّعَاجُ ظِلاَلاَ[4]

الغناء لابن سُرَيجٍ هَزَجٌ خَفِيفٌ مُطْلَقٌ في مَجْرَى البِنْصَر عن إسحاقَ. وفيه لحَكَمٍ الواديّ ثقيلٌ أوّلُ من جامع أغانيه. وذكرَ أبنُ دِينَارٍ أنّ فيه لابن عائشةَ لحناً لم يذكُر طريقتَه. وذكر إبراهيمُ أنّ فيه لِدَحْمَانَ لحناً ولم يُجَنِّسْهُ. وقال حَبَشٌ: فيه لإسحاقَ ثقيل أوّلُ بالوسطى.

---

(١) الطَّرِف: المتقلّب الذي لا يثبت على امرأة ولا صاحب.

(٢) الروضتان: تثنية الروضة وفي بلاد العرب روضات كثيرة ذكرها ياقوت في (معجم البلدان ٣: ٨٣) ولعلّ التي أرادها عمر في شعره إحدى الروضات القريبة من المدينة. وأحال: تغيَّر.

(٣) البُلَيَّيْن: كأنه تثنية بُلَيّ، وهو تلّ قصير أسفل حاذة بينها وبين ذات عرق (معجم البلدان ١: ٤٩٤). أحار السؤال: ردَّه. واستحار الدارَ: استنطقها. وفي الديوان (إن أجَزْنَ سؤالاً).

(٤) النِّعاج: البقر الوحشية، أي سكنتها النعاج بعد رحيل أهلها.

[عمر يلحق بالثريا عند ارتحالها مع زوجها ويودّعها ويبكيان]

أخبرني محمدُ بن خَلَفِ بنِ المَرْزُبَان قال: حَدَّثنا أبو عبد الله التّميميّ، يعني أبا العَيْناء، عن القَحْذَمِيِّ عن أبي صالح السَّعْدِيّ قال: لمّا تَزَوَّجَ سُهَيلُ بنُ عبد العزيز الثُّرَيَّا ونَقَلَها إلى الشّأم، بلغَ عمرَ بنَ أبي ربيعةَ الخبرُ، فأتَى المنزلَ الذي كانَتِ الثّريّا تَنْزِلُهُ، فوجَدَها قد رَحَلَتْ منه يومئذٍ، فخَرَجَ في أثَرِهَا فَلَحِقَهَا على مَرْحَلَتَيْن، وكانت قبل ذلك مُهَاجِرَته لأمرٍ أنكَرَتْهُ عليه. فلمّا أدركَهُمْ نَزَلَ عن فَرسِهِ ودَفعَهُ إلى غلامِهِ ومَشَى مُتَنَكِّراً حتى مَرَّ بالخَيْمةِ؛ فعرَفَتْه الثّريَّا وأثبتتْ[1] حرَكَتَهُ ومِشْيَتَهُ، فقالَتْ لِحاضِنَتِها: كَلِّمِيهِ؛ فَسَلَّمَتْ عليه وسألَتْه عن حالِهِ وعاتبتْه على ما بلغَ الثّريّا عنه؛ فاعتذَر وبكى، فبكَتِ الثّريّا؛ فقالت: ليس هذا وقتَ العِتَاب مع وَشْكِ الرَّحيلِ. فحادَثَها إلى وقتِ طلوعِ الفَجرِ ثمّ وَدَّعَها وبَكَيَا طويلاً، وقامَ فَرَكِبَ فرسَهُ ووقَفَ يَنظُرُ إليهم وهم يَرْحَلُون، ثم أَتْبَعَهُمْ بَصرَه حتى غابوا، وأنشأ يقول:

[البسيط]

يا صاحِبَيَّ قِفَا نَسْتَخبِرِ الطَّلَلاَ ... عن حالِ مَنْ حَلَّه بالأمسِ ما فَعَلاَ[2]

فقال لي الرَّبْعُ لَمَّا أنْ وَقَفْتُ به: ... إنَّ الخَلِيطَ أَجَدَّ البَيْنَ فاحْتَمَلاَ[3]

وخَادَعَتْكَ النَّوَى حتى رَأَيْتَهُمُ ... في الفَجْرِ يَحْتَثُّ حَادِي عِيسِهِمْ زَجِلا[4]

لمَّا وَقَفْنا نُحَيِّيهِمْ وقد صَرَخَتْ ... هَوَاتِفُ البَيْنِ واسْتَوْلَتْ بهم أُصُلاَ[5]

صَدَّتْ بِعَاداً وقالَتْ لِلّتي معها ... بِاللهِ لُومِيهِ في بعضِ الّذي فَعَلا

وحَدِّثِيهِ بما حُدِّثْتِ واسْتَمِعي ... ماذا يقولُ ولا تَعْيَيْ به جَدَلاَ[6]

حتى يَرى أنَّ ما قالَ الوُشاةُ له ... فينا لَدَيْه إلينا كُلُّهُ نُقِلا

وعَرِّفِيهِ به كَالهَزْلِ واحْتَفِظي ... في بعضِ مَعْتَبةٍ أنْ تُغْضِبي الرَّجُلاَ

---

(١) أثبتت: تحقَّقت.

(٢) في الديوان: (عن بعض) بدل (عن حالِ).

(٣) أَجَدَّ: اعتزم. واحتمل: حمل على الدواب أشياءه للانتقال من دار إلى دار.

(٤) يحتث: يسوق بإلحاح مُتَّصِل. والحادي: الذي يسوق الجمال بالغناء. والعِيس: جمع العَيساء والأعيس، الإبل البيض التي يخالط بياضها شُقرةٌ أو سوادٌ خفيف. وفي الديوان (عيرهم) والعِير: القافلة. وزَجِلاً: رافعاً صوته في الغناءِ للإبل.

(٥) الأُصُل: جمع الأصيل: العَشِيّ.

(٦) لا تعيي به جدلاً: لا تعجزي وتتعبي في مجادلته.

فَـإنَّ عَـهْـدِي بـه والـلَّـهُ يَـحْـفَـظُـهُ وإنْ أتَى الذَّنْبَ مِمَّنْ يَكْرَهُ العَذَلا[١]
لو عِنْدَنا اُغْتِيبَ أو نِيلَتْ نَقِيصَتُه ما آبَ مُغْتابُهُ مِنْ عندِنا جَذِلاَ
قُلْتُ آسمَعِي فلقد أبْلَغْتِ في لَطَفٍ وليس يَخْفَى على ذِي اللُّبِّ مَنْ هَزَلاَ
هـذا أرَادَتْ بـه بُـخْـلاً لأعْـذِرَهـا وقـد أرَى أنَّـهـا لـن تَـعْـدَمَ الـعِـلَـلاَ
مـا سُـمِّـيَ الـقَـلْـبُ إلاّ مِـنْ تَـقَـلُّـبِـهِ ولا الـفـؤادُ فـؤاداً غـيـرَ أنْ عَـقَـلاَ[٢]
أمّا الـحـديـثُ الّذي قـالـتْ أُتِيتَ بـه فـمـا عَـبـأْتُ بـه إذْ جاءَنِي حِوَلاَ[٣]
ما إنْ أطَعْتُ بها بِالغَيْبِ قد عَلِمَتْ مقالةَ الكَاشحِ الواشي إذا مَحُلاَ[٤]
إنِّـي لأزجِـعُـهُ فـيـهـا بِـسَـخْـطَـتِـهِ وقـد يَـرَى أنَّـه قـد غَـرَّنِـي زَلَـلا

وهي قصيدة طويلة مذكورة في شعره.

[الغريض يغنّي نائحاً على الثّريّا]

أخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز الجَوهريّ وحَبِيبُ بن نَصْر ومحمد بنُ خَلَف بن المَرْزُبَان قالوا: حَدَّثنا عمرُ بن شبَّة قال: أخبرنا محمد بن يحيى قال: زعمَ عُبَيْد بن يَعْلى قال: حَدَّثني كَثِيرُ بن كَثِير السَّهْمِيّ[٥] قال: لمّا ماتَتِ الثُّرَيَّا أتاني الغرِيضُ فقال لي: قُلْ أبياتَ شِعْرٍ أنُحْ بها على الثّريّا فقلت:

صوت

[الوافر]

ألا يـا عَـيْـنُ مـا لَـكِ تَـدْمَـعِـيـنـا أمِنْ رَمَـدٍ بَـكَـيْـتِ فَـتُـكْـحَـلِـيـنـا
أمَ انْـتِ حَـزِيـنـةٌ تَـبْـكِـيـنَ شَـجْـواً فَـشَـجْـوُكِ مِـثْـلُـهُ أبْـكَـى الـعـيـونَـا

غَنَّى الغَرِيضُ في هذين البيتين لحناً من خَفِيف الثَّقِيلِ الأوّل بالوُسْطَى عن عمرو ويحيى المكيّ والهشاميّ وغيرهم.

---

(١) العَذَل: الملامة والعتب.

(٢) الفؤاد: من التفؤّد، أي التوقّد، سمّي به لتوقّده وتحرّقه.

(٣) في الديوان (فما عنيتُ) بدل (فما عبأتُ). والحول: جمع الحيلة.

(٤) محل: مكر. وسعى بالوشاية كيداً.

(٥) كَثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة السّهميّ: كان شاعراً قليل الحديث ذكره ابن حبان في الثقات. (تهذيب التهذيب رقم ٥٨١٦).

[وفاة عمر بن أبي ربيعة]

أخبرني حَبِيبُ بن نَصْر المُهَلَّبِيّ قال: حَدَّثنا الزُّبَير بن بَكَّار قال: حَدَّثني عبد الجَبَّار بن سَعِيد المُسَاحِقيّ قال: حَدَّثني إبراهيمُ بنُ يعقوبَ بنِ أبي عبد الله عن أبيه عن جَدّه عن ثَعْلبةَ بنِ عبد الله بن صُعَير[١]: أنَّ عمرَ بن أبي ربيعةَ نَظَر في الطَّوَافِ إلى آمرأةٍ شريفةٍ، فرأى أَحْسَنَ خَلْقِ الله صُورَة، فذهَبَ عقلُه عليها، وكَلَّمَها فلم تُجِبْهُ، فقال فيها: [البسيط]

الـرِّيـحُ تَـسْـحَـبُ أَذْيـالاً وتَـنْـشُـرهـا ... يـا لـيتني كُنْتُ مِمَّنْ تَسْحَبُ الرِّيحُ
كَـيْـمـا تَـجُـرُّ بـنـا ذَيْـلاً فَـتَـطْـرَحُـنـا ... عـلـى الّـتـي دُونَـهـا مُـغْـبَـرَّةٌ سُـوحُ[٢]
أَنَّـى بِـقُـرْبِـكُـمُ أم كـيـفَ لـي بِـكُـمُ ... هَـيْـهَـاتَ ذلـكَ مـا أَمْـسَـتْ لـنـا رُوحُ!
فـلـيـتَ ضِـعْـفَ الّـذي أَلْـقَـى يـكـونُ بـهـا ... بـل لَيْـتَ ضِـعْـفَ الّـذي أَلْـقَـى تَبَارِيحُ[٣]
إِحْـدَى بُـنَـيَّـاتِ عَـمِّـي دُونَ مَـنْـزِلِـهـا ... أَرْضٌ بِـقـيـعَـانِـهـا الـقَـيْـصُـومُ والـشِّـيحُ[٤]

فبلغَها شِعْرُهُ فَجَزِعَتْ منه[٥]. فقيلَ لها: آذْكُرِيهِ لِزوجِكِ؛ فإنَّهُ سَيُنْكِرُ عليه قولَه. فقالت: كلاَّ واللَّهِ لا أشكوه إلاَّ إلى الله. ثم قالت: اللَّهُمَّ إن كان نَوَّهَ بِاسْمِي ظالِماً فاجْعَلْهُ طعاماً لِلرِّيح. فَضَرِبَ الدَّهرُ مِنْ ضَرْبِه[٦]، ثم إنّه غدا يوماً على فرسٍ فَهَبَّتْ ريحٌ فنزَلَ فاستتَر بِسَلَمةٍ[٧] فَعَصَفتِ الرِّيحُ فخدَشَهُ غُصْنٌ منها قَدَمِيَ ووَرِمَ به وماتَ من ذلك.

---

(١) ثعلبة بن عبد الله بن صُعَير: رأى النبيﷺ وله حديث واحد عن النبيﷺ في صدقة الفطر. (تهذيب التهذيب رقم ٨٨٤).
(٢) السُّوح: جمع السّاحة: الفضاء. المغبرَّة: يريد الفلاة المقفرة.
(٣) التباريح: الشدائد، ومن الشّوق: توهّجه.
(٤) القيعان: جمع القاع: الأرض السهلة المطمئنة المنخفضة عن المرتفعات المحيطة بها. والقيصوم: نبات ذهبيّ الزهر طيّب الرائحة يُتداوى به. والشِّيح: نبات طيّب الرائحة قَوِيُّها أصفر الزهر وأحمره.
(٥) جزعت: يريد من شعره لأنه يُشَهِّرُ بها.
(٦) ضرب الدهر من ضَربه: أي مَرَّتْ مدّة من الدّهر وقع فيها بعض الحوادث.
(٧) السَّلَمة: شجرة من العضاه يُدبغ بورقها الأديم.

أخبار ٱبْن سُرَيْج ونسبه

[نَسَبُ ابن سُريج وبعض أوصافه]

هو عُبَيد بنُ سُرَيْج، ويُكْنَى أبا يحيى، مَوْلَى بني نَوْفَلِ بنِ عبدِ مَنَافٍ. وذكرَ ٱبنُ الكَلْبِيّ عن أبيه وأبي مِسْكِين أنه مَوْلىً لِبني الحارثِ بنِ عبد المُطَّلِب.

أخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز الجَوْهَرِيّ قال: حَدَّثنا عمرُ بنُ شَبَّة قال: حَدَّثنا محمد بن يحيى أبو غَسَّانَ قال: ٱبنُ سُرَيْج مَوْلىً لِبَنِي لَيْث، ومنزلُه مَكَّة.

وأخبرني الحُسَين بن يَحْيى عن حَمَّاد بنِ إسحاقَ عن أبيه قال: سألتُ الحَسَن ابنَ عُتْبَةَ اللَّهَبِيّ عن ٱبن سُرَيْج فقال: هو مَوْلىً لبني عائِذ بنِ عبدِ الله بن عمر بن مَخْزُوم. وفي بَنِي عائذٍ يقول الشّاعر: [الوافر]

فإنْ تَصْلُحْ فإنَّكَ عائِذيٌّ وصُلْحُ العائِذِيِّ إلى فَسَادِ

قال إسحاقُ: وقال سَلَمَةُ بن نَوْفَل بنِ عَمَارَةَ: ابنُ سُرَيج مولَى عبدِ الرّحمن ابن أبي حُسَين بنِ الحارِث بنِ نَوْفَلٍ، أو ٱبنِ عامرِ بن الحارث بن نوفل بنِ عبد مَنَافٍ.

أخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز عن أبي أيُّوبَ المَدِينيّ قال: ذكر إبراهيمُ بنُ زِيَادِ ابنِ عَنْبَسَةَ بن سَعِيد بن العَاصِ: أنّ ابنَ سُرَيْج كان آدمَ أحمرَ ظاهرَ الدَّم سِناطاً[1] في عينيه قَبَلٌ[2]، بلغ خمساً وثمانين سنةً، وصَلِعَ فكان يَلْبَسُ جُمَّةً[3] مُرَكَّبَةً، وكان أكثرَ ما يُرَى مُقَنَّعاً، وكان منقطعاً إلى عبد الله بنِ جعفر.

---

(١) السُّناط: الذي لا لحية له أو الخفيف العارضَيْن.

(٢) القَبَل في العينين: إقبال إحدى الحدقتين على الأخرى.

(٣) الجُمَّة: مجتمع شعر الرأس أي إنه كان يضع شعراً مصطنعاً.

وقال ٱبنُ الكَلْبيّ عن أبيه قال: كان ٱبنُ سُرَيْج مُخَنَّثاً[١] أحولَ أعمش يُلَقَّبُ «وجه البابِ»، وصَلِع فكان يلبسُ جُمَّةً؛ وكان لا يُغَنِّي إلا مُقَنَّعاً يُسْبِلُ القِنَاعَ على وَجهِهِ.

وقال ٱبنُ الكَلْبي عن أبيه وأبي مِسْكِينٍ: كان ٱبنُ سُرَيْجٍ أحسنَ النَّاسِ غناءً، وكان يُغَنِّي مُرْتَجِلاً ويُوقِعُ بِقَضِيبٍ، وغَنَّى في زَمَنِ عثمانَ بنِ عَفَّان رَضِيَ اللَّهُ عنه، وماتَ في خِلاَفَةِ هِشَامِ بنِ عبد الملك.

قال إسحاقُ: وكان الحَسَنُ بن عُتْبَةَ اللَّهَبِيّ يروِي مثلَ ذلك فيه، وذكرَ أنّ قبرَه بِنَخْلَةَ[٢] قريباً من بُستانِ ٱبنِ عامر.

قال إسحاق وحَدَّثني الهَيْثَمُ بنُ عَدِيّ عن صالح بنِ حَسَّان قال: كان عُبَيْدُ بن سُرَيْج من أهلِ مكّةَ وكان أحسنَ النَّاسِ غِناءً. قال إسحاقُ: قال عُمَارَةُ بن أبي طَرَفَةَ الهُذَلِيّ: سَمِعْتُ ٱبنَ جُرَيْجٍ يقولُ: عُبيدُ بنُ سُرَيْج من أهلِ مكَّةَ مولَى آلِ خالد بنِ أَسِيدٍ.

قال إسحاقُ وحدَّثني إبراهيمُ بنُ زِيَاد عن أَيُّوب بن سَلَمَةَ المَخْزُومِيّ قال: كان في عينِ ٱبنِ سُرَيْج قَبَلٌ حُلْوٌ لا يَبْلغُ أن يكون حَوَلاً، وغَنَّى في خلافةِ عثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عنه، وماتَ بعد قَتْلِ الوليدِ بن يزيدَ، وكان له صَلَعٌ في جَبْهَتِهِ، وكان يَلْبَسُ جُمَّةً مُرَكَّبَةً فيكونُ فيها أحسنَ شيءٍ، وكان يُلَقَّبُ «وجهَ الباب» ولا يغضَبُ من ذلك؛ وكان أبوه تُرْكِيّاً.

وقال أبو أيُّوب المَدِينيّ: كان ٱبنُ سُرَيْجٍ، فيما روِيْنَا عن جَمَاعةٍ مِنَ المَكِّيين، مَوْلَى بَنِي جُنْدَعِ بنِ لَيْثِ بن بَكْرٍ، وكان إذا غَنَّى سَدَلَ قِنَاعَهُ على وَجْهِهِ حتى لا يُرَى حَوَلُه، وكان يُوقِعُ بِقَضِيبٍ، وقيل: إنه كان يضرِبُ بِالعُودِ، وكانت عِلَّتُهُ الّتي ماتَ منها الجُذَامَ[٣].

قال إسحاق وحَدَّثني أبي قال: أخبرني مَنْ رأى عُودَ ٱبنِ سُرَيْجٍ وكان على

(١) المخنّث: المسترخي المتثنّي المتشبّه بالنساء.

(٢) نخلة: وادٍ من الحجاز بينه وبين مكة مسيرة ليلتين، وهناك نخلتان اليمانية والشامية وأسفل نخلة ذات عرق الشامية بستان ابن عامر (معجم البلدان ٥: ٢٧٧).

(٣) الجُذَام: مرض يُسبِّب تأكّلَ أعضاء الجسم وسقوطها.

صَنْعَةِ عِيدَانِ الفُرْسِ، وكان ٱبنُ سُرَيْج أوّلَ مَنْ ضَرَبَ به على الغناءِ العربيِّ بمكّة. وذلك أنه رآه مع العَجَم الّذين قَدِمَ بهم ٱبنُ الزُّبير لبناءِ الكعبةِ، فأَعْجَبَ أهلَ مكّةَ غناؤهم. فقال ٱبنُ سُرَيج: أنا أضرِبُ به على غنائي، فَضرَبَ به فكان أَحْذَقَ النّاسِ.

قال إسحاق: وذكر الزُّبَيري أَنَّ أُمَّ ٱبنِ سُرَيْج مَوْلاَةٌ لآلِ المُطَّلِب يُقَالُ لها رَائِقَةُ، وقيلَ: بل أُمُّهُ هندُ أُخْتُ رائقةَ، فَمِنْ ثَمَّ قيل: إنّه مَوْلَى بني المُطَّلِب بن حَنْطَبٍ. وكان ٱبنُ سُرَيْج بعد وفاةِ عبد الله بن جَعْفَرٍ قد ٱنقطع إلى الحَكَم بن المُطَّلب بن عبد الله بن المُطَّلب بن حَنْطَب أحدِ بني مَخْزُوم، وكان من سادةِ قُرَيشٍ ووجوهِها. وأخذ ٱبنُ سُرَيج الغناءَ عن ٱبن مِسْجَحٍ.

[أصول الغناء العربي، وبداية شهرة ابن سُرَيج]

قال إسحاقُ: وأصلُ الغناءِ أربعةُ نَفَرٍ: مَكّيّان ومَدَنِيَّان؛ فالمَكّيان: ٱبنُ سُرَيْج وٱبن مُحْرِز، والمدنيان: مَعْبَد ومالك.

قال إسحاقُ وقال سَلَمَةُ بنُ نَوْفَلِ بنِ عُمارَةَ: أخبرني بذلك مَنْ شِئْتَ من مَشْيَخَتِنَا: أنّ يوماً شُهِر فيه ٱبنُ سُرَيج بالغناءِ في خِتَانِ ٱبنِ مَوْلاه عبدِ الله بنِ عبد الرّحمن بن أبي حُسَين. قال لأُمِّ الغلامِ: خَفِّضِي عليكِ بعضَ الغُرْمِ والكُلْفةِ؛ فواللّهِ لأُلْهِيَنَّ نساءَكِ حتى لا يَدْرِينَ ما جِئْتِ به ولا ما عَزَمْتِ عليه.

قال إسحاق: وسألْتُ هِشَامَ بنَ المُرِّيَّة، وكان قد عُمِّر، وكان عالماً بالغناءِ فلا يُبَارى فيه، فقلتُ له: مَنْ أحْذَقُ النّاسِ بالغناءِ؟ فقال لي: أَتُحِبُّ الإطالَةَ أم الاختِصَار؟ فقلت: أُحِبُّ الاختصارَ الّذي يأتي على سؤالي. قال: ما خَلَقَ اللّهُ تعالى بعد داودَ النَّبِيِّ عليه الصّلاة والسّلام أحسنَ صوتاً من ٱبن سُرَيج، ولا صاغَ اللّهُ عزَّ وجلَّ أحداً أَحْذقَ منه بالغناءِ، ويَدُلُّك على ذلك أَنَّ مَعْبَداً كان إذا أعجبَهُ غناؤه قال: أنا اليومَ سُرَيْجِيّ.

قال وأخبرني إبراهيمُ ـ يعني أباه ـ قال: أدركْتُ يونُسَ بنَ محمدٍ الكاتبَ فحَدَّثني عن الأربعة: ٱبنِ سُرَيج وٱبنِ مُحْرز والغَرِيض ومَعْبَد. فقلت له: مَنْ أحسنُ النَّاسِ غِنَاءً؟ فقال: أبو يَحْيَى. قلتُ: عُبَيْدُ بنُ سُرَيْج؟ قال: نَعَمْ. قلتُ: وكيف

ذاكَ؟ قال: إنْ شِئْتَ فَسَّرْتُ لكَ، وإن شِئْتَ أَجْمَلْتُ. قلت: أَجْمِلْ. قال: كأنّه خُلِقَ من كلّ قَلْبٍ، فهو يغنّي لكلّ إنسانٍ ما يَشْتهي.

أخبرني أحمدُ بن جَعْفرٍ جَحْظَةُ قال: قالَ حَمَّادُ بنُ إسحاقَ: أخبرني أبي عن الفضلِ بنِ يحيى بن خالد بن بَرْمَك قال: سَألْتُ إبراهيمَ المَوْصِليّ ليلةً وقد أخذَ منه النّبيذُ: مَنْ أَحْسَنُ النَّاسِ غِناءً؟ فقال لي: من الرِّجالِ أم من النّساءِ؟ فقلْتُ: من الرِّجالِ. فقال: ٱبنُ مُحْرِز. قلت: ومنَ النّساءِ؟ قال: ٱبنُ سُرَيج. ثم قال لي: إنْ كان ٱبنُ سُرَيْجٍ إلاّ كأنَّهُ خُلِقَ من كلّ قلبٍ فهو يُغَنّي له ما يشتهي!

أخبرني جحْظَة قال: حَدَّثني عليُّ بن يحيى المنجّم قال: أرسلني محمد بنُ الحُسينِ بنِ مُصْعَبٍ إلى إسحاق أسأله عن لحنِه ولحنِ ٱبنِ سُرَيج في:

تَشَكّى الكُمَيتُ الجَرْيَ لمَّا جَهَدْتُه

أيُّهما أحسنُ؟ فَصِرْتُ إليه فسألتُه عن ذلك؟ فقال لي: يا أبا الحَسَن، واللّهِ لقد أخذتُ بِخِطام[1] راحلتِه فَزَعْزَعْتُهَا[2] وأَنَخْتُها وقمتُ بها فما بلَغْتُه. فَرَجَعْتُ إلى محمد بن الحُسَين فأخبرتُه؛ فقال: والله إنه لَيَعْلَمُ أنّ لحنَه أحسنُ من لحنِ ٱبنِ سُريج، ولقد تَحَامَلَ لابنِ سُرَيج على نفسِه، ولكن لا يَدَعُ تَعَصُّبَه للقُدَمَاء. وقد أخبرنا يحيى بنُ عليّ بنِ يحيى هذا الخبرَ عن أبيه، فذكَر نحوَ ما ذكَره جَحْظَةُ في خبره ولم يَقُلْ: أرسلَني محمدُ بن الحُسَين إلى إسحاق. وقال جَحْظَةُ في خبره: قال عليُّ بنُ يحيى: وقد صَدَقَ محمدُ بن الحُسَين، لأنه قَلَّما غُنّيَ في صوتٍ واحدٍ لحنان فسقَطَ خَيْرُهما، والذي في أيدي النَّاسِ الآنَ من اللَّحْنَيْنِ لحنُ إسحاق، وقد تُرِكَ لحنُ ٱبنِ سُرَيْج، فَقَلَّ مَنْ يسمعُهُ إلاَّ من العَجَائِزِ المتقدّماتِ ومَشَايخ المغنِّين. هذا أو نحوه.

وأخبرني يحيى بن عليّ قال: حَدَّثنا أبو أيُّوب المَدينيّ عن إبراهيم بن عليّ بنِ هشام قال: يقولون: إنّ ٱبتداء غِنَاءِ إسحاقَ الذي في:

تَشَكّى الكُمَيْتُ الجَرْيَ لمّا جَهَدْتُه

إنّما أخذه من صوتِ الأَبْجَر:

---

(١) الخطام: الزّمام.

(٢) وزعزعتها: حرّكتها وسقتها سوقاً عنيفاً.

يـقـولـون مـا أَبْـكَـاكَ والـمـالُ غَـامِـرٌ[١]

نسبة هذا الصّوت

صوت

[الطويل]

يـقـولـون مـا أبـكـاك والـمـالُ غـامـرٌ عليكَ وضاحِي الجِلْدِ منكَ كَنِينُ[٢]
فَـقُـلْـتُ لـهـم لا تَـسْـأَلُـونِـيَ وٱنْـظُـروا إلـى الـطَّـرِبِ الـنَّـزَّاعِ كـيـفَ يـكـونُ[٣]

غَنَّاه الأَبْجَرُ ثقيلاً أوّلَ بالبِنْصَر، عن عمْرٍو ودَنَانِيرَ. وذَكَرَ الهِشَامِيُّ أنَّ فيه لِعَزَّةَ المَرْزُوقِيَّةِ ثانيَ ثقيلٍ بالوُسْطَى.

[مولده ووفاته واشتغاله بالغناء بعد أن كان نائحاً]

أخبرني رِضْوَانُ بنُ أحمدَ الصَّيْدَلاَنِيّ قال: حَدَّثنا يوسفُ بنُ إبراهيمَ قال: حَدَّثني إبراهيمُ بنُ المَهْدِيّ قال: حَدَّثني إسماعيلُ بنُ جامِعٍ عن سِيَاطٍ قال: كان ٱبنُ سُرَيْجٍ أوّلَ مَنْ غَنَّى الغناءَ المُتْقَنَ بالحجازِ بعد طُوَيْسٍ، وكان مَوْلِدُه في خلافةِ عمرَ ابنِ الخَطَّابِ، وأدركَ يزيدَ بن عبد الملك وناحَ عليه، ومات في خلافةِ هِشَام. قال: وكان قبل أن يُغَنِّيَ نائحاً ولم يكن مذكوراً، حتى وردَ الخبرُ مكَّة بما فَعَلَهُ مُسْرِفُ[٤] ابن عُقْبَة بالمدينةِ، فَعَلا على أبي قُبَيْسٍ وناحَ بِشِعْرٍ هو اليومَ داخلٌ في أغانِيهِ، وهو:

[السريع]

يـا عَـيْـنُ جُـودِي بِـالـدُّمُـوعِ الـسِّـفَـاحِ وٱبْكِي على قَتْلَى قُرَيْشِ البِطَاحِ[٥]

فاستحسنَ النَّاسُ ذلك منه، وكان أوّلَ ما نَدَبَ به.

---

(١) الغامر: الكثير وأصله من غمر الماء إذا غطّى.
(٢) ضاحي الجلد: عاريه الذي يتعرّض للشمس. وكنين: مستور مكنون.
(٣) النّزّاع: ذو الحنين والشوق.
(٤) مسرف: مسلم بن عُقْبَة بن رباح المري، ومسرف لقب سماه به أهل الحجاز لكثرة ما قتل ونهب وسرق في وقعة الحرّة (٦٣ هـ/ ٦٨٣ م) ترجمته في: الإصابة: ٣: ٩٣ ونسب قريش ١٢٧، والمحبر ٣٠٣ و ٤٨٢.
(٥) السِّفاح: المنصبّ الغزير. والبِطاح: جمع البطحاء: أصله المسيل الواسع فيه دقاق الحصى، وقريش البطاح: الذين يسكنون بطحاء مكة وهم أكرم قريش (معجم البلدان ١: ٤٤٦).

[سكينة بنت الحسين تبعث بشعر لابن سريج لينوح به]

قال ٱبنُ جامِع: وحَدَّثني جماعةٌ من شُيُوخ أهلِ مكَّةَ أنّهم حُدِّثُوا: أنّ سُكَينةَ بنتَ الحُسَيْنِ عليها السلام بَعَثَتْ إلى ٱبنِ سُرَيْج بِشعرٍ أَمَرَتْهُ أنْ يَصُوغَ فيه لَحْناً يُنَاحُ به، فصاغَ فيه، وهو الآن داخلٌ في غِنَائِهِ. والشّعرُ: [الكامل]

يـا أَرْضُ وَيْـحَـكِ أَكْـرِمِـي أمـواتِـي ... فـلـقـد ظَـفِـرْتِ بِـسـادَتِـي وحُـمَـاتِـي

فقدَّمَهُ ذلك عند أهلِ الحَرَمَيْنِ على جميعِ نَاحةٍ[1] مكّةَ والمدينةِ والطّائفِ.

[ابن سريج يعلّم الغريض النياحة]

قال وحَدّثني ٱبنُ جامِعٍ وٱبن أبي الكَنَّات جميعاً: أنّ سُكينةَ بَعَثَتْ إليه بمملوكٍ لها يُقال له عبد الملك، وأَمَرَتْهُ أنْ يُعَلِّمَهُ النِّيَاحَةَ، فلم يَزَلْ يُعَلِّمُهُ مدّةً طويلة، ثم تُوفِّيَ عَمُّها أبو القاسم محمد بن الحَنَفِيَّةِ عليه السلام، وكان ٱبن سُرَيْج عَلِيلاً عِلَّةً صَعْبةً فلم يَقْدِرْ على النِّيَاحةِ. فقال لها عبدُها عبد الملك: أنا أَنُوحُ لك نَوْحاً أُنسِيكِ به نَوْحَ ٱبنِ سُرَيْج. قالتْ: أَوَتُحْسِنُ ذاكَ؟ قال: نعم. فأَمَرَتْهُ فناحَ؛ فكان نَوْحُهُ في الغاية من الجَوْدةِ، وقال النّساءُ: هذا نَوْحٌ غَرِيضٌ[2]؛ فَلُقِّبَ عبدُ الملك الغَرِيضَ. وأفاقَ ٱبنُ سُرَيْج من عِلَّتِهِ بعد أيام وعَرَفَ خبرَ وفاةِ ٱبن الحَنَفِيَّة، فقال لهم: فمَنْ ناحَ عليه؟ قالُوا: عبدُ الملك غُلَامُ سُكَينة. قال: فهل جَوَّزَ النَّاس نَوْحَهُ؟ قالوا: نعَمْ وقدَّمَهُ بعضُهم عليك. فحَلَفَ ٱبنُ سُرَيْجٍ أَلاَّ يَنُوحَ بعدَ ذلك اليوم، وترَكَ النَّوْحَ وعَدَلَ إلى الغناءِ، فلم يَنُحْ حتى ماتت حَبَّابةُ وكانت قد أَخَذَتْ عنه وأَحْسَنَتْ إليه فناحَ عليها، ثمّ ناحَ بعدَها على يزيدَ بن عبد الملك، ثم لم يَنُحْ بعدَه حتى هَلَكَ. قال: ولمّا عَدَلَ ٱبنُ سُرَيج عَنِ النَّوْحِ إلى الغناءِ عَدَلَ معه الغَرِيضُ إليه. فكان لا يُغَنِّي صوتاً إلاّ عارضَهُ فيه.

[عطاء بن أبي رباح يتعرَّض لابن سريج]

أخبرني رِضوان بنُ أحمدَ الصَّيْدَلاَنِيّ قال: حَدَّثنا يوسف بن إبراهيمَ قال: حَدَّثَ إسحاقُ بنُ إبراهيمَ المَوْصِلي أبا إسحاق إبراهيمَ بنَ المَهْديّ وأنا

---

(١) ناحة: جمع نائح.
(٢) الغريض: كل غناء محدَث طريّ ويُطْلَق على المغنّي الجيد.

حاضرٌ أنّ يحيى المَكّيَّ حَدَّثَه أن عَطاءَ بن أبي رَباحٍ لَقِيَ ٱبنَ سُرَيج بِذِي طُوىً[١] وعليه ثِيَابٌ مُصَبَّغةٌ وفي يَدِهِ جَرَادَةٌ مشدودةُ الرِّجْلِ بِخَيْطٍ يُطيِّرها ويَجْذِبُها به كُلَّما تَخَلَّفَتْ؛ فقال له عَطَاء: يا فَتَّانُ، ألاَ تَكُفُّ عَمّا أنت عليه! كَفَى اللَّهُ النَّاسَ مؤُونَتَك. فقال ٱبنُ سُرَيج: وما على النَّاسِ من تَلْوِينِي ثِيابِي ولَعِبي بِجَرَادَتِي؟ فقال له: تَفْتِنُهم أغانِيكَ الخَبِيثَةُ. فقال له ٱبنُ سُرَيْج: سأَلُتكَ بِحَقِّ مَنْ تَبِعْتَهُ من أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ، وبِحَقِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ عليكَ، إلاّ ما سَمِعْتَ مِنِّي بيتاً من الشِّعرِ، فإِنْ سَمِعْتَ مُنْكَراً أَمَرْتَنِي بالإمساكِ عَمّا أنا عليه. وأنا أُقْسِمُ بِاللَّهِ وبحقِّ هذه البَنِيَّةِ لَئِنْ أَمَرتَني بعد ٱستماعِكَ مِنِّي بالإمساكِ عمّا أنا عليه لأَفْعَلَنَّ ذلك. فأطمعَ ذلك عَطاءَ في ٱبنِ سُرَيْج، وقال: قُلْ. فاندفع يُغَنِّي بشعرِ جَرِير:

صوت

[الكامل]

إنّ الّـذيـن غَـدَوْا بِـلُـبِّـكَ غَـادَرُوا ... وَشَـلاً بِـعَـيْـنِـكَ لا يـزالُ مَـعِـيـنَـا[٢]

غَـيَّـضْـنَ مِـنْ عَـبَـراتِـهِـنَّ وقُـلْـنَ لـي ... مـاذا لَـقِـيـتَ مِـنَ الـهَـوَى ولَـقِـيـنَـا[٣]

ـ لَحْنُ ٱبنِ سُرَيج هذا ثَقِيلٌ أوّلُ بالوُسْطَى عن ابن المَكّيّ والهِشَامِيّ، وله أيضاً فيه رَمَلٌ. ولإسحاقَ فيه رَمَلٌ آخرُ بالوُسْطَى. وفيه هَزَجٌ بالوُسطى يُنْسَبُ إلى ٱبن سُرَيج والغَرِيض ـ قال: فلمّا سَمِعَه عَطَاءٌ ٱضطربَ اضطراباً شديداً ودخَلَتْهُ أَرْيَحِيَّةٌ فحلَفَ ألاّ يُكَلِّمَ أحداً بقيةَ يومِهِ إلاّ بهذا الشِّعرِ، وصارَ إلى مكانِهِ من المسجدِ الحرام: فكان كلُّ مَنْ يأتيه سائلاً عن حَلاَلٍ أو حَرَامٍ أو خبرٍ من الأخبارِ، لا يُجِيبُه إلاّ بأَنْ يَضرِبَ إحدى يديه على الأُخرى ويُنْشد هَذا الشِّعْرَ حتى صَلَّى المغربَ، ولم يُعَاوِدِ ٱبنَ سُرَيج بعد هذا ولا تَعَرَّضَ له.

[لقاء بالصدفة بين يزيد بن عبد الملك وابن سريج وعمر بن أبي ربيعة]

أخبرني جَعْفَر بنُ قُدَامَةَ قال: حَدَّثني حَمَّادُ بنُ إسحاق عن أبيه، وأخبرني الحَسَنُ بن عليّ قال: حَدَّثني الفَضْلُ بن محمد اليزيدي قال: حَدَّثني إسحاقُ عن

(١) ذو طُوىً: موضع عند مكة (معجم البلدان ٤: ٤٥).

(٢) الوَشَل: الدمع الغزير. والمَعِين: الجاري السائل على وجه الأرض.

(٣) غَيّضن من عبراتهن: أرسلن دموعهن حتى نزفنها.

ابنِ جامِعٍ عن سِيَاطٍ عن يُونُس الكاتِبِ قال: لمّا قال عمرُ بن أبي ربيعةَ: [الطويل]

نَظَرْتُ إليها بالمُحَصَّبِ مِنْ مِنىً ولي نَظَرٌ لولا التَّحَرُّجُ عارِمُ

غَنَّى فيه ابنُ سُرَيج.

قال: وَحَجَّ يزيدُ بنُ عبد الملك في تلك السَّنةِ بِالنَّاسِ، وخَرَجَ عمرُ بن أبي ربيعة ومعه ابن سُرَيْج على نَجِيبين رِحَالَتَاهما[1] مُلْبَستانِ بالدِّيباج، وقد خضَبا النَّجِيبين ولَبِسَا حُلَّتَين، فجعلاَ يتلقَّيان الحَاجَّ ويتعرَّضانِ لِلنِّساءِ إلى أن أظْلَمَ اللَّيلُ. فعَدَلا إلى كَثِيبٍ[2] مُشْرِفٍ والقمرُ طالعٌ يُضِيءُ، فجلسَا على الكثيبِ، وقال عمرُ لابنِ سُرَيج: غَنِّني صوتَكَ الجديدَ؛ فاندفعَ يُغَنِّيهِ، فلم يَسْتَتِمَّه إلا وقد طلعَ عليه رجلٌ راكبٌ على فرسٍ عَتِيقٍ[3]، فَسَلَّمَ ثم قال: أيمكنُكَ ـ أَعَزَّك اللَّهُ ـ أَنْ تَرُدَّ هذا الصَّوْتَ؟ قال: نعمْ ونُعْمَةَ عَيْنٍ[4]، على أن تنزِلَ وتجلسَ معنا. قال: أنا أَعْجَلُ من ذلك، فإن أَجْمَلْتَ وأَنْعَمْتَ أَعَدْتَهُ! وليس عليكَ من وقوفي شيءٌ ولا مؤونةٌ، فأعاده. فقال له: باللَّهِ أنتَ ابنُ سُرَيجٍ؟ قال: نعم. قال: حَيَّاكَ الله! وهذا عمرُ بنُ أبي ربيعة؟ قال: نعم. قال: حَيَّاكَ اللَّهُ يا أبا الخطَّابِ! فقال له: وأنت فَحَيَّاكَ اللَّهُ! قد عَرَفْتَنا فَعَرِّفْنا نفسَكَ. قال: لا يُمْكِنُني ذلك. فغضِبَ ابنُ سُرَيج وقال: واللَّهِ لو كنتَ يزيدَ بنَ عبد الملك لمَا زادَ. فقال له: أنا يزيدُ بنُ عبد الملك. فوثَب إليه عمر فأعْظَمَه، ونَزَل ابنُ سُرَيج إليه فقبَّلَ رِكَابَه؛ فنزَعَ حُلَّتَهُ وخاتَمَه فدفعَهُما إليه، ومضَى يَرْكُضُ حتى لَحِق ثَقَلَه[5] فجاءَ بهما ابنُ سُرَيج إلى عُمَرَ فأعطاهُ إياهُما، وقال له: إنّ هذين بك أشبهُ منهما بي. فأعطاه عمرُ ثلثمائة دينارٍ وغَدَا فيهما إلى المسجدِ، فعرَفهما النَّاسُ وجعَلوا يتعجَّبونَ ويقولون: كأنَّهما واللَّهِ حُلَّةُ يزيدَ بن عبد الملك وخاتَمُهُ، ثم يسألون عمرَ عنهما فيُخْبِرُهم أنّ يزيدَ بن عبدِ الملك كسَاه ذلك.

[رحلة ابن سريج وعمر بن أبي ربيعة وغناؤه في طريق الحاجّ]

وأخبرني بهذا الخبر جعفرُ بن قُدَامَةَ أيضاً قال: وحَدَّثني ابنُ عبدِ الله بن أبي

(١) الرِّحالة: سرج من الجلد ليس فيه خَشَبٌ كانوا يتّخذونه للركض الشديد.
(٢) الكثيب: الرمل المحدودب.
(٣) العتيق: الكريم من كلّ شيء، وفرس عتيق: رائعٌ.
(٤) ونعمة عين: أي أفعل ذلك كرامة لك وإنعاماً لعينكَ.
(٥) الثَّقَل: متاع المسافر وحَشَمُه.

سَعِيد قال: حَدَّثني عَليُّ بن الصَّبَّاح عن ٱبنِ الكَلْبِي قال: حَجَّ عمرُ بنُ أبي ربيعةَ في عامٍ مِنَ الأعوام على نَجيبٍ له مَخْضُوبٍ بالحِنَّاءِ مُشَهَّرِ الرَّحْلِ بِقرابٍ[1] مُذْهَبٍ ومعه عُبَيد بنُ سُرَيج على بَغْلَةٍ له شَقْرَاءَ، ومعه غلامُه جَنَّادٌ يقُودُ فَرَساً له أدهمَ أَغَرَّ مُحَجَّلاً[2]، وكان عمرُ بن أبي ربيعةَ يُسَمِّيه «الكوكَب»، في عُنُقِهِ طَوْق ذَهبٍ ـ وجَنَّادٌ هذا هو الّذي يقول فيه:

صوت

[الطويل]

فَقُلْتُ لِجَنَّادٍ خُذِ السَّيْفَ واشْتَمِلْ ... عليه بِرفْقٍ وٱرْقُبِ الشَّمْسَ تَغْرُبِ
وأَسْرِجْ لِيَ الدَّهْمَاءَ واعْجَلْ بِمِمْطَرِي ... ولا تُعْلِمَنْ خَلْقاً مِنَ النَّاسِ مَذْهَبي[3]

الغناء لِزُرْزُرٍ غلامِ المَارِقيّ خفيفُ ثقيلٍ وهو أجود صوتٍ صنَعَهُ ـ قال: ومع عمرَ جماعةٌ من حَشَمِه وغِلْمَانِهِ ومَوَالِيهِ وعليه حُلَّةٌ مَوْشِيَّةٌ يَمَانِية، وعلى ٱبنِ سُرَيج ثوبانِ هَرَوِيَّان[4] مرتفعانِ، فلم يَمُرُّوا بِأحدٍ إلاَّ عَجِبَ من حسنِ هَيْئَتِهِمْ، وكان عُمَرُ من أَعْطَرِ النّاسِ وأَحسنِهِمْ هَيْئَةً، فَخرجُوا من مكّة يومَ التَّرْوِيَةِ بعد العَصْرِ يُرِيدُون مِنًى، فَمَرُّوا بمنزِل رجلٍ من بَنِي عبدِ مَنَافٍ بِمَنىً قد ضُرِبَتْ عليه فَساطِيطُه[5] وخِيَمُهُ، وَوَافَى الموضعَ عمرُ فأبصرَ بِنتاً لِلرَّجُلِ قد خرجَتْ مِنْ قُبَّتِها، وسَتَرَ جواريها دون القُبَّةِ لئلا يراها مَنْ مَرَّ. فأشرفَ عمرُ على النَّجِيبِ فنظَرَ إليها، وكانت من أحسنِ النّساءِ وأجملِهِنَّ. فقال لها جَوَارِيها: هذا عمرُ بن أبي ربيعة. فرَفَعَتْ رأسَها فنظَرَتْ إليه، ثم سَتَرَتْها الجوَارِي وولائِدُها عنه وَبَطَّنَّ دونَها بِسَجْفِ[6] القُبَّةِ حتى دخلَتْ. ومضَى عُمَرُ إلى منزِلِهِ وفَسَاطِيطِهِ بِمَنًى، وقد نظرَ من الجاريةِ إلى ما تَيَّمَهُ ومن جمالِها إلى ما حَيَّرَهُ، فقالَ فيها: [الطويل]

نَظَرْتُ إليها بِالمُحَصَّبِ من مِنىً ... ولي نَظَرٌ لولا التَّحَرُّجُ عَارِمُ
فَقُلْتُ أَشَمْسٌ أم مَصَابِيحُ بِيعَةٍ ... بَدَتْ لكَ خَلْفَ السَّجْفِ أم أنتَ حالمُ

(١) القِراب: شبه جراب من جلد يضع فيه الراكب سيفه بغمده وسوطه وعصاه وقد يضع فيه زاده.
(٢) الأدهم: الأسود. والأغرّ: الأبيض الجبهة. والمُحَجَّل: الذي في قوائمه بياض.
(٣) المِمْطَر: ثوب يُتَّقى به من المطر.
(٤) هَرَوِيّ: منسوب إلى هراة وهي مدينة مشهورة من أمهات مدن خراسان (معجم البلدان ٥: ٣٩٦).
(٥) الفساطيط: جمع الفُسطاط: بيتٌ من شَعَرٍ.
(٦) السّجف: السّتر.

بعيدةُ مَهْوَى القُرْطِ إمّا لَنَوْفَلٌ أبوها وإما عبدُ شَمْسٍ وهاشِمُ
ومَدَّ عليها السَّجْفَ يومَ لَقِيتُها على عَجَلٍ تُبَّاعُها والخَوَادِمُ
فلم أسْتَطِعْها غيرَ أنْ قد بدا لنا على الرَّغْمِ مِنْهَا كَفُّها والمَعَاصِمُ
مَعاصِمُ لم تَضْرِبْ على البَهْمِ بِالضُّحَى عَصَاهَا ووجهٌ لم تَلُحْهُ السَّمَائِمُ[1]
نَضِيرٌ تَرَى فيه أَسَارِيعَ مائِهِ صَبِيحٌ تُغَادِيه الأكُفُّ النَّوَاعِمُ
إذا ما دَعَتْ أَتْرَابَهَا فاكْتَنَفْنَها تَمَايَلْنَ أو مالَتْ بِهِنَّ المآكِمُ[2]
طَلَبْنَ الصِّبَا حَتّى إذا ما أَصَبْنَهُ نَزَعْنَ وهُنَّ المُسْلِمَاتُ الظَّوَالِمُ[3]

ثم قال عمرُ لابنِ سُرَيج: يا أبا يحيى، إنّي تَفَكَّرْتُ في رجوعِنا مع العَشِيَّةِ إلى مكّةَ مع كثرةِ الزِّحامِ والغُبَارِ وجَلَبةِ الحَاجِّ فَثَقُلَ عَلَيَّ، فهل لكَ أن نَرُوحَ رَواحاً طَيِّباً معتزلاً، فَنَرى فيه مَنْ راحَ صادراً إلى المدينةِ من أهلِها، ونَرى أهلَ العراقِ وأهلَ الشَّامِ ونَتَعَلَّلُ[4] في عَشِيَّتِنا وليلتِنا ونستريحَ؟ قال: وَأنّى ذلك يا أبا الخَطَّاب؟ قال: على كَثِيبِ أبي شَحْوَةَ[5] المُشْرِفِ على بَطْنِ يَأْجَجَ بين مِنىً وسَرَف، فَنُبْصِر مُرُورَ الحاجِّ بنا ونَراهُم ولا يَرَوْنا. قال ٱبنُ سُرَيْج: طَيِّبٌ واللّهِ يا سَيِّدي. فدعا بعضَ خَدَمِهِ فقال: ٱذهَبُوا إلى الدَّارِ بمكّةَ، فاعْمَلُوا لنا سُفْرةً[6] واحملوها مع شرابٍ إلى الكَثِيبِ، حَتَّى إذا أَبْرَدْنَا[7] ورَمَيْنَا الجَمْرَةَ صِرْنَا إليكم ـ قال: والكثيب على خَمْسَةِ أميالٍ من مكّةَ مُشرفٌ على طريقِ المدينةِ وطريقِ الشَّامِ وطريقِ العراقِ، وهو كثيبٌ شامخٌ مُسْتَدِقٌّ أعلاه منفردٌ عن الكُثْبَانِ ـ فصارا إليه فأكلاَ وشَرِبَا. فلمّا ٱنْتَشيَا أخذ ٱبنُ سُرَيج الدُّفَّ فنقرهُ وجَعَلَ يُغَنِّي وهم ينظُرونَ إلى الحاجِّ. فلمّا أَمْسَيَا رفَعَ ٱبنُ سُرَيج صوتَهُ يُغَنّي في الشِّعْرِ الّذي قاله عمرُ، فسمِعَهُ الرُّكبانُ فجعَلوا يَصِيحُونَ به: يا صاحِبَ الصَّوتِ أَمَا تَتَّقي اللّهَ! قد حَبَسْتَ النّاسَ عن مَنَاسِكِهِمْ! فيسكُتُ قليلاً، حتى إذا مَضَوْا رَفَعَ صَوتَهُ وقد أَخَذَ فيه الشَّرَابُ فيقفُ آخرون، إلى أنْ مَرَّتْ قطعةٌ من اللّيلِ، فوقفَ عليه في

(١) السّمائم: جمع السَّموم: الرّيح الحارّة.
(٢) المآكم: جمع المأكم: العجيزة.
(٣) نزعن: تمنّعن.
(٤) نتعلّل: نتسلى ونتلهّى.
(٥) كثيب أبي شَحْوَة: بمكّة وهو كثيب شامخ مشيّد وأعلاه منفرد عن الكثبان وبينه وبين مكة خمسة أميال (معجم البلدان ٣: ٣٢٨).
(٦) السُّفرة: طعام يُتّخذ للمسافر.
(٧) أبردنا: دخلنا في آخر النهار.

الليل رجلٌ على فرسٍ عَتِيقٍ عَرَبِيٍّ مَرِحٍ مُسْتَنٍّ[١] فهو كأنه ثَمِلٌ، حتى وَقَفَ بأصلِ الكَثِيبِ وثَنَى رِجْلَهُ على قَرَبُوسِ[٢] سَرْجِهِ، ثم نادى: يا صاحبَ الصَّوتِ، أَيَسْهُلُ عليكَ أن تَرُدَّ شيئاً مما سَمِعْتُهُ؟ قال: نعمْ ونُعْمَةَ عَيْنٍ، فأيَّها تُرِيدُ؟ قال: تُعيدُ عَلَيَّ:

[الطويل]

ألاَ يا غُرَابَ البَيْنِ ما لكَ كُلَّما ... نَعَبْتَ بِفِقْدانٍ عَلَيَّ تَحُومُ

أَبِالبَيْنِ من عَفْرَاءَ أنتَ مُخَبِّري ... عَدِمْتُكَ مِنْ طَيْرٍ فأنتَ مَشُومُ

ـ قال: والغناء لابن سُرَيج ـ فأعاده، ثم قال له ٱبنُ سُرَيْج: ازْدَدْ إن شِئْتَ. فقال: غَنِّني: [الطويل]

أَمَسْلَمَ إِنِّي يابْنَ كُلِّ خَلِيفَةٍ ... ويا فارسَ الهَيْجَا ويا قَمَرَ الأَرْضِ[٣]

شَكَرْتُكَ إِنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ التُّقَى ... وما كلُّ مَنْ أَقْرَضْتَهُ نعمةً يَقْضِي

ونَوَّهْتَ لي بِاسْمِي وما كانَ خامِلاً ... ولكنَّ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ[٤]

فَغَنَّاه، فقال له: الثَّالثَ ولا أَسْتَزِيدُك. فقال: قل ما شِئْتَ فقال: تُغَنِّيني.

يا دارُ أَقْوَتْ بالجِزعِ فالكُثُبِ ... بين مَسِيلِ العُذَيْبِ فالرُّحَبِ[٥]

لم تَتَقَنَّعْ بِفَضْلِ مِئْزَرِها ... دَعْدٌ ولم تُسْقَ دَعْدُ في العُلَبِ[٦]

فغنَّاه. فقال له ٱبنُ سُرَيج: أَبَقِيَتْ لكَ حاجةٌ؟ قال: نَعَمْ، تَنْزِلُ إِلَيَّ لأُخَاطِبَكَ شِفَاهاً بما أُرِيدُ. فقال له عمر: انْزِلْ إليه، فنزَلَ، فقال له: لولا أَنِّي أُرِيدُ وَدَاعَ الكعبةِ وقد تَقَدَّمنِي ثَقَلي[٧] وغِلْمَانِي لأَطَلْتُ المُقَامَ معكَ وَلَنَزَلْتُ عندكم، ولكنّي أخافُ أنْ يَفْضَحَنِي الصُّبْحُ، ولو كان ثَقَلِي معي لمَا رَضِيتُ لك بِالهُوَيْنَى[٨] ولكن

---

(١) فرس مستنّ: نشيط.

(٢) قربوس السرج: مقدّمه ومؤخره.

(٣) مسلم: يريد مسلمة بن عبد الملك.

(٤) نوّهت باسمي: رفعته وعظّمته.

(٥) الجِزع: منعطف الوادي وهو اسم موضع وقد ذكر ياقوت جزع بني كُوز وجَزْع بني حَمَّاز وجَزْع الدّواهي (معجم البلدان ٢: ١٣٤) وكثب: وادٍ في ديار طيء (معجم البلدان ٤: ٤٣٧) والعذيب: وادٍ لبني تميم (معجم البلدان ٤: ٩٢) والرّحب: موضع في بلاد هذيل (معجم البلدان ٣: ٣٣).

(٦) العُلَب: جمع العُلْبة: كيس من جلد الإبل يستعمله الراعي فيحلب به ويشرب.

(٧) الثَّقَل: المتاع والحشم.

(٨) الهُوَينى: الشّيء القليل.

خُذْ حُلَّتِي هذه وخَاتَمِي ولا تُخْدَعْ عنهما، فإنّ شراءَهُما أَلْفٌ وخمسمائة دينار. وذكر باقي الخبرِ مثلَ ما ذكره حمادُ بن إسحاق.

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

[الطويل]

نَظَرْتُ إليها بِالمُحَصَّبِ مِنْ مِنىً ... ولي نَظَرٌ لولا التَّحَرُّجُ عارِمُ
فقلْتُ أَشَمْسٌ أم مصابيحُ بِيعَةٍ ... بَدَتْ لك خَلْفَ السَّجْفِ أم أنتَ حالمُ
بَعِيدةُ مَهْوَى القُرْطِ إمَّا لِنَوْفَلٌ ... أبوها وإمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وهاشمُ

الشّعر لِعمرَ بن أبي ربيعة. والغناء لِمَعْبَدٍ ثَقيلٌ أوّلُ بِالسَّبَّابَةِ في مَجْرَى البِنْصَر عن إسحاق. وفيه لابنِ سُرَيج رَمَلٌ بالسَّبَّابة في مجرى البِنْصَر عنه. وقد نُسِب في مواضعَ من هذا الكتاب.

صوت

[الطويل]

أَلاَ يا غُرَابَ البَيْنِ ما لَكَ كُلَّما ... نَعَبْتَ بِفِقْدَانٍ عَلَيَّ تَحُومُ
أَبِالبَيْنِ مِنْ عَفْرَاءَ أنتَ مُخَبِّرِي ... عَدِمْتُكَ مِنْ طَيْرٍ فأنتَ مَشُومُ

الشّعر لِقَيْسِ بن ذَرِيح، وقيلَ: إنه لغيره. والغناء لابن سُرَيج رَمَلٌ بالوُسْطَى عن الهِشَاميّ.

صوت

[الطويل]

أَمَسْلَمُ إنِّي يابنَ كلِّ خليفةٍ ... ويا فارسَ الهَيْجا ويا قمر الأرضِ
شَكَرْتُكَ إنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ التُّقَى ... وما كُلُّ مَنْ أَوْلَيْتَهُ نعمةً يَقْضِي
ونَوَّهْتَ لي بِاسْمِي وما كانَ خَامِلاً ... ولَكِنَّ بعضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ

الشّعر لأبي نُخَيْلَة الحِمَّانيّ. والغناء لابن سُرَيْج ثاني ثقيلٍ بالوُسْطَى، وقد أُخرِج هذا الصّوتُ مع سائرِ أخبارِ أبي نُخَيْلة في موضعٍ آخر.

[مكانة ابن سريج بين المغنين وإعجاب ابن الزُّبَيْر بغنائِهِ]

حَدَّثني الحَرَمِيّ بن أبي العَلاَءَ قال: حَدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال: حَدَّثني محمد

ابن سَلاَّم الجُمَحِيّ قال: حَدَّثني عُمَرُ بنُ أبي خَلِيفَة قال: كان أبي نازلاً في عُلْو، فكان المُغَنُّونَ يأتونه. قال فقلت: فَأَيُّهم كانَ أحسنَ غِنَاءً؟ قال: لا أدري، إلاّ أَنِّي كنتُ أراهم إذا جاءَ ٱبنُ سُرَيْجٍ سَكَتُوا.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجَوْهَرِي قال: حَدَّثنا عمرُ بن شَبَّة قال: حَدَّثني إسحاقُ بنُ إبراهيم المَوْصِليّ قال: حَدَّثني الزُّبَيري - يعني عبد الله بن مُصْعَب - عن عَمْرو بن الحَارِث، قال إسحاق: وحَدَّثَنِيه المَدَائِنِيُّ ومحمدُ بنُ سَلاَّم عن المُحْرِز بن جَعْفر عن عمرَ بنِ سَعْد مَوْلَى الحارثِ بن هِشَام قال: خرجَ ٱبنُ الزُّبَير ليلةً إلى أبي قُبَيْسٍ فَسَمِعَ غِناءً، فلمّا ٱنصرفَ رآه أصحابُه وقد حالَ لونُه، فقالوا: إنّ بكَ لَشَرّاً. قال: إنّه ذاك. قالوا: ما هو؟ قال: لقد سَمِعْتُ صوتاً إن كان من الجِنِّ إنّه لَعَجَبٌ، وإنْ كانَ من الإِنْسِ فما ٱنتهَى مُنْتَهاه شيءٌ! قال: فنظروا فإذا هو ٱبن سُرَيج يَتَغَنَّى:

صوت

[المتقارب]

أَمِنْ رَسْمِ دارٍ بِوادِي غُدَرْ ... لِجَارِيَةٍ مِن جَوَارِي مُضَرْ[1]

خَدَلَّجَةِ السَّاقِ مَمْكُورَةٍ ... سَلُوسِ الوِشَاحِ كَمِثْلِ القَمَرْ[2]

تَزِينُ النِّسَاءَ إذا ما بَدَتْ ... ويُبْهَتُ في وَجْهِها مَنْ نَظَرْ

الشّعر ليزيدَ بن معاويةَ. والغناء لابن سُرَيْج رَمَلٌ بالبِنْصر عن يونُس وحَبَشٍ.

قال إسحاق: وذكر المدائنيُّ في خبرِه أنَّ عمرَ بن عبد العزيز مَرَّ أيضاً فَسَمِعَ صوتَ ٱبنِ سُرَيج وهو يَتَغَنَّى:

بَتَّ الخليطُ قُوَى الحَبْلِ الّذي قَطَعُوا

فقال عمرُ: لِلَّهِ دَرُّ هذا الصّوتِ لو كانَ بالقرآنِ! قال المدائنيّ: ويلغني من وجهٍ آخَرَ أنَّه سَمِعَهُ يُغَنِّي:

[المنسرح]

قَرَّبَ جِيرَانُنَا جِمَالَهُمُ ... لَيلاً فَأَضْحَوْا معاً قَدِ ٱرْتَفَعُوا

ما كنتُ أَدْرِي بِوَشْكِ بَيْنِهِمُ ... حَتَّى رَأَيْتُ الحُدَاةَ قد طَلَعُوا

---

(١) وادي غُدَر: من مخاليف اليمن وفيه حصن ناعط وهو حصن عجيب في رأس جبل بناحية اليمن قرب عدن (معجم البلدان ٤: ١٨٨).

(٢) الخَدَلَّجة: الممتلئة الساقين والذراعين. والممكورة: مكتنزة اللحم. وسلوس الوشاح: ليّنة الوشاح، والوشاح: نسيج عريض يرصّع بالجوهر تضعه المرأة بين عاتقها وكشحيها.

فقال هذه المقَالةَ.

نسبة هذين الصّوتين

صوت

[البسيط]

بَتَّ الخَلِيطُ قُوَى الحَبْلِ الّذي قَطَعُوا إذْ وَدَّعُوك فَوَلَّوْا ثمّ ما رَجَعُوا[1]
وآذَنُوكَ بِبَيْنٍ مِنْ وِصَالِهِمُ فما سَلَوْتَ ولا يُسْلِيكَ ما صَنَعوا
يَابْنَ الطَّويلِ وكم آثَرْتَ مِنْ حَسَنٍ فينا وأنتَ بما حُمِّلْتَ مُضْطَلِعُ[2]
نَحْظَى ونَبْقَى بِخَيْرٍ ما بَقِيتَ لنا فإنْ هَلَكْتَ فما في مَلْجَإٍ طَمَعُ

الشّعر لِلأحْوَصِ. والغناءُ لابن سُرَيج رَمَلٌ بالسَّبّابةِ في مَجْرى البِنْصر عن إسحاق وذكر حَبَشٌ أنّ فيه رَمَلاً بالوُسْطى عن الهِشاميّ.

نسبة الصّوت الآخَر

صوت

[المنسرح]

قَرَّبَ جِيرانُنا جِمَالَهُمُ ليلاً فأضْحَوْا معاً قد ارتفَعُوا
ما كنتُ أدري بِوَشْكِ بَيْنِهِمُ حَتّى رأيْتُ الحُدَاةَ قد طَلَعُوا
على مِصَكَّيْنِ مِنْ جِمَالِهِمُ وعَنْتَرِيسَيْنِ فيهما خَضَعُ[3]
يا قَلْبُ صَبْراً فإنّهُ سَفَهٌ بِالحُرِّ أنْ يَسْتَفِزَّهُ الجَزَعُ

الغناء لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ من أصواتٍ قليلة الأشْباهِ عن إسحاق. وفيه رمَلٌ بالسّبّابة في مجرى الوُسْطَى ذكره إسحاقُ ولم يَنْسُبْهُ إلى أحدٍ، وذكَرَ أيضاً فيه خَفِيفَ رَمَلٍ بالسّبّابة في مجرى الوسطى ولم يَنْسُبْهُ. وذكرَ الهِشَاميّ أنّ الرّملَ لِلغَرِيضِ وخفيفَ الرَّمَل لابن المَكّيّ. وذَكَرَتْ دَنانيرُ والهِشَاميُّ أنّ فيه لِمَعْبَدٍ ثاني ثقيلٍ. وذكر عَمْرُو بنُ بانَة أنّ الثقيلَ الأوّلَ لِلغَرِيض. وذكر عبدُ الله بن موسى أن لحنَ ابنِ سُريجٍ خفيفُ ثقيلٍ.

---

(١) القُوى: جمع القوّة: الطاقة الواحدة من طاقات الحبل.

(٢) اضطلع بالأمر: نهض به وقَوِيَ عليه.

(٣) المِصَكّ: القويّ. والعنتريس: الناقة الصلبة الشديدة وقد يوصف الفرس الشديد الجريء بذلك.

[عدد الأصوات الّتي غَنَّى فيها ابن سُرَيْج واختلاف إسحاق الموصلي وإبراهيم بن المهدي في العدد]

أخبرني رِضْوانُ بنُ أحمد الصَّيْدلانِيّ قال: حَدَّثني يوسفُ بن إبراهيم قال:

حَضَرْتُ أبا إسحاق إبراهيمَ بنَ المَهْدِيّ وعندَه إسحاقُ الموصليّ، فقال إسحاق: غَنَّى ابنُ سُرَيْج ثمانيةً وسِتّينَ صوتاً. فقال له أبو إسحاق: ما تَجاوَزَ قطُّ ثلاثةً وسِتّينَ صوتاً. فقال: بَلَى. ثمّ جَعَلا يُنشِدانِ أشعارَ الصَّحِيح منها حتى بلغا ثلاثةً وستّين صوتاً وهما يتّفِقان على ذلك، ثم أنشدَ إسحاقُ بعد ذلك أشعارَ خمسةِ أصواتٍ أيضاً. فقال أبو إسحاقَ: صَدَقْتَ، هذا من غنائِه، ولكنّ لحنَ هذا الصّوتِ نقَلَهُ من لَحْنِهِ في الشّعرِ الفُلاَنيّ، وَلَحْنَ الثّاني من لَحْنِه الفلاني، حتى عَدَّ لَه الخمسةَ الأصوات. فقال له إسحاق: صَدَقْتَ. ثم قال له إبراهيمُ: إن ابنَ سُرَيْج كان رجلاً عاقلاً أديباً، وكان يُغَنّي النّاسَ بما يشتهون، فلا يُغَنِّيهم صوتاً مُدِحَ به أعداؤُهم ولا صوتاً عليهم فيه عَارٌ أو غَضَاضة[1]، ولكنّه يَعْدِلُ بتلكَ الألحانِ إلى أشعارٍ في أوزانِها؛ فالصّوتانِ واحدٌ لا ينبغي أن نَعُدَّهما اثنين عندَ التَّحصيلِ مِنّا لغنائِهِ، فصدَّقَهُ إسحاقُ. فقال له إبراهيم: فأيُّها أوْلَى عندَكَ بِالتَّقْدِمة؟ فقال: [الرمل]

وإذا مـا عَـثَـرَتْ فـي مِـرْطِـهَـا ... نَـهَضَـتْ بِاسْمِي وقـالَـتْ يا عُـمَـرْ[2]

فقال له إبراهيمُ: أَحْسَبُك يا أبا محمد ـ مُتِّعْتُ بكَ ـ ما أردْتَ إلاَّ مُساعَدَتِي. فقال: لا، واللّهِ ما إلى هذا قَصَدْتُ، وإن كنتُ أَهْوَى كُلَّ ما قَرَّبَنِي من مَحَبَّتِك. فقال له: هذا أَحَبُّ أَغَانِيه إليَّ، وما أَحسَبُهُ في مكانٍ أحسنَ منه عندي، ولا كان ابنُ سُرَيج يَتَغَنَّاهُ أحسنَ مما يَتَغَنَّاه جَوَارِيَّ، ولَئِنْ كان كذلك فما هو عِندي في حُسْنِ التَّجْزِئَةِ والقِسْمَةِ وصِحَّتِهما مِثْلُ لَحْنِهِ في:

صوت من المائة المختارة من رواية جَحْظَة

[مجزوء الخفيف]

حَـيِّـيَـا أُمَّ يَـعْـمَـرَا ... قَـبْـلَ شَـحْـطِ مِـنَ الـنَّـوَى

---

(١) الغضاضة: الذِّلّة والمنقصة.

(٢) المِرْط: كساء من خزّ أو كتان أو صوف.

أَجْـمَـعَ الـحَـيُّ رِحْـلـةً فَـفُـؤَادِي كَـذِي الأَسَـى
قُـلْـتُ لا تُـعْـجِـلُـوا الـرَّوَا حَ فـقـالُـوا: أَلاَ بَـلَـى

الغناء لابن سُرَيج من القَدْر الأَوْسط من الثَّقِيل الأوّل مُطلقٌ في مَجْرَى الوُسْطَى. وفيه لِلهُذَلِيِّ خَفِيفُ ثَقِيلٍ بالبِنْصر عن ٱبن المكيّ. وفيه لمالكٍ ثَقيلٌ أوّلُ بالبِنْصر عن عمرو. وفيه لحنَانٍ من الثَّقِيلِ الثَّانِي: أحدهُمَا لإسحاق والآخرُ لأبيه ونسبَهُ قومٌ إلى ٱبن مُحْرِز، ولم يصحّ ذلك ـ قال: فاجتمعا معاً على أنه أوّلُ أغانِيه وأَحَقُّها بالتّقديم. وأمرني أبو إسحاق بِتَدْوينِ ما يَجري بينهما وَيَتَّفِقَانِ عليه، فكتَبْتُ هذا الشّعرَ. ثم ٱتفقا على أنّ الّذي يَلِيهِ:

[الرمل]

وإذا مـا عَـثَـرَتْ فـي مِـرْطِـهـا نَـهَـضَـتْ بِـاسْـمِـي وقـالَـتْ يـا عُـمَـرْ

فأَثْبَتُّهُ أيضاً. ثم تناظَرَا في الثّالِث فاجتمعا على أنّه: [الكامل]

فَـتَـرَكْـتُـهُ جَـزَرَ الـسِّـبـاعِ يَـنُـشْـنَـهُ مـا بَـيْـنَ قُـلَّـةِ رَأسِـهِ والـمِـعْـصَـمِ[1]

فقال إسحاق: لو قَدَّمناه على الأغاني التي تَقَدَّمَتْه كُلِّها لكان يستحقُّ ذلك. فقال أبو إسحاق: ما سَمِعْتُه منذُ عرفتُه إلا أَبْكَانِي، لأنّي إذا سمعتُه أو ترنَّمْتُ به وجدتُ غَمْراً[2] على فؤادي لا يَسْكُنُ حتى أَبكِيَ. فقال إسحاقُ: إنّ مذهبَهُ فيه لَيُوجِبُ ذلك؛ فدوَّنْتُهُ ثالثاً. ثم اتفقا على الرّابعِ وأنّه: [الطويل]

فـلـم أَرَ كـالـتَّـجْـمِـيـرِ مَـنْـظَـرَ نَـاظِـرٍ ولا كَـلَـيـالِـي الـحَـجِّ أَفْـتَـنَّ ذَا هَـوَى[3]

وتَحدَّثا بأحاديثَ لهذا الصّوتِ مشهورةٍ. ثم تَنَاظَرَا في الخامسِ، فاتّفقا على أنه: [السريع]

عُـوجِـي عـلـيـنـا رَبَّـةَ الـهَـوْدَجِ إنّـكِ إلاَّ تَـفْـعَـلِـي تَـحْـرَجِـي[4]

فأثبتُّه: ثم تناظَرا في السّادسِ واتّفَقا على أنَّه: [مجزوء الوافر]

أَلاَ هَـلْ هَـاجَـكَ الأَظْـعَـا نُ إذ جَـاوَزْنَ مُـطَّـلَـحَـا

(١) الجَزَر: اللّحم الذي يؤكل. وينشنه: يتناولنه. وقلّة الشيء: أعلاه.
(٢) الغَمْر: الهمّ الغامر.
(٣) التجمير: رَمي الجمار.
(٤) تحرجي: تأثمي، من الحَرَج.

فأَثبتُّه. ثم تنَاظَرَا في السّابع فاتفَقَا على أنه: [الكامل]

غَيَّضْنَ من عَبَراتِهِنَّ وقُلْن لي ماذا لَقِيتَ من الهَوى ولَقِينَا

فأَثبتُّه. وتناظرا في الثامن فاتفقا على أنه: [الرمل]

تُنْكِرُ الإثْمِدَ لا تَعرِفُهُ غيرَ أنْ تَسْمَعَ منهُ بخَبَرْ

فأثبتّه. وتناظرا في التاسع فاتّفقا على أنه: [الطويل]

ومِن أجْل ذاتِ الخالِ أعملْتُ ناقتي أُكَلِّفُها سَيْرَ الكَلاَلِ مع الظَّلْعِ

نسبة هذه الأصوات وأجناسها

منها:

صوت

[الرمل]

وإذا ما عَثَرتْ في مِرْطِها نَهَضَتْ باسمِي وقالتْ يا عُمَرْ

الشعرُ لعمرَ بن أبي ربيعة. والغناءُ لابنِ سُرَيج خَفِيفُ رَمَلٍ بالوُسْطَى عن الهِشَاميّ ومنها:

صوت

[الكامل]

فتركْتُه جَزَرَ السِّباع يَنُشْنَهُ ما بين قُلَّة رأسِهِ والمِعصَمِ

الشّعرُ لِعَنْتَرَةَ بنِ شَدَّادٍ العَبْسِيّ، والغناءُ لابنِ سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ بالوُسْطَى عن عمرو ومنها: [الطويل]

صوت

فَلَمْ أَرَ كَالتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ ناظرٍ ولا كليالي الحَجِّ أفْتَنَّ ذا هَوَى

الشّعرُ لعمر بن أبي ربيعة، والغناءُ لابنِ سُرَيج رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو ومنها:

[السريع]

صوت

عُوجِي علينا رَبَّةَ الهَوْدجِ   إنَّكِ إلاَّ تَفْعَلي تَحْرَجي

الشّعرُ لِلعَرْجِيّ، والغناء لابنِ سُرَيج ثقيلٌ بالوسطى عن عمرو ومنها:

[مجزوء الوافر]

صوت

ألاَ هَلْ هاجَكَ الأظعا   نُ إذ جاوَزْنَ مُطَّلَحا

الشّعر لعمر، والغناء لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ مُطْلَقٌ في مَجْرَى البِنْصَر عن إسحاقَ. وفيه للغَرِيض لَحْنان: ثقيلٌ أوّلُ بالوُسْطَى في مجراها عن إسحاقَ، وخَفِيفُ ثَقِيلٍ بالوُسْطَى عن عمرو. وفيه لِمَعْبَدٍ ثقيلٌ أوّلُ ثالثٌ بالخِنْصَر في مَجْرَى الوُسْطَى عن إسحاقَ ومنها:

صوت [الكامل]

غيَّضْنَ من عَبَراتِهِنَّ وقُلْنَ لي   ماذا لَقِيتَ مِنَ الهَوَى ولَقِينَا

الشّعر لِجَرِيرٍ، والغناء لابن سُرَيج رَمَلٌ بالبِنْصر. وفيه لإسحاقَ رَمَلٌ بالوُسْطَى، وفيه لِلهُذَلِيّ ثاني ثقيلٍ بالوُسْطى عن الهِشَامِيّ ومنها:

صوت [الرمل]

تُنْكِرُ الإثْمِدَ لا تَعْرِفُه   غيرَ أنْ تَسْمَعَ منه بِخَبَرْ

الشّعر لعبد الرّحمن بن حسَّان، والغناء لابنِ سُريج رَمَلٌ بالوُسْطَى ومنها:

صوت [الطويل]

ومنْ أجلِ ذاتِ الخالِ أعْمَلْتُ ناقَتِي   أُكَلِّفُها سَيْرَ الكَلاَلِ مع الظَّلْعِ

الشّعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سُرَيج رَمَلٌ بالبِنْصر. وفيه لإسحاق رَمَلٌ بالوُسْطى.

[ابن سريج يحكم بين معبد ومالك]

أخبرني رِضْوَانُ بنُ أحمدَ قال: حَدَّثنا يوسفُ بن إبراهيمَ قال: حَدَّثني أبو

إسحاقَ إبراهيمُ بن المَهْدِيّ قال: حَدَّثني الزُّبَيْرُ بن دَحْمَانَ أنّ أباه حَدَّثه:

أنّ مَعْبَداً تَغَنَّى: [الرمل]

آبَ لَيْلِي بِهُمُوم وفِكَرْ مِنْ حَبِيبٍ هَاجَ حُزْنِي والسَّهَرْ
يومَ أبْصَرْتُ غُرَاباً واقعاً شَرَّ ما طارَ على شَرِّ الشَّجَرْ

فعارضه مالكٌ فَغَنَّى في أبياتٍ من هذا الشّعر، وهي: [الرمل]

وجَرَتْ لي ظَبْيَةٌ يَتْبَعُها لَيِّنُ الأظْلاَفِ مِنْ حُورِ البَقَرْ[١]
كُلَّما كَفْكَفْتُ مِنّي عَبْرَةً فاضَتِ العينُ بِمُنْهَلٍّ دِرَرْ[٢]

قال: فتَلاَحَيا[٣] جميعاً فيما صَنعاهُ مِنْ هذين الصَّوْتَيْنِ، فقالَ كلُّ واحدٍ منهما لصاحبِهِ: أنا أَجْوَدُ صنعةً منك. فتَنَافرا[٤] إلى ابنِ سُرَيْجٍ فَمَضَيَا إليه بمكّةَ. فلمّا قَدِمَاها سألا عنه. فأُخبِرَا أنه خرجَ يَتَطَرَّفُ بِالحنَّاءِ[٥] في بعضِ بَسَاتينِها. فاقْتَفَيَا أثَره، حتى وَقَفا عليه وفي يدِه الحِنَّاءُ، فقالا له: إنّا خَرَجْنا إليكَ من المدينةِ لِتَحْكُمَ بَيْنَنَا في صَوْتَيْن صنَعناهما. فقال لهما: لِيُغَنِّ كلُّ واحدٍ منكما صوتَهُ. فابتدأ مَعْبَدٌ يُغَنِّي لحنَه. فقال له: أحسنْتَ واللَّهِ على سوءِ اختيارِك لِلشّعْر! يا وَيْحَكَ! ما حمَلَكَ على أنْ ضَيَّعْتَ هذه الصَّنْعةَ الجَيِّدةَ في حُزْنٍ وسَهَرٍ وهُمُومٍ وفِكَرٍ! أربعةُ ألوانٍ من الحُزْنِ في بيتٍ واحدٍ، وفي البيتِ الثاني شَرَّانِ في مِصْرَاعٍ واحدٍ، وهو قولُك:

شَرَّ ما طارَ على شَرِّ الشَّجَرْ

ثم قالَ لمالك: هاتِ ما عندَكَ، فَغَنَّاه مالكٌ. فقال له: أَحْسَنْتَ واللَّهِ ما شِئْتَ! فقال له مالكٌ: هذا وإنّما هو ابنُ شَهرِهِ، فكيف تَرَاه يا أبا يَحْيَى يكونُ إذا حَالَ عليه الحَوْلُ! قال دَحْمَانُ: فَحَدَّثني مَعْبَدٌ أنّ ابنَ سُرَيج غَضِبَ عند ذلك غَضَباً شديداً، ثم رَمى بالحِنَّاءِ من يَدَيْهِ وأصابعِهِ وقال له: يا مالك، أَلِي تقولُ ابنُ شَهْرِه! اسْمَعْ منِّي ابنَ ساعَتِه، ثم قال: يا أبا عَبَّاد، أَنْشِدْنِي القصيدة التي تَغَنَّيْتُما فيها.

(١) الأظلاف: جمع الظّلف: وهو للبقرة والشاة والظبي كالقدم للإنسان. والحَوَر: اشتداد بياض العين واشتداد سوادها.
(٢) الدِّرَر: جمع الدّرة: المطر الذي يتبع بعضه بعضاً.
(٣) تلاحيا: تنازعا وتخاصما.
(٤) تنافرا: تفاخرا وتناظرا وتحاكما.
(٥) يتطرّف بالحناء: يخضّب أصابعه بها.

فأنشدْتُهُ القصيدةَ حتى انتهيتُ إلى قوله: [الرمل]

تُنْكِرُ الإِثْمِدَ لا تَعْرِفُه غيرَ أنْ تَسْمَعَ منه بِخَبَرْ

فصاحَ بأَعْلَى صوتِهِ: هذا خَلِيلِي وهذا صاحبي، ثم تَغَنَّى فيه؛ فانصرَفْنا مَفْلُولَيْنِ(١) مَفْضُوحَيْنِ من غيرِ أنْ نُقِيمَ بِمكَّةَ ساعةً واحدةً.

نسبة هذه الأغاني كلّها

صوت

[الرمل]

آبَ لَيْلِي بِهُمُوم وفِكَرْ مِن حَبِيبٍ هاجَ حُزْنِي والسَّهَرْ
يومَ أبْصَرْتُ غُراباً واقِعاً شَرَّ ما طارَ على شَرِّ الشَّجَرْ
يَنْتِفُ الرِّيشَ على عُبْرِيَّةٍ مُرَّةِ المَقْضَمِ من دَوْحِ العُشَرْ(٢)

الشِّعْرُ لعبد الرّحمن بن حَسَّان بن ثابت يقولُه في رَمْلَة بنتِ معاوية بن أبي سُفيانَ وله معَها ومع أبيها وأخيها في تَشْبِيبِه بها أخبارٌ كثيرةٌ سَتُذْكَرُ في موضِعها إن شاء الله. ومن النّاسِ مَنْ يَنْسُبُ هذا الشّعرَ إلى عمرَ بن أبي ربيعةَ، وهو غَلَطٌ. وقد بُيِّنَ ذلك مع أخبار عبد الرّحمن في موضعِه.

والغناءُ لِمَعْبَدٍ خَفِيفُ ثقيلٍ أوّل بالوُسْطَى عن يحيى المَكِّيّ، وذكَر عَمْرُو بن بانَةَ أنه لِلغَرِيض وله لَحْنٌ آخرُ في هذه الطّريقة.

صوت

[الرمل]

وجَرَتْ لي ظَبْيَةٌ يَتْبَعُها لَيِّنُ الأَظْلافِ مِنْ حُورِ البَقَرْ
خَلْفَها أَطْلَسُ عَسَّالُ الضُّحَى صَادَفَتْهُ يومَ طَلٍّ وخَصَرْ(٣)

الغناء لمالكٍ خَفيفُ ثَقيل بالبِنْصَر في مَجْراها عن إسحاقَ.

---

(١) مفلولين: مهزومين.

(٢) العُبْرِيّة: واحدة العُبْرِيّ: يقال للسّدْر وما عَظُمَ من العوسج العُبْرِي. والعُشَر: ضرب من الشجر له صمغ حلو.

صوت

[الرمل]

إنّ عَيْنَيْها لَعَيْنَا جُؤْذُرٍ أَهْدَبِ الأشْفَارِ من حُورِ البَقَرْ[١]
تُنْكِرُ الإِثْمِدَ لا تَعْرِفُهُ غيرَ أنْ تَسْمَعَ منه بِخَبَرْ

الغناء لابنِ سُرَيج رَمَلٌ بالسَّبَّابة، عن عَمْرو ويحيى المكيّ.

[نقائض الغريض وابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حَمَّاد قال أبي: قال محمدُ بن سَعيد:

لمّا ضَادَّ أبنُ سُرَيْج الغَرِيضَ وناواه، جعَلَ أبنُ سُرَيج لا يُغَنِّي صوتاً إلا عارضَهُ فيه الغَرِيضُ فَغَنَّى فيه لحناً غيرَه، وكانت ببعضِ أطرافِ مكَّةَ دارٌ يأتيانها في كلّ جُمُعَةٍ ويجتمعُ لهما ناسٌ كثيرٌ، فيوضَع لكلّ واحدٍ منهما كرسيٌّ يجلِسُ عليه ثم يَتناقَضان الغِنَاءَ ويَتَرادَّانِه. قال: فلمّا رأى أبنُ سُرَيج موقعَ الغَرِيضِ وغنائِه من النّاس لقربِه من النَّوْح وشَبَهِه به، مالَ إلى الأَرْمَال والأَهْزَاج فاسْتَخَفَّها النَّاسُ. فقال له الغَرِيض: يا أبا يحيى، قَصَرْتَ الغناءَ وحَذفْتَه وأفْسَدْتَهُ. فقال له: نعم يا مُخَنَّث، جَعَلْتَ تَنُوحُ على أبيكَ وأُمِّكَ، أَلِي تقولُ هذا! والله لأُغَنِّيَنَّ غناءً ما غَنَّى أحدٌ أثقلَ منه ولا أجودَ. ثم تَغَنَّى:

تَشكَّى الكُمَيْتُ الجَرْي لمّا جَهَدْتُه

قال حمّاد: وقرأتُ على أبي عن هِشَام بن المُرِّيّة قال: كان أبنُ أبي عَتِيق يسوقُ في كلِّ عامٍ عن أبن سُرَيج بَدَنةً[٢] ويَنْحَرُها عنه، ويقول: هذا أَقَلُّ حَقِّهِ علينا.

[ابن سُرَيج هو الأحسن باعتراف معبد]

قال حمّاد: قال أبي وقال مَخْلَدُ بن خِدَاشٍ المُهَلَّبِيّ: كُنَّا بالمدينةِ في مجلسٍ لنا ومعنا مَعْبدٌ، فَقَدِمَ قادمٌ من مكَّةَ إلى المدينةِ، فدخلَ علينا ليلاً، فجلَسَ مَعْبَدٌ يُسَائِلُه عن الأخبارِ وهو يُخْبِرُه ولا نَسْمَعُ ما يقولُ. فالتفتَ إلينا مَعْبَدٌ فقال:

---

(١) الأطلس: الذئب الذي في لونه غبرة إلى السَّوَاد. وعَسَلَ الذئب: مضى مسرعاً ومضطرباً في عدوه. والطَّلّ: الندى. والخصر: البرد.

(٢) الجؤذر: صغير البقر الوحشي. الأشفار: جمع الشفر: الحرف الذي ينبت عليه هدب العين.

أصبحتُ أحسَنَ النّاسِ غناءً. فَقِيلَ له: أَوَلَمْ تَكُنْ كذلك؟ قال: لا حيثُ كان ابنُ سُرَيج حَيّاً، إنّ هذا أخبرني أنّ ابنَ سُرَيج قد ماتَ. ثم كان بعد ذلك إذا غَنّى صوتاً فأعجبه غناؤه قال: أصبحتُ اليومَ سُرَيْجيّاً.

[معبد يغنّي أغاني ابن سريج لأبي السائب المخزومي]

قال حَمّاد: حَدَّثني أبي قال: حَدَّثني أبو الحَسَن المَدائِنيّ قال: قال مَعْبَدٌ: أَتيتُ أبا السَّائِبِ المَخْزُومِيّ - وكان يُصَلّي في كلّ يوم وليلةٍ ألفَ ركعةٍ - فلمّا رآني تجوّز[1] وقال ما معكَ مِنْ مُبْكِيَاتِ ابنِ سُرَيْج؟ قلتُ: قَولُه: [الكامل]

ولَهُنَّ بِالبيتِ العَتِيقِ لُبَانَةٌ ... والبيتُ يَعْرِفُهُنَّ لو يَتَكَلَّمُ[2]
لو كان حيّاً قَبْلَهُنَّ ظَعَائِناً ... حَيَّا الحَطِيمُ وُجوهَهُنَّ وزَمْزَمُ[3]
لَبِثُوا ثلاثَ مِنىً بِمنزلِ غِبْطةٍ ... وهُمُ على سَفَرٍ لَعَمْرُكَ ما هُمُ[4]
مُتجاوِرِينَ بغيرِ دارِ إقامةٍ ... لو قَدْ أَجَدَّ تَفَرُّقٌ لم يَنْدَمُوا

فقال لي: غَنِّهِ، فَغَنَّيْتُهُ. ثم قامَ يُصَلّي فأطالَ، ثم تَجَوَّزَ إليّ فقال: ما معك من مُطْرِبَاتِهِ ومُشْجِيَاتِهِ، فقلتُ: قولُه: [الكامل]

لسنا نُبَالِي حين نُدْرِكُ حاجةً ... ما باتَ أو ظَلَّ المَطِيُّ مُعَقَّلاَ[5]

فقال لي: غَنِّهِ، فَغَنَّيته، ثم صَلّى وتجوّزَ إليّ وقال: ما معكَ من مُرْقِصاتِهِ؟ فقلت: [الطويل]

فلم أرَ كالتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ ناظرٍ ... ولا كَلَيالي الحَجِّ أَفْتَنَّ ذا هَوى

فقال: كما أنتَ[6] حتى أَتَحَرَّمَ لهذا بركعتين.

---

(١) البدنة: الناقة أو البقرة تنحر في مكة قرباناً.
(٢) تجوَّز في صلاته: خفّف منها.
(٣) اللُّبانة: الحاجة.
(٤) الظّعائن: جمع الظَّعينة: المرأة في الهودج. والحطيم: جدار الكعبة أو هو حِجْرُ مكة مما يَلي المِيزاب سُمِّيَ بذلك لانحطام الناسِ عليه.
(٥) ثلاث مِنىً: هي اللّيالي الثلاث التي يبيت بها الحاجّ بمنى وهي ليالي التشريق.
(٦) المَطِيّ: جمع المَطِيّة: الدّابّة التي تُركَب، مذكّر ومؤنّث. وعقلَ الجملَ: ثنى رسغ يده إلى عضده فشدَّهما معاً بحبل هو العِقال..
(٧) كما أنت: البثْ كما أنتَ.

[تفضيل عطاء بن أبي رباح ابن سريج على الغريض]

قال حمّاد: وأخبرني أبي عن إبراهيمَ بن المُنْذِر الحِزَاميّ، وذكر أبو أيُّوبَ المدينيّ عن الحِزَامِيّ قال: حَدَّثني عبدُ الرّحمن بنُ إبراهيمَ المَخْزوميّ قال: أرسلتني أُمِّي وأنا غلامٌ أسألُ عَطَاءَ بن أبي رَبَاحٍ عن مسألةٍ، فَوجدْتُهُ في دارٍ يُقَالُ لها دارُ المُعَلَّى ـ وقال أبو أيُّوبَ في خبرِهِ: دارُ المُقِلِّ ـ وعليه مِلْحَفَةٌ مُعَصْفَرةٌ[1]، وهو جالسٌ على مِنْبَرٍ وقد خُتِنَ ٱبْنُهُ والطّعامُ يُوضَعُ بين يديه وهو يأمرُ به أنْ يُفَرَّقَ في الخَلْقِ، فَلَهَوْتُ مع الصِّبْيَانِ أَلْعَبُ بِالجَوْزِ حتى أكَلَ القومُ وتَفرَّقوا وبَقِيَ مع عَطَاءٍ خاصَّتُهُ، فقالوا: يا أبا محمدٍ لو أَذِنْتَ لنا فَأَرْسَلْنا إلى الغَرِيضِ وٱبنِ سُرَيج! فقال: ما شِئْتُمْ، فأرسلوا إليهما. فلمّا أَتَيَا قاموا معهما وثَبتَ عطاءٌ في مَجْلِسهِ، فلم يدخُلْ، فدخَلوا بهما بيتاً في الدارِ، فَتَغَنَّيا وأنا أسمعُ، فبدأ ٱبنُ سُرَيجٍ فنقَرَ بِالدُّفِّ وتَغَنَّى بِشِعْرِ كُثَيِّر: [الطويل]

بِلَيْلَى وجاراتٍ لِلَيْلَى كَأنَّها ... نِعاجُ المَلا تُحْدَى بِهِنَّ الأَباعِرُ[2]
أَمُنْقَطِعٌ يا عَزَّ ما كان بَيْنَنَا ... وشَاجَرَنِي يا عَزّ فِيكِ الشَّوَاجِرُ[3]
إذا قِيلَ هذا بيتُ عَزَّةَ قَادَنِي ... إليه الهَوى وٱسْتَعْجَلَتْنِي البوادِرُ[4]
أَصُدُّ وبي مِثْلُ الجُنونِ لِكَيْ يَرَى ... رُوَاةُ الخَنا أَنِّي لِبَيتِكِ هَاجِرُ[5]

فكأنّ القومَ قد نزلَ عليهم السُّبَاتُ[6]، وأدْرَكَهُم الغَشْيُ فكانوا كالأمواتِ، ثم أَصْغَوْا إليه بآذانِهم وشَخَصَتْ إليه أعينُهُمْ وطالَتْ أعناقُهم. ثم غَنَّى الغَرِيضُ بصوتٍ أُنسِيتُه بلحنٍ آخَرَ. ثم غنَّى ٱبنُ سُرَيْجٍ وأَوْقَع بِالقَضِيبِ، وأَخَذَ الغَرِيضُ الدُّفَّ فَغَنَّى بِشعرِ الأَخْطَلِ: [الطويل]

فَقُلْتُ ٱصْبَحُونا لا أَبَا لأَبِيكُمُ ... وما وَضَعُوا الأَثْقَالَ إلا لِيَفْعَلُوا[7]

---

(١) معصفرة: مصبوغة بالعصفر وهو صباغ أصفر.
(٢) النِّعاج: إناث البقر الوحشية. والملا: موضع من أرض كلب (معجم ما استعجم ١٢٥٢) أو هو المتَّسَع من الأرض. وتُحدَى: تُساق. والأباعر: جميع البعير: الجِمال.
(٣) شاجرني: نازعني. والشَّواجر: الموانع والشّواغل.
(٤) البوادر: المسرعة، أي الرّواحل المسرعة.
(٥) الخنا: الفحش في الكلام.
(٦) السُّبَات: النوم.
(٧) اصبحونا: اسقونا الصبوح وهي خمر الصباح.

وقُلْتُ اقْتُلوها عَنْكُمُ بِمِزَاجِها ... فَأكْرِمْ بها مَقْتُولَةً حِينَ تُقْتَلُ[1]
أنَاخُوا فَجَرُّوا شاصِياتٍ كأنّها ... رِجَالٌ مِن السُّودانِ لَم يَتَسَرْبَلُوا[2]

فواللّهِ ما رأيتُهم تَحَرَّكُوا ولا نَطَقُوا إلا مُسْتَمِعينَ لما يقولُ. ثم غَنَّى الغَرِيضُ بشعرٍ آخرَ وهو: [البسيط]

هل تعرِف الرَّسْمَ والأطْلاَلَ والدِّمَنَا ... زِدْنَ الفؤادَ على ما عِنْدَه حَزَنَا
دارٌ لِصَفْرَاءَ إذ كانتْ تَحُلُّ بها ... وإذ تَرَى الوَصْلَ فيما بينَنا حَسَنَا
إذ تَسْتَبِيك بِمَصْقُولٍ عَوارِضُهُ ... ومُقْلَتَيْ جُؤْذُرٍ لم يَعْدُ أن شَدَنَا[3]

ثم غَنَّيا جميعاً بلحنٍ واحدٍ؛ فلقد خُيِّلَ لي أنّ الأرضَ تَمِيدُ، وتَبَيَّنْتُ ذلك في عَطَاء أيضاً. وغَنَّى الغَرِيضُ في شعرِ عمرَ بنِ أبي ربيعةَ، وهو قولُه: [الطويل]

كَفَى حَزَناً أن تَجمَعَ الدَّارُ شَمْلَنا ... وأُمْسِي قريباً لا أَزُورُكِ كلّما
دَعِي القلبَ لا يَزْدَدْ خَبَالاً مع الّذي ... به منكِ أو دَاوي جَواه المُكَتَّما
ومَنْ كان لا يَغْدُو هواهُ لِسَانَه ... فقد حَلَّ في قلبي هَوَاكِ وخَيَّما
وليس بِتَزْوِيقِ اللِّسانِ وصَوْغِهِ ... ولَكِنَّهُ قد خالَطَ اللَّحْمَ والدَّمَا

وغَنَّى ابنُ سُرَيج أيضاً: [الطويل]

خَلِيلَيَّ عُوجَا نَسْأَلِ اليومَ مَنْزِلاً ... أَبَى بِالبِراقِ العُفْرِ أنْ يَتَحَوَّلاَ[4]
فَفُرْعِ النَّبِيتِ فَالشَّرَى خَفَّ أَهْلُهُ ... وبُدِّلَ أرْوَاحاً جَنُوباً وشَمْألا[5]
أَرَادَتْ فلم تَسْطِعْ كلاماً فأومأتْ ... إلينا ولم تأمَنْ رَسولاً فتُرْسِلاَ
بأنْ بِتْ عَسَى أنْ يَسْتُرَ اللَّيْلُ مَجْلِساً ... لنا أو تَنَامَ العينُ عنَّا فتُقْبِلاَ[6]

---

(١) اقتلوها بمزاجها: امزجوها بالماء.
(٢) الشّاصيات: من شصت القربة: ملئت ماءً فارتفعت قوائمها. وهنا يقصد الزّقاق.
(٣) العوارض: الأسنان التي تبدو من الفم عند الضحك. وشَدَن الظبي: ترعرع واستغنى عن أمه.
(٤) البِراق: جمع البرقة: الأرض الغليظة مختلطة بحجارة ورمل. والعُفْر: جمع العفراء: الأرض البيضاء.
(٥) الفُرْع: على الطريق من مكة إلى المدينة وهي من أشرف ولايات المدينة (معجم ما استعجم ١٠٢٠) والنَّبِيت: جبل بصدرِ قناة، على بريد من المدينة (معجم ما استعجم ١٢٩٥) وفي الديوان (بفرع النّبيت). وخفّ أهله: رحلوا. والأرواح: الرِّياح.
(٦) في الديوان (فتغفُلا) بدل (فتُقْبِلا).

وغَنَّى الغَرِيضُ أيضاً: [الكامل]

يا صاحِبَيَّ قِفَا نُقَضِّ لُبَانَةً وعلى الظَّعائِنِ قبلَ بَيْنِكما أعْرِضَا
لا تُعْجِلانِي أنْ أقولَ بِحاجةٍ رِفْقاً فقد زُوِّدْتُ زاداً مُجْرِضَا[1]
ومقالَها بالنَّعْفِ نَعْفِ مُحَسِّرٍ لِفَتاتِها هل تَعْرِفينَ المُعْرِضَا[2]
هذا الّذي أعْطَى مَوَاثِقَ عَهْدِهِ حتى رَضِيتُ وقُلْتِ لي لن يَنْقُضَا

وأغَانِيَ أُنْسِيتُها، وعَطَاءٌ يسمَعُ على مِنْبَرِهِ ومكانِهِ، وربما رَأيْتُ رَأسَه قد مالَ وشَفَتَيْهِ تتحَرّكانِ حتَّى بَلَغَتْهُ الشَّمْسُ، فقامَ يريدُ منزلَه. فما سمِعَ السّامِعُون شيئاً أَحسَنَ منهما وقد رفَعا أصواتهما وتَغَنَّيا بهذا. ولمّا بَلَغَتِ الشَّمسُ عَطاءً قامَ وهُمْ على طريقةٍ واحدةٍ، في الغناءِ، فاطَّلَعَ في كُوَّةِ البيتِ. فلمّا رَأَوْهُ قالوا: يا أبا محمد، أيُّهما أَحْسَنُ غناءً؟ قال: الرَّقِيق الصّوتِ. يَعْنِي ابْنَ سُرَيْج.

نسبة ما في هذه الأخبار من الأصوات

صوت

[الكامل]

ولَهُنَّ بِالبيتِ العَتِيقِ لُبَانَةٌ والبيتُ يَعْرِفُهُنّ لو يَتَكلَّمُ
لو كان حيًّا قَبْلَهُنَّ ظعائناً حَيَّا الحَطِيمُ وجُوهَهُنَّ وزمزمُ
وكأنَّهُنَّ وقد حَسَرْنَ لَوَاغِباً بَيْضٌ بأكنافِ الحَطِيم مُرَكَّمُ[3]
لَبِثُوا ثلاثَ مِنىً بِمَنْزِلِ غِبْطَةٍ وهُمُ على سَفَرٍ لَعَمْرُكَ ما هُمُ
مُتَجَاوِرِينَ بِغيرِ دارِ إقامةٍ لو قَد أجَدَّ رَحِيلُهُمْ لم يَنْدَمُوا

عَرُوضُهُ من الكامل، الشّعر لابن أُذَيْنَة، والغِنَاءُ لابنِ سُرَيج ثاني ثقيلٍ مُطْلق في مَجْرَى البِنْصر عن إسحاقَ. وأخبارُ ابنِ أُذَينَة تأتي بعد هذا في موضِعها إن شاء الله.

ومنها الصّوتُ الذي أوّله في الخبر:

لسنا نُبَالي حين نُدْرِكُ حاجةً

(١) أجرضه بريقه: أغَصَّهُ به.

(٢) النّعْف: المكان المرتفع في اعتراض. ومُحَسِّر: موضع ما بين مكة وعرفة أو بين منى والمزدلفة (معجم البلدان ٥: ٦٢).

(٣) حَسرن: كشفن. واللّواغب: جمع اللاّغبة: المتعبة.

صوت

[الكامل]

وَدِّعْ لُبَابَةَ قبلَ أنْ تترحَّلاَ وَاسْأَلْ فإن قَلِيلَهُ أن تَسْأَلا

وانْظُرْ بِعَيْنِكَ لَيلةً وتأنَّها فَلَعَلَّ ما بَخِلَتْ به أن يُبْذَلا

لسنا نُبَالِي حين نُدرِكُ حاجةً ما راحَ أو ظَلَّ المَطِيُّ مُعَقَّلا

حتّى إذا ما اللَّيلُ جَنَّ ظلامُهُ ورَجَوْتُ غَفْلَةَ حارسٍ أنْ يَغْفِلا

خَرَجَتْ تَأَطَّرُ في الثّيابِ كأنّها أيْمٌ يَسِيبُ على كَثِيبٍ أهْيَلا[1]

الشّعرُ لعمرَ بن أبي ربيعةَ. والغناءُ لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ بالوُسْطَى في مَجْراها، وفيه لمَعْبدٍ لحنٌ من خَفِيف الثَّقيلِ الأوّل بإطلاق الوَتَرِ في مَجْرَى الوُسْطَى، وهو من مُخْتَارِ أغَانِيه ونادِرِها وصُدُورِ صَنْعَتِهِ وما يُقَدَّمُ على كثيرٍ منها.

[ذهبت لُبابة ببغلة الغمر بن يزيد]

أخبرني أحمدُ بن محمد بن إسحاقَ الحَرَمِيّ قال: حَدَّثنا الزُّبَير بنُ بكَّار قال: حَدَّثني عبدُ الرّحمن بن عبد الله الزُّهْرِي عن عبدِ اللّهِ بنِ عِمْرَان بن أبي فَرْوَة قال: كنتُ أسيرُ مع الغَمْرِ بن يَزِيدَ، فاستنشدني فأنشدتُه لعمرَ بنِ أبي ربيعةَ:

وَدِّعْ لُبَابَةَ قبلَ أن تترحَّلا وَاسْأَلْ فإنّ قَلِيلَهُ أنْ تَسْألا

قال ائْتَمِرْ ما شِئْتَ غيرَ مُخالِفٍ فيما هَوِيتَ فإنّنا لَنْ نَعْجَلا

نَجْزِي أيَادِيَ كنتَ تَبْذُلُها لنا حَقٌّ علينا واجِبٌ أنْ نَفْعَلا[2]

حتّى إذا ما اللَّيْلُ جَنَّ ظلامُهُ ورَجَوْتُ غفلةَ حارسٍ أنْ يَغْفِلا

خَرَجَتْ تَأَطَّرُ في الثّيابِ كَأنّها أَيْمٌ يَسِيبُ على كَثِيبٍ أهْيَلا

رَحَّبْتُ لمّا أقبلَتْ فَتَعَلَّلَتْ لِتَحِيَّتِي لمّا رَأَتْنِي مُقْبِلا

فَجَلا القِنَاعُ سَحَابةً مَشهورةً غَرَّاءَ تُغْشِي الطَّرْفَ أن يتأمَّلا

فَظَلِلْتُ أَرْقِيها بما لو عَاقِلٌ يُرْقَى به ما اسْطَاعَ ألاّ يَنْزِلاَ

تَدْنُو فأطْمَعُ ثم تَمْنَعُ بَذْلَها نفسٌ أبَتْ لِلْجُودِ أنْ تَتَبَخَّلا

قال: فأمرَ غلامَه فحملني على بغلتِه التي كانت تحتَه. فلمّا أرادَ الانصرافَ

(١) الأيم: الحية.

(٢) الأيادي: النعم والأفضال.

طلبَ الغلامُ مِنّي البغلةَ، فقلتُ: لا أُعْطِيكَها، هو أكرمُ وأشرفُ مِنْ أن يَحْمِلَني عليها ثم ينتزعَها مِنّي. فقال للغلامِ: دَعْهُ يا بُنَيَّ، ذَهَبَتْ واللَّهِ لُبَابَةُ بِبغلةِ مولاكَ.

[غِناءُ ابن سريج بشعر عمر يطرب القرشيّ]

أخبرني الحُسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه، وأخبرنيه الحَسَنُ بن عليّ عن هارونَ بن الزَّيَّاتِ عن حَمَّادٍ عن أبيه قال: حَدَّثني عُثْمان بن حَفْصٍ الثَّقَفِيّ عن إبراهيمَ بنِ عبد السّلام بن أبي الحارث عن ٱبنِ تَيْزن المُغَنِّي قال: قال أبو نافع الأسود ـ وكانَ آخِرَ مَنْ بَقِيَ من غِلْمَانِ ٱبنِ سُرَيْج ـ إذا أَعْجَزَكَ أن تُطْرِبَ القُرَشِيَّ فَغَنِّهِ غِناءَ ٱبن سُرَيْجٍ في شِعْرِ عمرَ بن أبي ربيعة فإنّكَ تُرْقِصُهُ. قال: وأبو نافع هذا أَحْذَقُ غِلْمَانِ ٱبنِ سُرَيْج وَمَنْ أَخَذَ عنه، وكان أحسن رُوَاتِهِ صوتاً. ومنها:

صوت

[الطويل]

بِلَيْلَى وجَاراتٍ لِلَيْلَى كَأَنَّها ... نِعَاجُ المَلا تُحْدَى بهنَّ الأَبَاعِرُ
أَمُنقطِعٌ يا عَزّ ما كانَ بَيْنَنا ... وشَاجَرَني يا عَزّ فيكِ الشَّواجِرُ
إذا قِيلَ هذا بَيْتُ عَزَّةَ قادَني ... إليه الهَوَى وٱسْتَعْجَلَتْني البَوَادِرُ
أَصُدُّ وبي مِثْلُ الجنونِ لِكَيْ يَرى ... رُوَاةُ الخَنَا أَنّي لِبَيْتِكِ هَاجِرُ
ألاَ لَيْتَ حَظّي مِنكِ يا عَزّ أَنّني ... إذا بِنْتِ باعَ الصَّبْرَ لي عنكِ تاجرُ

عَرُوضُه من الطّويل، الشّعر لكُثَيِّر، والغناء لمَعْبَدٍ ثقيلٌ أوّلُ بالبِنْصَر على مَذهب إسحاقَ من رواية عَمْرو. وفيه لابنِ سُرَيج لحنٌ أوّله: «أَصُدُّ وبي مثلُ الجُنُون» خفيفُ رمَلٍ بالخِنْصَر في مَجرى الوُسْطى عن إسحاقَ. ومنها:

صوت

[الطويل]

أناخُوا فَجَرُّوا شَاصِيَاتٍ كَأَنَّها ... رجالٌ مِنَ السُّودانِ لم يَتَسَرْبَلُوا
فَقُلْتُ ٱصْبَحُوني لا أَبَا لأَبِيكُمُ ... وما وَضَعُوا الأَثْقَالَ إلاّ لِيَفْعَلُوا
تَمُرُّ بها الأَيْدِي سَنِيحاً وبَارِحاً ... وتُرْفَعُ بِاللَّهُمَّ حَيِّ وتُنْزَلُ[1]

---

(١) السَّنيح: ما جاء عن اليمين والبارح بعكسه، وهو يريد أنّ الخمر تدار على الشاربين من كلّ الجهات.

عَرُوضُه من الطّويل. الشّاصياتُ: الشَّائِلاتُ قوائمها من امتلائِها، يعني الزِّقَاقَ؛ يقال: شَصَا يَشْصُو، وشَصَا ببصرِه إذا رَفَعَهُ كالشَّاخِص؛ وأنشد:

[مشطور الرجز]

وَرَبْـــرَبٍ خِـــمَـــاصِ يَـطْـعَـنُ بِـالـصَّـيَـاصِـي[1]
يَـــنْـــظُـــرُ مـــن خَـــصَـــاصِ بِـــأَعْـــيُـــنٍ شَـــوَاصِـــي[2]
كَـــفِـــلَـــقِ الـــرَّصَـــاصِ تَـــسْـــمُـــو إلـــى الـــقَـــنَّـــاصِ

الشّعرُ للأخْطَل، وذكره يأتي في غير هذا الموضع، من قصيدة يمدَحُ بها خالدَ ابنِ عبدِ الله بن أَسِيد بن أبي العِيصِ بن أُمَيَّة. والغناء لمالكٍ وله فيه لحنانِ: أحدُهما في الأوّل والثاني رَمَلٌ بالبِنْصَر في مجراها عن إسحاق، والآخرُ في الثالثِ والأولِ والثاني خَفِيفُ رَمَلٍ بالوُسْطَى عن عمرو. وفيه لابنِ سُرَيج رَمَلٌ بالوُسْطَى عن عَمْرو. وفيه لابن مُحْرِزٍ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبِنْصَر في مجراها. وفيه رَمَلٌ آخرُ لإبراهيمَ عن عمرو أيضاً. ومنها:

صوت

هـل تـعـرِفُ الـرَّسْـمَ والأَطْـلاَلَ والـدِّمَـنَـا

وذكرَ الأبيات الثّلاثةَ وقد تَقَدَّمَتْ. عَرُوضُه من البَسيط. الشّعرُ لِذِي الإِصبَع العَدْوَانِيّ. والغناء لابنِ عائشةَ ثاني ثقيلٍ بالبِنْصَر. ومنها:

كَـفَـى حَـزَنـاً أَنْ تـجـمـعَ الـدّارُ شَـمْـلَـنَـا

(١) الرّبرب: القطيع من بقر الوحش. وخماص: ضامرة البطون والصياصي: جمع الصِّيصَة: قرن البقر.

(٢) الخَصَاص: جمع الخَصَاصة: كلّ خلل أو خرق أو شقّ في باب أو منخل أو حجاب. وشواصٍ: شاخصة.

صوت

وهو من المائة المختارة في رواية جحظة عن أصحابه

[الطويل]

دَعِي القلبَ لا يَزْدَدْ خَبالاً مع الّذي به مِنْكِ أو دَاوِي جَوَاه المُكَتَّما
وَمَنْ كان لا يَعْدُو هَوَاهُ لِسَانَه فقد حَلَّ في قَلبِي هَوَاكِ وخَيَّما
وليس بِتَزْوِيقِ اللِّسَانِ وصَوْغِهِ ولَكِنَّهُ قد خَالَطَ اللَّحْمَ والدَّمَا

ـ عَرُوضُه من الطَّوِيل. الشعر للأَحْوَصِ، وقيل: إنه لسَعِيد بن عبد الرحمن بن حَسَّان. والغناء لِمَعْبدٍ ثقِيلٌ أوّلُ بإطلاق الوتر في مَجْرَى البِنْصَر. وذكَر يونُسُ أنّ لمالك لحناً فيه ـ. [الطويل]

أكَلْثَمُ فُكِّي عَانِياً بكِ مُغْرَمَا وشُدِّي قُوَى حَبْلٍ لنا قد تَصَرَّما
فإنْ تُسْعِفِيهِ مَرَّةً بِنَوَالِكُمْ فقد طَالَما لم يَنْجُ منكِ مُسَلَّمَا
كَفَى حَزَناً أَنْ تَجْمَعَ الدَّار شَمْلَنا وأُمْسِي قريباً لا أَزُورُكِ كَلْثَما

ويعده هذه الأبياتُ التي مَضَتْ.

[لحن ابن سريج «وليس بتزويق اللسان» يفوز بإجماع المغنّين]

أخبرني الحُسَين بن يَحْيى قال: قال حَمَّاد وذكر الثَّقَفِيّ عن دَحْمَان قال: تَذَاكَرْنا ونحن في المَسْجِدِ أنا والرّبيعُ بن أبي الهَيْثَم الغناءَ أَيُّهُ أحسنُ، فجعَلَ يقول وأقولُ فلا نجتمعُ على شيء. فقلت: اذْهَبْ بنا إلى مالكِ بنِ أبي السَّمْح. فذَهَبْنَا إليه فوجَدْناه في المسجدِ، فقال: ما جاءَ بكما؟ فأخبرْناه. فقال: قد جرى هذا بيني وبين مَعْبَدٍ وقال وقلتُ، فجاءني معبد يوماً وأنا في المسجِد وقال: قد جِئْتُكَ بشيءٍ لا تَرُدُّه. فقلتُ: وما هو؟ قال: لَحْنُ ٱبن سُرَيج: [الطويل]

ولَيسَ بِتزويقِ اللّسانِ وصَوْغِه ولَكِنَّه قد خالَطَ اللَّحْمَ والدَّمَا

ثم قال لي مَعْبَدٌ: أُسْمِعُكَه؟ قلتُ: نعمْ، وأَرَيْتُهُ أنّي لم أَسْمَعْهُ قَبْلُ، فقال: اسْمَعْه مِنّي؛ فغَنَّى فيه ونحنُ في المسجدِ، فما سَمِعْتُ شيئاً قطُّ أَحْسَنَ منه، فافترقْنا وقد ٱجتمعنا عليه.

وقرأتُ في فصلٍ لإبراهيمَ بن المَهْدِيّ إلى إسحاقَ المَوْصِلي: «وكتبتُ رُقعتي

هذه وأنا في غَمْرةٍ[١] من الحُمَّى تَصْدِفُ[٢] عن المُفْتَرَضَات. ولولا خَوْفِي من تَشْنِيعِك وتَجَنِّيك لم يكنْ فِيَّ لِلإجابة فَضْلٌ، غيرَ أنِّي قد تَكَلَّفْتُ الجوابَ على ما اللَّهُ به عالمٌ من صُعوبةِ عِلَّتي وما أُقاسِيه مِنَ الحرارة الحادثةِ بي. [الطويل]

وليس بِتزويقِ اللِّسانِ وصَوغِه ولكنَّه قد خالطَ اللَّحْمَ والدَّما»

[غناءُ ابن سريج يُكَدِّرُ ما بعده]

وقال إسحاق حَدَّثني شيخٌ من مَوَالِي المنصورِ قال: قَدِمَ علينا فِتْيَانٌ من بني أُميّةَ يريدون مكّةَ، فَسَمِعُوا مَعْبَداً ومالِكاً فَأُعْجِبُوا بهما، ثم قَدِموا مكّةَ فسألوا عن ابن سُرَيج فوجدوه مَرِيضاً، فأتَوْا صديقاً له فسألوه أن يُسْمِعَهُمْ غناءَه، فخرجَ معهم حتى دخَلوا عليه. فقالوا: نحنُ فتيانٌ من قُرَيْشٍ، أتيناكَ مُسَلِّمِينَ عليكَ، وأحبَبْنا أن نَسْمَعَ منك. فقال: أنا مَريضٌ كما تَرَوْن. فقالوا: إنّ الّذي نكتفِي منكَ به يَسِيرٌ ـ وكان ابن سُرَيج أدِيباً طاهرَ الخُلُق عارفاً بِأَقْدَارِ النَّاسِ ـ فقال: يا جارية، هاتِي جِلْبَابِي وعُودِي، فَأَتَتْهُ خادمُه بِخَامَةٍ فَسَدَلَهَا على وَجْهِهِ ـ وكان يفعلُ ذلك إذا تَغَنَّى لِقُبْح وجهِه ـ ثم أخذ العُودَ فَغَنَّاهم، فأرْخَى ثوبَه على عينيه وهو يُغَنِّي، حتى إذا اكتفوْا ألقى عودَه وقال: مَعْذِرَةً. فقالوا: نَعَمْ، قد قَبِلَ اللَّهُ عُذْرَكَ فأحْسَنَ اللَّهُ إليك، ومَسَحَ ما بك، وانصرفوا يتعجَّبون مما سَمِعُوا. فَمَرُّوا بالمدينةِ مُنْصَرِفين، فَسَمِعوا من مَعْبَدٍ ومالِكٍ، فجعلوا لا يَطْرَبُون لهما ولا يُعْجَبُون بهما كما كانوا يَطْرَبون. فقال أهلُ المدينة: نَحْلِفُ باللَّهِ لقد سَمِعْتُم بعدَنا ابنَ سُرَيج! قالوا: أَجَلْ! لقد سَمِعْناه فسَمِعْنا ما لم نسمَعْ مِثْلَهُ قَطُّ، ولقد نَغَّصَ علينا ما بعدَه.

[رقطاء الحبطيّة تترنّم برمل ابن سريج في شعر ابن عمارة السّلميّ]

ذكر العَتَّابِيُّ أنّ زكريّا بنَ يَحْيَى حَدَّثه قال: حَدَّثني عبدُ الله بنُ محمد بن عثمانَ العُثْمَانِيّ عن بعضِ أهلِ الحِجَاز قال: التقى قِنْدِيلٌ الجَصَّاص وأبو الجَدِيد بِشِعْبِ الصَّفْرَاء[٣]، فقال قِنْدِيلٌ لأبي الجَدِيد: مِن أين وإلى أين؟ قال: مَرَرْتُ

(١) الغمرة: الشدّة.

(٢) تصدف: تَصُدُّ.

(٣) الشعب: مسيل الماء في بطن الأرض. والصفراء: وادٍ بناحية المدينة كثير النخل والزرع (معجم البلدان ٣: ٣٤٧).

بِرَقْطاء الحَبطِيّة(١) رائحةً تترنَّم بِرَمَلِ ٱبن سُرَيج في شعرِ ٱبن عُمَارة السُّلَميّ:

صوت

[الطويل]

سَقَى مَأْزِمَيْ نَجْدٍ إلى بِئْرِ خَالِدٍ ... فَوَادِي نِصَاعٍ فالقُرُون إلى عَمْدِ(٢)

وجادَتْ بُرُوقُ الرَّائحاتِ بِمُزْنَةٍ ... تَسُحُّ شَآبِيباً بِمُرْتَجِزِ الرَّعْدِ(٣)

مَنَازِلَ هِنْدٍ إذْ تُواصِلُني بها ... لَيالِيَ تَسْبِينِي بِمُسْتَطْرَفِ الوُدِّ(٤)

يُنِيرُ ظلامُ اللَّيلِ مِنْ حسنِ وَجْهِهَا ... وتَهْدِي بِطِيبِ الرِّيحِ مَنْ جَاءَ مِنْ نَجْدِ

ـ الغناء لابن سُرَيْج رَمَلٌ بالبِنْصر عن الهِشَامِيّ ـ فزَفَفْتُ(٥) خلفَها زَفِيفَ النَّعامَةِ، فما ٱنْجَلَتْ غِشَاوَتِي إلاّ وأنا بالمُشَاشِ(٦) حَسِيرٌ(٧)، فأَوْدَعتُها قلبي وخَلَّفْتُهُ لَدَيْها، وأقبلتُ أَهْوِي كالرَّخَمَةِ(٨) بِغيرِ قَلْب. فقال لي قِنْدِيلٌ: ما دَفَعَ أحدٌ من المُزْدَلِفَةِ أَسْعدُ منكَ، سَمِعْتَ شِعْرَ ٱبن عُمَارةَ في غِنَاءِ ٱبنِ سُرَيج من رَقْطاءَ الحَبَطِيَّة؛ لقد أُوتِيتَ جزءاً من النُّبوّةِ. قال: وكانت رَقْطاءُ هذه من أَضْربِ النَّاسِ؛ فدخلَ رجلٌ من أهلِ المدينةِ مَنزِلَها فَغَنَّتْه صوتاً، فقال له بعضُ مَنْ حَضَر: هل رأيتَ قَطُّ أوْ تَرَى أفصحَ من وَتَرِ هذه؟! فَطَرِبَ المَدَنِيُّ وقال: عَلَيَّ العَهْدُ إنْ لم يكنْ وَتَرُها من مَعَى بَشْكَسْتَ النَّحْوِيّ، فكيف لا يكونُ فصيحاً! وبَشْكَسْتُ هذا كانَ نَحْوِيّاً بالمدينة، وقُتِلَ مع الشُّرَاةِ(٩) الخارجين مع

---

(١) الحبطية: نسبة إلى الحبط وهو انتفاخ يصيب الماشية وقد لُقِّب بذلك الحارث بن مازن بن مالك... بن تميم وكان قد أكل طعاماً وهو في السفر فأصابه ما يصيب الماشية من انتفاخ البطن.

(٢) المأزم: الطريق الضيق بين الجبال. ووادي نِصاع: ذكره ياقوت في معجمه (٥: ٢٨٧) وقال: كأنه جمع ناصع، وهو من كل لون خالصه وذكر هذا الشعر. والقرون: جمع قرن: موضع في ديار بني عامر (معجم البلدان ٤: ٣٣٥).

(٣) الرّائحات: السّحُب الرائحات مساءً. والمزنة. السّحابة الممطرة. وتسحّ: تسيل. والشّآبيب: جمع الشّؤبوب: الدّفعة من المطر. مرتجز الرّعد: صوت الرّعد المتتابع.

(٤) المستطرَف: المستحدَث.

(٥) زففتُ: أسرعت.

(٦) المُشَاش: يتصل بجبال عرفات جبال الطائف وفيها مياه كثيرة أوشال وعظائم قُنيّ، منها المشاش وهو الذي يجري بعرفات ويتصل إلى مكة (معجم البلدان ٥: ١٣١).

(٧) الحسير: المتعب.

(٨) الرَّخمة: واحدة الرَّخَم: طائر من الجوارح يشبه النّسر، كثير الريش أبيض اللّون مبقّع بسواد.

(٩) الشُّراة: الخوارج، وقد سُمّوا بذلك لقولهم إنهم قد اشتروا الجنة بأرواحهم.

أبي حَمْزة[١] صاحبِ عبد الله بن يحيى الكِنْدِيّ[٢] الشَّارِي المعروف بِطالبِ الحقّ.

[غناء ابن سريج مخلوق من قلوب الناس جميعاً]

قال محمد بن الحسن وحَدَّث عن إسحاق عن أبيه أنّه كان يقول: غِناءُ كُلِّ مُغَنٍّ مخلوقٌ من قلبِ رجلٍ واحدٍ، وغِنَاءُ ٱبن سُرَيْج مَخلوقٌ من قلوبِ النَّاسِ جميعاً. وكان يقولُ: الغناءُ على ثلاثةِ أضْرُبٍ، فَضَرْبٌ مُلْهٍ مُطْرِبٌ يُحَرِّكُ ويَسْتَخِفُّ، وضَرْبٌ ثانٍ له شَجاً ورِقَّةٌ، وضَرْبٌ ثالثٌ حِكْمَةٌ وإتقانُ صَنْعَةٍ. قال: وكلٌّ هذا مجموعٌ في غِنَاءِ ٱبنِ سُرَيْجٍ.

[ابن سلمة الزهري يتغنَّى بغناء ابن سريج]

قال العَتَّابِيّ وحَدَّثني زكَرِيَّا بن يَحْيَى عن عبدِ الله بن محمد العُثْمَانيّ قال: ذكَر بعضُ أصحابِنا الحِجَازِيِّين قال: التقَى ٱبنُ سَلَمَةَ الزُّهْرِيّ والأخْضَرُ الجدِّيّ ببئر الفصح، فقال ٱبنُ سَلَمَةَ: هل لكَ في الاجتماعِ نَسْتَمْتِعُ بكَ؟ فقال له الأخضرُ: لقد كنتُ إلى ذلكَ مُشْتاقاً، قال: فَقَعَدا يتحدَّثانِ، فمرَّ بهما أبو السَّائبِ، فقال: يا مُطْرِبَيِ الحجازِ، أَلِشَيءٍ كان ٱجتماعُكما؟ فقالا: لِغَيرِ مَوْعِدٍ كان ذلك، أَفَتُؤْنِسُنا؟ قال: فقَعدوا يَتَحَدَّثون. فلما مَضَى بعضُ اللَّيلِ قال الأَخْضَر لابن سَلَمَةَ: يا أبا الأَزْهَرِ، قد ٱبْهَارَّ اللّيلُ[٣] وسَاعَدَكَ القمرُ فَأَوْقِعْ بِقَهْقَهَةِ[٤] ٱبنِ سُرَيج وأَصِبْ مَعْنَاك. فاندفَع يُغَنِّي:

صوت

[الطويل]

تَـجَـنَّـتْ بـلا جُـرْمٍ وصَـدَّتْ تَـغَـضُّـبـاً   وقـالَـتْ لِـتِـرْبَـيْـهـا مَـقـالَـةَ عَـاتِـبِ

---

(١) أبو حمزة: المختار بن عوف الأسدي أحد نسّاك الإباضية. (ت ١٣٠ هـ/ ٧٤٨ م) ترجمته في: الكامل لابن الأثير ٥: ١٤٦، وشذرات الذهب ١: ١٧٧، والنجوم الزاهرة ١: ٣١١، والبداية والنهاية ١٠: ٣٥.

(٢) عبد الله بن يحيى الكندي: إمام إباضي، من أهل اليمن كان قاضياً بحضرموت (ت ١٣٠ هـ/ ٧٤٨ م) ترجمته في: البداية والنهاية ١٠: ٣٦ وفي شذرات الذهب ١: ١٧٧.

(٣) ابهارّ اللّيل: انتصف.

(٤) أوقع المغنّي: بنى ألحانه على موقعها وميزانها. والقهقهة: مَدّ الصوت وترجيعه.

سَيَعْلَمُ هذا أَنَّنِي بِنْتُ حُرَّةٍ سَأَمْنَعُ نَفْسِي مِنْ ظُنُونٍ كَوَاذِبِ
فَقُولِي له عَنَّا تَنَحَّ فَإِنَّنا أَبِيَّاتُ فُحْشٍ طَاهِرَاتُ المَنَاسِبِ

ـ الغناءُ لابنِ سُرَيج ولم يذكُر طريقتَه ـ قال: فجعَل أبو السَّائب يَزْفِنُ[1] ويقول: أَبْشِرْ حَبِيبي؛ فلأنت أفضلُ من شُهَداءِ قَزْوين[2]. قال: ثم قال ابنُ سَلَمَةَ لِلأَخْضَر: نِعْمَ المُسَاعِدُ على هَمِّ اللّيلِ أنتَ! فأَوْقِعْ بِنَوْحِ ابْنِ سُرَيج ولا تَعْدُ مَعْنَاكَ. فاندفعَ يُغَنِّي:

صوت [الطويل]

فَلَمَّا الْتَقَيْنَا بِالحَجُونِ تَنَفَّسَتْ تَنَفُّسَ مَحْزونِ الفُؤَادِ سَقِيمِ[3]
وقالَتْ وما يَرْقَا مِنَ الخَوْفِ دَمْعُها أَقَاطِنُنها أم أَنْتَ غيرُ مُقِيمِ[4]
فإنّا غداً تُحْدَى بنا العِيسُ بِالضُّحَى وأنتَ بما نَلْقَاهُ غيرُ عَلِيمِ
فَقَطَّعَ قَلْبِي قَوْلُهَا ثمّ أَسْبَلَتْ مَحَاجِرُ عَيْنِي دمعَها بِسُجُومِ[5]

قال: فجعلَ أبو السَّائِب يَتَأَفَّفُ ويقولُ: أُعْتِقُ ما أَملِكُ إنْ لم تَكُنْ فِرْدَوسِيَّةَ الطِّينةِ، وإنّها بِعلمِهَا لأَفْضَلُ مِنْ آسِيَةَ امرأةِ فرعونَ.

[الذلفاء تغني بلحن ابن سريج وشعر جميل وأبو السائب يبكي]

أخبرني الحُسَين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه عن الهَيْثَم بنِ عَدِيّ قال: بَلَغني أنّ أبا دَهْبَلٍ الجُمَحِيّ قال: كنتُ أنا وأبو السَّائِبِ المَخْزُومِيُّ عند مُغَنِّيَةٍ بالمدينةِ يُقَالُ لها «الذَّلْفاء»، فَغَنَّتْنا بِشعرِ جَمِيلِ بنِ مَعْمَر العُذْرِيّ، واللّحنُ لابنِ سُرَيج:

صوت [الطويل]

لَهُنَّ الوَجَى لِمْ كُنَّ عَوناً على النَّوَى ولا زَالَ منها ظَالِعٌ وكَسِيرُ[6]

---

(١) يزفن: يرقص.
(٢) قزوين: مدينة مشهورة بينها وبين الرّيّ سبعة وعشرون فرسخاً، وقد رُوِيَ عن قزوين أحاديث تحثّ على الإقامة بها لكونها من الثغور (معجم البلدان ٤: ٣٤٢).
(٣) الحَجون: جبل في أعلى مكة عنده مدافن أهلها (معجم البلدان ٢: ٢٢٥).
(٤) يرقأ الدمع: يجفّ ويسكن.
(٥) سجوم العين: جريان دمعها.
(٦) الوَجَى: الحفا. والنّوى: البعد. والظّالع: الذي يعرج ويغمز في مشيه.

كَأنّي سُقِيتُ السّمَ يومَ تَحَمَّلوا ... وجَدَّ بهم حَادٍ وحَانَ مَسِيرُ

فقال أبو السّائب: يا أبا دَهْبَل، نحنُ واللهِ على خَطَرٍ من هذا الغناء، فنسألُ اللّهَ السّلامةَ وأن يَكْفِينَا كلَّ محذورٍ، فما آمَنُ أنْ يَهْجُمَ بي على أمرٍ يَهْتِكُنِي. قال: وجعلَ يَبْكِي.

[غناء ابن سريج في موسم الحج]

أخبرني محمدُ بن خَلَف وَكِيعٌ قال: حَدَّثنا الزُّبَير بن بَكَّار عن بَكّار بن رَبَاح عن إسحاقَ بن مِقَمَّةَ عن أُمِّه قالت: سَمِعْتُ ٱبنَ سُرَيج على أخشَبِ مِنىً[1] غداةَ النَّفْر[2] وهو يُغَنِّي: [الخفيف]

جَدِّدِي الوَصْلَ يا قَرِيبَ وَجُودِي ... لِمُحِبٍّ فِرَاقُهُ قد أَلَمَّا[3]

ليسَ بينَ الحياةِ والموتِ إلاّ ... أن يَرُدُّوا جِمَالَهُمْ فتُزَمَّا[4]

ـ ونسبةُ هذا الصّوت تأتي بعد هذه الأخبار ـ قالت: فما تشاءُ أنْ تَسْمَعَ من خِبَاءٍ ولا مِضْرَبٍ حنيناً ولا أنيناً إلاّ سَمِعْتَه.

وذكر يوسُفُ بنُ إبراهيمَ أنه حضَر إسحاقَ بنَ إبراهيمَ المَوْصِليّ ليلةً وهو يُذاكِرُ إبراهيمَ بنَ المَهْدِيّ، إلى أن قال إسحاقُ في بعض مخاطبتِه إيّاه: هذا صوتٌ قد تَمَعْبَدَ فيه ٱبنُ سُرَيج. فقال له إبراهيم: ما ظَنَنْتُ أنّكَ يا أبا محمد مع عِلْمِكَ وتَقَدُّمِكَ تقولُ مثلَ هذا في ٱبنِ سُرَيج، فكيف يجوزُ أن تقولَ: تَمَعْبَدَ ٱبنُ سُرَيج، وإنما مَعْبَدٌ إذا أحسنَ قال: أصبحتُ سُرَيْجِيًّا! قد أغْنَى اللّهُ ابن سُرَيجٍ عن هذا ورفعَ قَدْرَهُ عن مِثْلِهِ، وأُعيذُكَ باللّهِ أن تَسْتَشْعِرَ مثلَه في ابن سريج. قال: فما رأيتُ إسحاقَ دفع ذلك ولا أباه، ولا زاد على أن قال: هي كلمةٌ يقولُها النَّاسُ، لم أَقُلْها اعتقاداً لها فيه، وإنّما تَكَلَّمْتُ بها على العادةِ.

---

(١) أخشب مِنى: أحد الأخشبين، وهما جبلان يضافان تارة إلى مكة وتارة إلى منى وهما واحد، ويقال لهما أبو قبيس والجبل الأحمر (معجم البلدان ١: ١٢٢).

(٢) غداة النفر: يوم رحيل الحاجّ من منى..

(٣) في الديوان (يا سكَيْن) بدل (يا قريبَ). و (أحمّا) بدل (ألَمَّا). وأحمَّ: دنا. وألَمَّ: نزل.

(٤) زَمّ الناقة: وضع فيها الزّمام وشدّه.

[تفوق ابن سريج على سائر المغنين]

أخبرني محمد بنُ خَلَفٍ وَكِيعٌ قال: حَدَّثنا محمدُ بنُ إسماعيلَ قال: حَدَّثنا محمدُ بن سَلاَّم قال: قال لي شُعيْب بن صَخْر: كان مَعْبَدٌ إذا غَنَّى فأجادَ قال: أنا اليوم سُرَيْجِيٌّ.

حَدَّثني الحَرَمِيُّ بن أبي العَلاَء قال: حَدَّثنا الزُّبَير بن بَكَّار قال: حَدَّثني محمدُ ابن سَلاَّم قال: حَدَّثنا شُعَيْبُ بن صَخْر قال: كان نُعْمَانُ المُغَنِّي عندي نازلاً، وكان يُغَنِّي، وكنتُ أراه يأتيه قومٌ. قال أبو عبد الله: فقلتُ له: فأيُّهم كان أَحْذَقَ؟ قال: لا أَدْرِي، إلاّ أنَّهم كانوا إذا جاءَ ابْنُ سُرَيج سَكَتُوا.

[ابن سريج يغنّي بيتين قالهما الأحوص في الحجّ]

أخبرني الحُسَين بنُ يَحْيَى عن حَمَّادٍ عن أبيه قال: حَدَّثني الهَيْثَم بن عَيَّاشٍ قال: حَدَّثني عبدُ الرّحمن بن عُيَيْنَةَ قال: بينما نحنُ بِمِنىً ونحن نريدُ الغُدُوَّ إلى عَرَفاتٍ، إذ أتانا الأَحْوَصُ فقال: أَبِيتُ بكم اللَّيلةَ؟ قلنا: بِالرَّحْبِ والسَّعَةِ. فلما جَنَّهُ اللّيلُ لم يَلْبَثْ أَنْ غاب عنَّا ثم عادَ ورأسُهُ يَقْطُرُ ماءً. قلتُ: ما لكَ؟ قال:

صوت [المتقارب]

تَعَرَّضُ سَلْمَاكَ لَمَّا حَرَمْـ ... ـتَ، ضَلَّ ضَلاَلُكَ مِنْ مُحْرِمِ![1]
تُرِيدُ بهِ البِرَّ يا لَيْتَهُ ... كَفَافاً مِنَ البِرِّ والمَأْثَمِ[2]

ـ الغناء لابنِ سُرَيج ولم يُجَنِّسْهُ ـ قال: قلتُ: زَنَيْتَ ورَبِّ الكَعْبَةِ! قال: قُلْ ما بدا لك. ثم لَقِيَ ابْنَ سُرَيج فقال: إنِّي قد قلتُ بيتينِ حَسَنَيْنِ أُحِبُّ أن تُغَنِّيني بهما. قال: ما هما؟ فأنشَده إيَّاهما؛ فَغَنَّى بهما من ساعَتِهِ، فَفُتِنَ مَنْ حَضَرَ مِمَّنْ سَمِعَ صوتَهُ.

[جرير يرتحل من المدينة إلى مكة ليسمع ابنَ سريج]

أخبرني الحُسَين بن يَحْيى عن حَمَّاد عن أبيه قال: حَدَّثني إسحاقُ بن يحيى بنِ طَلْحَة قال:

---

(١) حرمت: دخلت الحرمَ.

(٢) الكفاف: المثل والمقدار، أي ليت برّك يعادل إثمك.

قَدِم جَرِيرُ بنُ الخَطَفَى المدينةَ ونحن يومئذٍ شَبَابٌ نَطلبُ الشِّعرَ، فاحْتَشَدْنا له ومعنا أَشْعَبُ، فبَيْنَا نحن عندَه إذ قامَ لحاجةٍ وأَقَمْنَا لم نَبْرَحْ وجاءَ الأَحْوصُ بنُ محمد الشَّاعرُ من قُبَاءَ على حِمَارٍ فقال: أين هذا؟ فقلنا: قام لحاجةٍ، فما حاجتُكَ إليه؟ قال: أُريدُ واللَّهِ أَنْ أُعْلِمَهُ أَنَّ الفَرَزْدَقَ أَشْعرُ منه وأشرفُ. قلنا: وَيْحكَ! لا تَعْرِضْ له وانْصَرِفْ، فانصرفَ وخَرَجَ. فجاءَ جَرِيرٌ فلم يَكنْ بِأسرعَ من أن أقبلَ الأحوصُ الشَّاعرُ فأقبلَ عليه، فقال: السَّلامُ عليكَ يا جَرِيرُ. قال جَرِيرٌ: وعليكَ السَّلامُ. فقال الأحوصُ: يابن الخَطَفَى، الفَرَزْدَقُ أشرفُ منكَ وأشعرُ. قال جَرِيرٌ: مَنْ هذا أخزَاهُ اللَّهُ؟ قلنا: الأحوصُ بن محمد بن عاصِم بن ثابت بن أبي الأَقْلَح. فقال: نعم! هذا الخبيثُ ابن الطَّيِّبِ، أأنتَ القائلُ: [الطويل]

يَقَرُّ بِعَيْنِي ما يَقَرُّ بِعَيْنِهَا ... وأَحْسَنُ شيءٍ ما به العيْنُ قَرَّتِ

قال: نَعَمْ. قال: فإنه يَقَرُّ بعينِها أَنْ يدخل فيها مثلُ ذِرَاعِ البَكْرِ[1]، أَفَيَقَرُّ ذلك بعينِكَ؟! قال: وكان الأَحْوَصُ يُرْمَى بِالحُلاَقِ[2] فانصرفَ، فبَعَثَ إليهم بِتمرٍ وفاكهة. وأقبلنا على جَرِير نُسَائِلُه. وأشعبُ عندَ البابِ وجَرِيرٌ في مُؤَخَّرِ البيتِ، فألَحَّ عليه أشعبُ يسألُ. فقال: واللَّهِ إنِّي لأَرَاكَ أَقْبَحَهُمْ وَجهاً وأراكَ أَلأَمَهُمْ حسَباً، فقد أَبْرَمْتَنِي[3] مُنْذُ اليوم. قال: إنِّي واللَّهِ أَنْفعُهم وخَيْرُهم لكَ. فانتبهَ جَرِيرٌ وقال: وَيْحَكَ! كيف ذاك؟ قال: إنّي أُمَلِّحُ شِعْرَكَ[4] وأُجِيدُ مَقَاطِعَهُ ومَبَادِئَهُ. فقال: قُلْ، وَيْحَكَ! فاندفعَ أشعبُ فنادَى بِلَحْنِ ابنِ سُرَيج: [الكامل]

يا أُخْتَ نَاجِيَةَ السَّلامُ عَلَيْكُمُ ... قَبْلَ الرَّحِيلِ وقبلَ عَذْلِ العُذَّلِ

لو كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهْدِكُمْ ... يومُ الرَّحيلِ فَعَلْتُ ما لم أَفْعَلِ

فَطَرِبَ جَرِيرٌ وجعل يَزْحَفُ نحوَه حتى أَلْصَقَ بِرُكْبَتِهِ رُكْبَتَهُ. وقال: لَعَمْرِي لقد صَدَقْتَ؛ إنَّكَ لأَنْفَعُهم لي وقد حَسَّنْتَه وأَجَدْتَهُ وَزَيَّنْتَه، أحسنتَ واللَّهِ، ثم وَصَلَهُ وكَسَاه. فلمّا رأينا إعجابَ جَرِيرٍ بذلك الصّوت، قال له بعضُ أهلِ المجلِسِ:

---

(١) البَكْر: الفتيّ من الإبل.
(٢) الحُلاق: صفة تنافي الرجولة وهي صفة سوء.
(٣) أبرمتني: أضجرتني.
(٤) أمَلِّح شِعرك: أجعله مليحاً حَسَناً.

فكيفَ لو سَمِعت واضعَ هذا الغِنَاءِ؟ قال: أو إنّ له لَوَاضِعاً غيرَ هذا؟ فقلنا: نَعَمْ. قال: فأين هو؟ قلنا: بِمَكَّةَ. قال: فلستُ بِمُفَارِقِ حِجَازكم حتى أبْلُغَه. فمضَى ومضى معهُ جماعةٌ ممّن يرغَبُ في طَلبِ الشّعرِ في صَحابَتِهِ وكنتُ فيهم، فأتيناهُ جميعاً، فإذا هو في فِتْيَةٍ من قُرَيشٍ كأنَّهم ٱلمَهَا مَعَ ظَرْفٍ كثيرٍ، فأدنَوْا ورَحَّبوا وسألُوا عن الحاجةِ، فأخبرناهم الخبرَ، فرحَّبوا بجَرِير وأدْنَوْه وسُرُّوا بمكانِهِ، وأعظَمَ عُبَيْدُ بن سُرَيْج موضعَ جرير وقال: سَلْ ما تريدُ جُعِلتُ فِداءَكَ! قال: أُريدُ أَنْ تُغَنِّيني لَحْناً سَمِعْتُه بالمدينةِ أزعَجَني إليك[1]! قال: وما هو؟ قال: [الكامل]

يا أُخْتَ ناجِيةَ السَّلامُ عليكُمُ قبلَ الرَّحيلِ وقبلَ عَذْلِ العُذَّلِ

فَغَنَّاه ٱبنُ سُرَيج وبيده قضيبٌ يُوقِعُ به ويَنْكُتُ، فواللّهِ ما سَمعتُ شيئاً قَطُّ أحسنَ من ذلك. فقال جرير: للّهِ دَرُّكُمْ يا أهلَ مكَّةَ، ما أُعْطِيتُمْ! واللّهِ لو أَنَّ نَازِعاً نَزَعَ[2] إليكم لِيُقيمَ بين أظْهُرِكُمْ فيسمعَ هذا صَبَاحَ مَسَاءَ لكان أعظَمَ النَّاسِ حَظّاً ونَصِيباً، فكيفَ ومع هذا بيتُ اللّهِ الحَرَامِ، ووجوهُكُم الحِسَانُ، ورِقَّةُ أَلْسِنَتِكُمْ، وحُسْنُ شارَتِكُم[3]، وكَثْرَةُ فوائدِكُمْ!

[ابن سُريج يغنّي للوليد بن عبد الملك من شعر الأحوص وعديّ بن الرقاع]

أخبرني الحُسَيْن بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه عن جَدِّه إبراهيم قال: كتب الوَليدُ بنُ عبدِ الملك إلى عاملِ مكّةَ أنْ أَشْخِصْ إِلَيَّ ٱبنَ سُرَيج، فأَشْخَصَهُ. فلمّا قَدِمَ مَكَثَ أيّاماً لا يَدْعُو به ولا يلتفتُ إليه. قال: ثم إنّه ذَكَرَه، فقال: وَيْلَكُمْ! أين ٱبنُ سُرَيْج؟ قالوا: هو حاضرٌ. قال: عَلَيَّ به. فقالوا: أَجِبْ أميرَ المؤمنين. فتَهَيَّأَ ولَبِسَ وأَقبلَ حتى دخَلَ عليه فَسَلَّمَ. فأشارَ إليه أنِ ٱجْلِسْ، فجلسَ بعيداً. فاستدناه فدَنَا حتى كان منه قريباً، وقال: وَيْحَكَ يا عُبَيدُ! لقد بَلَغني عنكَ ما حَمَلَنِي على الوِفَادَةِ[4] بكَ مِنْ كثرةِ أَدَبِكَ وجَوْدَةِ ٱختيارِكَ مع ظَرْفِ لِسَانِكَ وحلاوةِ مَجلِسِكَ.

(١) أزعجني إليك: جعلني أسارع إليك.
(٢) نزع إليكم: ذهب إليكم.
(٣) الشّارة: الهيئة واللّباس.
(٤) الوفادة: القدوم.

فقال: جُعِلْتُ فداءَكَ يا أميرَ المؤمنين! «تسمَعُ بِالمُعَيْدِيِّ خيرٌ من أنْ تَرَاه»[١]. قال الوليدُ: إنّي لأَرْجُو ألاّ تكونَ أنتَ ذاكَ، ثم قال: هَاتِ ما عندَك. فاندفع ابْنُ سُرَيج فَغَنّى بِشعرِ الأحوصِ:

[الطويل]

أَمَنْزِلَتَيْ سَلْمَىٰ على القِدَمِ اسْلَمَا ... فقد هِجْتُما لِلشَّوْقِ قَلباً مُتَيَّما

وذَكَّرْتُما عَصْرَ الشَّبَابِ الّذي مَضَى ... وجِدَّةَ وَصْلٍ حَبْلُهُ قد تَجَذَّما[٢]

وإنّي إذا حَلَّتْ بِبِيشٍ مُقِيمَةً ... وحَلَّ بِوَجٍّ جَالِساً أو تَتَهَّمَا[٣]

يَمَانِيَةٌ شَطَّتْ فأصبحَ نَفْعُها ... رَجَاءً وظَنّاً بِالمَغِيبِ مُرَجَّمَا[٤]

أُحِبُّ دُنُوَّ الدَّارِ منها وقد أبَى ... بها صَدْعُ شَعْبِ الدَّارِ إلاَّ تَثَلُّما[٥]

بَكَاها وما يَدْرِي سِوَى الظَنِّ مَنْ بَكَى ... أَحَيّاً يُبَكِّي أم تُراباً وأَعْظُمَا

فَدَعْها وأَخْلِفْ لِلخَلِيفَةِ مِدْحَةً ... تُزِلْ عنكَ بُؤْسَى أو تُفِيدُكَ أَنْعُمَا

فإنّ بِكَفَّيْهِ مَفَاتِيحَ رَحْمَةٍ ... وغَيْثَ حَياً يَحْيا به النَّاسُ مُرْهِمَا[٦]

إمامٌ أتاه المُلْكُ عَفْواً ولم يُثِبْ ... على مُلْكِهِ مالاً حَرَاماً ولا دَمَا

تَخَيَّرَهُ رَبُّ العِبَادِ لِخَلْقِهِ ... وَلِيّاً وكان اللَّهُ بِالنَّاسِ أَعْلَمَا

فلمّا قَضَاه اللَّهُ لم يدْعُ مُسْلِماً ... لِبَيْعَتِهِ إلاّ أجابَ وَسَلَّمَا

يَنَالُ الغِنَى والعِزَّ مَنْ نالَ وُدَّهُ ... ويَرْهَبُ مَوْتاً عاجلاً مَنْ تَشَأَّما

فقال الوَلِيدُ: أحسنتَ واللَّهِ وأَحْسَنَ الأَحْوَصُ! عَلَيَّ بالأَحْوَصِ. ثم قال: يا عُبَيد هِيه! فَغَنَّاه بِشعرِ عَدِيِّ بن الرِّقَاعِ العَامِلِيِّ يمدَحُ الوَلِيدَ:

---

(١) انظر: مجمع الأمثال ١: ١٢٩، وجمهرة الأمثال ١: ٢٦٦، وتمثال الأمثال ١: ٣٩٥.

(٢) تَجذَّم: تقطّع.

(٣) بِيش: من بلاد اليمن قرب دَهْلَك، وهو مذكور في الشعر (معجم البلدان ١: ٥٢٨). ووجّ: وادٍ بالطائف (معجم البلدان ٥: ٣٦١). وجالساً: آتياً الجَلْس، والجَلْسُ: علم لكل ما ارتفع من الغور في بلاد نجد ويقال: جلس القوم: إذا أتوا نجداً (معجم البلدان ٢: ١٥٢). وتتهّما: أتى تهامة.

(٤) المُرَجَّم: الكلام الذي عن غير تعيين ولا يوقف على حقيقة أمره.

(٥) الشَّعب: يُطلق على التفرّق وعلى الاجتماع. والتثلّم: التشقّق.

(٦) الحَيَا: ما يحيا به الناس والأرض من غيث وخصب ونحوهما. وأرهمت السماء: أتت بالرِّهام: وهو المطر الخفيف المتواصل.

صوت

[البسط]

طَارَ الكَرَى وأَلَمَّ الهَمُّ فَاكْتَنَعَا ... وحِيلَ بَيْنِي وبينَ النَّوم فامْتَنَعَا(١)

كان الشَّبابُ قِنَاعاً أَسْتَكِنُّ به ... وأَسْتَظِلُّ زماناً ثُمَّتَ انْقَشَعَا

فاسْتبْدَلَ الرَّأسُ شَيْباً بعد دَاجِيَةٍ ... فَيْنَانةٍ ما تَرَى في صُدْغِهَا نَزَعَا(٢)

فإن تكُنْ مَيْعَةٌ مِنْ بَاطِلٍ ذَهَبَتْ ... وأَعْقَبَ اللَّهُ بعدَ الصَّبْوَةِ الوَرَعا

فقد أَبِيتُ أُرَاعِي الخَوْدَ رَاقِدةً ... على الوَسَائِدِ مسروراً بها وَلِعَا(٣)

بَرَّاقَةَ الثَّغْرِ تَشْفِي القَلْبَ لَذَّتُها ... إذا مُقَبِّلُها في رِيقِها كَرَعَا(٤)

كالأُقْحُوانِ بِضَاحِي الرَّوْضِ صَبَّحَهُ ... غَيْثٌ أَرَشَّ بتَنْضَاحٍ وما نَقَعَا(٥)

صَلَّى الّذي الصَّلواتُ الطَّيِّبَاتُ له ... والمؤمِنُونَ إذا ما جَمَّعُوا الجُمَعَا

على الَّذي سَبَقَ الأقوامَ ضَاحِيَةً ... بالأجْرِ والحَمْدِ حتى صاحِباه مَعا

هو الّذي جَمَعَ الرَّحمنُ أُمَّتَهُ ... على يَدَيْهِ وكانوا قَبْلَهُ شِيَعَا

عُذْنَا بِذِي العَرْشِ أَنْ نَحْيَا ونفْقِدَهُ ... وأَنْ نكونَ لِرَاعٍ بَعْدَهُ تَبَعا

إنّ الوليدَ أميرَ المؤمنين له ... مُلْكٌ عليه أعانَ اللَّهُ فارتَفَعَا

لا يَمْنَع النَّاسُ ما أَعْطَى الَّذين هُم ... له عِبَادٌ ولا يُعْطُونَ ما مَنَعَا

فقال له الوَلِيدُ: صَدَقتَ يا عُبَيدُ! أَنَّى لكَ هذا؟ قال: هو من عندِ اللَّهِ. قال الوليدُ: لو غيرَ هذا قلتَ لأَحْسَنْتُ أدبك. قال ٱبنُ سُرَيج: ذلكَ فضلُ اللَّهِ يُؤتِيهِ مَنْ يَشَاءُ. قال الوَلِيدُ: يَزِيدُ في الخَلْقِ ما يَشَاءُ. قال ٱبنُ سُرَيج: هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أم أَكْفُرُ. قال الوَليدُ: لَعِلْمُكَ واللَّهِ أكبرُ وأعجبُ إليَّ من غِنَائِكَ! غَنِّني. فغنَّاه بِشعرِ عَدِيِّ بن الرِّقاعِ العَامِلِيّ يمدحُ الوليدَ: [الكامل]

عَرَفَ الدِّيَارَ تَوَهُّماً فاعتَادَهَا ... من بَعْدِ ما شَمِلَ البِلَى أَبْلادَهَا(٦)

---

(١) ألمَّ: نزل. واكتنع الهمّ: دنا وحضر.

(٢) داجية: مظلمة. والفينانة: حسنة الشّعر طويلته. والنّزع: انحسار الشعر عن جانبي الجبهة.

(٣) الخود: الفتاة الشابة الحسنة الخلق.

(٤) كرع الماءَ: تناوله بفمه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا بإناء.

(٥) الضّاحي: من الأمكنة: البارز. والتّنضاح: من النّضح وهو الرّشّ، أي يبلّه بمطر قليل. وما نقعا: ما أروى.

(٦) اعتادها: أعاد النَّظَرَ إليها مرّة بعد مرّة لدروسِها حتى عرفها. وشَمِلَ: عَمَّ. والأبلاد: جمع البَلَد: الأثر.

وَلَـرُبَّ واضـحـةِ الـعَـوَارِضِ طَـفْـلَـةٍ | كـالـرِّيـم قـد ضَـرَبَـتْ بـهـا أوتـادَهـا[1]
إنِّـي إذا مـا لـم تَـصِـلْـنِـي خُـلَّـتِـي | وتَـبَـاعَـدَتْ مِـنِّـي ٱغْـتَـفَـرْتُ بِـعَـادَهـا
صَـلَّـى الإلٰـهُ عـلـى ٱمْـرِئٍ وَدَّعْـتُـهُ | وأَتَـمَّ نِـعْـمَـتَـهُ عـلـيـه وزَادَهَـا
وإذا الـرَّبـيـعُ تـتـابَـعَـتْ أنْـواؤُه | فَسَقَى خُنَاصِرَةَ الأَحَصِّ فجادَها[2]
نـزَلَ الـولـيـدُ بـهـا فـكـانَ لأَهْـلِـهَـا | غَـيْـثـاً أَغَـاثَ أَنِـيـسَـهـا وبِـلاَدَهـا
أوَ لا تَـرَى أَنَّ الـبَـرِيَّـةَ كُـلَّـهـا | أَلْـقَـتْ خَـزَائِـمَـهَـا إلـيـه فَـقَـادَهـا[3]
ولـقـد أرادَ الـلَّـهُ إذ وَلاَّكَـهـا | مِـنْ أُمَّـةٍ إصْـلاَحـهـا ورَشَـادَهـا
أَعْـمَـرْتَ أرضَ الـمسلمـينَ فـأقْـبَـلَـتْ | وكَـفَـفْـتَ عـنـهـا مَـنْ يَـرُومُ فَـسَـادَهـا
وأَصَـبْـتَ فـي أرضِ الـعَـدُوِّ مُـصِـيـبـةً | عَـمَّـتْ أَقَـاصِـيَ غَـوْرِهـا ونِـجَـادَهـا
ظَـفَـراً ونَـصْـراً مـا تـنـاولَ مِـثْـلَـهُ | أَحَـدٌ مِـنَ الـخُـلَـفـاءِ كـانَ أَرَادَهـا
فـإذا نَـشَـرْتُ لـه الـثَّـنَـاءَ وَجَـدْتُـهُ | جَـمَـعَ الـمَـكَـارِمَ طِـرْفَـهـا وتِـلاَدَهـا[4]

[الوليد يأمر بإحضارِ الأحوص وعديّ بن الرّقاع]

فأشار الوليدُ إلى بَعْضِ الخَدَم، فَغَطَّوْهُ بِالخِلَعِ[5] ووضَعوا بين يديهِ كِيساً من الدَّنانيرِ وبِدَراً[6] من الدَّراهِم، ثم قَالَ الوليدُ بنُ عبدِ الملك: يا مَوْلَى بني نَوْفَلِ بن الحارِثِ، لقد أُوتِيتَ أمراً جَليلاً. فقال ٱبنُ سُرَيْج: يا أميرَ المؤمنين! لقد آتاكَ اللَّهُ مُلْكاً عظيماً وشرفاً عالياً، وعِزّاً بَسَطَ يَدَكَ فيه، فلم يَقْبِضْهُ عنكَ ولا يفعلُ إنْ شاءَ اللَّهُ فأدامَ اللَّهُ لكَ ما وَلاَّكَ، وحَفِظَكَ فيما ٱسْتَرْعَاك؛ فإنّكَ أهلٌ لِمَا أَعْطَاكَ، ولا نَزعه منكَ إذ رآكَ له مَوْضِعاً. قال: يا نَوْفَلِيُّ، وخَطِيبٌ أيضاً! قال ٱبنُ سُرَيج: عنكَ نطقتُ، وبِلسانكَ تَكَلَّمْتُ، وبِعِزِّك بَيَّنْتُ. وقد كانَ أمرَ بإحضارِ الأَحْوَص بن محمد الأنصاريّ وعَدِيّ بن الرِّقَاع العامِليّ. فلما قَدِمَا عليه أمرَ بإنزالِهما حَيْثُ ٱبنُ سُرَيج،

---

(١) العوارض: ما بان من الأسنان أثناء الضحك. والطَّفْلة: الرَّخصة الناعمة.

(٢) الأنواء: جمع النّوء: هو النجم الذي يكون به المطر. وخناصرة: بليدة من أعمال حلب تحاذي قنسرين نحو البادية (معجم البلدان ٢: ٣٩٠). والأحصّ: بنواحي حلب، بين القبلة وبين الشمال من مدينة حلب قصبتُها خُناصرة، مدينة كان ينزلها عمر بن عبد العزيز. (معجم البلدان ١: ١١٤).

(٣) الخزائم: جمع الخِزامة: يريد بها الانقياد لحكمه وإلقاء الأزِمَّةِ إليه.

(٤) الطِّرف والتِّلاد: الجديد والقديم.

(٥) الخِلَع: جمع الخِلْعَة: الثوب الذي يُعطى منحةً.

(٦) البِدَر: جمع البَدْرَة: كيس توضع فيه كمية من الدراهم أو هو كمية عظيمة من النقود.

فَأُنْزِلا منزلاً إلى جَنْبِ ٱبنِ سُرَيج. فقالا: واللهِ لَقُرْبُ أميرِ المؤمنين كان أَحَبَّ إلينا من قُرْبِكَ يا مَوْلَى بني نَوْفَلٍ، وإنَّ في قُربِكَ لمَا يَلَذُّنا وَيَشْغَلُنا عن كثيرٍ مما نُرِيدُ. فقال لهما ٱبن سُرَيج: أَوَ قِلَّةُ شُكْرٍ! فقال له عَدِيّ: كأنّك يابْنَ اللَّخْناءِ تَمُنُّ علينا! عَلَيَّ وعَلَيَّ إنْ جَمَعنا وإيَّاكَ سَقْفُ بيتٍ أو صحنُ دارٍ إلاّ عندَ أميرِ المؤمنين. وأمّا الأحوصُ فقالَ: أَوَلاَ تحتملُ لأبي يحيى الزَّلَّةَ والهَفْوَة! وكفّارةُ يمينٍ خَيْرٌ من عدم المَحَبَّة، وإعطاءُ النَّفْسِ سُؤْلَها خيرٌ من لَجَاجٍ[1] في غيرِ منفعةٍ! فتحوّلَ عَدِيٌّ وبَقِيَ عندَه الأحوَصُ. وبلَغ الوَلِيدَ ما جَرَى بينهم، فَدَعا ٱبنَ سُرَيج وأدخلَه بيتاً وأرْخَى دونَه سِتْراً، ثم أمَرهُ إذا فرغَ الأحوصُ وعَدِيٌّ من كَلِمَتَيْهِمَا أن يُغَنِّيَ. فلمّا دخلا وأنشداه مدائحَ فيه، رفعَ ٱبنُ سُرَيْج صَوتَه من حيثُ لا يَرَونه وضَرَبَ بِعُودِهِ. فقال عَدِيّ: يا أمير المؤمنين، أتأذنُ لي أن أتكلمَ؟ فقال: قُلْ يا عامليّ. قال: أَمِثْلُ هذا عند أمير المؤمنين، ويبعثُ إلى ٱبنِ سُرَيْج يَتَخَطَّى به رِقَابَ قُرَيشٍ والعربِ من تِهَامَةَ إلى الشَّأم، ترفَعُه أرضٌ وتَخْفِضُه أُخرى فيقال: مَن هذا؟ فيقال: عُبَيْد بن سُرَيج مَوْلَى بني نَوْفَلٍ بَعَثَ أميرُ المؤمنين إليه، لِيَسْمَعَ غِنَاءَه! فقال: وَيْحَكَ يا عَدِيّ! أو لا تعرفُ هذا الصَّوت؟ قال: لا، واللهِ ما سَمِعْتُه قَطُّ ولا سَمِعْتُ مِثْلَه حُسْناً، ولولا أنّه في مجلسِ أميرِ المؤمنين لَقُلْتُ: طائفةٌ من الجِنِّ يتغنَّوْنَ. فقال: اخْرُجْ عليهم، فخرَجَ فإذا ٱبنُ سُرَيج. فقال عَدِيّ: حُقَّ لهذا أن يُحْمَل! حُقَّ لهذا أن يحمل - ثلاثاً - ثُمَّ أمَرَ لهما بِمثلِ ما أمرَ به لابنِ سُرَيج، وارتحلَ القومُ. وكان الّذي غَنَّاه ٱبنُ سُرَيج من شعرِ عمرَ بن أبي ربيعةَ: [السريع]

بِاللَّهِ يا ظَبْيَ بَنِي الحَارِثِ ... هل مَنْ وَفَى بِالعَهْدِ كَالنَّاكِثِ
لا تَخْدَعَنِّي بِالمُنَى باطِلاً ... وأنتَ بي تَلْعَبُ كَالعَابِثِ
حتَّى متى أنتَ لنا هكذا ... نَفْسِي فِداءٌ لكَ يا حارِثي
يا مُنْتَهى هَمِّي ويا مُنْيَتي ... ويا هَوَى نَفْسِي ويا وَارِثي

[رجوع الناس عن عتاب ابن سريج عندما يسمعون غناءه]

قال: وبلغني أنّ رجلاً من الأشراف من قُرَيش من مَوَالي ٱبنِ سُرَيج عاتبه يوماً على الغِنَاء وأنكره عليه، وقال له: لو أقبلتَ على غيرِه من الآدابِ لكان أزينَ بمواليك وبكَ! فقال: جُعِلْتُ فِداكَ! امرأتُهُ طالقٌ إن أنتَ لم تَدخُلِ الدّارَ. فقال

(١) لَجَّ في الأمر: تمادى عليه وأبى أن ينصرف عنه. والمُلاجَّة: التمادي في الخصومة.

الشّيخُ: وَيْحَكَ، ما حَمَلَكَ على هذا؟ قال: جُعِلْتُ فِدَاكَ قد فعلتُ. فالتفتَ النَّوفَليُّ إلى بعضٍ من كان معه مُتَعَجِّباً ممّا فعلَ. فقال له القومُ: قد طَلُقَتِ امرأتُهُ إنْ أنتَ لم تدخلِ الدَّارَ. فدخَلَ ودخلَ القومُ معه. فلمّا توسَّطوا الدَّارَ قال: ٱمرأتُه طالقٌ إن أنتَ لم تسمَعْ غنائي. قال: اعْزُبْ عَنّي يا لُكَعُ[1]! ثم بَدَرَ الشّيخُ لِيخرُجَ. فقال له أصحابُه: أتُطَلِّقُ ٱمرأتَه وتحملُ وِزْرَ ذلك؟، قال: فَوِزْرُ الغناءِ أَشَدُّ. قالوا: كَلاَّ! ما سَوَّى اللَّهُ عَزَّ وجلَّ بينَهما. فأقامَ الشَّيخُ مكانَه. ثم ٱندفَع ٱبنُ سُرَيج يُغَنِّي في شعرِ عمرَ بن أبي ربيعة في زينبَ: [مجزوء الوافر]

أَلَـيْـسَـتْ بِـالَّـتِـي قـالَـتْ ... لِـمـولاةٍ لـهـا ظُـهُـرا
أَشِـيـرِي بِـالـسَّـلاَمِ لـهُ ... إذا هُـو نَـحْـوَنَـا خَـطَـرَا
وقُـولِـي فـي مُـلاَطَـفَـةٍ ... لِـزيـنـبَ نَـوِّلِـي عُـمَـرَا
أهـذا سِـحْـرُك الـنِّـسـوا ... نَ قـد خَـبَّـرْنَـنـي الـخَـبَـرَا

فقال لِلجماعةِ: هذا واللَّهِ حَسَنٌ! ما بالحجازِ مثلُه ولا في غيره. وانصرَفُوا.

أخبرني الحسينُ بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الأصمعيّ قال: قال عبد الله ابن عُمَير اللّيْثِي لابنِ سُرَيج: لو تركتَ الغناءَ! وعاتَبه على ذلك، فقال: جُعِلتُ فِداكَ! لو سَمِعْتَه ما تَرَكْتَهُ. ثم قال: امرأتُه طالق ثلاثاً إن لم تَدخُلِ الدّارَ حتّى تَسْمَعَ غِنَائي، فالتفَتَ عبدُ الله إلى رَفِيقٍ له كان معه فقال: ما تَنتظِرُ؟ ادْخُل بنا وإلاَّ طَلَقَتِ امرأةُ الرَّجُلِ. فدخَلا مع ٱبنِ سُرَيج، فغَنَّى بِشعرِ الأحْوص:

صوت

[المتقارب]

لـقـدْ شـاقَـكَ الـحَـيُّ إذْ وَدَّعُـوا ... فَـعَـيـنُـكَ فـي إثْـرِهِـمْ تَـدْمَـعُ
ونـاداكَ لِـلـبَـيْـنِ غِـرْبـانُـه ... فَـظِـلْـتَ كـأنّـكَ لا تَـسـمَـعُ

ثم قال: امرأتُه طالقٌ إن أنتَ لم تَسْتَحْسِنْه لأتْرُكَنَّهُ فتبسَّمَ عبدُ الله وخَرَجَ.

نسبةُ ما في هذه الأخبار من الأصوات

منها: الصّوتُ الّذي أوّلُه في الخبر:

---

(١) يا لُكَع: يا لئيم.

جَـدِّدِي الـوَصْـلَ يـا قـريـبُ وَجُـودي

أوّله:

صوت

[الخفيف]

إنَّ طَـيْـفَ الـخَـيَـالِ حِـيـنَ أَلَّـمـا هـاجَ لـي ذُكْـرَةً وأحْـدَثَ هَـمّـا[1]

جَـدِّدي الـوَصْـلَ يـا قـريـب وجـودي لِـمُـحِـبٍّ فِـراقُـهُ قَـدْ أَلَـمَّـا

لـيـس بـيـنَ الـحـيـاةِ والـمـوتِ إلاّ أن يَـرُدُّوا جِـمَـالَـهـم فَـتُـزَمَّـا

ولـقـد قُـلْـتُ مُـخْـفِـيـاً لِـغَـرِيـضٍ هـل تَـرَى ذلـك الـغَـزَال الأَحَـمّـا[2]

هـل تَـرَى مـثـلَـه مـن الـنَّـاسِ شَـخْـصـاً أكْـمَـلَ الـنَّـاسِ صـورةً وأتَـمّـا

عَرُوضُه من الخَفِيف، الشّعرُ لعمرَ بنِ أبي ربيعةَ، والغِناءُ لابنِ سُرَيج ثَقِيلٌ أوّلُ بالوُسْطَى عن الهِشَامِيّ. وفيه للغَرِيض أيضا ثقيلٌ أوّلُ بِالسَّبابةِ في مَجْرَى البِنْصَر عن إسحاق.

أخبرني الحَسَنُ بن عليّ قال: حَدَّثنا أحمدُ بن سَعِيد الدِّمَشْقيّ قال: حَدَّثنا الزُّبَير قال: أَنشِدَ جعفرُ بنُ محمد بنِ زيد بن عليّ بن الحُسَين عليه السلام قولَ عمرَ:

لـيـس بـيـن الـحـيـاةِ والـمـوتِ إلاّ أَنْ يَـرُدُّوا جِـمَـالَـهُـمْ فَـتُـزَمّـا

فطَرِبَ وأرتاحَ وَجَعَلَ يقولُ: لقد عَجَّلُوا البَيْنَ، أفلا يُوكُون قِرْبَةً[3]! أفلا يُودِّعُونَ صَدِيقاً! أفلا يَشُدُّونَ رَحْلاً! حتى جَرَتْ دُمُوعُه.

وَحدَّثنا الحَرَميُّ بن أبي العَلاَء عن الزُّبَير فذكَر مثلَه. ومنها:

صوت

[الكامل]

يـا أُخْـتَ نَـاجِـيـةَ الـسَّـلامُ عـلـيـكُـمُ قَـبْـلَ الـرَّحِـيـلِ وقـبـلَ عَـذْلِ الـعُـذَّلِ

لـو كـنـتُ أَعْـلَـمُ أَنَّ آخِـرَ عَـهْـدِكُـمْ يـومُ الـرَّحِـيـلِ فَـعَـلْـتُ مـا لـم أَفْـعَـلِ

---

(١) ألمّ: حضر. وهاجَ: أثار.

(٢) الأحمّ: القريب.

(٣) أوكى القِربة: شدَّها بالوكاء وهو الرِّباط الذي يُشَدُّ به رأسُها، والقِربة: وعاء من جلد يستعمل لحفظ الماء أو اللبن.

عَرُوضُه من الكامل، الشّعرُ لجرير، والغناء لابنِ سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ بِالسَّبَّابة في مَجْرَى الوُسْطَى عن ٱبنِ المَكِّيّ، وذكر اسحاقُ في هذه الطّريقة ولم يَنْسُبْهُ إلى أحدٍ. وفيه للغريض ثاني ثقيلٍ بالوُسْطَى عن ٱبنِ المكيّ أيضاً. ومما يُشَكُّ فيه أنه لِمَعْبَدٍ أو لكَرْدَم ٱبنِه في البيت الثاني والأوّلِ ثاني ثقيلٍ. ولِعَرِيبَ في هذين البيتين لحنٌ من رواية ٱبن المُعتزّ غيرُ مُجَنَّس. ومنها:

صوت

[الطويل]

أَمَنْزِلَتَيْ سَلْمَى على القِدَمِ ٱسْلَمَا ... فقد هِجْتُما لِلشَّوْقِ قَلباً مُتَيَّما

وذَكَّرتُما عَصْرَ الشَّبابِ الَّذي مَضَى ... وجِدَّةَ وَصْلٍ حَبْلُهُ قد تَجَذَّمَا

عَرُوضُه من الطَّوِيل، والشّعرُ للأحْوَص، والغناء لِكَرْدَم ثاني ثقيلٍ بالوُسْطَى، وقيل: إنّ هذا الثقيل الثاني لمحمد الرَّفّ، وإنّ فيه لَحْناً من الثقيل الأولِ لِكَرْدَمٍ.

ومنها:

صوت

[الكامل]

عَرَفَ الدِّيارَ تَوَهُّماً فاعْتَادها ... مِنْ بَعْدِ ما شَمِلَ البِلَى أَبْلاَدَهَا

إلاّ رَوَاكِدَ كُلُّهُنَّ قَدِ ٱصْطَلَى ... حَمْرَاءَ أَكْثَرَ أَهْلُهَا إِيقَادَها[1]

عَرُوضهُ من الكامل، الشّعر لِعَدِيّ بن الرِّقَاع العامِليّ، والغناء لابن مُحْرِز ثقيلٌ أوّلُ مطلَقٌ في مَجْرَى البِنْصر عن إسحاق. وفيه لمالكٍ ثقيلٌ أولُ بالبِنْصَر عن عمرو. وفيه لَحْنٌ لإبراهيمَ، وفي هذه الأخبار أنه لابنِ سُرَيج، وذكر حَمَّاد في كتاب ٱبن مُحْرِزٍ أنه مما يُنْسَب إلى ابنِ مِسْجَح أو إلى ابن مُحْرِزٍ. ومنها:

صوت

[السّريع]

بالله يا ظَبْيَ بَنِي الحارث ... هل مَنْ وَفَى بِالعَهْدِ كالنَّاكِثِ

لا تَخْدَعَنِّي بِالمُنَى بَاطِلاً ... وأنتَ بي تَلْعَبُ كَالعَابِثِ

عَرُوضهُ من السَّرِيع، الشّعر لِعمرَ بنِ أبي ربيعة، والغناء لابن سُرَيج ولحنُه خَفِيفُ ثَقِيلٍ أوّل بالوسْطَى، وذكر عَمْرو بن بَانَةَ أنه لِسِيَاطٍ. وذكر الهِشَاميّ وَبَذْلٌ أنّ

(١) الرّواكد: جمع الرّاكدة: الأُثْفِيَة: الحجر الذي توضع عليه القِدر.

فيه لإبراهيمَ المَوْصِليّ لحناً آخرَ. وفيه خفيفُ رَمَلٍ بِالبِنْصَر ذكر حَبَشٌ أنه لإبراهيمَ ابنِ المَهْدِيّ، وغيرُه يَنْسُبُه إلى إسحاقَ. ومنها:

صوت

[مجزوء الوافر]

ـ وهو الذي أوّلُه في الخَبَر:

أَلَيستْ بالتي قالتْ ... لِمَولاةٍ لها ظَهَرَا ـ
تَصابَى القلبُ فادَّكَرا ... هَوَاه ولم يَكُن ظَهَرَا
لِزينبَ إذ تُجِدُّ لنا ... صَفَاءً لم يَكُنْ كَدِرَا
أَلَيْسَتْ بِالّتي قالَتْ ... لِمَوْلاةٍ لها ظَهَرا
أشِيري بالسَّلامِ له ... إذا هو نحوَنا نَظَرا
وقُولِي في مُلاطَفَةٍ ... لزينبَ: نَوِّلي عُمَرا[1]
فَهَزَّتْ رأسَها عَجَباً ... وقالَتْ مَنْ بِذَا أَمَرا
أهذا سِحْرُكَ النِّسْوا ... نَ قد خَبَّرْنَني الخَبَرَا
طَرِبْتَ وَرَدَّ مَنْ تَهْوَى ... جِمالُ الحَيِّ فابْتَكَرَا[2]
فَقُلْ لِلبَرْبَرِيَّةِ لا ... تَلُومِي القَلْبَ إنْ جَهَرَا
بَطِرْتَ وهكذا الإنسا ... نُ ذو بَطَرٍ إذا ظَفِرَا
فأينَ العَهْدُ والميثا ... قُ لا تُخْبِرْ بنا بَشَرَا

عَرُوضُه من الوَافِرِ[3]، الشّعرُ لعمرَ بنِ أبي ربيعةَ، والغناء لابنِ سُريج في الثالث والرابع والخامس والأوّل خفيفُ ثَقِيلٍ أوّل مُطْلَقٌ في مَجْرَى البِنْصَر عن إسحاقَ. وللغَرِيضِ في السابع والثامن والأوّلِ لحنٌ من القَدْر الأوسَطِ من الثَّقِيلِ الأوّلِ بالوُسْطى في مَجْرَاها عن إسحاق. ولِمَعْبَدٍ في هذه الأبياتِ كلِّها لحنٌ عن يونُسَ ودنانِيرَ ولم يُجَنِّساه، وذكَر الهِشَامِيّ أنه خفيفُ ثقِيلٍ. وفي السابع والثامن

---

(١) في الديوان (أزينبُ نَوِّلي عُمَرا).

(٢) طرب: لحقته خفّة من الحزن أو الفرح وهنا من الحزن. وابتكر: خرج باكراً. وهذا البيت هو مطلع قصيدة ثانية وكذلك الذي بعده والبيت الأخير. والملاحظ أن في هذه القصيدة مجموعة من أبيات من قصائد أخرى فالبيتان السادس والسابع من قصيدة مطلعها:

بعثتُ وليدتي سَحَراً ... وقلتُ لها: خذي حذركْ

(٣) الشعر من مجزوء الوافر: وهو ما حُذِفَ جزء من صدره وآخر من عجزه.

والتاسع رملٌ لدَحْمانَ، ويقال إنه للزُّبَير ابنه. ولمالك لحن أوّلُه:

صوت

[مجزوء الوافر]

لـــقـــدْ أرْسَـــلْـــتُ جَـــارِيَـــتِـــي وقُـــلْـــتُ لـــهـــا خُـــذِي حَـــذَرَكْ
وقُـــولِـــي فـــي مُـــلاَطَـــفَـــةٍ لِـــزَيْـــنَـــبَ نَـــوِّلـــي عُـــمَـــرَكْ
فَـــهَـــزَّتْ رَأسَـــهـــا عَـــجَـــبـــاً وقـــالـــتْ مَـــن بـــذا أمَـــرَكْ
أهـــذا ســـحـــرُكَ الـــنـــســـوا ن قـــد خـــبّـــرنـــنـــي خـــبـــرَكْ

ولحنُ مالك هذا خفِيفُ ثَقِيلٍ بالوُسْطَى من رواية ابن المَكّيّ، وهذا يَروي الشّعرَ ويجعلُ قَوَافِيَهُ كُلَّها على الكافِ. وفي هذه الأبيات بعينها على هذه القافية خفيفُ رملٍ يُنسَب إلى ابنِ سُرَيج وإلى الغَرِيض. وذكر حَبَشٌ أنَّ فيه لمعْبَد لَحْناً من الرَّمَل أوّلُه الثالثُ من الأبيات الأوَل المذكورةِ.

رجع الخبر إلى سِيَاقة أحاديث ابن سريج

أخبرنا يحيى بن عليّ ووَكِيعٌ وجَحْظَة قالوا: حَدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: قال لي الفَضْلُ بن يَحْيَى: سَألْتُ أباكَ ليلةً وقد أخذَ منه الشَّرابُ عن أحسنِ النّاسِ غِنَاءً، فقال لي: مِنَ النِّسَاءِ أم من الرِّجالِ؟ قلتُ: مِنَ الرّجالِ. قال: ابنُ مُحْرِز. فقلتُ: فَمِنَ النّساءِ؟ قال: ابنُ سُرَيج. قال إسحاقُ لي: ويُقال أحسَنُ الرِّجال غِنَاءً مَن تَشَبَّه بالنّساءِ، وأحسَنُ النّساء غناءً من تَشَبَّهَ بِالرّجال. قال يحيى بن عليّ خاصَّة: ثم كان ابن سُرَيج كأنه خُلِقَ من قلبِ كُلِّ واحدٍ، فهو يُغَنِّي له بما يَشْتَهِي.

أخبرني الحُسَين بن يَحْيى قال: قال حَمَّاد: قرأتُ على أبي عن الهَيْثَم بن عَدِيّ قال: قال ابنُ سُرَيج: مَرَرْتُ ببعضِ أنديةِ مكّةَ وفيه جماعةٌ، فَحَصِرْتُ[1] فقلت: كيف أَجُوزُهم مع تَعَبي وما أنا فيه! فَسَمِعْتُهم يقولون: قد جاء ابنُ سُرَيج، فقال بعضُهم مِمَّن لم يَعْرِفْنِي: ومَنِ ابنُ سُرَيج؟ فقال: الّذي يُغَنّي:

[مجزوء الوافر]

---

(١) حَصِرْت: أحجمت عن المرور عليهم، وكلّ امتناعٍ عن شيء فهو حَصَرٌ.

أَلاَ هَــل هَــاجَـكَ الأَظْـعــا نُ إذ جَــاوَزْنَ مُـطَّـلَـحَـا

قال ٱبنُ سُرَيج: فلمّا سَمِعْتُ ذلك قَوِيَتْ نفسي وٱشتدّتْ مُنَّتِي[1]، ومَرَرْتُ بهم أَخْطِر في مُصَبَّغَاتِي. فلمّا حَاذَيْتُهم قاموا بِأَجْمَعِهم فسَلَّموا عَلَيَّ، ثم قالوا لأَحْدَاثِهم: امْشُوا مع أبي يَحْيَى.

وقد حَدَّثني عَمِّي بهذا الخبر فقال: حَدَّثني أبو أَيُّوب المدينيّ قال: حَدَّثني محمد بن سَلاَّم عن جَرِير قال: قال لي ٱبن سُرَيج: دعاني فِتْيَةٌ من بني مَرْوَانَ، فدخلْتُ إليهم وأنا في ثيابِ الحِجَازِ الغِلاَظِ الجافِيَةِ، وهم في القُوهِيِّ[2] والوَشْيِ يَرْفُلُون كأنّهم الدَّنَانِيرُ الهِرَقْلِيَّةُ[3]، فَغَنَّيْتُهم وأنا مُحْتَقِرٌ لِنَفْسِي عندَهم لَحْناً لي، وهو:

صوت

[الطويل]

أَبِالفُرْعِ لم تَظْعَنْ مع الحَيِّ زينبُ بِنَفْسِي عن النَّأْيِ الحَبِيبُ المُغَيَّبُ
بِوَجْهِكِ عن مَسِّ التُّرَابِ مَضِنَّةٌ فلا تَبْعَدِي إذ كلُّ حَيٍّ سَيَعْطَبُ[4]

ـ ولَحْنُ ٱبنِ سُرَيج هذا رَمَلٌ بالخِنْصَرِ في مَجْرَى البِنْصَر ـ قال: فَتَضَاءَلُوا في عَيْني حتى سَاوَيْتُهم في نَفْسي لمَا رَأَيْتُهم عليه من الإِعْظَامِ لي. ثم غَنَّيْتُهم: [الكامل]

وَدِّعْ لُـبَـابَـةَ قَـبـلَ أَنْ تَـتَـرَحَّـلاَ وٱسْـأَلْ فَـإن قُـلاَلَـه أن تَـسْـأَلاَ

فَطَرِبُوا وعَظَّمُونِي وتواضعُوا لي، حتى صِرْتُ في نَفسِي بِمَنْزِلَتِهم لِمَا رَأَيْتُهم عليه، وصاروا في عيني بمَنْزِلتِي. ثم غنَّيتهم:

أَلاَ هَــلْ هــاجَــكَ الأَظْـعَــا نُ إذ جَــاوَزْنَ مُــطَّـلَـحَـا

فَطَرِبُوا ومثُلُوا بين يَدَيَّ ورَمَوْا بِحُلَلِهم كُلِّها عَلَيَّ حتى غَطَّوْنِي بها؛ فَمَثَّلَتْ لي نَفْسِي أنها نفسُ الخَلِيفة وأنهم لي خَوَلٌ[5]؛ فما رَفَعْتُ طَرْفِي إليهم بعد ذلك

(١) مُنَّتِي: قوّتي.
(٢) القوهيّ: ثوب منسوب إلى قوهستان في فارس، وهو ثوب أبيض وكلّ ثوب يشبهه يقال له قوهيّ.
(٣) الهِرَقلية: نسبة إلى هرقل وهو أوّل من ضرب الدنانير.
(٤) المضنّة: البخل.
(٥) الخَوَل: العبيد والإماء.

تِيهاً[1]. وقد مَضَتْ نسبةُ «وَدِّعْ لُبَابَةَ» في أخبار عمرَ بنِ أبي ربيعةَ وغيرِهِ. وأمّا:

ألاَ هَـلْ هَـاجَـكَ الأَظْـعَـا نُ..................

فنذكر نسبته:

نسبة هذا الصّوت

صوت

[مجزوء الوافر]

أَلاَ هـلْ هَـاجَـكَ الأَظْـعَـا نُ إذ جـاوَزْنَ مُـطَّـلَـحَـا
نَـعَـمْ ولِـوَشْـكِ بَـيْـنِـهِـمُ جَـرَى لـكَ طـائـرٌ سُـنُـحَـا[2]
أَجَـزْنَ الـمـاءَ مِـنْ رَكَـكٍ وضَـوءُ الـفَـجْـرِ قـد وَضَـحَـا[3]
فـقُـلْـنَ مَـقِـيـلُـنـا قَـرْنٌ نُـبَـاكِـرُ مـاءَه صُـبُـحَـا[4]
تَـبِـعْـتُـهُـمُ بِـطَـرْفِ الـعَـيْـنِ حَـتَّـى قِـيـلَ لـي أفْـتَـضَـحَـا
يُـوَدِّعُ بَـعْـضُـنـا بَـعْـضـاً وكُـلٌّ بِـالـهَـوَى جُـرِحَـا
فـمَـنْ يَـفْـرَحْ بِـبَـيْـنِـهِـمُ فَـغَـيْـرِي إذ غَـدَوْا فَـرِحَـا

عروضُه من الوافِر، الشِّعر لأبي دَهْبَلٍ الجُمَحِيّ. والغناء لمالكٍ وله فيه لَحْنَانِ: ثقيلٌ أوّلُ بالبِنْصَرِ عن إسحاقَ، وخفيفُ ثقيلٍ بالوُسْطَى عن عَمْرو. ولِمَعْبَدٍ فيه ثَقِيلٌ أوّلُ بالخِنْصَر في مَجْرَى الوُسْطَى. ولابنِ سُرَيج في الخامِسِ وما بعدَه ثَقِيلٌ أوّلُ مُطْلَقٌ في مَجْرَى البِنْصَر عن إسحاقَ. وفيه للغَرِيض ثاني ثقيلٍ بالوسْطَى عن حَبَشٍ.

---

(١) تيهاً: فخراً.

(٢) سنح الطائر: ولاك ميامنه، وبرح: ولاّك مياسره، والعرب يتيمنون بالسّنح.

(٣) رَكَكٌ: وهو فكّ (ركّ) والرّكّ: المطر الضعيف: وهي محلة من محالّ سلمى أحد جَبَلَيْ طيىء. (معجم البلدان ٣: ٦٤).

(٤) المَقيل: موضع القيلولة، والقيلولة: الاستراحة في الظهيرة. وقرن: الجبل المشرف على الموضع. وهناك عدة أماكن تحمل الاسم ومنها قرن المنازل وقرن البوباة وقرن مُعَيّة وقرن غزال وغيرها كثير. (معجم البلدان ٤: ٣٣٢).

[جرير يمدح غناء ابن سريج]

أخبرني الحُسَين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه قال: قَدِمَ جَرِيرٌ المدينةَ أو مكةَ فجلَس مع قوم، فجعَلوا يَعْرِضُون عليه غِنَاءَ رجلٍ رجلٍ من المغنِّين، حتى غَنَّوْه لابنِ سُرَيج، فَطرِبَ وقال: هذا أحسنُ ما أَسْمَعْتُمُوني من الغناء كلّه. قالوا: وكيف قلتَ ذاكَ يا أبا حَزْرَةَ؟ قال: مَخْرَجُ كُلِّ ما أَسْمعتُمُوني من الغناءِ من الرّأسِ، ومَخْرَجُ هذا من الصَّدْرِ.

[الأفلح المخزومي يحكم بين رقطاء الحبطية وصفراء العلقمية]

أخبرني الحَسَن بن عليّ قال: حَدَّثنا محمدُ بن القَاسِم بن مَهْرُويه قال: حَدَّثني أبي قال: حَدَّثني إبراهيمُ بن محمدٍ الشَّافِعيُّ قال: جاء سندة الخَيَّاط المُغَنِّي إلى الأفلح المَخْزُومِيّ ـ وكان يُوصَفُ بِعَقلٍ وفَضْلٍ فقال له: من أينَ أقبلتَ؟ وإلى أينَ تَمْضِي؟ فقال: إليكَ قَصَدْتُ من مجلسٍ لبعضِ القُرَشِيِّين أَقْبَلْتُ مُحاكِماً إليكَ. قال: في ماذا؟ قال: كنتُ عند هذا الرّجلِ وحَضَرَتْ مجلسَهُ رَقْطاءُ الحَبَطيِّينَ، وصَفْرَاءُ العَلْقَمِيِّينَ، فَتَنَاوَلَتا بينهما رَمَلَ ٱبنِ سُرَيج: [الرمل]

لـيـتَ شِـعْـرِي كـيـفَ أَبْـقَـى سـاعـةً ... مـع مـا أَلْـقَـى إذا الـلّـيـلُ حَـضَـرْ
مَـنْ يَـذُقْ نـومـاً ويَـهْـدَأْ لَـيْـلُـهُ ... فـلـقـد بُـدِّلْـتُ بِـالـنَّـوم الـسَّـهَـرْ
قُـلْـتُ مَـهْـلاً إنّـهـا جِـنِّـيَّـةٌ ... إن تُـخَـالِـطْـهـا تَـفُـزْ مـنـهـا بِـشَـرْ

فَغَنَّتَاه جميعاً، وٱختلفنا في تَفْضِيلِهما، ففضَّلَ كلُّ فريقٍ منَّا إحداهما، فرَضِينَا جميعاً بِحُكْمِك، فاحْكُمْ بيننا وبينَهما. قال: فوجَمَ ساعةً ـ وأهلُ الحِجَازِ إذا أرادوا أن يَحْكُموا تأمَّلوا ساعةً ثم حَكَمُوا، فإذا حَكَمَ المُحَكَّمُ مضى حُكْمُهُ كائناً ما كان، ففضَّلَ مَنْ فَضَّلَهُ وأَسْقَطَ مَنْ أسقطَهُ، إذا تَرَاضَى الخَصْمَانِ به ـ فكَرِهَ الأَفْلَحُ أن يُرْضِيَ قوماً ويُسْخِطَ آخرينَ، فقال لسندة: صِفْهُما أنتَ لي كيفَ كانتا إذ غَنَّتَاه وٱشرَحْ لي مذهبَهما فيه كما سَمِعْتَ، وأنا أَحْكُمُ بعد ذلك. فقال سندة: أمّا جارية الحَبَطِيِّين، فإنها كانت تَلُوكُ لحنَه كما يَلُوكُ الفرسُ العَتِيقُ لِجَامَه، ثم تُلْقِيه في هَامَةٍ لَدْنَةٍ ثم تُخرِجُه من مَنْخَرٍ أَغَنَّ[1]، والله ما ٱبتدأَتْهُ فَتَوَسَّطَتْه وأنا أَعْقِلُ، ولا فرَغتْ منه فأَفَقْتُ إلا وأنا أَظُنُّ أَنّي رأيتُه في نَوْمِي. وأما صَفْرَاءُ العَلْقَمِيِّين، فإنها أَحْسَنُهما

---

(١) أغنّ: من الغُنَّة: صوت يخرج من الخيشوم.

حَلْقاً، وأَصَحُّهما صوتاً، وأَلْيَنُهما تَثَنِّياً، واللَّهِ ما سَمِعَها أحدٌ قَطُّ فانتفعَ بنفسِه ولا دينِه. هذا ما عندي، فاحْكُمْ أنتَ يا أخا بَني مَخْزُوم. فقال: قد حَكَمْتُ بأنهما بمنزلةِ العينين في الرّأسِ، فبأيِّهما نظرتَ أبصرتَ، ولَو كانَ في الدّنيا من عُبَيد بن سُرَيج خَلَفٌ لكانتا. قال: فانصَرَفُوا جميعاً رَاضِين بحُكْمِه.

[رأي جرير المديني والشعبيّ في غناء ابن سريج]

أخبرني الحُسَين عن حَمَّاد عن أبيه عن محمد بن سَلاَّم قال: سألتُ جَريراً المَدِينيّ عن اَبنِ سُرَيج، فقال: أتذكرُه وَيْحَكَ باسمِهِ، ولا تقولُ: سَيِّدُ مَنْ غَنَّى وواحدُ مَنْ تَرَنَّمَ!

قال حَمَّاد وحدَّثني أبي عن هارونَ بن مُسْلِم عن محمد بن زُهَيْر السَّعْدِيّ الكوفيّ عن أبي بَكْر بنِ عَيَّاش عن الحَسَن بن عَمْرو الفُقَيميّ قال: دَخَلْتُ على الشَّعْبِيِّ، فَبَيْنَا أنا عندَه في غُرْفَتِهِ، إذ سَمِعْتُ صوتَ غِنَاءٍ، فقلتُ: أهذا في جِوَارِكَ؟ فأَشْرف بي على منزله، فإذا بغلامٍ كأنه فِلْقةُ قمرٍ وهو يَتَغَنَّى ـ قال إسحاق: وهذا الغناء لابن سُرَيج ـ:

وقُـمَـيـرٌ بَـدَا اَبـنَ خـمـسٍ وعـشـريـ ـن لـه قـالـتِ الـفَـتَـاتَـانِ قُـومَـا[1]

قال: فقال لي الشَّعْبِيُّ: أتعرِفُ هذا؟ قلتُ: لا. فقال: هذا الّذي أُوتِيَ الحُكْمَ صَبِيًّا، هذا اَبنُ سُرَيج.

[ابن سريج يثني على نفسه]

وأخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال: حَدَّثني أبو أيُّوبَ المَدِينيّ قال: حَدَّثني الهشاميّ الرَّبعيّ عن إسحاقَ المَوْصِليّ قال: تَغَنَّى اَبنُ سُرَيج في شعرٍ لِعمرَ بنِ أبي ربيعةَ وهو:

صوت [الرجز]

خَـانَـكَ مَـنْ تَـهْـوى فـلا تَـخُـنْـهُ وكُـنْ وَفِـيّـاً إن سَـلَـوْتَ عـنـهُ
واسْـلُـكْ سَـبِـيـلَ وَصْـلِـهِ وصُـنْـهُ إنْ كـانَ غَـدَّاراً فـلا تَـكُـنْـهُ

(١) أصله (قومن) بنون التوكيد الخفيفة ثم أبدلت ألفاً.

عســى تَـبَـارِيـحُ تَـجِـيءُ مـنــه فـيـرجِـعَ الـوَصْـلُ ولـم تَـشِـنْـهُ(١)

قال المَكِّيُّون: قال ٱبنُ سُرَيج: ما تَغَنَّيْتُ بهذا الشّعرِ قَطُّ إلا ظَنَنْتُ أنّي أَحُلُّ مَحَلَّ الخليفةِ.

قال مؤلف هذا الكتاب أبو الفَرَج الأَصْفَهانِيّ: وجدتُ في هذا الشّعرِ لَحْنَيْنِ - أحدُهما ثقيلٌ أوّلُ والآخر رَمَلٌ - مجهولَيْنِ جميعاً، فلا أدرِي أيُّهما لَحْنُه.

[المُغَنّي المحسن في رأي ابن سريج]

ونَسَخْتُ من كتاب العَتَّابِيّ: أخبرني عَوْنُ بن محمد قال: حَدَّثني عبدُ الله بن العباس بن الفَضْل بن الرَّبيع عن جَدِّهِ الفَضْل عن ٱبن جامع عن سِيَاطٍ عن يُونُسَ الكاتِبِ عن مالك بن أبي السَّمح قال: سألتُ ٱبن سُرَيج عن قولِ النَّاسِ: فلان يُصِيبُ وفلانٌ يُخطِىءُ، وفلانٌ يُحسِنُ وفلان يُسِيءُ؛ فقال: المُصِيبُ المُحسِنُ من المُغَنِّين هو الّذي يُشْبِعُ الأَلْحَانَ، ويَمْلأُ الأنفاسَ، ويُعَدِّلُ الأوزانَ، ويُفَخِّمُ الألفاظ، ويَعْرِفُ الصَّوابَ، ويُقِيمُ الإِعْرَابَ، ويَسْتَوفي النَّغَمَ الطِّوَالَ، ويُحَسِّنُ مَقَاطِيعَ النَّغَم القِصَارِ، ويُصِيبُ أجناسَ الإيقاعِ، ويَختلسُ مواقعَ النَّبَراتِ، ويَستوفي ما يُشَاكِلُهَا في الضَّرْبِ من النَّقَراتِ، فعرَضْتُ ما قال على مَعْبَدٍ، فقال: لو جاءَ في الغناءِ قرآنٌ ما جاءَ إلا هكذا.

[أطربُ من يزيد بن عبد الملك]

أخبرني الحَسَنُ بن عليّ الخَفَّافُ قال: حَدَّثني أحمد بن سعيد الدِّمشقيّ قال: حَدَّثني الزُّبَير بن بَكّار عن ظَبْيَة: أنَّ يزيدَ بن عبدِ الملكِ قال لِحبَابَةَ يوماً: أتعرفينَ أَحَداً هو أَطْرَبُ مِنِّي؟ قالت: نعمْ، مَوْلايَ الذي بَاعنِي. فأمَرَ بإشخاصِه فأُشْخِصَ إليه مُقَيَّداً، وأُعْلِمَ بحالِهِ فَأَذِنَ في إدخالِهِ، فمثلَ بين يديه وحَبَابةُ وَسلاَّمةُ تُغَنِّيَان؛ فَغَنَّتْهُ سَلاَّمَةُ لَحْنَ الغَرِيضِ في:

تَــشُــطُّ غــداً دارُ جــيــرانــنــا

فَطَرِبَ وتَحَرَّكَ في أَقْيَادِهِ. ثم غَنَّتْه حَبَابةُ لحنَ ٱبنِ سُرَيج المُجَرَّدَ في هذا

---

(١) تباريح الشوق: توهّجه. وتشينه: تعيبه.

الشّعر، فوثَبَ وجعَلَ يَحْجِلُ[1] في قيدِهِ ويقول: هذا وأبيكما مَا لاَ تعْذُلانِي فيه، حتى دنا من الشَّمعةِ فوضَعَ لِحْيَته عليها فاحترقَتْ؛ وجعلَ يَصيحُ: الحريقَ الحريقَ يا أولادَ الزِّنا فضَحِكَ يزيدُ وقال: هذا والله أطربُ النَّاس حَقًّا، ووَصَلَهُ وسَرَّحَهُ إلى بلدِهِ.

[ابن سريج يطلب إلى عطاء وابن جريج أن يسمعاه]

أخبرني الحَسَنُ بن عليّ قال: حَدَّثنا فَضْلٌ اليَزِيدِيُّ عن إسحاقَ: أنّ ٱبن سُرَيج كان جالساً، فَمَرَّ به عَطَاءٌ وٱبنُ جُرَيج فحلَفَ عليهما بالطَّلاَقِ أن يُغَنِّيهمَا، على أنّهما إن نَهَيَاهُ عن الغِنَاءِ بعدَ أن يَسْمَعا منه تركَهُ. فوقفا له وغَنَّاهما: [المديد]

إخـــوتـــي لا تَـبْـعُـــدُوا أَبَـــداً وا   بَـــلَـــى والله قـــد بَـــعُـــدُوا

فَغُشِيَ على ابنِ جُرَيج، وقام عَطَاءُ فرقصَ. ونسبةُ هذا الصّوت وخَبَرُهُ يُذْكَرُ في موضعٍ آخر.

[غناء ابن سريج يقطع الطريق على الحجّاج]

أخبرني الحَسَنُ بن عليّ قال: حَدَّثنا فَضْلٌ اليَزِيديُّ عن إسحاقَ: أنّ ابنَ سُرَيج كان عند بستانِ ٱبن عامرٍ يُغَنِّي: [مجزوء الوافر]

لِـــمَـــنْ نـــارٌ بـــأعـــلـــى الـــخَـــيْـــ   ـفِ دونَ الـبِـئْـرِ مـــا تَـــخْـــبُـــو[2]
أرِقْـــتُ لِـــذِكْـــرِ مَـــوْقِـــعِـــهـــا   فَـــحَـــنَّ لِـــذِكْـــرِهَـــا الـــقَـــلْـــبُ
إذا مـــا أُخْـــمِـــدَتْ أُلْـــقِـــي   عـــلـــيـــهـــا الـــمَـــنْـــدَلُ الـــرَّطْـــبُ[3]

فجعلَ الحَاجُّ يركَبُ بعضُهم بعضاً، حتى جاءَ إنسانٌ من آخرِ القُطُراتِ[4] فقال: يا هذا! قد قَطعْتَ على الحاجِّ وحَبسْتَهُمْ، والوقتُ قد ضاقَ فَاتَّقِ اللَّهَ وقُمْ عنهم! فقامَ وسارَ النَّاسُ.

---

(١) يحجل في قيده: يثب في مشيه.
(٢) الخَيْف: ما انحدر من الجبل وارتفع عن مسيل الماء.
(٣) المندل: العود الطيّب الرائحة.
(٤) القُطُرات: جمع قُطُر: وهو جمع قطار.

[ابن سريج يفوز بجائزة سليمان بن عبد الملك]

أخبرني الحَسَنُ قال: حَدّثني محمد بن زَكَريًّا قال: حَدَّثني يزيدُ بن محمد عن إسحٰق المَوْصِليّ: أنَ سليمانَ بنَ عبدِ الملك لَمَّا حَجَّ سَبَّقَ بين المُغَنِّين بِبْدَرَة[1]. فجاءَ ابنُ سُرَيْج وقد أُغْلِقَ البابُ فلم يأذَنْ لهُ الحاجبُ، فأمسكَ حتى سَكَتُوا وغنَّى:

سَرَى هَمِّي وهَمُّ المرءِ يَسْري

فأمر سليمانُ بِدَفْعِ البَدْرةِ إليه.

نسبة هذا الصّوت

صوت

[الوافر]

سَرَى هَمِّي وهَمُّ المَرْءِ يَسْرِي ... وغابَ النَّجْمُ إلاَّ قِيسَ فِتْرِ[2]
أُرَاقِبُ في المَجَرَّةِ كُلَّ نَجْمٍ ... تَعَرَّضَ لِلمَجَرَّة كيفَ يَجْرِي
لِهَمٍّ لا أزالُ لهُ مُدِيماً ... كأنَّ القَلْبَ أُسْعِر حَرَّ جَمْرِ
على بَكْرٍ أخِي وَلَّى حَمِيداً ... وأيُّ العَيْشِ يَصْفُو بَعْدَ بَكْرِ

الشّعرُ لِعُرْوَةَ بنِ أُذَينة، والغناء لابنِ سُرَيج ثاني ثقيلٍ بالوُسْطى. وفيه لأبي عَبَّاد رَمَلٌ بالوُسْطَى، وذكَر الهِشَامِيّ أنّ هذا اللَّحنَ لصَاحِبِ الحَرُونِ.

[مرض ابن سريج وموته]

أخبرني الحُسَين بنُ يَحيى عن حَمَّاد عن أبيه قال: قال ابْنُ مِقَمَّةَ: دخلتُ على ابنِ سُرَيْجٍ في مَرَضِهِ الّذِي ماتَ فيه، فقلتُ: كيف أصبحتَ يا أبا يَحْيى؟ فقال: أصْبَحْتُ واللَّهِ كما قالَ الشّاعرُ: [الوافر]

كأنِّي مِنْ تَذَكُّرِ ما أُلاَقِي ... إذا ما أظْلَمَ اللَّيْلُ البَهِيمُ
سَقِيمٌ مَلَّ منهُ أقْرَبُوه ... وَأسْلَمَهُ المُدَاوِي والحَمِيمُ

ثم مات.

---

(١) سَبَّق بين المغنّين بدرة: أي جعل البدرة (وهي كيس فيه ألف درهم أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار) سبقاً بينهم مَنْ غلب أخذها.

(٢) القِيس: القدر. والفتر: المسافة ما بين طرف الإبهام وطرف المشيرة.

قال إسحاقُ: قال ابنُ مقمَّةَ: لمّا احْتُضِرَ ابنُ سُرَيج نظرَ إلى ابنتِه تَبْكي فبَكَى وقال: إنَّ من أكبر هَمِّي أنتِ، وأَخشَى أن تَضِيعِي بَعْدِي. فقالَتْ: لا تَخَفْ؛ فما غَنَّيْتَ شيئاً إلاّ وأنا أُغَنِّيه. فقال: هاتي. فاندفَعَتْ تُغَنِّي أصواتاً وهو مُصْغٍ إليها، فقال: قد أصبتِ ما في نفسي، وهَوَّنْتِ عَلَيَّ أمركِ. ثم دعا سَعِيدَ[1] بن مَسْعُود الهُذَلِيّ فزوَّجَهُ إيَّاها؛ فأخَذَ عنها أكثرَ غناءِ أبيها وانتحلَهُ؛ فهو الآنَ يُنْسَبُ إليه. قال إسحاق: فقال كَثِيرُ بن كَثِير السَّهْمِي يَرْثيه: [البسيط]

ما اللَّهْوُ بعد عُبَيْدٍ حينَ يَخْبُرُهُ ... مَنْ كانَ يَلْهُو به منه بِمُطَّلَبِ

لِلَّهِ قَبْرُ عُبَيْدٍ ما تَضَمَّنَ مِنْ ... لَذَاذَةِ العَيْشِ والإحسانِ والطَّرَبِ

لولا الغَرِيضُ ففيهِ مِنْ شَمَائِلِهِ ... مَشَابِهٌ لم أكُنْ فيها بِذِي أَرَبِ[2]

قال إسحاقُ: وحَدَّثني هِشَام بن المُرِّيَّةِ أنّ قادماً قَدِمَ المدينة، فَسَارَّ مَعْبَداً بشيءٍ، فقال مَعْبَدٌ: أصبحتُ أحسنَ النَّاسِ غناءً. فقلنا: أو لم تَكُنْ كذلك؟ فقال: ألا تَدْرُونَ ما أخبرني به هذا؟ قالوا لا. قال: أعْلَمني أن عُبَيد بنَ سُرَيج مات، ولم أكن أحسنَ النَّاسِ غِناءً وهو حَيٌّ. وفي ابنِ سُرَيْجٍ يقول عمرُ بنُ أبي ربيعة:

صوت

[السريع]

قالتْ وَعَيْنَاها تَجُودَانِها ... صُوحِبْتَ واللَّهُ لَكَ الرَّاعِي

يابنَ سُرَيْجٍ لا تُذِعْ سِرَّنا ... قد كُنْتَ عِندي غيرَ مِذْيَاعِ

غَنَّى فيه ابنُ سُرَيج من رواية يونس.

قال أبو أيُّوبَ المديني: تُوُفِّيَ ابنُ سُرَيج بِالعِلَّةِ التي أصابَتْه من الجُذَامِ بمكّة، في خلافة سُليمان بن عبد الملك أو في آخر خلافةِ الوَلِيد، بمكّةَ ودُفِنَ في موضع بها يقال له دَسْمٌ[3].

---

(١) سعيد بن مسعود الهُذَليّ: من كبار المغنين من أهل مكّة، تزوّج من ابنة «ابن سريج» وأخذ عنها غناء أبيها (توفي نحو ١١٠ هـ/ ٧٢٨ م) ترجمته في: الأعلام ٣: ١٥٥.

(٢) والمَشَابِه: الأشياء التي يتشابه فيها اثنان. الشّمائل: الطبائع.

(٣) دَسْم: موضع قرب مكة (معجم البلدان ٢: ٤٥٥).

[رجلان يسألان الوقوف على قبر ابن سريج]

أخبرني الحَرَمِيّ بنُ أبي العَلاَء قال: حَدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال: أخبرني هارون بنُ أبي بكرٍ قال: حَدَّثني إسحاقُ بن يعقوبَ العُثْمَاني مَوْلَى آلِ عثمان عن أبيه قال: إنّا لَبِفَنَاءِ دارِ عَمْرِو بن عثمانَ بِالأَبْطَحِ في صُبْحِ خامسةٍ مِنَ الثَّمَانِ - يَعْني أيامَ الحَجِّ - قال: كُنتُ جالساً أيامَ الحَجِّ، فما إن دَرَيْتُ إلا برجلٍ على راحلةٍ على رَحْلٍ[1] جَمِيلٍ وأَدَاةٍ حسنةٍ، معه صاحبٌ له على راحلةٍ قد جَنَّبَ[2] إليها فَرَساً وبغلاً، فَوَقَفا عَلَيَّ وسألاني، فانتسبتُ لهما عُثْمانيًّا. فنزلا وقالا: رجلان من أهلِكَ لهما حاجةٌ ونُحِبُّ أن تَقْضِيَها قبل أن نُشْدَهَ[3] بأمر الحَجِّ. فقلتُ: ما حاجتُكما؟ قالا: نريدُ إنساناً يَقِفُنا على قبرِ عُبَيد بنِ سُرَيج. قال: فَنَهَضْتُ معهما حتى بَلغتُ بهما مَحَلَّةَ بني أبي قَارَةَ من خُزَاعة بمكّةَ، وهم موالي عُبَيد بن سُرَيج فالتمستُ لهما إنساناً يَصْحَبُهما حتّى يَقِفَهما على قبرِهِ بِدَسْم، فوجَدْتُ ٱبنَ أبي دُبَاكِلٍ[4] فأنهضْتُهُ معهما. فأخبرني بعدُ: أنه لمّا وَقَفَهُما على قَبرِه نزلَ أحدهُما عن راحلتِه فحسَرَ عِمَامَتَه عن وَجْهِهِ، فإذا هو عبد الله بن سَعِيد بن عبد الملك بن مَرْوان، فعقَرَ ناقَتَه وٱندفعَ يَنْدُبُهُ بِصوتٍ شَجِيٍّ كَلِيلٍ حَسَنٍ ويقول: [الطويل]

وَقَفْنَا على قَبْرٍ بِدَسْم فَهَاجَنَا ... وذَكَّرنا بِالعَيْشِ إذ هو مُصْحِبُ[5]
فجالَتْ بِأرجاءِ الجُفُوْنِ سَوافِحٌ ... مِنَ الدَّمْعِ تَسْتَتْلِي الّذي يَتَعَقَّبُ
إذا أَبْطَأَتْ عن ساحةِ الخَدِّ سَاقَها ... دَمٌ بعْدَ دَمْعٍ إِثْرَهُ يَتَصَبَّبُ
فإن تُسْعِدَا نَنْدُبْ عُبَيداً بِعَوْلَةٍ ... وَقَلَّ له مِنَّا البُكَا والتَّحَوُّبُ[6]

---

(١) الرّاحلة من الجِمال: الصالحة للأسفار والأحمال. والرَّحْل: ما يُوضَع على ظهر الجمل لِيُركَب.

(٢) جَنَّبَ إليها: قاد إلى جانبها.

(٣) نُشْدَه: نُشْغَل.

(٤) ابن أبي دُبَاكل: هو سليمان بن أبي دُباكل، شاعر أموي خزاعيّ، كان معاصراً للأحوص وقد صنع قصيدته التي يقول في أولها:

يا بيت خنساء الذي أتجنّبُ ... ذهب الشبابُ وحبّها لا يذهب

فقال الأحوص في عروضها:

يا بيت عاتكة الذي أتعزّلُ ... حذر العدى وبه الفؤاد موكّل

(شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ١٣٥٣، طبعة دار الجيل).

(٥) المصحب: الذليل المنقاد بعد صعوبة.

(٦) العويل: رفع الصوت بالبكاء. والتَّحَوُّب: التوجّع أو البكاء بخوف وصياح.

ثم نزلَ صاحبُه فعقرَ ناقتَه، وقال له القُرَشِيُّ: خُذْ في صوتِ أبي يحيى؛ فاندفع يتغنى: [الخفيف]

أَسْعِدَانِي بِعَبْرَةٍ أَسْرَابِ ... من دُمُوعٍ كَثِيرةِ التَّسْكَابِ[1]

إنّ أَهْلَ الحِصَابِ قد تَرَكُونِي ... مُولَهاً مُولَعاً بِأهلِ الحِصَابِ

أهلِ بيتٍ تَتَابَعُوا لِلمَنَايَا ... ما على المَوْتِ بَعْدَهُمْ مِنْ عِتَابِ

فَارَقُونِي وقد عَلِمْتُ يَقِيناً ... ما لِمَنْ ذَاقَ مِيتَةً من إِيَابِ

كم بِذاكَ الحَجُونِ من أهلِ صِدْقٍ ... وكُهُولٍ أَعِفَّةٍ وشَبَابِ[2]

سَكَنُوا الجَزْعَ جَزْعَ بَيْتِ أبي مو ... سى إلى النَّخْلِ من صُفِيِّ السِّبَابِ

فَلِيَ الوَيْلُ بَعْدَهُمْ وَعَلَيْهِمْ ... صِرْتُ فَرْداً ومَلَّنِي أَصْحَابِي

قال آبنُ أبي دُبَاكِلٍ: فواللّهِ ما تَمَّمَ صاحبُه منها ثلاثاً حتى غُشِيَ على صاحبِه، وأقبلَ يُصْلِحُ السَّرْجَ على بغْلتِهِ وهو غير مُعَرِّجٍ عليه. فسألتُه مَنْ هو؟ فقال: رَجُلٌ من جُذَام. قلتُ: بِمَنْ تُعْرَفُ؟ قال: بعبد الله بن المُنْتَشِر. قال: ولم يَزَلِ القُرَشِيُّ على حالِهِ ساعةً ثم أفاقَ، ثم جَعَلَ الجُذَامِيُّ يَنْضَحُ الماء على وجهه ويقول كالمُعَاتِبِ له: أنتَ أبداً مَصْبُوبٌ على نَفْسِكَ! ومَنْ كَلَّفَكَ ما تَرَى! ثم قَرَّبَ إليه الفرسَ، فلمّا عَلاَه آستخرجَ الجُذامِيُّ مِنْ خُرْجٍ على بغْلٍ قَدَحاً وإداوَةَ ماءٍ، فجعَلَ في القَدَحِ تُرَاباً من تُرابِ قَبْرِ آبنِ سُرَيج وصَبَّ عليه ماءً من الإداوَةِ، ثم قال: هاكَ فاشرَبْ هذه السَّلْوَةَ فَشَرِبَ، ثم فعلَ هو مثل ذلك. وركبَ على البغلِ وأَرْدَفَني. فَخرجا واللّهِ ما يُعَرِّضَانِ بِذكرِ شيءٍ ممّا كنا فيه، ولا أَرَى في وجوههما شيئاً مما كنتُ أرى قبلَ ذلك. فلمّا آشتَمَلَ علينا أَبْطَحُ مكة قَالا: انزِلْ يا خُزَاعيّ فنزلتُ. وأومأ الفتى إلى الجُذَامِيّ بكلام، فَمَدَّ يَدَهُ إِلَيَّ وفيها شيءٌ فأخذتُه، فإذا هو عشرون ديناراً وَمَضَيا. فانصرَفْتُ إلى قَبْرِهِ بِبعيرَيْن، فاحتملتُ عليهما أداةَ الرَّاحِلَتَيْنِ اللَّتين عَقَراهُما فَبِعْتُها بثلاثين ديناراً.

(١) الأسراب: جمع السَّرَب: الماء السائل.

(٢) الحَجون: جبل بأعلى مكّة عنده مدافن أهلها (معجم البلدان ٢: ٢٢٥).

صوت

من المائة المختارة [الطويل]

وهو الثّالث من الثّلاثة المختارة:

أهاجَ هَواكَ المَنْزِلُ المُتَقَادِمُ نَعَمْ وبه مِمَّنْ شَجاكَ مَعالِمُ
مَضارِبُ أَوْتادٍ وَأَشْعَثُ دَاثِرٌ مُقِيمٌ وسُفْعٌ في المَحَلِّ جَوَاثِمُ[1]

عَرُوضُهُ من الطَّويل، الشِّعرُ لِنُصَيْبٍ، والغناءُ في اللَّحْن المختار لابنِ مُحْرِز ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوَتَر في مَجْرى البِنْصر، وله فيه أيضاً هَزَجٌ بالسَّبَّابَةِ في مَجْرَى البِنْصر، وذكر جَحْظَةُ عن أصحابه أنه هو المختارُ. وحكى عن أصحابه أنه ليس في الغناء كلِّه نَغْمَةٌ إلاّ وهي في الثّلاثة الأصواتِ المختارة التي ذكرها.

ومن قصيدة نُصَيْبٍ هذه مما يُغَنَّى فيه قولُه: [الطويل]

لقد رَاعَني لِلبَيْنِ نَوْحُ حَمَامةٍ على غُصْنِ بَانٍ جَاوَبَتْها حَمَائمُ
هَوَاتِفُ أمّا مَنْ بَكَيْنَ فَعَهْدُهُ قَدِيمٌ وأمّا شَجْوُهُنَّ فَدَائِمُ

الغناء لابنِ سُرَيج ثَاني ثقيلٍ مطلق في مَجْرى البِنْصر عن يونسَ ويحيى المَكِّيّ وإسحاقَ، وأظنُّه مع البيتين الأوّلين وأنّ الجميعَ لحَنٌ واحدٌ، ولكنه تفرَّقَ لِصُعُوبةِ اللَّحْنِ وكثرةِ ما فيه من العَمَلِ، فَجُعِلاَ صوتَيْن.

(١) الأشعث: الوتد. والدّاثر: القديم. والسُّفع: الأثافي التي اسودّت صفاحها التي تلي النار. والجوائم: الرّواسي.

ذكر نُصَيبٍ وأخباره

[توفي ١٠٨ هـ/ ٧٢٦ م]

[نسبه]

هو نُصَيْبُ بن رَبَاح، مَوْلَى عبدِ العزيز بنِ مَرْوَانَ، وكان لِبعضِ العَرَبِ من بَني كنانةَ السُّكَّانِ بِوَدَّانَ[1] فاشتراه عبدُ العزيزِ منهم، وقيل: بل كانوا أَعْتَقُوه، فاشْتَرَى عبدُ العزيز وَلاَءَه منهم، وقيل: بل كاتَبَ مَوَالِيَه، فَأَدَّى عنه مُكَاتَبَتَه.

وقال ٱبنُ دَأْبٍ: كان نُصَيْبٌ من قُضَاعَةَ ثم من بَلِيٍّ. وكانت أُمُّه سَودَاءَ فوقَعَ عليها سَيِّدُها فَحَبِلَتْ بِنُصَيْبٍ، فوثَبَ عليه عَمُّه بعد وفَاةِ أبيه فباعَهُ من عبدِ العزيز.

وقال أبو اليَقْظَانِ: كان أبوه من كِنَانَة من بَنِي ضَمْرَةَ. وكان شاعراً فَحْلاً فَصِيحاً مُقَدَّماً في النَّسِيبِ والمديحِ، ولـم يكن له حَظٌّ في الهِجَاءِ، وكان عَفِيفاً، وكان يقال: إنّه لم يَنْسُبْ قَطُّ إلا بامرأَتِهِ.

أخبرني الحَرَمِيُّ بن أبي العَلاَء قال: حَدَّثنا الزُّبَير بن بكَّار قال: كَتَبَ إِلَيَّ عبدُ الله بنُ عبد العزيز بن مِحْجَن بن نُصَيْب بن رَباحَ يذكرُ عن عَمَّتِه غَرْضَةَ بنت النُّصَيب: أنَّ النُّصَيب كان ٱبن نُوبِيَّيْنِ سَبِيَّيْنِ كانا لِخُزَاعَةَ، ثم ٱشترَتْ سَلامَةَ أُمَّ نُصَيب ٱمرأةٌ من خُزَاعَةَ ضَمْرِيَّةٌ حاملاً بِالنُّصَيبِ، فأعتقَتْ ما في بَطْنِها.

أخبرني الحُسَين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه عن محمد بن كُنَاسَة قال:

كان نُصَيْبٌ من أهلِ وَدَّانَ عبداً لِرَجلٍ من كِنانةَ هو وأهلُ بيتِهِ. وكان أهلُ الباديةِ يَدْعُونَه النُّصَيْبَ تَفْخِيماً له، ويَرْوُونَ شِعْرَهُ. وكان عَفِيفاً كبيرَ النَّفْسِ مُقَدَّماً عند الملوكِ، يُجِيدُ مَدِيحَهُمْ ومَرَاثِيَهُمْ.

(١) وَدَّان: ثلاثة مواضع أحدها بين مكة والمدينة قرية جامعة من نواحي الفرع. (معجم البلدان ٥: ٣٦٥).

أخبرني الحُسَين عن حَمَّاد عن أبيه عن ابنِ الكَلْبِي قال: كان نُصَيْب من بَلِيّ ابنِ عَمْرو بن الحَافِ بنِ قُضَاعَةَ. وكانتْ أُمُّه أَمَةً سَوْدَاءَ وقَعَ عليها أبوه فحمَلَتْ ثمّ مات، فباعَهُ عَمُّه أخو أبيه من عبد العزيز بن مَرْوان.

[نصيب يقول الشّعر وينسبه إلى الشعراء]

قال حَمَّاد وأخبرني أبي عن أَيُّوبَ بن عَبَايَةَ، وأخبرنا الحَرَمِيُّ عن الزُّبَير عن عَمِّه وعن إسحاق بن إبراهيم جميعاً عن أَيُّوب بن عَبَايَةَ قال: حَدَّثني رجلٌ من خُزَاعَةَ من أهلِ كُلَيَّةَ[١] ـ وهي قَرْيةٌ كان فيها النُّصَيْب وكُثَيِّر ـ قال: بلغني أَنَّ النُّصَيْبَ قال: قلتُ الشِّعْرَ وأنا شَابٌّ فأعجبَني قَولِي، فَجَعَلْتُ آتي مَشْيخَةً من بَنِي ضَمْرة بنِ بَكْر بن عَبْد مَنَاةَ ـ وهم مَوالي النُّصَيْب ـ ومشيخةً من خُزَاعَةَ، فأُنْشِدُهم القصيدةَ من شِعْري، ثم أَنْسُبُها إلى بعضِ شُعَرائِهم الماضِينَ فيقولون: أَحْسَنَ واللَّهِ! هكذا يكونُ الكلامُ! وهكذا يكونُ الشِّعْرُ! فلمّا سَمِعْتُ ذلك منهم عَلِمْتُ أَنِّي مُحْسِنٌ، فأَزْمَعُوا وأَزْمَعْتُ الخروجَ إلى عبدِ العزيزِ بنِ مَرْوَان وهو يَوْمئِذٍ بمصرَ، فقلتُ لأُخْتي أُمامَةَ وكانت عاقلةً جَلْدةً[٢]: أَيْ أُخَيَّة، إنِّي قد قلتُ شِعْراً، وأنا أُريدُ عبدَ العزيزِ بنَ مَرْوانَ، وأرجو أن يُعْتِقَكِ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ به وأُمَّكِ، ومَنْ كان مَرْقوقاً من أهل قَرَابتي. قالَتْ: إِنَّا لِلَّهِ وإِنَّا إليْه رَاجِعونَ! يابنَ أُمَّ، أَتَجْتَمِعُ عليكَ الخَصْلَتَان: السَّوادُ، وأن تكونَ ضُحْكَةً لِلنَّاسِ! قالَ: قلتُ فاسْمَعِي، فأنشدتُها فَسمِعَتْ، فقالت: بأبي أنتَ! أَحْسَنْتَ واللَّهِ! في هذا واللَّهِ رَجَاءٌ عظيمٌ، فاخْرُجْ على بَرَكَةِ الله. فخَرَجْتُ على قَعُودٍ لي حتى قَدِمْتُ المدينةَ، فوجدتُ بها الفَرَزْدَقَ في مَسْجِدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فعرَّجْتُ إليه فقلت: أُنْشِدُه وأَسْتَنْشِدهُ وأَعْرِضُ عليه شِعْرِي. فأَنْشَدْتُه، فقال لي: وَيْلَكَ! أهذا شِعْرُكَ الذي تَطْلُبُ به الملوكَ؟ قلتُ: نَعَمْ، قال: فلستَ في شيء، إن استطعتَ أن تَكْتُمَ هذا على نَفْسِكَ فافعَلْ. فانفَضَخْتُ عَرَقاً[٣]، فَحَصَبني[٤] رجلٌ من قُرَيْشٍ كان قريباً من الفَرَزْدَق، وقد سَمِعَ إنْشَادِي وسمِعَ ما قالَ لِيَ الفَرَزْدَقُ، فأومأَ إِلَيَّ فقمتُ إليه. فقالَ: وَيْحَكَ!

---

(١) كُلَيَّة: قرية بين مكة والمدينة (معجم البلدان ٤: ٤٧٩).

(٢) الجَلْد: الشّديد القويّ على المكروه.

(٣) انفضختُ عَرَقاً: تصبب عَرَقي.

(٤) حصبني: رماني بالحصباء وهي حجارة صغيرة.

أهذا شِعْرُكَ الّذي أَنْشَدْتَهُ الفرزدق؟ قلتُ: نَعَمْ. فقال: قد واللَّهِ أَصَبْتَ، واللَّهِ لَئِنْ كان هذا الفَرَزْدَقُ شاعراً لقد حَسَدَكَ؛ فإِنّا لَنَعْرِفُ مَحَاسِنَ الشِّعْرِ، فامْضِ لِوَجْهِكَ ولا يَكْسِرَنَّكَ. قال: فَسَرَّنِي قولُه، وعَلِمْتُ أنه قد صَدَقَنِي فيما قال، فاعتزمتُ على المُضِيِّ. قال: فَمَضَيْتُ فَقَدِمْتُ مِصْرَ، وبها عبدُ العزيز بنُ مروان فَحَضرتُ بابَه مع النَّاسِ، فَنُحِّيتُ عن مجلِسِ الوُجُوهِ، فكنتُ وَرَاءَهم، ورأيتُ رَجُلاً جاءَ على بَغْلةٍ حَسَنَ الشَّارَةِ[1] سَهْلَ المَدْخَلِ، يُؤْذَنُ له إذا جاءَ. فلمّا انصرفَ إلى منزِلِهِ انصرفْتُ معه أُمَاشِي بغلتَهُ. فلمّا رآني قال: أَلَكَ حاجةٌ؟ قلتُ: نعم، أنا رجلٌ من أهل الحِجَازِ شاعرٌ، وقد مَدَحْتُ الأميرَ وخَرَجْتُ إليه راجياً معروفَهُ وقد ٱزْدُرِيتُ فَطُرِدْتُ مِنَ البابِ ونُحِّيتُ عن الوُجُوهِ. قال: فَأنشدْنِي، فأنشدتُه. فأعجَبَه شِعْرِي، فقال: وَيْحَكَ! أهذَا شِعْرُكَ؟ فإِيَّاك أَنْ تَنْتَحِلَ؛ فإِنّ الأميرَ رَاويةٌ عالِمٌ بِالشِّعْرِ وعنده رُوَاةٌ، فلا تَفْضَحْنِي ونَفْسَكَ. فقلتُ: واللَّهِ ما هو إلاّ شِعْري. فقال: وَيْحَكَ! فَقُلْ أبياتاً تذكُرُ فيها حَوْفَ[2] مِصْرَ وفَضْلَهَا على غَيْرِهَا، وٱلْقَنِي بها غداً. فَغَدَوْتُ عليه مِنْ غَدٍ فأَنْشَدتُه قولي:

[الطويل]

سَرَى الهَمُّ تَثْنِينِي إليكَ طَلائِعُهْ ... بِمِصْرَ وبالحَوْفِ اعْتَرَتْنِي رَوَائِعُهْ[3]

وباتَ وِسَادِي سَاعِدٌ قَلَّ لَحْمُهُ ... عَنِ العَظْمِ حَتّى كادَ تَبْدُو أَشَاجِعُهْ[4]

قال: وذكرتُ فيها الغَيْثَ فقلتُ:

وكم دونَ ذاكَ العَارِضِ البَارِقِ الّذي ... له ٱشْتَقْتُ مِن وَجْهٍ أُسِيلَ مَدَامِعُهْ

تَمَشَّى به أَفْنَاءُ بَكْرٍ ومَذْحِجٍ ... وأفناءُ عَمْرٍو وهو خِصْبٌ مَرَابِعُهْ[5]

فكلُّ مَسِيلٍ من تِهَامَةَ طَيِّبٌ ... دَمِيثُ الرُّبَا تَسْقِي البِحَارَ دَوَافِعُهْ[6]

---

(١) الشّارة: الهيئة واللِّباس.

(٢) الحوف بمصر حوفان: الحوف الشّرقي من جهة الشام والحوف الغربي قرب دمياط، وهما يشتملان على بلدان وقرى كثيرة (معجم البلدان ٢: ٣٢).

(٣) سَرَى الهمُّ: ذهب.

(٤) الأشاجع: عروق ظاهر الكف.

(٥) أفناء بكر ومذحج: أخلاط من قبيلتي بكر ومذحج.

(٦) الدّميث: المكان اللّيِّن ذو الرّمل. والبحار: جمع البحرة: المدن والقرى والأراضي الواسعة. والدّوافع: أسافل الأرض السهلة.

أَعِنِّي على بَرْقٍ أُرِيكَ وَمِيضَهُ تُضِيءُ دُجُنَّاتِ الظَّلامِ لَوَامِعُهْ
إذا اكْتَحَلَتْ عَيْنَا مُحِبٍّ بِضَوْئِهِ تَجَافَتْ به حتَّى الصَّبَاحِ مَضَاجِعُهْ
هَنِيئاً لأُمِّ البَخْتَرِيِّ الرِّوَى به وإنْ أنْهَجَ الحَبْلُ الذي أنا قَاطِعُهْ[1]
وما زِلْتُ حتَّى قُلْتُ إنِّي لَخَالِعٌ وَلائِيَ مِنْ مَوْلىً نَمَتْنِي قَوَارِعُه[2]
ومانِحُ قَوْمٍ أنتَ منهم مَوَدَّتِي ومُتَّخِذٌ مَوْلاكَ مَوْلىً فتابِعُهْ

[عبد العزيز يفضّل نصيب على أيمن بن خريم]

قال: أنتَ واللَّهِ شاعرٌ! احْضُرْ بالبابِ حتَّى أَذْكُرَك لِلأميرِ. قال: فجلَسْتُ على البابِ ودخَلَ، فما ظَنَنْتُ أنه أَمكنَهُ أَنْ يَذْكُرَنِي حتى دُعِيَ بي. فدخَلْتُ فَسَلَّمْتُ على عبد العزيز، فَصَعَّدَ فِيَّ بَصَرَهُ وَصَوَّبَ، ثم قال: أنت شاعرٌ؟ وَيْلَكَ! قلت: نَعَمْ، أيُّها الأميرُ. قالَ: فأَنْشِدني. فأنشدتُه، فأَعْجَبَه شِعْرِي. وجاء الحاجبُ فقال: أيُّها الأميرُ، هذا أَيْمَنُ بن خُرَيْم الأَسَديّ بالبابِ. قال: ائْذَنْ له، فدخَلَ فاطمأَنَّ. فقال له الأميرُ: يا أيمنُ بنَ خُرَيم، كم تَرَى ثمنَ هذا العبدِ؟ فنظرَ إليّ فقال: واللَّهِ لَنِعْمَ الغَادِي في أَثَرِ المَخَاضِ[3] هذا أيّها الأميرُ أَرَى ثَمَنَهُ مائةَ دِينارٍ. قال: فإنَّ له شِعْراً وفصاحةً. فقال لي أَيْمَنُ: أتقولُ الشِّعْرَ؟ قلت: نَعَمْ. قال: قيمتُه ثلاثون ديناراً. قال: يا أيمنُ، أَرْفَعُهُ وتَخْفِضُه أنتَ! قال: لِكَونِهِ أَحْمَقَ أيُّها الأميرُ! ما لهذا ولِلشِّعْرِ! أَمِثْلُ هذا يقولُ الشِّعْرَ! أو يُحْسِن شِعْراً! فقال: أَنْشِدْهُ يا نُصَيبُ، فأنشدتُه. فقال له عبد العزيز: كيف تَسمعُ يا أَيْمَنُ؟ قال: شِعْرُ أَسْوَدَ، هو أَشْعَرُ أهلِ جِلْدَتِهِ[4]. قال: هو واللَّهِ أَشْعرُ منكَ، قال: أَمِنِّي أَيُّها الأميرُ؟ قال: إي واللَّهِ منكَ. قال: واللَّهِ أيُّها الأميرُ، إنّك لَمَلُولٌ طَرِفٌ[5]. قال: كَذَبْتَ واللَّهِ ما أنا كذلك! ولو كنتُ كذلك ما صَبرتُ عليكَ! تُنَازِعُنِي التَّحِيَّةَ وتُؤَاكِلُنِي الطَّعَام وتَتَّكِىءُ على وَسَائِدِي وفُرُشِي وبكَ ما بكَ! - يَعْنِي وَضَحاً[6] كان بأيمنَ - قال: ائْذَنْ لي أَنْ أَخْرُجَ إلى بِشْرٍ

---

(١) الرِّوَى: الماء الكثير المُرْوِي. وأنهج الحبلُ: بَلِيَ.
(٢) القوارع: جمع القارعة: المصيبة، وربما الأصحّ الفوارع: الأعالي والأصول التي تفرعه.
(٣) المخاض: الحوامل من النوق وهو يريد أنه نعم راعي الإبل هو.
(٤) جِلْدَته: قومه وجماعته.
(٥) الطَّرِف: الذي لا يثبت على شيء.
(٦) الوَضح: البرص: وهو بياض يقع في الجسم.

بالعِرَاقِ، واَحْمِلْنِي على البَرِيدِ[١]. قال: قد أَذِنْتُ لكَ، وأَمَرَ به فَحُمِلَ على البَرِيدِ إلى بِشْرٍ. فقال أيْمنُ بن خُرَيم: [الوافر]

رَكِبْتُ مِنَ المُقَطَّمِ في جُمَادَى ... إلى بِشْرِ بنِ مَرْوان البَرِيدَا[٢]
ولو أعطاكَ بِشْرٌ أَلْفَ أَلْفٍ ... رَأى حَقّاً عليه أن يَزِيدَا
أميرَ المؤمنين أَقِمْ بِبِشْرٍ ... عَمُودَ الحَقِّ إنَّ له عَمُودَا
ودَعْ بِشْراً يُقَوِّمُهُمْ ويُحْدِثْ ... لأَهْلِ الزَّيْغِ إسلاماً جَدِيدَا
كأنَّ التَّاجَ تَاجَ بَنِي هِرَقْلٍ ... جَلَوْه لأَعْظَمِ الأيَّامِ عِيدَا
على دِيبَاجِ خَدَّيْ وَجْهِ بِشْرٍ ... إذا الألوانُ خَالَفَتِ الخُدُودَا

ـ قال أيُّوبُ يعني بقوله:

إذا الألوان خَالَفَتِ الخُدُودَا

أنّه عَرَّضَ بكَلَفٍ كان في وجهِ عبد العزيز ـ

وأَعْقَبَ مِدْحَتِي سَرْجاً مَلِيحاً ... وأبْيَضَ جُوزَجَانِيّاً عَقُودَا[٣]
وإنّا قد وَجَدْنا أُمَّ بِشْرٍ ... كأُمِّ الأُسْدِ مِذْكَاراً وَلُودَا

قال: فأعطاه بِشْرٌ مائةَ ألفِ درهم.

[عبد الله بن أبي فروة أوّل من أوصل نصيب إلى عبد العزيز]

أخبرني الحَرَمِيُّ قال: حَدَّثنا الزُّبَير قال: حَدَّثني عبد الرّحمن بن عبد الله الزُّهْرِي عن عبد الله بن عِمْرَانَ بن أبي فَرْوَةَ قال: أوّلُ مَنْ نَوَّه باسمِ نُصَيب وقَدِمَ به على عبد العزيز بنِ مَرْوَان عبدُ الله بنُ أبي فَرْوَةَ، قَدِمَ به عليه وهو وَصِيفٌ[٤] حين بلَغ وأَوَّلَ ما قالَ الشِّعْرَ. قال: أَصْلَحَ اللَّهُ الأميرَ! جِئْتُكَ بِوَصيفٍ نُوبِيٍّ يقولُ الشِّعْرَ ـ وكان نُصَيْبُ اَبنَ نُوبِيَّيْنِ ـ فأدخلَهُ عليه، فأعجَبَهُ شِعرهُ، وكان معه أيْمَنُ بن خُرَيم الأَسَدِيّ. فقال عبدُ العزيز: إذا دعوتُ

(١) البريد: الدابّة التي تحمل الرسائل أو الطّرود.
(٢) المقطَّم: هضبة قليلة الارتفاع في القاهرة.
(٣) جُوزجان: كورة من كُوَرِ بلخ بخراسان وهي بين مرو الرّوذ وبلخ. (معجم البلدان ٢: ١٨٢).
والعَقود: القوي.
(٤) الوصيف: الخادم.

بالغَدَاءِ فأدْخِلُوه عَلَيَّ في جُبَّةٍ صوفٍ مُحْتَزِماً بِعِقَالٍ، فإذا قُلْتُ قَوِّمُوه فَقَوِّموه وأخرِجُوه ورُدُّوه عَلَيَّ في جُبَّةٍ وَشْيٍ ورِدَاءِ وَشْيٍ. فلمّا جَلَسَ لِلغَدَاءِ ومَعَهُ أيمنُ بنُ خُرَيْم أُدْخِلَ نُصَيبٌ في جُبَّةٍ صوفٍ محتزماً بعِقَالٍ فقال: قَوِّموا هذا الغلامَ. فقالوا: عشرةٌ، عشرون، ثلاثون ديناراً. فقال: رُدُّوه، فأَخرَجُوه ثم رَدُّوه في جُبَّةٍ وَشْيٍ ورِدَاءِ وَشْيٍ. فقال: أَنْشِدْنا، فأنشَدَهم. فقال: قَوِّمُوه، قالوا: ألفُ دينارٍ. فقال أيمن: والله ما كان قَطُّ أَقَلَّ في عَيْني منه الآن، وإنّه لَنِعْمَ رَاعي المَخَاضِ. فقال له: فكيف شِعْرُه؟ قال: هو أشعرُ أهلِ جِلْدَتِهِ. فقال له عبد العزيز: هو واللَّهِ أشعرُ منكَ. قال: أَمِنِّي أيُّها الأميرُ؟ قال: نعم. فقال أيمنُ: إنك لَمَلُولٌ طَرِفٌ. فقال له: والله ما أنا بمَلُولٍ وأنا أُنازِعُكَ الطَّعَامَ منذ كذا وكذا، تضعُ يدكَ حيثُ أضَعُها وتلتقي يَدُكَ مع يدي على مائدةٍ، كُلُّ ذلك أحتملُكَ! ـ وكان بأيمنَ بياضٌ فقال له أيمَنُ: ائذَنْ لي أن أَخْرُجَ إلى بِشْرٍ. فأذِن له فخَرج، وقال أبياتَه التي أوّلها:

رَكِـبْـتُ مِـنَ الـمُـقَـطَّـمِ فـي جُـمَـادَى

وقد مَضَتِ الأبياتُ. قال: فلما جَازَ بعبدِ الملِك بنِ مَرْوان، قال: أين تريدُ؟ قال: أُريدُ أخاكَ بِشْراً. قال: أَتَجُوزُني؟ قال: إي واللَّهِ أَجُوزُكَ إلى مَنْ قَدِمَ إليّ وطَلَبَني. قال: فَلِمَ فارقتَ صاحِبَكَ؟ قال: رأيتُكُمْ يا بَنِي مَرْوانَ، تَتَّخِذُونَ لِلفَتَى من فِتْيَانِكُم مُؤَدِّباً، وشَيْخُكم واللَّهِ محتاجٌ إلى خمسةِ مُؤَدِّبين. فَسَرَّ ذلك عبدَ الملكِ، وكان عازماً على أن يَخْلَعَه ويَعْقِدَ لابنِه الوليد.

[عبد العزيز بن مروان يبتاع نصيباً ويعتقه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجَوْهرِي قال: حَدَّثنا عمرُ بن شَبَّة قال: يقالُ: إن نُصَيباً أَضَلَّ إبلاً له فخَرَج في بُغَائِهَا فلم يُصِبْها، وخافَ مَوَالِيَه أن يرجعَ إليهم، فأتى عبدَ العزيز بن مَرْوان فمدَحَهُ وذكرَ له قِصّتَهُ، فأَخْلَفَ عليه ما ضَلَّ لِمَوَالِيه وأَبْتَاعَهُ وأَعْتَقَهُ.

أخبرنا الحَرَمِيُّ قال: حَدَّثنا الزُّبَير قال: حَدَّثنا عبدُ الله بن إبراهيمَ الهِلاَلِيّ ثم الدَّوْسِيّ قال: أراد النُّصَيبُ الخروجَ إلى عبد العزيز بن مَرْوانَ، وهو عَبْدٌ لِبَني مُحْرِزٍ الضَّمْرِيّ، فقالت أُمُّه له: إنّك سَتَرْقُدُ ويَأْخُذُكَ ابنُ مُحْرِزٍ يَذْهَبُ بك، فذهبَ ولم

يُبَالِ بِقَوْلِها. حتى إذا كان بمَكَانٍ ماءٍ يُعْرَفُ بِالدَّوِّ[١] فَبَيْنَا هو رَاقِدٌ إذ هَجَمَ عليه ٱبنُ مُحْرِزٍ؛ فقال حينَ رآه: [الطويل]

إنِّي لأَخْشَى من قِلاَصِ ٱبْنِ مُحْرِزٍ ... إذا وَخَدَتْ بِالدَّوِّ وَخْدَ النَّعَائِمِ[٢]

يَرُعْنَ بَطِينَ القَوْمِ أَيَّةَ رَوْعَةٍ ... ضُحَيًّا إذا اسْتَقْبَلْنَهُ غيرَ نَائِمِ[٣]

فأَطْلَقُوه، فرجَعَ فأتى أُمَّه. فقالتْ: أخبرتُكَ يا بُنَيَّ أنّه ليس عِندَكَ أن تُعْجِزَ القومَ. فإن كنتَ يا بُنَيَّ قد غَلَبْتَنِي أَنَّكَ ذاهبٌ فَخُذْ بِنتَ الفُلانةِ[٤]؛ فإنِّي رَأَيْتُها وَطِئَتْ أُفحُوصَ[٥] بَيْضَاتِ قَطَاةٍ فلم تَفْلِقْهُنَّ فَرَكِبَها، فهي التي بَلَّغَتْهُ ٱبنَ مروانَ.

قال أبو عبد الله بن الزُّبَير: عندنا أنّ الّتي أَعْتَقَتْه ٱمرأةٌ من بَنِي ضَمْرَة ثم من بني حَنْبَلٍ.

حَدَّثنا محمد بن العَبّاس اليَزِيدِيّ قال: حَدَّثنا الخَليل بن أَسَد قال: حَدَّثنا عبدُ الله بنُ صَالح بن مسلم قال: حَدَّثنا كُلَيب بن إسماعيلَ مَوْلَى بني أميَّةَ وكان حَدِثاً (أي حَسَن الحَدِيثِ) قال: بلغني أَنَّ نُصَيْباً كان حَبَشِيًّا يَرْعَى إبلاً لمواليه، فَأَضلَّ منها بعيراً، فخَرَجَ في طَلبِهِ حتى أَتَى الفُسْطَاطَ، وبه إذ ذاكَ عبدُ العزيز بنُ مَرْوَان، وهو وَلِيُّ عَهْدِ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوان، فقالَ نُصَيْبٌ: ما بعدَ عبد العزيز واحدٌ أَعتَمِدُهُ لِحاجَتِي. فأتى الحاجبَ فقال: اسْتأذِنْ لي على الأميرِ؛ فإنّي قد هَيَّأْتُ له مَدِيحاً. فدخَل الحاجبُ فقال: أصلحَ اللّهُ الأميرَ! بالبابِ رجلٌ أسودُ يَستأذِنُ عليك بمديحٍ قد هَيّأَهُ لك. فظَنَّ عبدُ العزيز أنه ممن يُهْزَأُ به ويُضْحِكُهم، فقال: مُرْهُ بالحضورِ ليومِ حاجَتِنا إليه. فغدا نُصَيبٌ وراحَ إلى بابِ عبد العزيز أربعةَ أَشْهُرٍ وأتاه آتٍ من عبدِ الملك فَسَرَّهُ، فأَمَرَ بِالسَّرِير فأُبْرِزَ لِلنَّاسِ، وقال: عَلَيَّ بِالأَسْوَدِ، وهو يريدُ أن يُضْحِكَ منه النَّاسَ. فدخَلَ، فلمّا كان حيثُ يُسْمَعُ كلامُه، قال: [المتقارب]

لِعَبْدِ العزيزِ على قَومِهِ ... وغَيْرِهِمُ نِعَمٌ غَامِرَهْ

فَبَابُكَ أَلْيَنُ أبوابِهِمْ ... ودَارُكَ مَأْهُولَةٌ عَامِرَهْ

---

(١) الدَّوّ: أرض ملساء بين مكة والبصرة. (معجم البلدان ٢: ٤٩٠).

(٢) القِلاص: جمع القلوص: الفتيّة من الإبل. وخدت: أسرعت.

(٣) البطين: عظيم البطن. والرَّوْعة: الفَزْعة.

(٤) الفلانة والفلان: كناية عن غير الآدميّين.

(٥) الأفحوص: حفرة تحفرها القطاة أو الدجاجة لتبيض فيها وسُمّيَ بذلك لأنها تفحصه.

وكَـلْـبُـكَ آنَـسُ بِـالـمُـعْـتَـفِـيـنَ مِـنَ الأُمِّ بِـالابْـنَـةِ الـزَّائِـرهْ[1]
وكَـفُّـكَ حِـيـنَ تَـرَى الـسَّـائِـلِـيـنَ أَنْـدَى مِـنَ الـلَّـيْـلَـةِ الـمَـاطِـرهْ
فـمـنـكَ الـعَـطَـاءُ ومِـنِّـي الـثَّـنَـاءُ بِـكُـلِّ مُـحَـبَّـرَةٍ سَـائِـرهْ

فقال: أَعْطُوه أَعْطُوه. فقال: إِنِّي مَمْلُوكٌ. فدعا الحاجبَ فقال: ٱخْرُجْ فابْلُغْ في قيمتِهِ؛ فَدَعَا المُقَوِّمِينَ فقال: قَوِّمُوا غلاماً أسودَ ليس به عَيْبٌ. قالوا: مائةُ دينارٍ. قال: إنه راعٍ لِلإبلِ يُبْصِرُها ويُحْسِنُ القيامَ عليها. قالوا حينئذ: مائتا دينار. قال: إنه يَبْرِي القِسِيَّ ويُثَقِّفُها ويَرْمِي النَّبْلَ ويَرِيشُها. قالوا: أربعمائة دينار. قال: إنه راويَةٌ لِلشِّعرِ بَصِيرٌ به. قالوا: سِتُّمائة دينار. قال: إنه شاعرٌ لا يُلْحَقُ حِذْقاً[2]. قالوا: ألفُ دينار. قال عبد العزيز: ادْفَعُوها إليه. قال: أَصْلَحَ اللَّهُ الأميرَ! ثَمَنَ بَعِيري الّذي أَضْلَلْتُ. قال: وكم ثَمَنُهُ؟ قال: خمسةٌ وعشرون ديناراً. قال: ادْفَعُوهسا إليه. قال: أصلحَ اللَّهُ الأميرَ! جائزتي لِنَفْسي عن مَدِيحِي إِيَّاكَ. قال: اشْتَرِ نَفْسَكَ ثُمَّ عُدْ إلينا. فأتى الكوفةَ وبها بِشْرُ بنُ مَرْوانَ، فاستأذنَ عليه فاسْتَصْعَبَ الدُّخولَ إليه. وخَرَجَ بِشْرُ بنُ مَرْوَان مُتَنَزِّهاً فعارضَهُ، فلما ناكَبَه «أي صار حِذَاء مَنْكِبه» ناداه:

[الكامل]

يـا بِـشْـرُ يـابْـنَ الـجَـعْـفَـرِيَّـةِ مـا خَـلَـقَ الإِلَـهُ يَـدَيْـكَ لِـلْـبُـخْـلِ
جـاءَتْ بِـه عُـجُـزٌ مُـقَـابَـلَـةٌ مـا هُـنَّ مِـنْ جَـرْمٍ ولا عُـكْـلِ[3]

قال: فأَمَرَ له بِشْرٌ بِعَشْرَةِ آلافِ دِرْهمٍ. الجَعْفَرِيَّةُ التي عَنَاها نُصَيبٌ: أُمُّ بِشْرِ ابن مَرْوانَ، وهي قُطَيَّةُ بنتُ بِشْر بنِ عامرٍ مُلاَعِبِ الأَسِنَّةِ بنِ مالك بن جَعْفَر بنِ كِلاب.

أخبرنا اليَزِيديُّ عن الخَرّازِ عن المَدَائِنِيّ عن عبد الله بنِ مُسْلم وعامر بن حَفْص وغيرهما: أنّ مَرْوانَ بنَ الحَكَمِ مَرَّ ببادِيةِ بني جَعْفَر، فرأى قُطَيَّة بنتَ بِشْر تَنْزِعُ بِدَلْوٍ على إِبلٍ لها، وتقول:

---

(١) المعتفي: السائل والطالب.
(٢) الحِذق: المهارة.
(٣) عُجُز: جمع عجوز: يريد أمهاته وجداته. والمقابلة: الكريمة النسب من قبل أبويها. وجرم: بطن في طيىء مساكنهم في صعيد مصر ومنهم في نواحي غزة. وعكل: أبو قبيلة عرفت بالغباوة.

لـيـس بـنـا فَـقْـرٌ إلـى الـتَّـشـكِّـي جَـرَبَّـةٌ كَـحُـمُـرِ الأَبَـكِّ[١]
لا ضَـرَعٌ فـيـهـا ولا مُـذَكِّـي[٢]

ثم تقول: [الرجز]

عَـامَـانِ تَـرْقـيـقٌ وعـامٌ تَـمَّـمَـا لـم يَـتَّـرِكْ لَـحْـمـاً ولـم يَـتْـرُكْ دَمَـا[٣]
ولـم يَـدَعْ فـي رأسِ عَـظْـمٍ مِـلْـدَمَـا إلا رَذَايَـا ورِجَـالاً رُزَّمَـا[٤]

فخَطبها مروانُ فتزوَّجها فولدتْ له بِشْر بنَ مَرْوَانَ.

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز قال: حَدَّثنا عمرُ بنُ شَبَّة قال: حَدَّثنا أحمدُ بن معاوية عن إسحاق بنِ أيُّوبَ عن خَلِيلِ بن عَجْلاَنَ في خبرِ النُّصَيب مثلَ ما ذَكَره الزُّبَيرُ وإسحاقُ سواءً.

أخبرني عَمِّي قال: حَدَّثنا الكُرَانِيّ قال: حَدَّثنا العُمَريّ عن العُتْبِيّ قال: دعا النُّصَيبَ مَوَالِيه أن يَسْتَلْحِقُوه[٥] فأَبى، وقال: والله لأنْ أكونَ مَوْلىً لائقاً[٦] أحبُّ إليّ من أن أكونَ دَعِيّاً لاحِقاً[٧]. وقد عَلِمْتُ أنَّكم تُرِيدُونَ بذلكَ مَالِي، ووالله لا أَكْسِبُ شيئاً أبداً إلا كنتُ أنا وأنتم فيه سواءً كأحدكم، لا أستأثِرُ عليكم منه بشيء أبداً. قال: وكان كذلك معهم حتى مات، إذا أصابَ شيئاً قَسَمه فيهم، فكان فيه كأحدهم.

[سليمان بن عبد الملك يكافىء نصيب ويترك الفرزدق]

أخبرني الحَرَمِيُّ قال: حَدَّثنا الزُّبَيري، وحَدَّثنا محمد بن العَبَّاس اليَزِيديّ قال: حَدَّثنا أحمد بن أبي خَيْثَمَةَ قال: حَدَّثنا الزُّبَير قال: حَدَّثنا محمدُ بن إسماعيلَ الجَعْفَرِيّ قال: دخَلَ النُّصَيبُ على سليمانَ بنِ عبد الملك وعنده الفَرَزْدَقُ، فاستنشدَ

(١) الجَرَبَّة: يقال للأقوياء من الناس إذا كانوا جماعة متساوين. والأبك: موضع نسبت إليه الحُمُر.
(٢) الضَّرَع: الضعيف. والمذكّي: المسنّ من كلّ شيء.
(٣) الترقيق: رقّة الحال والضعف.
(٤) المِلْدَم: اللحم الكثير الثقيل. والرذايا: جمع رذيّة: المرأة المهزولة. ورُزَّم: جمع رازم: الثابت على الأرض الذي لا يستطيع القيام لضعفه.
(٥) أن يستلحقوه: أن ينسبوه إلى أنفسهم.
(٦) لائقاً: لاصقاً.
(٧) والدَّعِيّ اللاحق: المتّهم في نسبه.

الفرزدقَ وهو يَرَى أنه سيُنْشِدُه مديحاً له، فأنشده قولَه يفتخر: [الطويل]

وركْبٍ كأنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عِنْدَهُمْ ... لها تِرَةً مِنْ جَذْبِها بالعَصَائِبِ[1]

سَرَوْا يَرْكَبُون الرِّيحَ وهي تَلُفُّهم ... على شُعَبِ الأكْوَارِ مِنْ كلِّ جانبِ[2]

إذا ٱسْتَوْضَحُوا ناراً يقولون لَيْتَها ... وقد خَصِرَتْ أيديهم نارُ غَالِبِ[3]

قال: وعِمَامتُه على رأسِه مثلُ المِنْسَفِ[4]؛ فغَاظَ سليمانَ وكَلَحَ في وجهه، وقال لِنُصَيب: قُمْ فأَنشِدْ مَوْلاك وَيْلَكَ! فقام نُصَيب فأنشده قوله: [الطويل]

أَقُولُ لِرَكْبٍ صَادِرِينَ لَقِيتُهم ... قِفَا ذاتِ أَوْشَالٍ ومَوْلاكَ قارِبُ[5]

قِفُوا خَبِّروني عن سليمانَ إنّني ... لِمَعْرُوفِهِ مِنْ أهلِ وَدَّانَ طالبُ

فعَاجُوا فأَثْنَوْا بالّذي أنتَ أَهْلُهُ ... ولو سَكَتُوا أَثْنَتْ عليكَ الحقائبُ[6]

وقالوا عَهِدْناهُ وكُلَّ عَشِيَّةٍ ... بأبوابِهِ مِنْ طَالِبِ العُرْفِ راكبُ

هو البَدْرُ والنَّاسُ الكَوَاكِبُ حَوْلَهُ ... ولا تُشْبِهُ البَدْرَ المُضِيءَ الكواكبُ

فقال له سليمان: أحسنتَ والله يا نُصَيب! وأمرَ له بجائزةٍ ولم يَصنَعْ ذلك بالفرزدق، فقال الفرزدقُ وقد خرجَ من عنده: [الوافر]

وخَيْرُ الشِّعْرِ أَكْرَمُهُ رِجالاً ... وشَرُّ الشّعرِ ما قال العَبِيدُ

أخبرنا الحَرَميُّ قال: حَدَّثنا الزُّبَير قال: حَدَّثني عبدُ الرّحمٰن بنُ عبد الله الزُّهْريّ عن عَمِّه موسى بن عبد العزيز قال: حَمَلَ عبدُ العزيز بنُ مروان النُّصَيبَ بالمُقَطَّم (مقطَّم مصرَ) على بُخْتِيٍّ[7] قد رَحَلَه بِغَبِيطٍ[8] فوقَه، وألبسه مُقَطَّعاتِ[9] وَشْيٍ، ثمّ أمَرَه أن يُنْشِدَ؛ فاجتمعَ حولَهُ السُّودَان وفَرِحُوا به، فقال لهم: أَسَرَرْتُكم؟ قالوا: إي واللَّهِ. قال: واللَّهِ لَمَا يَسُوءُكم من أهلِ جِلْدَتِكُمْ أكثرُ.

---

(١) وَتَر: وَتْراً وتِرَةً: نقصه حقَّه أو ظلمه. والعصائب: العمائم.

(٢) شُعب الخيل والإبل: رؤوسها. والأكوار: جمع الكور: الجماعة الكبيرة من الإبل أو القطيع.

(٣) استوضحوا ناراً: شاهدوها من بعيد، وخصرت: بردت.

(٤) المنسف: الغربال الكبير.

(٥) صادرين: راجعين عن الماء. والأوشال: جمع الوَشَل: الماء القليل. والقارب: طالب الماء.

(٦) الحقائب: ما يُحمل وراء الرَّحْل.

(٧) البخت: الإبل الخراسانية.

(٨) والغبيط: الرَّحْل الذي يُشَدّ عليه الهودج وهو للنساء.

(٩) المقطّعات: ثياب كالجباب من الخزّ.

[جرير يعترف بشاعرية النصيب والنصيب ينشد هشام بن عبد الملك مراثي بني أميّة]

أخبرنا أبو خَلِيفَةَ عن محمد بن سَلاَّم قال: حَدَّثني أبو العَرَّافِ قال: مَرَّ جَرِيرٌ بنصيب وهو يُنْشِدُ، فقال له: اذهَبْ فأنتَ أشعرُ أهلِ جِلْدتِك. قال: وجِلْدتِكَ يا أبا حَزْرَةَ.

أخبرنا الحُسَين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه قال: حَدَّثني أَيُّوبُ بن عَبَايَة قال: بلغني أنّ النُّصَيبَ كان إذا قَدِمَ على هِشَام بن عبد الملك أَخلَى له مَجلِسَهُ وٱستَنشَدَه مَرَاثِيَ بني أُميَّة، فإذا أنشَدَهُ بكى وبكى معه. فأنشده يوماً قصيدةً له مدحه بها، يقول فيها: [الطويل]

إذا ٱسْتَبَقَ النَّاسُ العُلاَ سَبَقْتَهُمُ　　　يَمِينُكَ عَفْواً ثم صَلَّتْ شِمَالُهَا[1]

فقال له هِشَامٌ: يا أَسْودُ، بلغتَ غايةَ المَدْحِ فسَلْنِي. فقال: يَدُكَ بالعطيَّةِ أجودُ وأبسطُ من لساني بِمسألتِكَ. فقال: هذا واللهِ أحسنُ من الشِّعرِ، وحَبَاه وكَسَاه وأحسنَ جائزتَه.

[النصيب يعتق ذوي قرابته]

أخبرني الحُسَين بن يَحْيى قال: أخبرنا حَمَّاد بن إسحاقَ عن أبيه عن أَيُّوبَ بن عَبَايَة قال: أصابَ نُصيبٌ من عبدِ العزيزِ بنِ مَرْوان معروفاً، فكتَمَهُ ورجعَ إلى المدينةِ في هيئة بَذَّةٍ[2] فقالوا: لم يُصِبْ بِمدحِهِ شيئاً فمكَثَ مُدَةً، ثم ساوَم بِأمِّهِ فابتاعَها وأعتقَها، ثم ٱبتاعَ أُمَّ أُمِّه بِضعْفِ ما ٱبتاعَ به أُمَّه فأعتقها. وجاءه ابنُ خالةٍ له اسمُه سُحَيمٌ فسأله أن يُعْتِقَه، فقال له: ما مَعِي واللّهِ شيءٌ، ولكنّي إذا خرجتُ أخرجتُك معي، لعلَّ اللّهَ أن يُعْتِقَكَ. فلمّا أرادَ الخروجَ دَفَعَ غلاماً له إلى مَوْلَى سُحَيْم يَرْعَى إِبِلَهُ وأخرجَهُ معَه، فسألَ في ثَمَنِهِ فأعطاه وأَعْتَقَه. فمرَّ به يوماً وهو يَزْفِنُ[3] ويَزْمُرُ مع السُّودانِ، فأنكرَ ذلك عليه وزجَرَه. فقال له: إنْ كنتَ أعتقْتَنِي لأكونَ كما تريدُ فهذا واللّهِ ما لا يكونُ أبداً، وإن كنتَ أعتقْتَنِي لِتَصِلَ رَحِمِي

---

(١) صلت شمالها: جاءت تالية لليمين.
(٢) بَذّة: رثّة.
(٣) يزفن: يرقص.

وتَقْضِيَ حَقِّي فهذا واللَّهِ الّذي أفعَلُه هو الّذي أُريدُه، أَزْفِن وأزْمُر وأَصنعُ ما شِئتُ.
فانصرفَ النُّصَيبُ وهو يقول:

[الرجز]

إنِّـي أَرَانِـي لِـسُـحَـيْـم قـائِـلاَ إنّ سُـحَـيْـمـاً لـم يَـثِـبْـنِـي طـائِـلا
نَـسِـيـتَ إعْـمَـالـي لـكَ الـرَّواحـلاَ وضَـرْبـيَ الأبـوابَ فـيـك سَـائِـلاَ!
عـنـدَ الـمـلـوكِ أسْتَـثِـيـبُ الـنّـائـلا حـتـى إذا آنَـسْـتَ عِـتْـقـاً عَـاجِـلاَ
ولَّـيْـتَـنِـي مـنـكَ الـقَـفَـا والـكـاهِـلاَ أَخُـلُـقـاً شَـكْـسـاً ولَـوْنـاً حَـائِـلاَ(١)

[النصيب يستعجل جائزة عند عبد العزيز بن مروان]

قال إسحاق: وأبطأت جائزةُ النُّصَيب عند عبد العزيز، فقال: [الوافر]

وإنّ وراءَ ظَـهْـرِي يـابْـنَ لَـيْـلَـى أُنَـاسـاً يَـنْـظُـرونَ مـتـى أَؤُوبُ
أُمَـامَـةُ مِـنْـهُـمُ ولِـمَـا أُقِـيَـيْـهـا غَـدَاةَ الـبَـيْـنِ فـي أَثَـرِي غُـرُوبُ(٢)
تَـرَكْـتُ بِـلاَدَهـا ونَـأَيْـتُ عـنـهـا فـأشـبـهُ مـا رأيـتُ بـهـا الـسَّـلُـوبُ(٣)
فـأَتْـبِـعْ بـعـضَـنـا بـعـضـاً فـلَـسْـنـا نُـثِـيـبُـك لٰـكِـنِ الـلَّـهُ الـمُـثِـيـبُ

فعَجَّلَ جائزتَه وسَرَّحَهُ. قال إسحاق: فحَدَّثَنِي ابنُ كُنَاسة قال: لَيْلَى أُمُّ عبدِ العزيز كَلْبِيَّةٌ وبَلَغني عنه أنه قال: لا أُعطِي شاعراً شيئاً حتى يَذْكُرَها في مَدْحِي لِشَرَفِها؛ فكان الشّعراءُ يذكُرونها باسمِها في أشعارِهم.

أخبرني الحُسَين عن حَمَّاد عن أبيه عن ابنِ عَبَايَة قال: وَقَفَتْ سَوْدَاءُ بالمدينةِ على نُصَيبٍ وهو يُنْشِدُ النّاسَ، فقالتْ: بأبي أنتَ يابنَ عَمِّي وأُمِّي! ما أنت واللَّهِ عليَّ بِخِزْيٍ. فضحِكَ وقال: والله لمَنْ يُخْزِيكِ من بني عَمِّكِ أكثرُ مِمَّن يَزِينُكِ.

[نصيب يزوِّج ابنه]

قال إسحاقُ وحدَّثني ابنُ عَبَايَةَ وغيرُه أنّ ابناً لِنُصَيبٍ خَطَبَ بعد وفاة سَيِّدِه الذي أعتقه بنتاً له من أخيه، فأجابه إلى ذلك، وعَرَّفَ أباه فقال له: اجْمَعْ وُجُوهَ

---

(١) الكاهل: مقدّم أعلى الظهر مما يلي الكتفين. والخلق الشّكس: السيِّئ. والحائل: المتغيّر.

(٢) الغروب: الدموع عند خروجها من العين.

(٣) السَّلوب: الظّبية التي سُلِبَتْ ولدَها.

الحَيِّ لهذا الحال فجمَعهم. فلمّا حَضَروا أقبل نُصَيبٌ على أخي سَيِّده فقال: أَزَوَّجْتَ ٱبْنِي هذا من ابنةِ أخيك؟ قال: نعمْ. فقال لِعَبِيدٍ له سُودٍ: خُذُوا بِرِجْلِ ٱبني هذا فَجُرُّوه فاضربوه ضَرْباً مُبَرِّحاً، ففعلوا وضربوه ضرباً مُبَرِّحاً وقال لأخي سيِّده: لولا أنِّي أكرَه أذاكَ لألحقتُكَ به. ثم نظَرَ إلى شابٍّ من أشرافِ الحَيِّ، فقال: زوِّجْ هذا ٱبنةَ أخيك وعليَّ ما يُصْلِحُهما في مالي، ففعَل.

أخبرني الحَسَنُ بنُ عليّ قال: حَدَّثنا أحمدُ بن الحارث عن المدائنيّ قال: دَخَلَ نُصَيبٌ على عبد الملك فَتَغَدَّى معه، ثم قال: هل لكَ فيما نَتنادَمُ عليه؟ فقال: تُؤَمِّنُني؟ ففعل. فقال: لَوْنِي حائلٌ، وشَعْرِي مُفَلْفَلٌ[1] وخِلْقَتِي مُشوَّهَةٌ، ولم أبْلُغ ما بلغتُ من إكرامِك إيَّايَ بشرفِ أبٍ أو أُمٍّ أو عَشيرة، وإنما بَلَغْتُه بعقلي ولساني. فأَنْشُدُكَ اللَّهَ يا أميرَ المؤمنين أن تَحُولَ بَيْنِي وبين ما بلَغْتُ به هذه المنزلة منكَ، فأعفاه.

[سبب تسمية النصيب بهذا الاسم]

أخبرني أبو الحَسَن الأسَدِيّ قال: حَدَّثني محمد بن صالح بن النَّطَّاح قال بلغني عن خَلاَّد بن مُرَّة عن أبي بَكْر بن مَزْيَدٍ قال: لَقِيتُ النُّصَيبَ يوماً ببابِ هِشَام، فقلت له يا أبا محجنٍ، لِمَ سُمِّيتَ نُصَيباً، أَلِقَولك في شعرِك عاينها النّصيبُ؟ فقال: لا، ولكني وُلِدْتُ عند أهلِ بيتٍ من وَدَّانَ، فقال سَيِّدي: إيتونا لمولودِنا هذا لننظرَ إليه. فلمّا رآني قال: إنه لَمُنَصَّبُ[2] الخَلْق؛ فَسُمِّيتُ النُّصَيبَ، ثم ٱشتراني عبدُ العزيز بنُ مَرْوَان فأعتقني.

أخبرني، الحُسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه عن محمد بن كُناسة أبي يحيى الأسَدِيّ قال: قال أبو عبد الله بن أبي إسحاقَ البَصري: لَئِنْ وَلِيتُ العِرَاقَ لأَسْتَكْتِبَنَّ[3] نُصَيباً لفصاحتِه وتَخَلُّصِه إلى جَيِّدِ الكلام.

أخبرني الأَسَدِيّ قال: حَدَّثني محمد بن صالح عن أبيه عن محمد بن عبد

---

(١) مفلفل: مجعّد شديد الجعودة.

(٢) مُنَصَّب الخلق: مُسَوَّاه ومستقيمه.

(٣) أستكتبه: اتّخذه كاتباً.

العزيز الزُّهْريّ قال: حَدَّثني نُصَيبٌ قال: دَخَلْتُ على عبد العزيز بن مروان، فقال: أَنْشِدْني قولَك: [الطويل]

إذا لـم يَـكُـنْ بـيـنَ الـخَـلِـيـلَـيْـنِ رِدَّةٌ سِوى ذِكْرِ شَيْءٍ قد مضَى دَرَسَ الذِّكْرُ(١)

فقلتُ: ليس هذا لي، هذا لأبي صَخْر الهُذَلِيّ، ولَكِنِّي الذي أقول: [الطويل]

وَقَـفْـتُ بِـذِي دَوْرَانَ أَنْـشُـدُ نَـاقَـتِـي وما إنْ بها لِي مِنْ قَلُوصٍ ولا بَكْرِ(٢)

فقال لي عبدُ العزيز: لك جائزةٌ على صِدْقِ حَدِيثِكَ، وجائزةٌ على شِعْرِكَ؛ فأعطاني على صِدقِ حديثي ألفَ دينارٍ، وعلى شِعْرِي ألفَ دينار.

[أوصاف نُصَيْب الجسديّة]

أخبرني الحُسَين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه عن عثمان بن حَفْص عن أبيه قال: رأيتُ النُّصَيبَ وكان أسودَ خفيفَ العارِضَيْنِ ناتِيءَ الحَنْجَرَةِ.

أخبرني الحَرَمِيُّ بنُ أبي العَلاَء قال: حَدَّثني الزُّبَير قال: حَدَّثني إبراهيمُ بنُ يزيد السَّعْدِيّ عن جَدَّتِهِ جَمَال بنتِ عَوْن بن مُسْلم عن أبيها عن جَدِّها قال:

رأيتُ رجلاً أسودَ مع امرأةٍ بيضاءَ، فجعَلْتُ أعْجَبُ من سَوَادِهِ وبياضِها، فدنوتُ منه وقلتُ: مَنْ أنتَ؟ قال: أنا الّذي أقولُ: [الطويل]

ألا لَيْتَ شِعْرِي ما الّذي تُحْدِثِينَ بي غـداً غُرْبـةَ الـنَّـأْيِ الـمُـفَـرِّقِ والـبـعـدِ
لَـدَى أُمِّ بَـكْـرٍ حـيـنَ تَـقْـتَـرِبُ الـنَّـوَى بنا ثـم يَـخْـلُـو الكاشحونَ بـها بَـعْـدِي
أَتَـصْـرِمُـنِـي عِـنْـدَ الأُلَـى هُـمْ لـنـا الـعِـدَا فَـتُـشْـمِـتَـهُـمْ بي أم تَـدُومُ عـلـى الـعَـهْـدِ

قال: فصاحتْ: بل والله تَدُومُ على العهدِ، فسألتُ عنهما فقيلَ: هذا نُصَيبٌ، وهذه أُمُّ بكر.

[عبد الله بن جعفر يسخو في عطائه لِلنُّصَيْب]

أخبرني أبو الحَسَن الأسدِيّ قال: حَدَّثنا محمد بن صالح بن النَّطَّاح قال: حَدَّثني أبو اليَقْظَان عن جُوَيْرِيَةَ بنِ أسماءَ قال: أتى النُّصَيبُ عبدَ الله بن جعفر فحمَلَهُ

---

(١) الرِّدّة: البقيّة. ودرس: امّحى وذهب.

(٢) القَلوص من النّوق: الشّابة. والبَكْر: الفتي من الإبل.

وأعطاه وكَسَاه. فقال له قائل: يا أبا جَعْفَر، أَعْطَيْتَ هذا العبدَ الأسودَ هذه العَطَايا! فقال: واللَّهِ لَئِنْ كانَ أسودَ إنَّ ثناءَه لأبيضُ، وإنّ شِعْرَه لَعَرَبِيٌّ، ولقد ٱسْتَحَقَّ بما قال أكثرَ مِمَّا نالَ. وما ذاك! إنما هي رَوَاحِلُ تُنْضَى[1]، وثيابٌ تَبْلَى، ودراهمُ تَفْنَى، وثناءٌ يَبْقَى، ومدائحُ تُرْوى!

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه عن المَدَائِنِيّ قال: قال أبو الأَسْوَد: امتدحَ نُصَيبٌ عبدَ الله بنَ جَعْفَر وذكَر مثلَه.

أخبرني الحَسَن بن عليٍّ قال: حَدَّثنا الخَرَّاز عن المَدَائِنِيّ قال: قِيلَ لنُصيبٍ: إنّ هاهنا نِسْوَةً يُرِدْنَ أَنْ يَنْظُرنَ إليكَ ويَسْمَعْنَ منكَ شِعْرَكَ. قال: وما يَصْنَعْنَ بي! يَرَيْنَ جِلدةً سوداءَ وشَعَراً أبيضَ، ولكن لِيَسْمَعْنَ شِعْرِي من وراءِ سِترٍ.

أخبرني الحُسَين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه عن عثمانَ بن حَفصٍ عن رجل ذكره قال: أتانِي مُنْقِذٌ الهِلاَلِيُّ ليلاً، فضرَبَ عَلَيَّ البابَ. فقلت: مَنْ هذا؟ فقال: مُنْقِذٌ الهِلاَلِيّ. فخرجتُ إليه فَزِعاً، فقال: البُشْرَى. فقلت: وأيُّ بُشْرَى أَتَتْنِي بكَ في هذا اللَّيلِ؟ فقال: خَيْرٌ، أتاني أهلي بِدَجاجةٍ مَشْوِيَّةٍ بين رغيفين فَتَعَشَّيْتُ بها، ثم أَتَوْنِي بِقِنِّينَةٍ من نَبِيذٍ قد ٱلتقى طرفَاها صفاءً ورِقَّةً فجَعلْتُ أشربُ وأترنَّمُ بقول نُصَيب:

بِزَيْنَبَ أَلْمِمْ قبلَ أن يَظْعَنَ الرَّكْبُ

ففكَّرتُ في إنسانٍ يَفْهمُ حُسْنَه ويَعْرِفُ فَضْلَهُ، فلم أجِدْ غيرَكَ، فأتيتُكَ مُخْبِراً بذلك. فقلت: ما جاءَ بكَ إلاّ هذا؟ فقال: أَوَلاَ يَكْفِي! ثم ٱنصرفَ.

أخبرني الحُسَين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه قال: قال مَسْلَمَةُ لِنُصَيب: أنتَ لا تُحْسِنُ الهِجاءَ. فقال: بَلَى واللَّهِ، أَتُرَانِي لا أُحْسِن أن أجعَل مكانَ عَافاكَ اللَّهُ أَخْزاكَ الله؟! قال: فإنّ فلاناً قد مَدَحْتَهُ فحرَمَكَ فاهْجُهُ، قال: لا والله ما ينبغي أن أَهْجُوه، وإنما ينبغي أن أَهْجُوَ نفسِي حينَ مَدَحْتُهُ. فقال مَسْلَمةُ: هذا واللَّهِ أَشَدُّ مِنَ الهِجَاءِ.

---

(١) تُنضى: تهزل.

[النصيب يلتقي عمر بن عبد العزيز في مسجد رسول الله فينشده الشعر]

أخبرني الحُسين قال: قال حَمَّادُ: قرأتُ على أبي عن ابنِ عَبَاية عن الضَّحَّاكِ الحِزَامِيّ قال: دَخَلَ نُصَيبٌ مسجدَ رسولِ الله ﷺ، وعمرُ بن عبد العزيز رَضِيَ الله عنه يومئذٍ أميرُ المدينةِ، وهو جالسٌ بين قَبْرِ النبيّ ﷺ ومِنْبره؛ فقال: أيُّها الأميرُ، ائْذَنْ لي أَنْ أُنشِدَكَ من مَرَاثِي عبد العزيز. فقال: لا تَفْعَلْ فَتُحْزِنَنِي، ولكن أَنْشِدْنِي قولَك «قفا أَخَوَيَّ»؛ فإنّ شيطانَك كان لك فيها ناصحاً حين لقَّنكَ إيّاها. فأنشَدَه:

صوت

[الوافر]

قِـفَـا أَخَـوَيَّ إنَّ الـدَّارَ لَـيْـسَـتْ ... كـمـا كـانـتْ بِـعَـهْـدِكُـمـا تَـكُـونُ

لـيـالـيَ تَـعْـلَـمَـانِ وآلُ لَـيْـلَـى ... قَطِينُ الدَّارِ فاحْتَمَل القَطِينُ[1]

فَـعُـوجَـا فـانْـظُـرَا أَتُـبِـيـنُ عَـمَّـا ... سَـأَلْـنَـاهـا بـه أَمْ لا تُـبِـيـنُ

فَـظَـلاًّ وَاقِـفَـيْـنِ وظَـلَّ دَمْـعِـي ... عـلـى خَـدِّي تَـجُـودُ بـه الـجُـفُـونُ

فـلـولا إذ رَأَيْـتَ الـيَـأْسَ مـنـهـا ... بَدا أَنْ كِدْتَ تَرْشُقُكَ العيونُ[2]

بَـرِحْـتَ فـلـم يَـلُـمْـكَ الـنَّـاسُ فـيـهـا ... ولـم تَـغْـلَـقْ كـمـا غَـلِـقَ الـرَّهِـيـنُ[3]

في البيتين الأوّلين من هذه الأبياتِ والأخيرين لابنِ سُرَيج خَفِيفُ رَمَلٍ بالوُسْطَى عن عمرو، وفيه للغريض خَفِيفُ ثَقِيلٍ أوّل بالوُسطى عن عمروٍ ويونُس.

[قصة النصيب مع ابنة العجوز في الجحفة]

أخبرني الحُسَين عن حَمَّاد عن أبيه عن أيُّوبَ بن عَبَايَة قال: كان نُصَيْبٌ يَنْزِلُ على عَجُوزٍ بِالجُحْفَةِ إذا قَدِمَ من الشَّام، وكان لها بُنَيَّةٌ صَفْراءُ وكان يَسْتَحْلِيها، فإذا قَدِمَ وَهَبَ لها دراهمَ وثياباً وغيرَ ذلك. فقَدِمَ عليهما قَدْمةً وباتَ بهما، فلم يَشْعُرْ إلاّ بِفَتًى قد جاءَها ليلاً فركَضَها بِرِجْلِهِ[4]، فقامَتْ معه فأبطأتْ ثم عادَتْ، وعادَ إليها

(١) القطين: السكّان في الدار. واحتمل القطين: ارتحلوا.

(٢) لولا: هنا للتحضيض. وترشقك العيون: تُحِدُّ النّظرَ إليك كأنها ترميك بسهام اللَّحْظِ.

(٣) غلق الرهن: لم يقدر صاحبه على تخليصه من المرتهن في الموعد المحدد فصار ملكاً للمرتهن.

(٤) الجُحفَة: قرية كبيرة على طريق المدينة من مكّة (معجم البلدان ٢: ١١١).

(٥) ركضها برجله: ضربها برجله.

بعد ساعةٍ فركَضَها بِرِجْلِهِ فقامَتْ معه فأبطأَتْ ثم عادتْ. فلمّا أصْبح نُصَيبٌ رأى أثرَ مُعْتَرَكِهما ومُغْتَسَلِهما. فلمّا أرادَ أن يرتحلَ قالَتْ له العجوزُ وبِنتُها: بأبي أنتَ! عادتَك. فقال لها: [الطويل]

أَرَاكِ طَمُوحَ العَيْنِ مَيَّالَةَ الهوى ... لهذا وهذا مِنْكِ وُدٌّ مُلاَطِفُ

فإن تَحْمِلي رِدْفَيْنِ لا أكُ منهما ... فحُبِّيَ فَرْدٌ لَسْتُ مِمَّن يُرادِفُ

ولم يُعْطِها شيئاً ورَحَلَ.

[شعره بامرأة من ملل كان ينزل عندها]

قال أيُّوب: وكانت بِمَلَلَ[1] امرأةٌ ينزِل بها النّاسُ، فنزل بها أبو عُبَيدة بنُ عبد الله بن زَمْعَة وعِمْرانُ بن عبد الله بن مُطِيع ونُصَيب. فلمّا رحَلوا وَهَبَ لها القُرَشِيّانِ ولم يَكُنْ مع نُصَيبٍ شَيءٌ، فقال لها: اختاري إنْ شِئْتِ أن أضمنَ لكِ مثلَ ما أعطياكِ إذا قَدِمْتُ، وإن شئتِ قلتُ فيكِ أبياتاً تَنْفَعُكِ، قالت: بَلِ الشِّعرُ أحبُّ إليّ. فقال: [الطويل]

أَلاَ حَيِّ قبلَ البَيْنِ أُمَّ حَبِيبِ ... وإنْ لم تَكُنْ مِنَّا غداً بِقَرِيبِ

لَئِنْ لم يَكُنْ حُبِّيكِ حُبًّا صَدَقْتُهُ ... فما أَحَدٌ عِنْدِي إذاً بِحَبِيبِ

تَهَامٍ أَصَابَتْ قَلْبَهُ مَلَلِيَّةٌ ... غَرِيبُ الهَوَى يا وَيْحَ كُلِّ غَرِيبِ[2]

فَشَهَرها بذلك، فأصابتْ بقولِهِ ذلك فيها خيراً.

[النصيب يعاهد اللَّهَ ويَعِدُ عمر بن عبد العزيز أن لا يقول نسيباً]

قال أيُّوبُ: ودخَلَ النُّصَيْبُ على عمرَ بن عبد العزيز ـ رحمة الله عليه ـ بعد ما وَلِيَ الخلافةَ. فقال له: إيهِ يا أسودُ! أنتَ الّذي تُشَهِّرُ النِّساءَ بِنَسِيبِكَ! فقالَ: إنِّي قد تَرَكْتُ ذلك يا أميرَ المؤمنين، وعاهدتُ الله عزَّ وجلَّ ألاّ أقول نسِيباً، وشَهِدَ له بذلك مَنْ حَضَرَ وأَثْنَوْا عليه خَيْراً. فقال أمّا إذْ كان الأمرُ هكذا فَسَلْ حاجَتَكَ. فقال: بُنَيَّاتٌ لي نَفَضْتُ عليهنَّ سَوادِي فَكَسَدْنَ، أَرْغَبُ بهن عن السُّودَانِ ويَرْغَبُ

(١) مَلَل: موضع في طريق مكة بين الحرَمَين وقيل: سُمّيت بذلك لأن الماشي إليه من المدينة لا يبلغه إلا بعد جهد وملل (معجم البلدان ٥: ١٩٤).

(٢) تَهَامٍ: نسبة إلى تِهامة. والنسب إلى تهامة: تهامي وتهامٍ على غير قياس.

عنهنَّ البِيضَانُ. قال: فَتُريدُ ماذا؟ قال: تَفْرِضُ لهنَّ، ففعلَ. قال: ونفقةً لِطَرِيقي. قال: فأعطاه حِلْيَةَ سَيْفِهِ وكساه ثَوْبَيْه وكانا يُساوِيان ثلاثين دِرهماً.

[الكميت وذو الرّمّة ينشدان الشعر والنصيب ينقدهما]

أخبرني إسماعيلُ بنُ يونسَ قال: حدَّثنا عمرُ بن شَبَّة عن إسحاقَ المَوْصِلِيّ عن ٱبن كُنَاسةَ قال: اجتمع النُّصَيبُ والكُمَيتُ وذو الرُّمَّة، فأنشدَهما الكُمَيتُ قولَه:

هـل أنـتَ عـن طـلـبِ الأيـفَـاعِ مُـنـقَـلِـبُ[١]

حتى بلغَ إلى قوله فيها: [البسيط]

أَمْ هَـلْ ظَـعَـائِـنُ بِـالـعَـلـيـاءِ نـافِـعـةٌ وإنْ تـكَـامَـلَ فـيـهـا الأُنْـسُ والـشَّـنَـبُ[٢]

فعقَد نُصَيْبٌ واحدةً. فقال له الكُمَيت: ماذا تُحصي؟ قال: خَطأك، باعدت في القول، ما الأُنسُ مِنَ الشَّنَبِ؟ ألاَ قُلتَ كما قال ذو الرُّمة: [البسيط]

لَـمْـيَـاءُ فـي شَـفَـتَـيْـهـا حُـوَّةٌ لَـعَـسٌ وفـي الـلِّـثـاتِ وفـي أَنْـيَـابِـهَـا شَـنَـبُ[٣]

ثم أنشدهما قوله:

أَبَـــتْ هـــذه الـــنَّـــفْـــسُ إلاّ ٱدِّكَـــارا

حتى بلغَ إلى قوله: [المتقارب]

إذا مــا الــهَــجَـارِسُ غَــنَّـيْـنَـهـا تُـجَـاوِبْـنَ بِـالـفَـلَـوَاتِ الـوِبَـارا[٤]

فقال له النُّصَيبُ: والوِبَارُ لا تَسْكُنُ الفَلَواتِ. ثم أنشدَ حتى بلغَ منها:

---

(١) الأيفاع: الكواعب اللاتي شارفن البلوغ. وعجز البيت:

.... أم كيف يحسن من ذي الشَّيبةِ اللّعب

(٢) العلياء: اسم موضع ذكره النابغة في شعره (لسان العرب مادة سند). ولم يرد ذكره في معجم البلدان. والشّنب: رقّة الأسنان وبياضها وعذوبتها.

(٣) اللَّمى: اسمرار في الشفّة وهو مستحسن عند العرب. والحوّة: حمرة تضرب إلى السواد. واللّعس: سواد الشفة واللّثة في حمرة.

(٤) الهجارس: جمع الهِجْرِس: القرد والثعلب أو ولده والدب، أو هو كلّ ما يعسعس بالليل مما كان دون الثعلب وفوق اليربوع. والوِبار: جمع الوبر: دويبة صغيرة على قدر السنور غبراء أو بيضاء حسنة العينين شديدة الحياء تسكن الصحراء.

كأنّ الغُطَامِطَ من غَلْيِها أَرَاجِيزُ أَسْلَمَ تَهْجُو غِفَارا[1]

فقال النُّصَيبُ: ما هَجَتْ أَسْلَمُ غِفَاراً قَطُّ؛ فانْكَسرَ الكُمَيتُ وأمسكَ.

[قصة النصيب مع عبد الرحمن بن الضحاك والقلائص الزائدة]

أخبرني الحُسَين بن يحيى عن حَمَّاد بن إسحاقَ عن أبيه عن ٱبن الكَلْبِيّ: أنّ نُصَيْباً مَدَحَ عبدَ الرّحمنِ بنَ الضَّحَّاك بن قَيْسٍ الفِهْرِيّ، فأمرَ له بِعَشْرِ قَلاَئِصَ، وكتبَ بها إلى رَجُلَيْنِ من الأنصارِ، وٱعتذرَ إليه وقال له واللَّه ما أملِكُ إلاّ رِزْقِي، وإنّي لأَكْرَهُ أن أَبْسُطَ يدي في أموالِ هؤلاء القوم. فخرَجَ حَتَّى أتى الأَنْصَارِيَّيْن فأعطاهما الكتاب مَختوماً. فقرآه وقالا: قد أمرَ لكَ بثَمَانِ قلائصَ، ودفعا ذلك إليه. ثم عُزِلَ ووُلِّيَ مكانَه رجلٌ من بني نَصْر بن هَوَازِن، فأمرَ بأن يُتَتَبّع ما أَعْطى ٱبنُ الضَّحَّاكِ ويُرْتَجَعَ، فَوُجِدَ باسمِ نُصَيب عَشْرُ قلائص، فأمرَ بمطالبتِهِ بها. فقال: واللَّهِ ما دَفَعَ إِلَيَّ إلا ثمانيَ قَلاَئِصَ. فقال: والله ما تَخْرُجُ من الدَّارِ حتى تُؤَدِّيَ عشرَ قلائصَ أو أثمانَها، فلم يخرُجْ حتى قُبِضَ ذلك منه. فلمّا قَدِمَ على هِشام سمرَ عنده ليلةً وتذاكروا النَّصْرِيَّ، فأنشده قولَه فيه: [البسيط]

أَفِي قلائِصَ جُرْبٍ كُنَّ من عَمَلٍ أُرْدَى وتُنْزَعُ مِنْ أَحْشَائِيَ الكَبِدُ
ثَمَانياً كُنَّ في أهلي وعِنْدَهُمُ عَشْرٌ فَأَيُّ كتابٍ بعدَنا وَجَدُوا
أَخَانَنِي أَخَوَا الأنصارِ فانْتَقَصَا منها فعندَهما الفَقْدُ الّذي فَقَدُوا[2]
وإنَّ عامِلَكَ النَّصْرِيَّ كَلَّفَنِي في غيرِ نَائرةٍ دَيْناً له صَعَدُ[3]
أَذَنْبَ غَيرِي، ولم أُذْنِبْ، يُكَلِّفُني أم كيفَ أُقْتَلُ لا عَقْلٌ ولا قَوَدُ[4]

قال: فقال هشَام: لا جَرَمَ واللَّهِ، لا يَعْمَلُ لي النَّصْرِيُّ عملاً أبداً، فكتبَ بِعَزْلِهِ عن المدينةِ.

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال: أخبرنا الزُّبَير بن بَكّار إجازةً عن

(١) الغُطامط: صوت غليان القِدْر. وأسلم وغِفار: قبيلتان.

(٢) الفَقد: المفقود.

(٣) النّائرة: الحقد والعداوة. والصَّعَد: الصّعود.

(٤) القَوَد: القصاص.

هارونَ بنِ عبد الله الزُّبَيريّ عن شيخ من الجَفْرِ[1] قال: قَدِمَ علينا النُّصَيبُ فجلَسَ في هذا المجلسِ وأومأ إلى مَجْلِسٍ حِذَاءَهُ، فاستنشدْنَاه، فأنشدَنا قولَه: [الطويل]

أَلاَ يا عُقَابَ الوَكْرِ وَكْرِ ضَرِيَّةٍ سَقَتْكَ الغَوَادِي من عُقَابٍ ومن وكْرِ
تَمُرُّ اللّيالي ما مَرَرْنَ ولا أَرَى مُرُورَ اللّيالي مُنْسِياتي ٱبنةَ النَّضْرِ
وَقَفْتُ بِذِي دَوْرَانَ أَنْشُدُ نَاقَتِي ومالي لَدَيْها مِنْ قَلُوصٍ ولا بَكْرِ
وما أَنْشُدُ الرُّغْيَانَ إلاّ تَعِلَّةً بِواضِحةِ الأنيابِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ
أَمَا والَّذي نَادَى مِنَ الطُّورِ عَبْدَهُ وعَلَّمَ أيَّام المَنَاسِكِ والنَّحْرِ[2]
لقد زَادَنِي لِلجَفْرِ حُبًّا وأَهْلِهِ لَيَالٍ أَقَامَتْهُنَّ لَيْلَى على الجَفْرِ

[النصيب يصف ابنة عم له نوبية]

أخبرني الحَرَمِيُّ قال: حَدَّثنا الزّبير قال: أخبرني عمرُ بن إبراهيم السَّعْدِيّ عن يوسفَ بنِ يعقوبَ بن العَلاء بنِ سُليمانَ عن سَلَمَة بن عبد الله بن أبي مَسْرُوح قال: قال عبد الملك بنُ مَرْوَانَ لِنُصَيبٍ أَنْشِدْنِي؛ فأنشدَه قصيدَتَه الّتي يقول فيها:

[البسيط]

ومُضمَرِ الكَشْحِ يَطْوِيهِ الضَّجِيعُ به طَيَّ الحَمَائِلِ لا جَافٍ ولا فَقِرُ[3]
وَذِي رَوَادِفَ لا يُلْفَى الإزارُ بها يُلْوَى ولو كان سَبْعاً حين يَأْتَزِرُ

فقال له عبد الملك: يا نُصَيبُ، مَنْ هذه؟ قال: بنتُ عمٍّ لي نُوبِيّةٌ، لو رأيتَها ما شَرِبْتَ من يَدِها الماءَ. فقال له: لو غيرَ هذا قلتَ لَضَرَبْتُ الذي فيه عيناكَ.

[يمدح عبد العزيز بن مروان]

أخبرني محمدُ بن خَلَف بن المَرْزُبَان قال: حَدَّثنا الحارثُ بن محمد بن أبي أُسامَةَ قال: حَدَّثنا المَدَائِنيُّ قال: كان عبد العزيز بنُ مَرْوَانَ اشترى نُصَيباً وأهلَه

---

(١) الجَفْر: موضع بناحية ضرية من نواحي المدينة (معجم البلدان ٢: ١٤٦). وضَرِيَّة: قرية في طريق مكة من البصرة ونجد (معجم البلدان ٣: ٤٥٧).

(٢) الطّور: جبل بالقرب من مصر أو هو الجبل المشرف على نابلس أو هو جبل مطلّ على طبريّة الأردن (معجم البلدان ٤: ٤٧).

(٣) الكشح: ما بين الخاصرة والضّلوع. والفَقِر: المشتكي من فقاره من كسر أو مرض.

وولدَه فأعتَقهم، وكان نُصَيبٌ يرحَلُ إليه في كلِّ عامٍ مُستميحاً[١]، فيُجيزُه ويُحْسِنُ صِلَتَهُ. فقال فيه نُصَيبٌ: [الوافر]

يقولُ فيُحْسِنُ القَوْلَ ٱبنُ لَيْلَى ... ويَفْعَلُ فوقَ أحْسَنِ ما يَقُولُ
فَتًى لا يَرْزَأُ الخُلاَّنَ إلاَّ ... مَوَدَّتَهُمْ ويَرْزَؤُهُ الخَلِيلُ[٢]
فَبَشِّرْ أهلَ مِصْرَ فقدْ أتاهُمْ ... مَعَ النِّيلِ الَّذي في مِصْرَ نِيلُ

[شاعر من أهل الحجاز يهجو النصيب والنصيب يرفق أن يردّ الهجاء]

أخبرني هاشم بن محمد بن هارون بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ أبو دُلَف قال: حَدَّثنا عبد الرّحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عَمِّه قال: كان نُصَيْبٌ يُكْنَى أبا الحَجْنَاءِ، فهجاه شاعرٌ من أهل الحجازِ فقال: [الطويل]

رَأيتُ أبا الحَجْنَاءِ في النَّاسِ حائِراً ... ولَوْنُ أبي الحَجْنَاءِ لَوْنُ البَهَائِمِ
تَراهُ على ما لاَحَهُ مِنْ سَوَادِهِ ... وإن كانَ مَظلُوماً لهُ وَجْهُ ظالِمِ

فقيلَ لِنُصَيْبٍ: ألاَ تُجِيبُه! فقالَ: لا، ولو كنتُ هاجياً لأحدٍ لأَجَبْتُهُ، ولكن الله أوصَلني بهذا الشّعر إلى خير، فجعلتُ على نفسي ألاَّ أقولَهُ في شَرٍّ، وما وَصفني إلا بِالسّوادِ وقد صَدَقَ، أفلا أُنْشِدُكُم ما وصفتُ به نفسي؟ قالوا: بلى. فأنشدَهُمْ قولَه:

[الكامل]

ليس السَّوادُ بِناقِصي ما دامَ لي ... هذا اللِّسَانُ إلى فؤادٍ ثَابِتِ
مَنْ كَانَ تَرْفَعُهُ مَنَابِتُ أصْلِهِ ... فَبُيوتُ أشْعَاري جُعِلْنَ مَنَابِتي
كم بينَ أسودَ ناطِقٍ بِبَيانِهِ ... ماضِي الجَنانِ وبين أبيضَ صامتِ
إنّي لَيَحْسُدُنِي الرَّفِيعُ بِنَاؤُه ... مِنْ فَضْلِ ذَاكَ وليسَ بي مِنْ شامِتِ

ويُرْوى مكان «من فضل ذاك»، «فضل البيان» وهو أجود.

أخبرني عَمِّي ومحمد بن خَلَفٍ قالا: حَدَّثنا عبد الله بن أبي سَعْد قال: حَدَّثني سَعيد بن يحيى الأُمَويّ قال: حَدَّثِني عَمِّي عن محمد بن سعد قال: قال قائلٌ

(١) المستميح: طالب العطاء.
(٢) رَزَأَ الخلاّنَ: كلّفهم ما فوق طاقتهم.

لِلنُّصَيب: أيُّها العَبْدُ. ما لَكَ ولِلشِّعْرِ! فقال: أمّا قولُكَ عَبْدٌ فما وُلِدْتُ إلاّ وأنا حُرٌّ، ولكنّ أهلي ظَلَموني فباعوني. وأمّا السَّوَادُ فأنا الّذي أقول: [الوافر]

وإنْ أكُ حَالِكاً لَوْنِي فَإنِّي ... لِعَقْلٍ غيرِ ذِي سَقَطٍ وِعَاءُ
ومَا نَزَلَتْ بِيَ الحَاجَاتُ إلاّ ... وفي عِرْضِي مِنَ الطَّمَعِ الحَيَاءُ

[شعر النصيب بجارية سقته ماءً يصيبها بخيرٍ كثير]

أخبرني محمدُ بن مَزْيَد قال: حَدَّثنا حَمَّاد عن أبيه قال: حُدِّثْتُ عن السَّدُوسِيّ قال: وَقَفَ نُصَيْبٌ على أبياتٍ فاسْتَسْقَى ماءً، فخرجَتْ إليه جاريةٌ بِلبنٍ أو ماءٍ فسَقَتْهُ، وقالَتْ: شَبِّبْ بي. فقال: وما اسْمُكِ؟ فقالت: هِندٌ. ونظرَ إلى جبلٍ وقال: ما اسْمُ هذا العَلَم؟ قالت: قَناً[1]. فأنشأ يقول: [الطويل]

أُحِبُّ قَناً مِنْ حُبِّ هِنْدٍ ولم أكُنْ ... أُبَالِي أقُرْباً زَادَهُ اللَّهُ أمْ بُعْدَا
ألاَ إنَّ بِالقِيعانِ من بطْنِ ذِي قَناً ... لنا حَاجَةً مَالَتْ إليه بنا عَمْدَا
أرُونِي قَناً أنْظُرْ إليه فَإنَّنِي ... أُحِبُّ قَناً إنِّي رَأيْتُ بِهِ هِنْدَا

قال: فشاعَتْ هذه الأبياتُ، وخُطِبَتْ هذه الجاريةُ مِنْ أجلِها، وأصابَتْ بقول نُصيب فيها خيراً كثيراً.

[زواجه من جاريةٍ عَيَّرَتْه بلونه]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعِيّ قال: حَدَّثنا عيسى بن إسماعيلَ بن نَبِيه قال: حَدَّثنا محمد بن سَلاَّم قال: دخَلَ نُصَيْبٌ على يزيدَ بنِ عبد الملك، فقال له: حَدِّثْني يا نُصَيبُ ببعضِ ما مَرَّ عليك. فقال: نعمْ، يا أميرَ المؤمنين! عُلِّقْتُ جاريةً حمراءَ، فَمَكَثْتُ زماناً تُمَنِّيني بِالأباطيلِ، فلمّا أَلْحَحْتُ عليها قالَتْ: إليكَ عَنِّي؛ فواللَّهِ لَكَأنَّكَ مِنْ طَوَارِقِ اللَّيل[2]. فقلتُ لها: وأنتِ واللَّهِ لَكَأنَّكِ من طوارِقِ النَّهَارِ. فقالت: ما أظرفَكَ يا أسودُ! فغاظَني قَوْلُها، فقلتُ لها: هل تَدْرِينَ ما الظَّرْفُ؟ إنّما الظَّرْفُ العَقْلُ. ثم قالت لي: انْصرِفْ حتَّى أنظرَ في أمرِكَ. فأرسلْتُ إليها هذه الأبياتَ: [الوافر]

---

(١) قَناً: جبل لبني مُرَّة من فزارة (معجم البلدان ٤: ٣٩٩).
(٢) طوارق اللّيل: مصائبه وأحداثه المفاجئة.

فَإنْ أَكُ حَالِكاً فَالمِسْكُ أَحْوَى وما لِسَوَادِ جِلْدِي من دَواءِ[١]
ولي كَرَمٌ عَنِ الفَحْشاءِ نَاءٍ كَبُعْدِ الأرضِ مِنْ جَوِّ السَّماءِ
ومِثْلِي في رِجَالِكُمُ قليلٌ ومِثْلُكِ ليس يُعْدَمُ في النِّساءِ
فإنْ تَرْضَيْ فَرُدِّي قَوْلَ رَاضٍ وإنْ تأبَيْ فنحنُ على السَّوَاءِ

قال: فلما قَرَأَتِ الشِّعْرَ قالت: المالُ والشِّعرُ يأتيانِ على غيرهما، فتزوَّجَتْني.

[الأصمعي ينشد شعراً لِلنُّصَيْب]

أخبرنا هاشم بن محمد قال: حَدَّثنا الرِّيَاشيّ قال: أَنشَدَنَا الأصمعيُّ لِنُصَيْبٍ وكان يَسْتَجِيدُ هذه الأبياتَ ويقول إذا أنشدَها: قاتلَ اللَّهُ نُصَيْباً ما أَشْعَرَهُ! [الطويل]

فإنْ يَكُ من لَونِي السَّوادُ فإنَّني لَكالمِسكِ لا يَرْوَى مِنَ المِسْكِ ذَائِقُهْ
وما ضَرَّ أثوابي سَوادِي وتَحْتَها لِباسٌ مِنَ العَلْياءِ بِيضٌ بَنَائِقُهْ[٢]
إذا المَرءُ لم يَبْذُلْ مِنَ الوُدِّ مِثْلَ ما بَذَلْتُ له فَاعْلَمْ بِأَنِّي مُفَارِقُهْ

[النّصيب أشعر أهل جِلْدَتِه]

أخبرني الفَضْل بن الحُبَاب أبو خَلِيفة قال: حَدَّثنا محمّد بن سَلاَّم عن خَلَفٍ: أنّ نُصَيْباً أنشَدَ جَرِيراً شيئاً من شِعْرِهِ، فقال له: كيف تَرَى يا أبا حَزْرَةَ؟ فقال له: أنت أَشْعَرُ أهلِ جِلْدَتِكَ.

أخبرني الحَرَمِيُّ بن أبي العَلاَء قال: حَدَّثنا الزُّبَير بن بَكَّار قال: حَدَّثني محمد ابن إسماعيلَ عن عبد العزيز بن عِمْرَانَ بنِ محمد عن المِسْوَر بنِ عبد الملك قال: قال نُصَيْب لعبدِ الرّحمن بن أَزْهَر: أنشدْتُ الوليدَ بن عبد الملك، فقال لي: أنتَ أَشْعَرُ أهلِ جِلْدتِك، والله ما زاد عليها! فقال لي عبدُ الرّحمن: يا أبا مِحْجَن، أَفَرَضِيتَ منه أنْ جَعَلَكَ أشعرَ السُّودَان فقطْ؟ فقال له: وَدِدْتُ واللَّهِ يابنَ أخي أنه أعطاني أكثرَ من هذا، ولكنَّه لم يفعَلْ وَلستُ بِكاذِبِكَ.

---

(١) أحوى: أشد سواداً.
(٢) البنائق: جمع البنيقة: طوق الثوب الذي يضم النحر وما حوله.

[النُّصَيْبُ يُصَنِّفُ شِعْرَه وشِعرَ معاصريه]

أخبرني محمدُ بن الحسن بن دُرَيد[1] قالَ: حَدَّثنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو عُبَيدة قال: قالَ لي محمدُ بنُ عَبْدِ رَبِّه: دَخَلْتُ مسجدَ الكوفةِ، فرأيتُ رجلاً لم أَرَ قَطُّ مثلَه ولا أَشَدَّ سواداً منه، ولا أَنْقَى ثياباً منه، ولا أَحْسَنَ زِيًّا. فسألتُ عنه، فقيل: هذا نُصَيب. فدَنَوْتُ منه فحدَّثْتُه، ثم قلتُ له: أخبِرْني عنكَ وعن أصحابِكَ. فقال: جَمِيلٌ إِمَامُنا، وعُمَرُ بن أبي ربيعة أَوْصَفُنا لِرَبَّاتِ الحِجَالِ، وكُثَيِّرٌ أَبْكَانَا على الدِّمَنِ وأَمْدَحُنا لِلملوكِ، وأمّا أنا فقد قُلْتُ ما سَمِعْتَ. فقلتُ له: إنّ النّاسَ يَزْعُمون أنّكَ لا تُحْسِنُ أن تَهْجُوَ. فضحِكَ ثم قال: أفتراهم يقولون: إنِّي لا أُحْسِن أَنْ أَمْدَحَ؟ فقلتُ: لا. فقال: أَفَمَا تَرَاني أُحْسِن أَنْ أَجْعَلَ مكان عافاكَ اللَّهُ أَخْزَاكَ اللَّهُ؟ قال: قلت بَلَى. قال: فَإِنِّي رأيتُ النَّاسَ رَجُلَيْن: إمّا رَجُلٌ لم أَسْأَلْهُ شيئاً فلا ينبغي أن أَهْجُوَهُ فأظلمَهُ، وإمّا رجلٌ سألتُهُ فمَنَعني فنفسِي كانتْ أَحَقَّ بالهجاءِ؛ إذ سَوَّلَتْ لي أن أسألَهُ وأَنْ أَطْلُبَ ما لَدَيْهِ.

[نصيب وكثير والأحوص ينزلون في مجلس امرأة من بني أمية]

أخبرني محمدُ بن خَلَفِ بن المَرْزُبان قال: حَدَّثِني عبدُ الله بنُ إسماعيلَ بن أبي عُبَيد الله كاتب المَهْديّ قال: وَجَدْتُ في كتابِ أبي بِخَطِّهِ: حَدَّثني أبو يوسفَ التُّجِيبيّ قال: حَدَّثني إسماعيلُ بنُ المختار مَوْلَى آلِ طلحةَ وكان شيخاً كبيراً قال:

حَدَّثني النُّصَيبُ أبو مِحْجَن أنّه خرَج هو وكُثَيِّر والأحوصُ غِبَّ يوم أَمْطَرَتْ فيه السَّماءُ، فقال: هل لكم في أَنْ نَرْكَبَ جميعاً فنسيرَ حتَّى نأتيَ العَقِيقَ[2] فَنُمَتِّعَ فيه أبصارَنا؟ فقالوا: نعمْ. فركبوا أفضلَ ما يَقْدِرُون عليه من الدَّوَابِّ، ولَبِسُوا أحسنَ ما يقدِرون عليه من الثّياب، وَتَنَكَّروا ثم سارُوا حتّى أَتَوُا العقيقَ، فجعلوا يَتَصَفَّحُون ويَرَوْن بعضَ ما يَشْتَهون، حتى رُفِعَ لهم سَوَادٌ عظيمٌ فأَمُّوه حتى أَتَوْه، فإذا

---

(١) محمد بن الحسن بن دريد: من أئمة اللّغة والأدب وكان من أحفظ الناس وأوسعهم علماً وأقدرهم على شعر (ت ٣٢١هـ). ترجمته في معجم الأدباء ٥: ٢٩٦.

(٢) العقيق: هو اسم لكل مسيل ماء شَقَّهُ السيل في الأرض فأنهله ووسّعه. والأعقّة في بلاد العرب كثيرة منها: عقيق عارض اليمامة وعقيق بناحية المدينة وفيه عيون ونخل وعقيق في بلاد بني عقيل وغيرها (معجم البلدان ٤: ١٣٨).

وَصَائِفُ[١] ورجالٌ من المَوالي ونساءٌ بارزاتٌ، فَسَأَلْنَهم أنْ ينزلوا، فاسْتَحْيَوْا أن يُجيبوهُنَّ من أوّلِ وَهْلةٍ، فقالوا: لا نستطيعُ أو نَمْضِيَ في حاجةٍ لنا. فَحَلَّفْنَهُمْ أنْ يَرْجِعُوا إليهنّ، ففعلوا وأَتَوْهنَّ، فَسَأَلْنَهم النّزولَ فنزلوا. ودَخَلَتِ امرأةٌ من النّساءِ فاستأذنتْ لهم، فلم تلبثْ أنْ جاءَتِ المرأةُ فقالت: ادخلوا. فدخَلْنا على امرأةٍ جميلةٍ بَرْزةٍ على فُرُشٍ لها، فَرَحَّبَتْ وَحَيَّتْ، وإذا كراسيٌّ موضوعةٌ، فجلَسْنَا جميعاً في صَفٍّ واحدٍ كلُّ إنسانٍ على كرسيٍّ. فقالت: إن أَحْبَبْتُم أن ندعوَ بِصبيٍّ لنا فَنُصَيِّحه ونَعْرُكَ أُذنه[٢] فَعَلْنا، وإن شِئْتُم بدأنا بالغَدَاءِ. فقلنا: بل تَدْعِينَ بِالصَّبِيِّ ولن يفوتَنا الغَدَاءُ. فأومأتْ بيدِها إلى بعضِ الخَدَم، فلم يَكُنْ إلا كلاَ ولاَ[٣] حتَّى جَاءَتْ جاريةٌ جميلةٌ قد سُتِرَتْ بِمُطْرَفٍ[٤]، فأمْسَكُوه عليها حتى ذَهَب بُهْرُها[٥]، ثم كُشِفَ عنها وإذا جاريةٌ ذاتُ جمالٍ قريبةٌ من جَمالِ مَوْلاتِهَا، فَرَحَّبَتْ بهم وحَيَّتْهم، فقالَتْ لها مولاتُها: خُذِي ـ وَيْحَك! ـ من قول النُّصَيْب عافَى اللَّهُ أبا مِحْجَنٍ[٦]. [الطويل]

أَلاَ هَلْ مِنَ البَيْنِ المُفَرِّقِ مِنْ بُدِّ ... وهَلْ مِثْلُ أَيَّام بِمُنْقَطَعِ السَّعْدِ[٧]

تَمَنَّيْتُ أَيَّامِي أُولئكَ، والمُنَى ... على عَهْدِ عَادٍ ما تُعِيدُ ولا تُبْدِي[٨]

فَغَنَّتْه، فجاءَتْ به كأحسنِ ما سَمِعْتُه قَطُّ بِأَحلَى لفظٍ وأشْجَى صوت. ثم قَالَتْ لها: خُذِي أيضاً من قول أبي مِحْجَن عافَى اللَّهُ أبا محجن: [الكامل]

أَرِقَ المُحِبُّ وعَادَه سَهَدُهْ ... لِطَوَارِقِ الهَمِّ التي تَرِدُهْ

وذَكَرْتُ مَنْ رَقَّتْ له كَبِدِي ... وأَبَى فليسَ تَرِقُّ لي كَبِدُهْ

لا قَوْمُهُ قَومِي ولا بَلَدِي ... ـ فَنَكُونَ حِيناً جِيرةً ـ بَلَدُهْ

وَوَجَدْتُ وَجْداً لم يَكُنْ أَحَدٌ ... قَبْلِي مِنَ اجْلِ صَبابَةٍ يَجِدُهْ

---

(١) الوصائف: جمع الوصيفة: الخادمة أو الجارية.

(٢) المقصود هنا العود.

(٣) كلا ولا: وهي تعني تقليل مدة فعل أو ظهور شيء خَفِيّ..

(٤) المِطْرَف: رداء من خَزٍّ مربع له أعلام.

(٥) ذهب بُهرها: هدأ روعها واطمأنّت.

(٦) المعنى: خذي العودَ ويحكِ وغَنِّي من قول النّصيب.

(٧) السّعد: موضع قريب من المدينة أو هو جبل بالحجاز بينه وبين الكديد ثلاثون ميلاً (معجم البلدان ٣: ٢٢١) ومُنقطع المكان: حيث ينقطع وينتهي.

(٨) ما تعيد ولا تبدي: لا نفع فيها.

هِـنْـدٌ فَـقَـاتَ بِـنَـفْـسِـهِ كَـمَـدُهْ — إلاَّ ٱبـنُ عَـجْـلاَنَ الّـذي تَـبَـلَـتْ[١]

قال: فجاءَتْ به أحسنَ من الأوّلِ، فَكِدْتُ أطِيرُ سروراً. ثم قالَتْ لها: وَيْحَكِ! خُذِي من قول أبي مِحْجَن عافَى اللّهُ أبا مِحْجَن: [الطويل]

فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ تَمَتَّعْتُ طُولَهُ — وهلْ طَائِفٌ مِنْ نائمٍ مُتَمَتِّعُ

نَعَمْ إنَّ ذَا شَجْوٍ متى يَلْقَ شَجْوَهُ — ولو نائِماً مُسْتَعْتِبٌ أو مُوَدِّعُ[٢]

له حاجةٌ قد طَالَمَا قد أَسَرَّها — مِنَ النَّاسِ في صَدْرٍ بها يَتَصَدَّعُ

تَحَمَّلَها طُولَ الزَّمَانِ لَعَلَّها — يكونُ لها يوماً مِنَ الدَّهرِ مَنْزَعُ[٣]

وقد قُرِعَتْ في أُمِّ عَمْرٍو ولِيَ العَصَا — قديماً كما كانَتْ لِذِي الحِلْمِ تُقْرَعُ[٤]

قال: فجاءتْ واللّهِ بشيءٍ حَيَّرني وأذْهَلني طَرَباً لِحُسنِ الغناءِ وسُروراً باختيارِها الغناءَ في شِعْري، وما سَمِعْتُ فيه من حُسنِ الصَّنعةِ وجُودَتِها وإحكامِها. ثمّ قالَتْ لها: خُذي أيضاً من قول أبي مِحجنٍ، عافى الله أبا محجن: [البسيط]

يا أيُّها الرَّكْبُ إنّي غيرُ تابِعِكُمْ — حتى تُلِمُّوا وأَنْتُمْ بِي مُلِمُّونا

فَمَا أَرَى مِثْلَكُمْ رَكْباً كَشَكْلِكُمُ — يَدعوهُمُ ذُو هَوًى إلاَّ يَعُوجُونا[٥]

أَمْ خَبِّرُونيَ عن دائي بِعِلْمِكُمُ — وأَعْلَمُ النَّاسِ بِالدَّاءِ الأَطَبُّونَا[٦]

قال نُصيب: فواللّهِ لقد زُهِيتُ بما سَمِعْتُ زَهْواً خَيَّلَ إِلَيَّ أنّي من قُريشٍ، وأنّ الخلافةَ لي. ثم قالت: حَسْبُكِ يا بُنَيَّة! هاتِ الطَّعامَ يا غلامُ! فوَثَبَ الأحوصُ وكُثَيِّرٌ وقالا: واللّهِ لا نَطْعَمُ لكِ طعاماً ولا نَجلِسُ لكِ في مَجلِسٍ؛ فقد أَسَأْتِ عِشْرَتَنا وٱسْتَخْفَفْتِ بنا، وقَدَّمْتِ شِعْرَ هذا على أشعارِنا، وٱسْتَمَعْتِ الغناءَ فيه، وإنّ في أشعارِنا لَمَا يَفْضُلُ شِعْرَه، وفيها مِنَ الغناءِ ما هو أحسنُ من هذا. فقالت: على معرفةِ كلُّ ما كان مِنّي، فأيُّ شِعْرِكُما أفضلُ مِنْ شِعْرِه؟ أقولُك يا أحوصُ: [الطويل]

---

(١) ابن عجلان: شاعر معروف ترد أخباره في الأغاني. وتبلته هند: ذهبت بعقله من الحبّ. وفات كَمَدُه بنفسه: أي أهلكها.

(٢) ذو الشَّجْو: صاحب الهمّ والحزن. وشجوه: حبيبه.

(٣) المنزع: النزوع إلى الغاية أي الحنين والشوق إليها.

(٤) يشير إلى المثل المعروف «إن العصا قرعت لِذي الحِلم» ويُضربُ لمن إذا نُبِّهَ انتبه.

(٥) يعوج إلى المكان: يعطف إليه ويميل.

(٦) الأطَبّون: البارعون في الطّبّ.

يَـقَـرُّ بِـعَـيْـنِـي مـا يَـقَـرُّ بِـعَـيْـنِـهـا وأَحْـسَـنُ شَـيءٍ مـا بِـهِ الـعَـيْـنُ قَـرَّتِ

أو قولُك يا كُثَيِّر في عَزَّةَ: [الطويل]

ومـا حَـسِـبَـتْ ضَـمْـرِيَّـةٌ جُـدَوِيَّـةٌ سِوَى التَّيْسِ ذِي القَرْنَيْنِ أَنَّ لها بَعْلاَ[١]

أم قولُك فيها: [الوافر]

إذا ضَـمْـرِيَّـةٌ عَـطَـسَـتْ فَـنِـكْـهَـا فَـإِنَّ عُـطَـاسَـهـا طَـرَفُ الـسِّـفَـادِ[٢]

قال: فخرجا مُغْضَبَيْنِ وأَحْتَبَسَتْنِي، فَتَغَدَّيْتُ عِندَها، وأمرتْ لي بثلثمائة دينارٍ وحُلَّتَيْن وطِيبٍ، ثم دَفَعَتْ إِلَيَّ مائتي دينارٍ وقالت: ٱدْفَعْها إلى صاحِبَيْكَ؛ فإن قَبِلاَها وإلاّ فهي لكَ. فأَتَيْتُهما منازِلَهما فأخبرتُهما القِصَّةَ. فأمّا الأحوصُ فقَبِلَها، وأمّا كُثَيِّرٌ فلم يَقبلْها، وقال: لَعَنَ اللَّهُ صاحِبَتَكَ وجائزتَها ولَعَنَكَ معها! فأخذتُها وٱنصرفْتُ. فسألتُ النُّصَيبَ: مِمَّنِ المرأةُ؟ فقال: من بَنِي أُمَيَّةَ ولا أذكر ٱسْمَها ما حَيِيتُ لأَحَدٍ.

[نُصيب يرثي عبد العزيز بن مروان وينشد الشّعر لعبد الملك]

أخبرني عيسى بن يحيى الورّاق عن أحمدَ بن الحارث الخرّاز قال: حَدَّثنا المَدَائِنِيّ قال: وقعَ الطَّاعُونُ بِمِصْرَ في ولايةِ عبد العزيز بن مروانَ إِيَّاها، فخرجَ هارباً منه فنزَلَ بقريةٍ مِنَ الصَّعِيدِ يقال لها «سُكَرُ»[٣]، فقَدِمَ عليه حينَ نَزَلَها رسولٌ لِعبدِ الملكِ، فقال له عبدُ العزيز: ما ٱسْمُكَ؟ فقال: طالبُ بن مُدْرِك. فقالَ: أَوْهْ، ما أُرَانِي راجعاً إلى الفُسْطَاطِ أبداً! ومات في تلك القرية. فقال نُصَيْبٌ يَرْثيه:

[المنسرح]

أُصِـبْـتُ يـومَ الـصَّـعِـيـدِ مِـنْ سُـكَـرٍ مُـصِـيـبَـةً لـيـسَ لـي بِـهـا قِـبَـلُ

تَـالـلَّـهِ أَنْـسَـى مُـصِـيـبَـتـي أَبَـداً مـا أَسْـمَـعَـتْـنِـي حَـنِـيـنَـهـا الإِبِـلُ[٤]

ولا الـتَّـبَـكِّـي عـلـيـه أَعْـوِلُـهُ كُـلُّ الـمُـصِـيـبَـاتِ بَـعْـدَهُ جَـلَـلُ

لـم يَـعْـلَـمِ الـنَّـعْـشُ مـا عـلـيـه مـن الـ ـعُـرْفِ ولا الـحـامـلـون مـا حَـمَـلُـوا[٥]

---

(١) ضمريّة جدويّة: نسبة إلى جُدَيّ بن ضمرة بن بكر من كنانة.

(٢) السِّفاد: نَزْوُ الذَّكَر على الأنثى.

(٣) سُكَر: موضع بشرقية الصّعيد بينه وبين مصر يومان (معجم البلدان ٣: ٢٣٠).

(٤) تالله: أي تالله لا أنسى مصيبتي و(لا) يجوز حذفها إذا كان المنفيّ مضارعاً.

(٥) العُرْف: المعروف والجود.

حـتـى أَجَـنُّـوهُ فـي ضَـرِيـحِـهِـمُ حِينَ ٱنْتَهَى مِنْ خَلِيلِكَ الأَمَلُ(١)

غَنَّى في هذه الأبيات ابنُ سُرَيج، ولَحْنُه رَمَلٌ بالسّبّابة في مَجْرَى الوسطى عن إسحاقَ، وذكر الهِشَامِيّ أنّ له فيه لحناً من الهَزَجِ، وذكر ٱبن بانةَ أن الرَّمَل لابنِ الهِرْبِذِ.

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال: حدّثنا حَمَّادُ بنُ إسحاقَ عن أبيه عن مُصعَب الزُّبَيري عن مَشْيخةٍ من أهل الحجاز: أنَّ نُصَيباً دخَلَ على عبدِ الملك ابن مروان، فقال له: أَنْشِدْنِي بعضَ ما رَثَيْتَ به أخي؛ فأنشدَه قولَه: [الطويل]

عَـرَفْـتُ وَجَـرَّبْـتُ الأُمـورَ فـمـا أَرَى كَـمَـاضٍ تَـلاَه الـغَـابِـرُ الـمُـتَـأَخِّـر(٢)
ولـكنَّ أهلَ الفَضْلِ من أهلِ نِعْمَتِي يَـمُـرُّونَ أَسْـلافـاً أَمَـامِـي وأَغْـبُـرُ(٣)
فَـإِنْ أَبْـكِـهِ أُعْـذَرْ وإنْ أَغْـلِـبِ الأَسَـى بِصَبْرٍ فَمِثْلِي عِنْدَ ما ٱشْتَدَّ يَصْبِرُ
وكـانـت رِكَابِي كُلَّما شِئْتُ تَنْتَحِي إِلـيـكَ فَتَقْضِي نَحْبَها وهي ضُمَّرُ
تَـرَى الـوِرْدَ يُـسْـراً والـثَّـوَاءَ غَـنِـيـمـةً لَدَيْكَ وتُثْنَى بِالرِّضَا حين تَصْدُرُ(٤)
فـقـد عَـرِيَـتْ بـعـدَ ٱبْـنِ لَـيْـلَـى فَـإِنَّـمـا ذُرَاهَا لِمَنْ لاَقَتْ مِنَ النَّاسِ مَنْظَرُ
ولـو كـان حَـيًّـا لـم يَـزَلْ بِـدُفُـوفِـهـا مَـرَادٌ لِـغِـرْبَـانِ الـطَّـرِيـقِ ومَـنْـقَـرُ(٥)
فـإن كُـنَّ قـد نِـلْـنَ ٱبـنَ لَـيْـلَـى فـإنَّـهُ هـو الـمُـصْـطَـفَـى مِـنْ أَهْـلِـهِ الـمُـتَـخَـيَّـرُ

فلمّا سَمِعَ عبدُ الملك قولَه:

فَـإِنْ أَبْـكِـهِ أُعْـذَرْ وإنْ أَغْـلِـبِ الأَسَـى بِصَبْرٍ فَمِثْلِي عِنْدَ ما ٱشْتَدَّ يَصْبِرُ

قال له: وَيْلَكَ! أنا كنتُ أَحَقَّ بهذه الصِّفة في أخي منكَ! فَهَلاَّ وَصَفْتَنِي بها! وجعَلَ يبكي.

[نصيب وعبد الله بن إسحاق البصري]

أخبرني محمد بن مَزْيَدَ قال: حَدَّثنا حَمَّاد بن إسحاقَ عن أبيه عن أبي يحيى

(١) أجَنّوه: واروه في التراب.
(٢) الغابر: يستعمل في الماضي والباقي، وهنا: الباقي.
(٣) الأسلاف: جمع السّالف: المتقدّم.
(٤) اليُسر: الماء الحديث العهد ساعة ينزل من المزن.
(٥) الدّفوف: جمع الدّف: صفحة الجانب.

محمد بن كُنَاسَةَ قال: قال لي عبدُ الله بن إسحاقَ البَصْرِي: لو وَلِيتُ العراقَ لاسْتَكْتَبْتُ نُصَيباً. قلتُ: لماذا؟ قال: لِفَصَاحتِه وحُسْنِ تَخَلُّصِهِ إلى جَيِّدِ الكلام، أَلَمْ تسمعْ قوله: [الطويل]

فلا النَّفْسُ مَلَّتْهَا ولا العَيْنُ تنتهي ... إليها سوام الطَّرْفِ عنها فَتَرْجِعُ[1]

رَأَتْها فما تَرْتَدُّ عنها سَآمةً ... ترى بَدَلاً منها به النَّفْسُ تَقْنَعُ

[المديح يكون على قدرِ الرِّجال]

أخبرني الحَرَمِيّ عن الزُّبير عن محمد بن الحسن قال:

دخلَ نُصيبٌ على إبراهيمَ بن هِشَام فأنشدَهُ مَدِيحاً له. فقال إبراهيمُ: ما هذا بشيءٍ! أين هذا من قول أبي دَهْبَلٍ لِصَاحِبِنا ابن الأزرَق[2] حيثُ يقول: [البسيط]

إنْ تَغْدُ من مَنْقَلَيْ نَخْلاَن مرْتحِلاً ... يَرْحَلْ مِنَ اليَمَنِ المَعْرُوفُ والجُودُ[3]

قال: فَغَضِبَ نُصَيبٌ ونَزَعَ عِمَامَتَه وبرَكَ عليها، وقال: لَئِنْ تَأْتُونا بِرجالٍ مِثْلِ ابن الأَزْرَق نَأْتِكُمْ بِمِثْلِ مَدِيحِ أبي دَهْبَل أو أَحْسَنَ؛ إنَّ المديحَ واللهِ إنّما يكون على قَدْرِ الرِّجالِ. قال: فأطرقَ ابن هشام، وعَجِبُوا من إقدامِ نُصَيبٍ عليه، ومن حِلْمِ ابنِ هشامٍ وهو غَيْرُ حَليمٍ.

[نصيب وأم بكر الخزاعية]

أخبرني الحَرَمِيُّ قال: حَدَّثنا الزُّبَير قال: حَدَّثني عبد الرّحمن بن عبد الله الزُّهْريّ: أنّ نصيباً كان رُبَّما قَدِمَ من الشَّامِ فيَطْرَحُ في حِجْرِ أُمِّ بَكْرٍ الخُزَاعِيّةِ أربعَمائة دينار، وأنّ عبد الملك بنَ مَرْوان ظَهَرَ على تَعَلُّقِهِ بها ونَسِيبِهِ فيها، فنَهاه عن ذلك حتى كَفَّ.

---

(١) لعلّه يريد (سوامي الطَّرْف منها) أي النظرات التي تسمو إليها من العين فلا تملّها.

(٢) ابن الأزرق: هو عبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم، كان عاملاً لعبد الله بن الزبير على اليمن وكان أبو دهبل قد وفد عليه وهو معزول فمدحه فأعطاه مائتي ألف دينار.

(٣) منقلَيْ: مثنى منقل: هو الطريق في الجبل. ونخلان: من نواحي اليمن وقد استشهد ياقوت بالبيت (معجم البلدان ٥ : ٢٧٦).

[عندما يَعْسُرُ عليه الشعرُ]

أخبرني محمدُ بن يَزِيدَ قال: حَدَّثنا حَمَّاد بنُ إسحاقَ عن أبيه عن عثمانَ بن حَفْص الثَّقَفِيّ عن أبيه قال: رأيتُ النُّصَيبَ بالطَّائفِ، فجاءَنا وجَلَسَ في مَجْلِسِنَا وعليه قميصٌ قُوهِيٌّ ورداءٌ وحِبَرَةٌ[(١)]، فجعلَ يُنْشِدنا مَدِيحاً لابنِ هِشَام، ثم قالَ: إنّ الواديَ مَسْبَعَةٌ[(٢)]، فمَنْ أهلُ المجلِسِ؟ قالوا: ثَقِيفٌ؛ فعرَفَ أنَّا نُبْغِضُ ابنَ هِشَام ويُبْغِضُنا، فقال: إنّا لِلَّهِ! أَبَعْدَ ابنِ لَيْلَى أَمْتَدِحُ ابن جَيْداء[(٣)]! فقال له أهلُ المجلس: يا أبا مِحْجن، أتَطلُبُ القريضَ أحياناً فيعسر عليكَ؟ فقال: إي واللَّهِ لَرُبَّما فَعَلْتُ، فآمرُ بِراحلتي فَيُشَدُّ بها رَحْلِي، ثم أَسيرُ في الشِّعَابِ الخاليةِ، وأقفُ في الرِّباع المُقْوِيَة[(٤)]، فيُطْرِبُني ذلك ويُفْتَحُ لي الشِّعْرُ. واللَّهِ إنِّي على ذلك ما قُلْتُ بيتاً قطُّ تَسْتَحِي الفتاةُ الحَيِيَّة من إنشادِهِ في سِتْرِ أبيها. قال إسحاقُ: قال عثمان بن حَفص فوصفَه أبي وقال: كأنّي أراه صَدْعاً[(٥)] خفيفَ العارضَيْن ناتىءَ الحَنْجَرَةِ.

[رسالة يحملها ابن أبي عتيق]

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال: حَدَّثنا حَمَّاد عن أبيه عن محمد بن كُنَاسَة قال: أنشَد نُصَيبٌ قولَه: [الطويل]

وكِدْتُ ولم أُخْلَقْ مِنَ الطَّيْرِ إنْ بَدَا ... لها بَارِقٌ نَحْوَ الحِجَازِ أَطِيرُ

فسَمِعَهُ ابنُ أبي عَتِيق، فقال: يابنَ أُمٍّ، قُلْ «غَاقِ» فإنَّكَ تَطِير. يعني أنه غُرَابٌ أسودُ.

أخبرني الحَرَمِيُّ قال: حَدَّثنا الزُّبَير قال: أخبرني أحمد بن محمد الأسَدِيّ أَسَد قريشٍ قال: قالَ ابنُ أبي عتيق لِنُصَيْبٍ: إنّي خارجٌ، أفترسلُ إلى سُعْدَى بِشيءٍ؟ قال: نعم، بيتَيْ شعرٍ. قال: قُلْ؛ فقال: [الطويل]

أَتَصْبِرُ عن سُعْدَى وأَنْتَ صَبُورُ ... وأنتَ بِحُسْنِ الصَّبْرِ مِنْكَ جَدِيرُ

---

(١) حِبَرة: بكسر ففتح ضرب من برود اليمن.
(٢) يقال أرض مسبعة: أي تكثر فيها السباع.
(٣) جيداء: هي أم محمد بن هشام خال هشام بن عبد الملك.
(٤) المقويةمنأقوى: أي مقفرة أو خالية من ساكنيها.
(٥) الصدع: الرجل الخفيف اللحم.

وكِدْتُ ولم أُخْلَقْ مِنَ الطَّيْرِ إنْ بَدَا   سَنَى بارقٍ نحوَ الحِجَازِ أطيرُ

قال: فأنشد ٱبنُ أبي عتِيق سُعْدى البيتين، فَتَنَفَّسَتْ تَنفُّسَةً شديدةً. فقال ٱبنُ أبي عَتِيق: أوّهْ! أَجَبْتِه واللَّهِ بِأجودَ من شِعْرِهِ، ولو سَمِعَكِ خَلِيلُكِ لَنَعَقَ وطارَ إليكِ.

[نصيب يمدحُ الحَكَمَ بن المطلب]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهَيْثَم الكاتبُ قال: حَدَّثني أبو هِفَّان عن إسحاق المَوْصِليّ عن المُسَيَّبِيّ قال: قال أبو النَّجْم: أَتَيْتُ الحَكَمَ بنَ المُطَّلِب فَمَدَحْتُه، وخرجَ إلى السِّعَايةِ[1] فَخَرَجْنَا معه ومعه عِدَّةٌ من الشُّعراءِ. فبينا هو مع أصحابِهِ يوماً واقفٌ، إذا براكبٍ يُوضِعُ[2] في السَّرَابِ وإذا هو نُصَيبٌ، فتقدَّمَ إليه فمدَحَهُ فأمَرَ بِإنْزَالِهِ، فمكثَ أياماً حتى أتاه فقال: إنّي قد خَلَّفْتُ صِبْيَةً صِغَاراً وعِيَالاً ضِعافاً. فقال له: ٱدْخُلِ الحَظِيرةَ فَخُذْ منها سبعينَ فَريضةً[3]. فقال له: جَعَلني اللَّهُ فِدَاكَ قد أَحْسَنْتَ! ومعي ٱبنٌ لي أخافُ أن يَثْلِمَهَا[4] عليّ. قال: فادخُلْ فَخُذْ له سبعينَ فَريضةً أُخرى؛ فانصرفَ بمائةٍ وأربعينَ فريضةً.

أخبرنا الحَرَميُّ بن أبي العَلاَءِ عن الزُّبَيْر عن محمد بن الضَّحَّاك عن عثمانَ عن أبيه قال: قِيلَ لِنُصَيْبٍ: هَرِمَ شِعْرُكَ. قال: لا! واللَّهِ ما هَرِمَ، ولكنَّ العَطَاءَ هَرِمَ، ومَنْ يُعْطِيني مثلَ ما أعطاني الحَكَمُ بن المُطّلِب! خَرَجْتُ إليه وهو سَاعٍ على بعض صَدَقَاتِ المدينة، فلمّا رأيتُه قلتُ: [الوافر]

أبا مَرْوَانَ لَسْتَ بِخَارِجِيٍّ   وليسَ قَدِيمُ مَجْدِكَ بانْتِحَالِ[5]

أَغَرُّ إذا الرِّوَاقُ ٱنْجَابَ عنه   بَدَا مِثْلَ الهِلالِ على المِثَالِ[6]

تَرَاءَاهُ العُيُونُ كما تَرَاءَى   عَشِيَّةَ فِطْرِها وَضَحَ الهِلالِ

---

(١) السِّعاية: العمل على جمع الصدقات من مالكي النصاب وإعطائها لمستحقيها.

(٢) يوضع: يسرع في مشيه.

(٣) الفريضة: القلوص التي تكون بنت سنة، وسُمِّيت كذلك لأنها فُرِضت في خمس وعشرين من الإبل تؤخذ فيها زكاة، فهي مفروضة وفريضة.

(٤) يثلمها: يأخذ منها فينقصها.

(٥) الخارجي: الذي يخرج بنفسه ولا يكون له قِدمٌ في السيادة.

(٦) الرِّواق: سقف في مقدّم البيت (المدخل). وانجاب: انكشفَ. والمِثال: الفراش.

قال: فأعطانِي أربعمائة ضائنةٍ ومائة لَقْحَةٍ[١]، وقال: ارفَعْ فِرَاشِي؛ فرفَعْتُه فأخذْتُ من تحتِهِ مائتَيْ دينارٍ.

[نصيب وكثير عند أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة]

أخبرني عيسى بن الحُسَين الوَرَّاقُ قال: حَدَّثنا الزُّبير قال: حَدَّثني أسعدُ بن عبد الله المريّ عن إبراهيمَ بن سَعِيد بن بِشْر بن عبد الله بن عَقِيل الخَارِجِيّ عن أبيه قال: والله إنِّي لَمَعَ أبي عُبَيدةَ بن عبد الله بن زَمْعَة في حِوَاءٍ له[٢]، إذ جَاءَهُ كُثَيِّر فَحَيَّاه، فاحتَفَى به، ودعا بالغَدَاءِ فَشَرَعْنَا فيه وشَرَعَ معنا كُثَيِّر؛ وجاءَ رَجُلٌ فسلَّمَ فردَدْنا عليه السَّلامَ واَسْتَدْنَيْناه، فإذا نُصَيبٌ في بِزَّةٍ جميلةٍ قد وَافَى الحَجَّ قادماً من الشَّام، فَأَكَبَّ على أبي عُبَيدة فعانَقَهُ وسأَلَه ثم دَعَاه إلى الغَدَاءِ، فأكَلَ مع القوم، فرفَعَ كُثَيِّرٌ يَدَهُ وأقلعَ عن الطَّعامِ، وأقبلَ عليه أبو عُبَيدةَ والقومُ جميعاً يسألونه أن يأكلَ، فأبى فتركوه. وأقبلَ كُثَيِّر على نُصَيبٍ فقال: واللّهِ يا أبا مِحْجَن، إنَّ أَثَرَ أهلِ الشَّام عليك لَجَمِيلٌ، لقد رجعتَ هذه الكَرَّةَ ظاهرَ الكِبْرِ قليلَ الحَيَاءِ. فقال له نُصَيبٌ: لَكِنَّ أَثَرَ الحجازِ عليك يا أبا صَخْر غير جميل. لقد رجعتَ وإنكَ لَزَائِدُ النَّقْصِ، كثيرُ الحَمَاقةِ. فقال كُثَيِّر: أنا واللّهِ أَشْعَرُ العَرَبِ حيثُ أقول لِمَوْلاتِك:

إذا أَمْسَيتُ، بَطْنُ مُجَاحَ دُونِي ... وعَمْقٌ دونَ عَزَّةَ فالبَقِيعُ[٣]

فليس بِلاَئِمِي أَحَدٌ يُصَلِّي ... إذا أَخَذَتْ مَجَارِيَهَا الدُّمُوعُ

فقال له نُصيب: أنا والله أشعرُ منكَ حيثُ أقولُ لابنةِ عَمِّك: [الطويل]

خَلِيلَيَّ إنْ حَلَّتْ كُلَيَّةَ فالرُّبَا ... فذا أَمَجٍ فالشِّعْبَ ذا الماءِ والحَمْضِ[٤]

---

(١) اللَّقحة: الناقة الحلوب الغزيرة اللبن.

(٢) الحِواء: مجموعة البيوت المتدانية.

(٣) مُجَاح: موضع من نواحي المدينة (معجم البلدان ٥: ٥٥) وعَمْق: وادٍ من أودية الطّائف نزله رسول الله ﷺ لما حاصر الطائف (معجم البلدان ٤: ١٥٦).

(٤) كُلَيَّة: واد يأتي من شَمَنصير بقرب الجحفة وبها على ظهر الطريق ماء آبار يقال لتلك الآبار كُلَيَّة وكان نصيب يسكنها (معجم البلدان ٤: ٤٧٨). والرُّبا: موضع بين الأبواء والسّقيا من طريق الجادة بين مكة والمدينة (معجم البلدان ٣: ٢٣) وأَمَج: بلد من أعراض المدينة (معجم البلدان ١: ٢٤٩) والشّعب: اسم لجملة أماكن بين مكة والمدينة (معجم البلدان ٣: ٣٤٧). والحمض: ما ملح وأَمَرَّ من النبات.

فأصبَح من حَوْرَانَ رَحْلِي بِمَنْزِلٍ يُبَعِّدُهُ مِنْ دُونِهَا نازِحُ الأرضِ
وأَيْأَسْتُمَا أَنْ يَجْمَعَ الدَّهْرُ بينَنا فَخُوضَا لِيَ السَّمَّ المُصَرَّحَ بِالمَحْضِ[1]
ففي ذاكَ مِنْ بَعْضِ الأُمورِ سَلاَمَةٌ ولَلْمَوْتُ خَيْرٌ من حياةٍ على غَمْضِ

قال: فاقْتَحَم[2] إليه كثَيِّرٌ، وثَبَتَ له النُّصَيبُ. فلما نالَتْهُ رِجلاه رَمَحَهُ[3] نُصَيْبٌ بِسَاقِهِ رَمْحةً طاحَ منها بعيداً عنه، فما زالَ راقداً حتى أيْقظْنَاه عَشِيًّا لِرَمْيِ الجِمَارِ.

أخبرني الحَرَميُّ بن أبي العَلاَء عن الزُّبَير عن محمد بنِ موسى بنِ طَلْحَةَ عن عبد الله بن عمر بن عثمان النَّحوِيّ عن أنيس بن ربيعة الأسْلَمِيّ أنه قال: غَدَوْتُ يوماً إلى أبي عُبَيدةَ بنِ عبد الله بن زَمْعَةَ وهو مُحْتَلٌّ بالرَّحْبَةِ[4]، فأَلْفَيْتُ عِندَه جماعةً مِنّا ومن غيرنا، فأتاه آتٍ فقال له: ذاك النُّصَيبُ منذُ ثلاثٍ بِالفَرْشِ من مَلَلَ[5]؟ مُتَلَدِّدٌ[6] كأنَّهُ وَالِهٌ في أَثَر قوم ظاعنين. فنَهَضَ أبو عُبَيدةَ ونَهَضْنَا معه، فإذا نُصَيبٌ على المنحر من صَفَر[7]. فلمّا عَايَنّنا وعرَفَ أبا عُبَيدة هَبَطَ؛ فسأَلَهُ عن أَمْرِهِ، فأخبرَهُ أنّه تَبِعَ قوماً سائرين وأنّه وَجَدَ آثارَهُمْ ومَحَلَّهُمْ بِالفَرْشِ فاسْتَوْلَهه ذلك. فَضَحِكَ به أبو عبيدةَ والقومُ، وقالوا له: إنما يُهْتَرُ[8] إذا عَشِقَ مَنِ انْتسبَ عُذْرِيًّا، فأمّا أنتَ فما لَكَ ولهذا؟ فاسْتَحْيَا وسَكَنَ. وسأله أبو عبيدةَ: هل قُلْتَ في مُقَامِكَ شِعراً؟ قال: نَعَمْ! وأنشدَ: [الطويل]

لَعَمْرِي لَئِنْ أَمْسَيتَ بِالفَرْشِ مُقْصَداً ثَوِيَّاكَ عَبُّودٌ وعُذْنَةُ أو صَفَرْ[9]

---

(١) خوضا لي: اخلطا لي. والمَحْض: الخالص.
(٢) اقتحم إليه: تَقَدَّم.
(٣) رَمَحه: رفسه.
(٤) الرَّحبة: الساحة المُتّسعة بين أفنية القوم.
(٥) الفَرْش: وادٍ بين غميس الحَمَام وملل (معجم البلدان ٤: ٢٥٠) ومَلَل: موضع في طريق مكة بين الحَرَمَين (معجم البلدان ٥: ١٩٤).
(٦) مُتَلَدِّد: متحيّر.
(٧) صَفَر: جبل أحمر من جبال ملل قرب المدينة (معجم البلدان ٣: ٤١٣).
(٨) يُهْتَرُ: يذهب عقله.
(٩) الثَّوِيّان: مثنى الثَّوِيّ: هو المقيم معك في مكان واحد. وعبود: جبل بين السيالة ومَلَل له ذِكْرٌ في المغازي (معجم البلدان ٤: ٨٠). وعُذْنَة: ثنيّة قرب مَلَل لها ذكر في المغازي (معجم البلدان ٤: ٩٠).

فَـفَـرَّعَ صَـبًّـا أو تَـيَـمَّـمَ مُـصْـعِـداً لِرَبْعٍ قَدِيمِ العَهْدِ يَنْتَكِفُ الأَثَرْ[١]
دَعَـا أهـلَـه بِـالـشَّـأْمِ بَـرْقٌ فـأَوْجَـفُـوا ولـمْ أَرَ مَـتْـبُـوعـاً أَضَـرَّ مِـنَ الـمَـطَـرْ
لَـتَـسْـتَـبْـدِلَـنْ قـلـبـاً وعـيـنـاً سِـوَاهُـمـا وإلاّ أَتَـى قَـصْـداً حُـشَـاشَـتَـكَ الـقَـدَرْ
خَـلِـيـلَـيَّ فـيـمـا عِـشْـتُـمـا أو رَأَيْـتُـمَـا هَـلِ ٱشـتـاقَ مَـضْـرورٌ إلـى مَـنْ بـه أَضـرْ
نَـعَـمْ رُبَّـمـا كـان الـشَّـقـاءُ مُـتَـيَّـحـاً يُغَطِّي على سَمْعِ ٱبنِ آدمَ والبَصَرْ[٢]

قال: فانصرفَ به أبو عبيدة إلى منزلِهِ، وأطعمَهُ وكَسَاه وحَمَله، وٱنصرفَ وهو يقول: [الوافر]

أَصَـابَ دواءَ عِـلَّـتِـكَ الـطَّـبِـيـبُ وخـاضَ لَـكَ الـسُّـلُـوَّ ٱبنُ الـرَّبِـيـبِ[٣]
وأَبْـصَـرَ مِـنْ رُقَـاكَ مُـنَـفِّـثَـاتٍ ودَاؤُكَ كـانَ أَعْـرَفَ بِـالـطَّـبِـيـبِ

[يزيد بن عبد الملك يملأ فم النصيب جوهراً]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال: حَدَّثنا أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: دَخَلَ نُصَيبٌ على يزيدَ بنِ عبد الملك ذاتَ يوم، فأنشدَهُ قصيدةً ٱمتدحَهُ بها، فَطَرِبَ لها يزيدُ وٱستحسَنها، فقالَ له: أَحْسَنْتَ يا نُصَيب! سَلْنِي ما شِئْتَ. فقال: يَدُكَ يا أميرَ المؤمنين بِالعَطَاءِ أَبْسَطُ مِنْ لساني بِالمسألةِ! فأمرَ به فَمُلِىءَ فَمُهُ جَوْهراً، فلم يَزَلْ به غَنِيًّا حتى ماتَ.

[أخباره مع هشام بن محمد]

أخبرني الحَرَمِيُّ بن أبي العلاء قال: حَدَّثنا الزُّبير قال: حَدَّثنا أبو غُزيَّةَ عن عبد الرّحمن بن أبي الزِّناد قال: دخَلَ نُصَيبٌ على إبراهيمَ بنِ هِشَام وهو وَالٍ على المدينةِ، فأنشدَهُ قولَهُ: [البسيط]

يابْنَ الـهِـشَـامَـيْـنِ لا بَـيْـتٌ كَـبَـيْـتِـهِـمَـا إذا تَـسَـامَـتْ إلـى أَحْـسَـابِـهَـا مُـضَـرُ

فقال له إبراهيم: قم يا أبا مِحْجَن إلى تلك الرّاحلة المَرْحُولَةِ فَخُذْها بِرَحْلِهَا. فقامَ إليها نُصَيبٌ متباطئاً والنَّاسُ يقولونَ: ما رأينا عَطِيَّةً أَهْنَأَ من هذه ولا أَكْرَمَ ولا

(١) فَرّع في الجبل: انحدر. وصَبًّا: من صَبَّ في الوادي إذا انحدر فيه. وينتكف الأثر: يتتبّعه.
(٢) مُتَيَّحاً: مُقَدَّراً.
(٣) خاض: خلط وحَرَّك. والسُّلُوّ: هنا أن يُؤخَذَ من تراب قبر ميت فيذرّ على الماء ويسقاه العاشق ليسلو.

أَعْجَلَ ولا أَجْزَل. فَسَمِعَهُمْ نُصَيبٌ فأقبلَ عليهم وقال: واللَّهِ إنَّكُم قَلَّما صاحبتُم الكِرَامَ! وما راحلةٌ ورَحْلٌ حتى تَرْفَعُوهما فوقَ قَدْرِهما!

أخبرني الحَرَمِيُّ وعيسى بن الحُسَين قالا: حَدَّثنا الزُّبَيرُ عن عبد الله بن محمد ابن عبد الله بن عَمْرو بن عثمان بنِ عَفَّانَ عن أبيه قال: استبطأ هِشَامُ بنُ عبد الملك حين وَلِيَ الخلافةَ نُصَيْباً ألاّ يكونَ جَاءَهُ وافِداً عليه مادحاً له وَوَجَدَ عليه. وكان نُصَيبٌ مريضاً، فبلغَهُ ذلك حين بَرَأَ، فَقَدِمَ عليه وعليه أَثَرُ المرضِ وعلى راحلتِهِ أَثَرُ النَّصَبِ[1]، فأنشده قصيدتَه التي يقول فيها: [الطويل]

حَلَفْتُ بِمَنْ حَجَّتْ قُرَيْشٌ لِبَيْتِهِ ... وأَهْدَتْ له بُدْناً عليها القَلاَئِدُ
لَئِنْ كنتُ طالَتْ غَيْبَتِي عنكَ إنَّنِي ... بِمَبْلَغِ حَوْلِي في رِضاكَ لَجَاهِدُ[2]
ولَكنَّني قد طالَ سُقْمِي وأَكْثَرَتْ ... عَلَيَّ العِهَادَ المُشْفِقَاتُ العَوَائِدُ[3]
صَرِيعُ فِرَاشٍ لا يَزَلْنَ يَقُلْنَ لي ... بِنُصْحٍ وإشفاقٍ متى أنتَ قاعِدُ
فلمَّا زَجَرْتُ العِيسَ أَسْرَتْ بِحَاجَتِي ... إليكَ وَذَلَّتْ لِلِّسَانِ القصائدُ
وإنِّي فلا تَسْتَبْطِنِي بِمَوَدَّتِي ... ونُصْحِي وإشْفَاقِي إليكَ لَعَامِدُ
فلا تُقْصِنِي حتى أكُونَ بِصَرْعَةٍ ... فَيَيْأَسَ ذو قُرْبَى ويَشْمَتَ حاسدُ
أَنِلْنِي وقَرِّبْنِي فَإِنِّيَ بَالِغٌ ... رِضَاكَ بِعَفْوٍ مِنْ نَدَاكَ وزائدُ
أَبِتْ نائماً أمّا فُؤادِي فَهَمُّهُ ... قَليلٌ وأمّا مَسُّ جِلْدِي فبارِدُ
وقد كانَ لي مِنْكُمْ إذا ما لَقِيتُكُمْ ... لَيَانٌ ومعروف وللخيرِ قائدُ
إليكَ رَحَلْتُ العِيسَ حَتَّى كأنَّها ... قِسِيُّ السُّرَى ذُبْلاً بَرَتْها الطَّرَائِدُ[4]
وحتّى هَوَادِيها دِقَاقٌ وشَكْوُها ... صَرِيفٌ وباقي النِّقْيِ منها شَرَائِدُ[5]
وحتى وَنَتْ ذاتُ المِرَاحِ فأذْعَنَتْ ... إليكَ وكلُّ الرَّاسِمَاتُ الحَوَافِدُ[6]

---

(١) النَّصَب: التعب.
(٢) الحَوْل: الحِذق وجودة النظر.
(٣) العهاد: المطر بعد المطر، ويقصد هنا الدموع. والعوائد: اللواتي يعدنه أي يزرنه في مرضه.
(٤) السُّرى: السير ليلاً. والطرائد: جمع الطريدة: هي قصبة مجوّفة توضع على المغازل والعود والقِداح فتُبرى بها وتنحت عليها.
(٥) الهوادي: الأعناق. ودقاق: جمع دقيق. والصّريف: هو صرير الأنياب. والنِّقي: مخّ العظم ولبّه. والشّرائد: جمع الشريد: البقيّة من الشيء.
(٦) وَنَتْ: ضعفت وفترت. والمِراح: النشاط. والراسمات: ذوات الرّسيم: وهو ضرب من السّير سريع مؤثّر في الأرض. والحوافد: المسرعات.

قال: فَرَقَّ له هِشَامٌ وبَكَى، وقال له: وَيْحَكَ يا نُصَيب! لقد أَضْرَرْنا بك وبِرَوَاحِلِك، ووصَله وأَحْسَنَ صِلَتَه واحتفلَ به.

[نصيب عند عبد الواحد النصري أمير المدينة]

أخبرنا الحَرَمِيُّ عن الزُّبَير عن عمِّه عن أيُّوبَ بنِ عَبَايَةَ قال: قَدِمَ نُصَيبٌ على عبد الواحد النَّصْرِيّ وهو أميرُ المدينةِ بِفَرْضٍ من أمير المؤمنين يَضَعه في قومِهِ من بني ضَمْرَةَ، فأَدْخَلَهُم عليه لِيَفْرِضَ لهم وفيهم أربعةُ غِلْمَةٍ لم يَحْتَلِمُوا، فَرَدَّهم النَّصْرِيّ. فَكَلَّمَهُ نُصَيْبٌ كلاماً غليظاً إدلالاً بِمنزلتِهِ عند الخليفةِ، فأشارَ إليه إبراهيم بن عبد الله ابن مُطِيع أَنِ اسْكُتْ وكُفَّ واخْرُجْ؛ فإنِّي كافيكَ. فلمّا خَرَجَ إبراهيمُ لَقِيَهُ نُصَيْبٌ، فقالَ له: أَشَرْتَ إليَّ فَكَرِهْتُ أن أُغْضِبَكَ، فما كَرِهْتَ لي من مُرَاجعتِه والصَّلابة له ومن ورائي المُسْتَعْتَبُ من أمير المؤمنين؟ فقال إبراهيم: هو رجلٌ عربيٌّ حَدِيدٌ غَلِقٌ[1]، وخَشِيتُ إن جاذبتَه شيئاً ألاَّ يرجعَ عنه وأن يَمْضِيَ عليه ويَلِجَّ[2] فيه، وهو مالكٌ للأمرِ وله فيه سلطانٌ، فأردْتُ أن تخرُجَ قبلَ أن يَلِجَّ ويظهرَ منه ما لا يرجعُ عنه فيَمْضِيَ عليه ويَلِجَّ فيه؛ فتنْتظرُ لِتُصَادِفَ منه طِيبَ نَفْسٍ فتكلِّمه ونُرْفِدكَ[3] عندَه. فقال نُصَيب: [الرجز]

يَــوْمَــانِ يــومٌ لِــرُزَيْــقٍ فَــسْــلُ ويــومُــهُ الآخَــرُ سَــمْــحٌ فَــضْــلُ[4]

أنا ـ جُعلتُ فِدَاءَكَ ـ فاعلٌ ذلك؛ فإذا رأيتَ القولَ فأَشِرْ إليّ حتى أُكَلِّمَه. قال: ودخلَ إليه نُصَيب عَشِيّاتٍ، كلَّ ذلكَ يُشيرُ إليه ابنُ مُطيعٍ ألاَّ يُكَلِّمَهُ، حتى صادفَ عَشِيَّةً من العَشِيَّاتِ منه طِيبَ نَفْسٍ، فأشارَ إليه أن كَلِّمْهُ. فكلَّمَهُ نُصَيبٌ فأصابَ مَخْتِلَه[5] بكلامِه، ثم قال: إنِّي قد قلتُ شعراً فاسمعْهُ أيّها الأميرُ وأَجِزْه، ثم قال:

[الطويل]

---

(١) رجلٌ حديدٌ: ذو حِدَّة في طبعه. وغَلِقٌ: ضيّق الخلق صعب الرّضا.
(٢) يلجّ في الأمر: يتمادى عليه ويأبى أن ينصرف عنه.
(٣) نرفدك: نعينك ونكرمك.
(٤) الفسل: الرّذل السيّء من كلّ شيء.
(٥) أراد أنه استطاع أن يؤثّر عليه.

أهاجَ البُكا رَبْعٌ بأسْفَلِ ذي السِّدْرِ عَفَاهُ اختِلافُ العَصْرِ بَعْدَكَ والقَطْرِ (١)
نَعَمْ فَثَنَانِي الوَجْدُ فاشْتَقْتُ لِلَّذِي ذَكَرْتُ وليسَ الشَّوْقُ إلاَّ مَعَ الذِّكْرِ
حَلَفْتُ بِربِّ المُوضِعِينَ لِرَبِّهِمْ وحُرْمَةِ ما بينَ المَقَامِ إلى الحِجْرِ (٢)
لَئِنْ حاجتي يوماً قضَيْتَ ورِشْتَني بنَفْحَةِ عُرْفٍ من يَديك أبا بِشْرِ (٣)
لَتَعْتَرِفَنَّ الدَّهْرَ مِنِّي مَوَدَّةً ونُصْحاً على نُصْحٍ وشُكْراً على شُكْرِ
سَقَى اللَّهُ صَوْبَ المُزْنِ أرْضاً عَمَرْتَها بِريٍّ وأسْقَاها بِلادَ بَنِي نَصْرِ (٤)
بِوجهِكَ فاسْتُعْمِلْتَ ما دُمْتَ خائفاً لِربِّكَ تَقْضِي رَاشِداً آخِرَ الدَّهْرِ
لِتُنْقِذَ أصحابِي وتَسْتُرَ عَورَةً بَدَتْ لكَ مِنْ صَحْبِي فإنّكَ ذو سَتْرِ
فما بِأميرِ المؤمنين إلى الَّتِي سَأَلْتُ فأعطاني لِقَومِيَ من فَقْرِ
وقد خَرَجَتْ منهُ إليكَ فلا تَكُنْ بِمَوضِعِ بَيْضَاتِ الأنُوقِ مِنَ الوَكْرِ (٥)

قال: فقال عثمانُ بن حَيّانَ المُرّيّ وهو عندَه ـ وكان قد جاءَه بالقَوَد (٦) من ابن حَزْم ـ: قَدِ احتَلَمَ الآن القومُ أيُّها الأميرُ، واستوجَبُوا الفَرْضَ. ورَفَدَهُ ابنُ مُطيع فأحْسَنَ، واشتدَّ عليه أن شَرِكَهُ ابنُ حَيّان في رَفْدِهِ وتَشييعِهِ. وقال النَّصْرِيُّ لابن مُطِيع وابنِ حَيَّان: صَدَقْتُما قد احْتَلَموا واستوجَبُوا الفَرْضَ، افْرِضْ لهم يا فلانُ ـ لكاتبٍ من كُتَّابِهِ ـ ففَرَضَ لهم.

[نصيب وعشقه لأمةٍ لبني مدلج]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال: حَدَّثني جعفر بن عليّ اليَشْكُرِيّ قال حَدَّثني الرِّيَاشيّ عن العُتْبِيّ قال: دخلَ نُصَيْبٌ على عبدِ العزيز بن مَرْوان، فقال له عبدُ العزيز وقد طال الحديثُ بينهما: هل عَشِقْتَ قَطُّ؟ قال: نَعَمْ، أَمَةً لِبَني

(١) ذو السّدر: اسم موضع. وعفاه: جعله دارساً بالياً.
(٢) الموضعين: المسرعين في السير
(٣) رشتني: أحسنت إليَّ وأعطيتني.
(٤) المزن: السحاب. وصوبها: مطرها وانهمارها.
(٥) بيض الأنوق: العرب تضرب المثل ببيض الأنوق في الشيء العزيز الذي لا يوجَد فيقال: أعزُّ من بيض الأنوق. والأنوق: الرَّخم الذّكَر. والأنوق تلتمس لبيضها الأوكار البعيدة والأماكن الوحشية وصدوع الصخر الغامضة (ثمار القلوب ص ٧١٧).
(٦) القَوَد: القصاص وقتل القاتل بدل القتيل.

مُدْلِج. قال: فكنتَ تَصْنَعُ ماذا؟ قال: كانوا يَحْرُسُونها مِنِّي، فكنتُ أَقْنَعُ أن أراها في الطَّرِيقِ وأُشِيرَ إليها بعيني أو حاجبي، وفيها أقولُ: [الطويل]

وَقَفْتُ لها كَيْما تَمُرَّ لَعَلَّنِي ... أُخَالِسُها التَّسْلِيمَ إن لم تُسَلِّمِ
ولمّا رَأَتْنِي والوُشَاةَ تَحَدَّرَتْ ... مَدامِعُها خَوفاً ولم تَتَكَلَّمِ
مَساكِينُ أهلُ العِشقِ ما كُنْتُ أَشتَرِي ... جميعَ حَياةِ العاشِقِينَ بِدِرْهَمِ

فقال عبد العزيز: وَيْحَكَ! فما فَعَلَتْ؟ قال: بِيعتْ فأولَدَها سَيِّدُها. قال: فهل في نفسِكَ منها شيء؟ قال: نَعَم، عَقَابِيلُ[1] أحزانٍ.

[عبد العزيز بن مروان يحمل ديناً عن نصيب والأسلميّ يسامحه بالدَّيْن]

أخبرني الحَرَمِيُّ قال: حَدَّثنا الزُّبير قال: حَدَّثني بُهْلُول بنُ سليمان بن قِرْضَاب البَلَوِيّ: أن إبلاً لِنُصَيْب أَجْدَبَتْ وحَالَتْ[2]، وكان لِرَجلٍ من أَسْلَمَ عليه ثمانيةُ آلافِ درهم. قال: فأخبرني أبِي وعَمِّي أنه وَفَدَ على عبد العزيز بن مروان، فقال له: جَعَلَنِّي اللَّهُ فِداءَكَ! إنِّي حَمَلْتُ دَيناً في إبلٍ ٱبْتَعْتُها مُجدِبَاتٍ حِيَالٍ، وقد قلتُ فيها شِعراً. قال: أنشِده، فأنشدَه: [الطويل]

فَلَمَّا حَمَلْتُ الدَّيْنَ فيها وأصبحَتْ ... حِيَالاً مُسِنَّاتِ الهوى كِدْتُ أَندَمُ
على حِينِ أَنْ رَاثَ الرَّبيعُ ولم يَكُنْ ... لها بِصَعِيدٍ مِنْ تِهَامَةَ مَقْضَمُ[3]
ثمانيةٌ لِلأَسْلَمِيِّ وما دَنَا ... لِفُحْشٍ ولا تَدْنو إلى الفُحْشِ أَسْلَمُ

فقال له عبدُ العزيزِ: فما دَيْنُكَ؟ وَيْحَكَ! قال: ثمانية آلاف، فأمرَ له بثمانية آلافِ درهم. فلمّا رجعَ أنشدَ الأَسْلَمِيَّ الشِّعْرَ فتركَ ما له عليه، وقال: الثّمانيةُ الآلاف لكَ.

[نصيب ونسوة كن يتناشدن الشّعر في المسجد الحرام]

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال: حَدَّثنا الزُّبير بن بَكَّار قال: حَدَّثَني المَوْصِليّ عن

---

(١) عقابيل الأحزان: بقاياها.

(٢) الحائل من النوق: التي حمل عليها ولم تلقح أو التي لم تلقح سنة أو سنوات، وكذلك كل حامل ينقطع عنها الحمل سنة أو سنوات حتى تحمل.

(٣) راث: أبطأ.

ٱبن أبي عُبَيدة قال: أتى نُصَيبٌ مكّةَ فأتى المسجدَ الحرامَ ليلاً. فبينما هو كذلك إذ طَلَعَ ثلاثُ نسوةٍ فَجَلَسْنَ قريباً منه وجَعَلْنَ يتحدَّثْنَ ويتذاكَرْنَ الشّعرَ والشّعراءَ، وإذا هُنَّ من أفصحِ النّساءِ وآدَبِهِنَّ. فقالت إحداهنّ: قاتلَ اللّهُ جَمِيلاً حيث يقول:

[الطويل]

وبينَ الصَّفَا والمَرْوَتَيْنِ ذَكَرْتُكُمْ ... بِمُخْتَلِفٍ ما بين سَاعٍ ومُوجِفِ[1]

وعندَ طَوَافِي قد ذَكَرْتُكِ ذُكْرَةً ... هي الموتُ بل كادَتْ على ٱلمَوتِ تَضْعُف

فقالتِ الأُخرى: بل قاتلَ اللّهُ كُثَيِّرَ عَزَّةَ حيث يقول: [الطويل]

طَلَعْنَ علينا بين مَرْوةَ والصَّفَا ... يَمُرْنَ على البَطْحَاءِ مَوْر السَّحائِبِ[2]

فَكِدنَ لَعَمْرُ اللّهِ يُحْدِثْنَ فِتنةً ... لِمُخْتَشِعٍ مِنْ خَشْيةِ اللّهِ تائِبِ

فقالتِ الأُخرى: قاتل اللّهُ ابنَ الزّانية نُصَيباً حيث يقول: [الطويل]

أَلامُ على لَيْلَى ولو أَسْتَطِيعُها ... وحُرْمَةِ ما بين البَنِيَّةِ والسِّتْرِ

لَمِلْتُ على لَيْلَى بِنَفْسِيَ مَيْلَةً ... ولو كان في يوم التَّحالُقِ والنَّحْرِ[3]

فقام نصيبٌ إليهنّ فَسَلَّمَ عليهنّ، فَرَدَدْنَ عليه السَّلاَمَ. فقال لهنّ: إنِّي رأيتُكنّ تَتَحادَثْنَ شيئاً عندي منه عِلْمٌ. فقلن: ومَنْ أنتَ؟ فقال: اسْمَعْنَ أوّلاً. فقلن: هاتِ. فأنشدهنّ قصيدتَه التي أوّلها: [البسيط]

ويومَ ذِي سَلَمٍ شَاقَتْكَ نائحةٌ ... وَرْقَاءُ في فَنَنٍ والرِّيحُ تضطربُ

فقلنَ له: نسألُكَ باللّهِ وبِحَقِّ هذه البَنِيَّة، مَنْ أنت؟ فقال: أنا ٱبنُ المظلومةِ المقذوفةِ بغير جُرْم «نُصَيب». فَقُمْنَ إليه فَسَلَّمْنَ عليه ورَحَّبْنَ به. وٱعتذَرَتْ إليه القائلةُ، وقالت: واللّهِ ما أردتُ سوءاً، وإنّما حَمَلَني الاستحسانُ لِقَوْلِكَ على ما سَمِعْتَ. فَضَحِكَ وجلسَ إليهنّ، فحادَثَهنَّ إلى أنِ ٱنصرفْنَ.

---

(١) الموجف: المسرع في سيره.

(٢) يمرن: يتمايلن جيئةً وذهاباً.

(٣) يوم التحالق: يوم حلق الشَّعر.

أخبار ابن مُحْرِز ونسبه

[نسب ابن مُحْرِز]

هو مُسْلِم بن مُحْرِز، فيما رَوى ابنُ المَكّيّ، ويُكْنَى أبا الخَطّاب، مَوْلَى بني عَبْدِ الدَّارِ بن قُصَيّ. وقال ابنُ الكَلْبِيّ: اسمه سَلْمٌ. قال ويقال: اسْمُهُ عبدُ الله. وكان أبوه من سَدَنَة الكَعْبَة[١]، أصلُه من الفُرْسِ، وكان أصفرَ أَحْنَى[٢] طويلاً.

[تعلّمه ألحان الفرس والروم واختياره محاسن الطرفين]

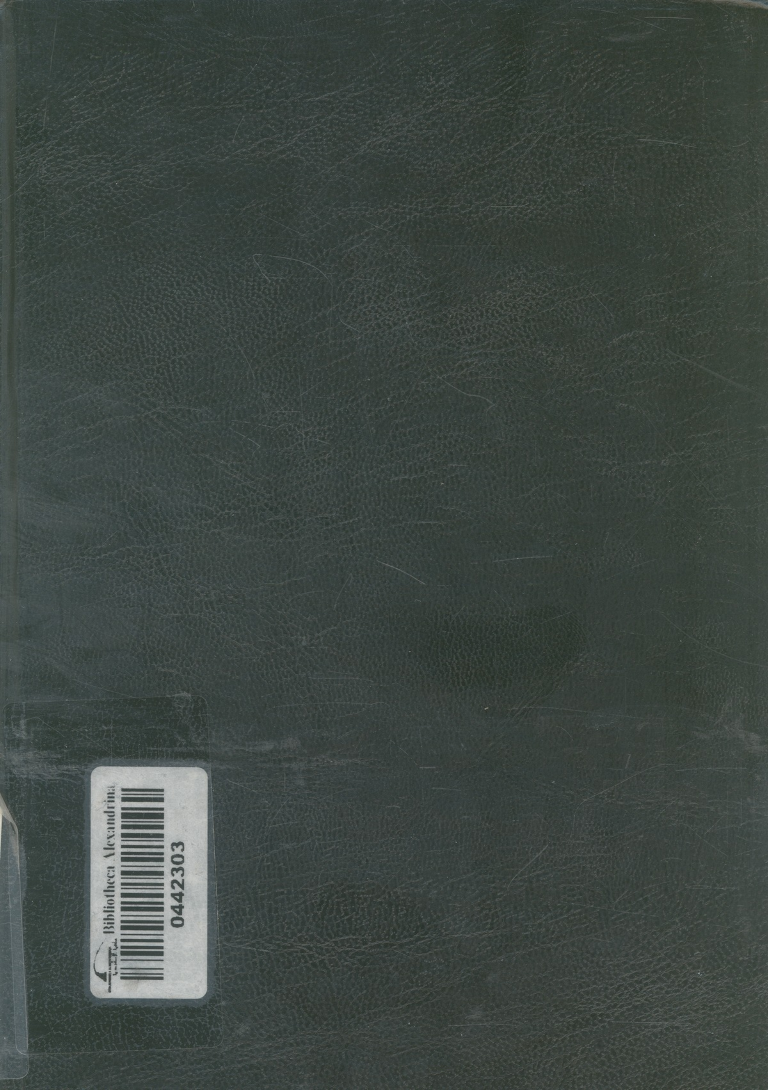
وأخبرني الحَرَميُّ قال حَدَّثنا الزُّبَير قال: حَدَّثني أخي هارونُ عن عبد الملك ابن الماجُشُون قال: اسمُ ابن مُحرز سَلْم، وهو مَوْلَى بني مَخْزُوم. وذكر إسحاقُ أنّه كان يَسْكُنُ المدينَة مَرَّةً ومكّةَ مرَّةً، فإذا أتى المدينة أقامَ بها ثلاثةَ أشهُرٍ يتعلّمُ الضَّرْبَ من عَزّةَ المَيْلاَءِ، ثم يرجعُ إلى مكّةَ فيقيمُ بها ثلاثةَ أشهر. ثم شَخَصَ إلى فارسَ فتعلّمَ ألحانَ الفُرْس وأخذَ غِنَاءَهم، ثم صارَ إلى الشَّامِ فتعلّمَ أَلْحَانَ الرُّومِ وأخَذ غناءَهم، فأسقطَ من ذلك ما لا يُسْتَحْسَنُ من نَغَمِ الفريقَين، وأخذ محاسِنَهَا فمزَجَ بعضَها ببعضٍ وأَلّفَ منها الأغاني التي صَنَعَها في أشعارِ العربِ، فأتى بما لم يُسمَعْ مثلُه. وكان يقال له صَنَّاج العرب[٣].

---

(١) السَّدَنة: جمع السّادن: خادم الكعبة، وكانت السّدانة واللواء لبني عبد الدار في الجاهلية فأقرّها لهم الرسول ﷺ في الإسلام.

(٢) رجل أحنى: في ظهره احديداب.

(٣) الصَّنج: صفيحة مدوّرة من النحاس تُضرب على أخرى مثلها للطَّرَب. وهناك الصنج ذو الأوتار وهو مختصٌّ بالعجم معرّب، واللاعب به يُسَمّى الصّنّاج.


Bibliotheca Alexandrina
04442303